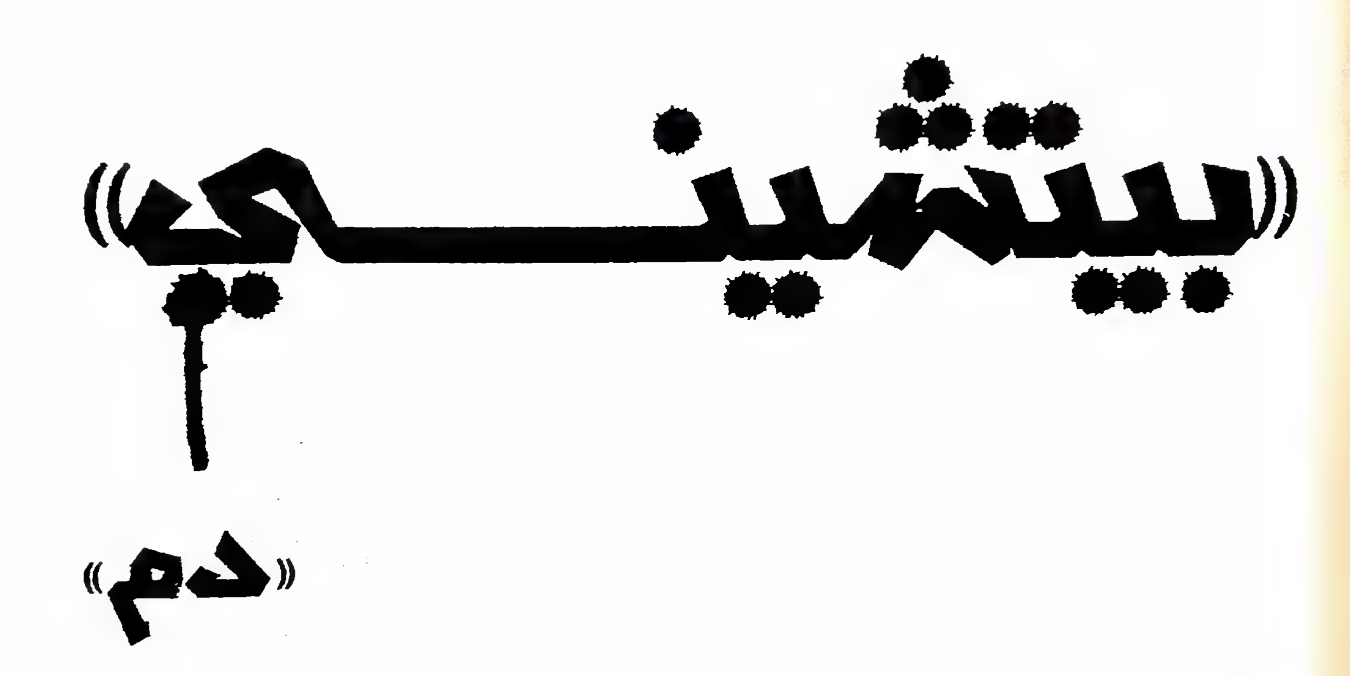


بيتشيني
مريم الحيسي


«دم»

«سلسلة من المهد إلى اللحد»



تأليف

مريم الحيسي

maria_hise5
maria_hise5
maria_hise5

الطبعة الأولى

١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٤ م



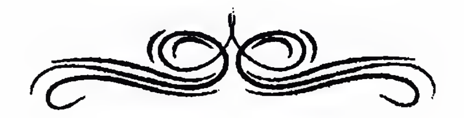
«دعني أخبرك بشيء: إن هذا الكتاب يدفع للجنون إذا كنت ترغب بمواصلة القراءة فأنت موافق على مشاهدة الأهوال القادمة والتي في بعض الأحيان لا يمكن تصورها! إذا كنت حساساً فكرر مع نفسك..:

إنه مجرد كتاب

إنه مجرد كتاب

إنه مجرد كتاب فقط..»

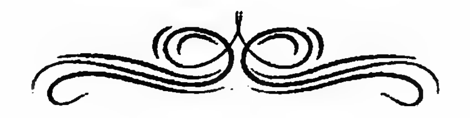
ماريا..



د. رقية عادل

«الإهـــداء»

«إلى جميع الجثث على هـذه الأرض وخـارج الأرض
هذا الكتاب لكم كل الحب والمودة»..



«مقدمـــــة»

بالنسبة لأولئك الذين يفهمون أن صمت المرأة هو غضبها، وأن غرابة أطوارها ما هي إلا أن عقلها يعيش في عالم آخر عالم مختلف وأن موت شخصية خيالية مؤلم مثل الواقع تماماً، وأن الخوف والرعب والأهوال تأخذ من روحي شيئاً كما في الواقع، كان هذا أصعب كتاب أكتبه حتى الآن ولا أعلم سيأتي في المستقبل كتاب أكثر صعوبة؟؟! إن هذه السلسلة سحبتني إلى الأسفل لربما إلى سابع أرض! لربما شعرت بنوبات صداع بمعدل عشرين مرة في اليوم لربما واجهت هلوسات في عقلي وفي غرفتي! لكن كل ما أعرفه أن هذا الكتاب أحدث فوضى في أعماق روحي وأن الشخصيات هنا كانوا معلقين على ظهري، يهمسون في أذني، ووضعوا أيديهم حول عنقي مرات عديدة وتركوا أثر كدمات في جسدي، والآن هم حولك ولن يتركوك الآن هم يحتاجون بعض العناية منك حتى تحترق نفوسكم وتتعفن قلوبكم! لكنك لست على استعداد لتحمل كل الفوضى هنا عزيزي القارئ ولكن بما أن الكتاب معك هذا يعني أنك جئت إلى هنا للبحث عن هذه الفوضى المرعبة لقد جئت للبحث عنهم لذلك دعونا نحترق معاً.!

«أخيراً إلى أشلاء نفسي المتبعثرة بين الصفحات ربما لترقدي بسلام».

ماريــــا..

«تمهيـــــد»

لقد جمعت أكبر قدرٍ من الجثث وتحقق حلمي!!

دون مقدمـات أو تمهيـدات أنـا أحـب الجثث مهـووس بهـا إنها لا تقـدر بثمـن إنهـا عالـم مختلـف عالـم مذهـل عالـم لا يفهمـه الأحيـاء أبـداً، هنـاك أسـرار كثيـرة فـي هـذا العالـم وأنـا أحـب أن أغـوص بهـا، أحـب رائحتهـا أحـب ملمسـها أحـب التأمل بهـا! إن جثـث الموتـى يشـعرونني بالحيـاة هـم إلهامـي في هـذه الحيـاة هـم عائلتـي وأصدقائـي ومأمنـي وحياتـي جثـة واحـدة فقـط تشـعرني بأنـني علـى قيـد الحيـاة! أعتقد أنـني الشـخص الوحيـد علـى الكرة الأرضية الـذي لا يخـاف مـن الجثـث ولا يتقزز منهـا ولا ينفـر منها ويسعدني ذلك...

لحظـة..! لا تفهمونـي بشـكل خاطـئ أنـا لسـت منحرفاً ولسـت مصاباً بمـرض النيكروفيليـا! علـى العكـس أنـا لا أحـب أن أوذي الجثث أنا أحب أن أعتني بهم تماماً مثل الأحياء..

إن الإنسـان بتشـكيلته يعتبر فنّاً إنـه يختلـف اختلافاً تامّـاً عن باقي المخلوقـات بالعقـل والشـكل لذلـك عندمـا يصبـح جثة يكون شـبه تحفـة نائمـة لمـاذا علينـا أن نتخلـص مـن تحفـة مثـل هـذه أسـفل التـراب؟؟ لمـاذا علينا أن نخفـي الجمـال؟ بالنسـبة لـي لا يهمنـي

الأحيـاء بقـدر مـا يهمنـي الأمـوات...! إن الأحياء لديهم الكثير
حولهـم يهتمون بهـم لكـن الجثـث لا أحـد يهتم بهم إنهم يعيشون
فـي وحـدة مظلمـة! لطالمـا الجثـث اهتمـت بـي من الطفولة حتى
الآن لذلـك يجـب أن أرد لهـم الديـن، وكان من دواعي سروري أن
أكون الأب الروحي للجثث...!



«لمــاذا أنــا مفتــون بالجــثث؟»

فـي بعـض الأحيـان يتعـب الرجـل مـن حمـل كل شـيء، العالـم يكتسـح رأسـه يترهـل الكتفـان وينحنـي العمـود الفقـري بقسـوة، وترتعـش عضلاته مـن التعب الأمـل في الراحـة هو المـوت! ويجب علـى الرجل أن يقـرر مـا إذا كان تخلـى عن حملـه أو يتحملـه؟ حتى تستقر رقبته مثل غصن هش..

أعلم جميعكم ستسـألون هذا السـؤال؟ سـتتعجبون منـي! وتتقززون مني وتنفـرون وتحتقرونـني وتكرهونـني أعلـم إن أعطيتكـم مليـون إجابة لـن تقنعكم أبـداً ولـن تقتنعوا أبـداً وهذا مـن حقكم ليس لأنني مخطـئ لا بـل لأن كل واحـد فـي العالـم لـه الحق في مـا يعجبـه وله الحق في مـا لا يعجبـه، لكن عنـي أنا لسـت مهتمّـاً ولا أنتظـر أي رأي وتقييـم منكم لأن مـا أفعله هـو الصحيـح ولا أنتظر أي نقـاش ولا أريد أن أناقـش مـن الأسـاس، سـألت نفسـي هـذا السـؤال قبـل ٢٨ عامـاً! ووجـدت الإجابـات فـوراً كلمـا زاد عمـري وكلمـا مضـت سـنة فـي حياتـي عرفـت إجابـات أكثـر وأكثـر، لهـذا كتبت هـذا الكتـاب لأقدم إجابـات لكم رغـم أنني لسـت مجبراً لكـن لتعلمـوا أيضاً بأن مـا أفعله يسـتحق أن يـروى يسـتحق أن ينشـر مـن الممكـن أن هنـاك الكثير في

هـذا العالـم يرغـب بـأن يفعـل الأشيـاء التـي أفعلها لكنـه خائـف،
رحلتـي التـي سـأكتبها فـي هـذا الكتـاب أنـا بطلها أعلـم بأنكـم لـن
تسـموني بطـلاً لكـن لمـاذا على جميـع أبطـال الروايـات والأفـلام أن
ينقذوا البشـر والأحيـاء فقط؟ أليس هـذا مملاً؟ لن تجدوا هـذا البطل
الخيالي هنا، هنا ستجدونني وأنا أنقذ الأموات أنقذ الجثث..!

أعلـم بـأن رحلتـي سـتقودك نحـو الهاويـة وربمـا نحـو الجنون
لكـن لا بـأس مـا فائـدة العقـل إذا لـم يصبـح مجنونـاً؟ فالجنون هو
أسـاس الإبـداع والنجـاح وأيضـاً مـا أفعلـه هـو ليـس جنونـاً إن
الاهتمـام بالجثث هو نـوع من أنـواع الفن، الفـن الذي لا يقدر بثمن
ولا يقيـم حتـى الفـن الـذي لا يمارسـه إلا واحـد بالمائة على هذه
الأرض وأنـا هـو الواحـد بالطبـع، أحـب أبنائـي وفتياتـي وأطفالي
وإخوانـي أو هـم عائلتـي الكبيـرة أحبهـم جثثـاً ميتة سـأبقيهم معي إلى
الأبد هـم لا يتخلـون عني ولا أنـا أتخلـى عنهم أبـداً، لم أجد رائحة
بشـعة فيهـم أبـداً ولا حتـى لحظـة واحـدة لـم أجـد رائحـة الموت
كريهـة كان الأمـر أشـبه بالزهـور المقطوعة التـي تركت لفترة طويلة
جدّاً فـي المـاء الراكد، هـؤلاء النـاس بمجـرد أن ماتـوا تخلى عنهم
الأحيـاء وتركوهـم فـي أسـفل التـراب في قبـر مظلـم أليس هذا غير
عـادل؟ ألا يكفـي أن الأحياء دائمـاً يتخلون عـن الأحياء كالمشردين
والأيتام وغيرهم؟! حسناً لنعد إلى موضوعنا الرئيس..

أحبهـم كما هـم أحـب أن أتأملهـم أتحدث معهم أكثر من البشر
أحتضنهـم يسـتمعون إلـي وأسـتمع إليهـم نفهـم بعضنا بعضاً نبكي
معاً نضحك معاً نأكل معاً لا أحد يفهمني كما تفهمني جثتي..

حسناً أعلم أن كل شيء كتبته الآن هو عني ولم أكتب شيئاً بعد

هذه قطرة من بحر مقدمة لطيفة خفيفة عني أعلم ستعتبرون هذه الأشياء التي أفعلها ليست صواباً وسيئة ومقرفة لكن إذا كنتم تريدون أشياء تعجبكم تخصني رغم هذا لا يهمني لكن من تواجب أن أكتب سيرتي كلها حسناً أنتم البشر تظنون أن هذه الأشياء إيجابية وجيدة كالتعليم والإنجازات والنجاح لذلك أولاً أنا اسمي «ظل» نعم هذا حقيقي ليس اسمي المزيف ولا اسم الشهرة ولا اسمي الإجرامي ولا لقبي هذا اسمي قام بتسميتي هذا الاسم الشخص الوحيد في هذا العالم الذي أحبه أكثر من نفسي وأكثر من جثتي وهو أبي، أبي الذي أعطاني هذا الاسم عندما ولدت أبي الذي سماني اسماً مختلفاً وجعلني أعيش حياتي بشكل مختلف عن العالم، أخبرني أبي أنني عندما ولدت كانوا في فصل الصيف الطويل رغم أنهم كانوا في شهر نوفمبر أي من المفترض أن يكون نهاية الخريف وبدايات الشتاء لكن بلدتهم التي كانت طوال سنواتها عبارة عن صيف طويل لا ينتهي وذلك الصيف كان أشد صيفاً وحرارة على العالم كان أبي يعمل الكثير من الأعمال الشاقة بسبب لقمة العيش وكنا لا نملك حتى مظلة ولا أي شيء يحميه من الشمس وحرارتها وعندما أتيت أنا قال إنني أتيت له كالظل الذي سيحميه من حرارة الشمس ومن برودة المطر لذلك سماني بظل... ولدت في عام ١٩٨٧، يوم ٤، شهر نوفمبر، حرص أبي على تعليمي بشدة وحرصت أنا على الاستمرار حتى من بعده لكي يكون فخوراً بي وأيضاً هو يراني

في كل الأحوال! أنهيت تعليمي الثانوي ودخلت أرقى الجامعات رغم أنني لا أملك المال لكي أملك الدرجات العالية والمعدل العالي لذلك دخلت بمنحة أولاً درست تخصص الطب الشرعي والتشريح ثم أخذت ماجستير ودكتوراه في علم الفنون لأنني أقدر الفن كثيراً وأحبه كثيراً لذلك أصبح لدي تخصصان والفن اكتسبتها كمواهب، لذلك أنا الآن طبيب شرعي ومن أشهر الأطباء وبروفسير فنون أقوم بالتدريس في الجامعة في علم الفنون وأقوم بالتشريح في المستشفى في الليل، أيضاً أنا رسام لدي العديد من اللوحات المشهورة ونحات أنحت الكثير من المنحوتات الرائعة والغريبة التي لا تتكرر أبيع أعمالي بثمن باهظ أنا ناجح في جميع المجالات، أيضاً أنا جامع فنون وتحف ناجح تجارتي المفضلة لطالما أحب تجميع الأشياء المميزة والجميلة والغريبة بالطبع غير تجميع الجثث! والآن أنا كاتب كنت أخطط لذلك من زمن طويل أحب الكتابة عن حياتي عن أعمالي عن الفن عن قصص الجثث كل جثة لديها قصة تستحق أن تروى ماذا أيضاً لدي؟؟ أوه أيضاً أحب أن أقرأ كثيراً خصوصاً كتب الفن والشعر أقرأ لجميع الشعراء في العالم أحب أن أسمع الفصلة والأغاني الكلاسيكية القديمة أحب أن أقرأ أيضاً عن الموت وعن الأشياء الغريبة التي تأخذنا إلى منحنىً آخر من هذه الحياة المملة، أحب مشاهدة الأفلام الوثائقية المظلمة والأفلام المرعبة ومع كل نهاية فلم مرعب أنتهي من مشاهدته أوقن بأن الحياة الواقعية أكثر رعباً، أحب أيضاً أن أرتدي الأسود خزانة ملابسي

الطويلة الملابس ارتداء أحب ظلمتها شدة من سوداء بئر وكأنها
خصوصاً إذا كنت خارج المنزل لا أحب أن أظهر جزءاً من
جسدي سوى أصابعي ولا أعرف لماذا رغم أنني ولدت في
الصيف أو هذا لأني ولدت في عاصفة صيفية! عطوري مرطبات
جسمي ليس هناك شيء معروف أو ماركة معروفة لكم إنها خاصة
بي أنا أصنعها ولن أخبركم ما هي المحتويات أو ستعرفون لاحقاً
لذلك هناك أيضاً موهبة أخرى وهي أنني أصنع عطوري بنفسي
متعدد المواهب جيد أليس هذا ما تريدونه؟ أحب أيضاً لبس
الإكسسوار المميز مثل خاتم جمجمة أو عين أيضاً أنا من أنحتها
وأصنعها إذاً صانع مجوهرات أتمنى أن لا أصاب بالحسد أمزح أنا
لا أومن بهذه الأشياء، أيضاً أحب المعارض والمتاحف هذه
الأماكن أجمل الأماكن على وجه الأرض أحب زيارة الأماكن
الغريبة والسفر كثيراً لكن مؤخراً لم أعد أحب ذلك لأنني أشتاق
كثيراً إلى جثثي، بسبب هذه النجاحات والإنجازات أصبحت
أملك ثروة هائلة في هذا العمر الصغير تعلمت من أبي أن أعمل
في مجالات عديدة مثلما هو كان يفعل، لم يكن همي الأموال
لكن أردت أن أعوض والدي الذي عانى كثيراً ليحضر لي قطعة
خبز كل يوم، حتى إنني الآن أصبحت أملك قصراً اشتريته قبل
أربعة أعوام لأن عائلتي كبرت كثيراً أصبح لا يكفينا منزل عادي
قصري الذي يتكون من قسمين ضخمين القسم الأول طبيعي جداً
مثل أي منزل عادي أستقبل فيه الضيوف رغم أنني إنسان وحيد لا
أملك أي أحد وأغلب علاقاتي عملية فقط وأمارس فيه حياتي

الطبيعية كواجهة أو منظر للعالم كما يقولون أما القسم الثاني فه منزل عائلتي اشتريت هذا القصر لكي أحقق فيه حلمي الأ الذي لطالما حلمت به لكي أحضر فيه الكثير من الجثث أر في أن أحطم الرقم القياسي وأصل إلى ألف جثة!! أعلم بأنه ل شيء صعب علي أبداً وسأفعلها عن قريب..

قصري الذي يقع في شمال مدينتي في منطقة بين الأشج الكثيفة منطقة جميلة وبعيدة عن البشر يبعد منزلي عن المدين ساعة تقريباً يقع في تل ويحوطه من كل الجهات الغابة الجمي الموحشة لكن ليست موحشة بقدر قصري، يتكون قصري من ثلاث وثلاثين غرفة وثمانية عشر حماماً ولا أعرف كم مطبخ وكم مستودعاً وكم قبواً؟ له الكثير من المداخل السرية والكث من المخارج والكثير من الأسرار، وهذا ما كنت أريد، بالنس للقسم الثاني الذي لم يكن ملتصقاً بالقسم الأول وكان يص بينهما جسر خشبي صغير أسير عليه لأصل إلى القسم الثاني مث برجي ماليزيا التوءمين الشهيرين اللذين يربط بينهما جسر، القس الثاني تركته لعائلتي وعالمي الخاص فيه ثلاثة استديوهات ضخمة أمارس فيها فني وأضع فيها تحفي وغرائبي ومقتنياتي الثمينة كان القسم الثاني من القصر بالنسبة لي كنزي الثمين ك القصر كله بتصميمه الجميل يغلب عليه الزجاج المبطن لكي أرى من بالخارج ولكن لا أحد يستطيع رؤيتي بالداخل كان لديه أربع طوابق ومصعدان تتوزع في أرجاء المنزل قصري يبدو لي ك جنة أنا حتى منذ أن اشتريته لم أعد أخرج منه كثيراً إلا للضر

والضروريات يوجد في القصر ثلاثة مسابح رغم أنني لا أحب السباحة كثيراً وأيضاً نوافير ضخمة وملعبان وأربع حدائق سينما صالة رياضية وما إلى ذلك ستكتشفونه لاحقاً، عمري الآن خمسة وثلاثون عاماً رسام وكاتب وطبيب وبروفسير ونحات وجامع فنون وجامع جثث، كل يوم أقف مقابل المرآة الضخمة التي تقبع في وسط غرفتي أتأمل نفسي وأسألها من أنا؟ هل أنا حقّاً إنسان حقيقي؟ أين سأصل بعد كل هذا؟ وماذا سأفعل؟ لكن لا أجد أي إجابة، أراقب طولي الذي يبلغ ١٨٥ سم، ووزني الذي كان ٧٥ كيلوغراماً، بجسم رياضي بما أنني أمارس الرياضة منذ المراهقة بشرتي التي كانت حنطية شبيهة بلون اللوز لا أعرف هذا ما كان يقوله أبي، ملامحي ليست شريرة لكنها كانت حادة وهالة قوية ومرعبة للبعض ولا أعرف السبب؟ شعري أسود كسواد الليل لم يكن طويلًا لكن الآن جعلته طويلًا يتعدى رقبتي تقريباً أحب أن أملك اللحية والشارب مثل أبي لأنه كان يقول بأن هذه ميزة الرجل، أملك غمازتين أسفل خدي الأيمن وخدي الأيسر هذا الشيء الوحيد الذي لا يحبه أبي لأنه يذكره بأمي! صوتي العميق الذي يلتفت بسببه جميع الناس عندما أقول مرحباً، أملك عيوناً ليست ضيقة هي واسعة لكن البؤبؤ الأسود يغلب على الأبيض بشكل فظيع لدرجة أن الجميع أغلب الوقت يظنون أنهما ليستا عينيّ الحقيقيتين وأنني ألبس عدسات لاصقة وأن هؤلاء الناس دائماً هم أصحاب الذكاء العالي الذي يفوق البشر الطبيعيين وأنا أتفق بسبب ذكائي الحاد، أنفي الحاد وفمي المرسوم وحاجباي

الحادان ورموشي الطويلة لطالما لم أشبه أبي أعلم بأنني أ
أمي كثيراً ولكن يرفض أبي الاعتراف لأنه يكرهها كثيراً كان ا
قبيحاً لنكن صريحين ولكنه جميل من الداخل عكسي أنا عكـ
كان الجميع يرونني يستنكرون أنني ابن هذا الرجل بسبب فر
الملامح بيننا كان أبي يقول عني إنني لا أشبه أحداً وفعلاً أنا لا
أشبه أحداً،، من مواصفاتي سواء شكلي عملي إنجازاتي مواهـ
نجاحي أموالي يبدو لكم كل شيء مثاليّاً شخص كامل بدو
نقص لكن أنتم تعرفون ما أفعل لذلك لا يوجد أحد كامل في هـ
العالم رغم أنني لا أراه خطأً! بالحقيقة ليس لدي طعام مفضـ
لأنني أشعر بالملل وفي الوقت نفسه أكره الكثير من الأطعـ
مثل البيض أنا لا أحبه لأننا أنا وأبي عندما تحسنت حالتنا قليـ
فقط كنا نأكله كل يوم في الثلاث الوجبات لأنه أرخص شيـ
طبعاً لذلك أصبحت عندما أراه أو أشم رائحته فقط أشعر بالغثيا
لدي حساسية من الزبدة أو الفستق أحب شرب القهوة كثيراً
كان نوعها، بدأت بالتدخين من سن التاسعة عشرة وحتى الآ
مضر للصحة دائماً ما يخبرني بها عمي «فرانك» طبعاً ستعرفو
لاحقاً إنه مضحك وظريف جدّاً، لنعد إلى حديثنا هل هناك أشـ
عني بعد لم أخبرك عنها؟ حتى لو يوجد ستعرفونني بالتفصـ
في هذه الرحلة أيضاً للمعلومية وصفت نفسي وشكلي لأنني
الكاتب من سيصفني ومن سيعرفكم عني غيري؟ يا من ستقو
إن وصف كل شيء ممل وإنني يجب أن أختصر ببساطة هـ
الرواية فلسفية عميقة تحمل بين طياتها الرعب النفسي للنفـ

البشرية إذا كنت تريد أن أخرج لك وحشاً من أسفل السرير بعد كل سطر فأنت مخطئ اذهب وابحث عن كتاب سخيف غير واقعي آخر، أيضاً لدي ضعف نظر رغم أنني خضعت لعملية تصحيح نظر مرتين لكن بدون فائدة خسارة أموال فقط لا أظن أنه يوجد شخص في العالم أصلاً استفاد من هذه العملية العديمة الفائدة، أيضاً أحب الليل وأكره فترة الظهر والعصر مشاعري عادية تجاه الصباح لأنه من المهم أن نكون موجودين أثناء الصباح للعمل والإنجاز..

توقفت عن الكتابة بعد أن سمعت صوت رنين هاتفي لكنني تجاهلته نظرت إلى التوقيت كانت الساعة الثامنة صباحاً هذا يعني أنني كنت أكتب من الخامسة فجراً حتى الآن إذاً لنكتفِ هنا، توجهت إلى الهاتف التقطته وجدت رسالة نصية من «ثيا» ثيا الفتاة والإنسانة الوحيدة الموجودة في حياتي وما أقصده هو أنها أكثر شخص متمسك بي وعلاقتنا ممتدة منذ زمن طويل تعرفت على ثيا في الجامعة منذ كان عمري اثنين وعشرين وحتى الآن عمري خمسة وثلاثون تربطني علاقة مع ثيا علاقة صداقة ثم بعدها علاقة طبيبة نفسية مع مريض نفسي ثم علاقة حب، ثيا الشخص الوحيد الذي يراني كإنسان طبيعي رغم أنها لديها نظرة عامة عن أمراضي مثل الاكتئاب الثنائي القطب الهلاوس إذا كتبت جميع أمراضي فلن تكفي الحروف ولا الصفحة لكن ثيا تظن أنني شخص سوي وهذه الأمراض يعاني منها الكثير بالطبع ثيا تظن أنها تعرفني لكن كل ما تعرفه هو واحد بالمائة فقط لأنني حتى أنا لا أعرف

نفسي؟! ثيا شابة مثقفة ذكية حنونه ولديها شخصية مرحة رغم أنها في اليوم الواحد تجلس مع عشرة من أشد الأشخاص مرضاً في البلاد وأكثرهم شرّاً وإجراماً بما أن تخصص ثيا علم النفس الجنائي فهي دائماً ما تكون محاطة بالمعتلين النفسيين المجرمين عندما أصبحت طبيبة بشكل رسمي أصرت أن يمسك حالتي طبيب آخر لكنني رفضت وأخبرتها إذا لم تمسك حالتي فلن أهتم بالعلاج لذلك لم يكن لها خيار آخر بما أنني نقطة ضعفها لا تريد أن يأكلني المرض النفسي، إنسانة عطوفه اجتماعية ناجحة جميلة جدّاً لديها وجه مثالي وشعر أكثر مثالية وجسم ولون كل رجل يتمناها رغم أن والدتها دائماً ما تعاتبها وتقول لها: لماذا عليك أن تحبي مختلّاً نفسيّاً وغريب أطوار؟ تقصدني طبعاً، هي تسميني بهذه المسميات بسبب الأمراض النفسية البسيطة التي لدي كيف لو علمت حقيقتي كاملة؟! أما والدها فليس لديه أي اهتمام بما أنني أملك الكثير من المال لا بأس المال يحل كل شيء هكذا هم البشر يظنون أن المال هو جميع الحلول، ستتساءلون عن مشاعري تجاه ثيا؟ مشاعري تجاهها لطالما كانت صادقة وستظل كذلك أنا أحب ثيا بعد والدي وجثثي ثيا تأتي في المركز الثالث أنا لا أحبها بل أعشقها أكثر من كل شيء لطالما كانت معي في جميع تقلباتي حتى قبل أن أصبح غنيّاً كانت معي منذ بداية شبابي إنها تفهمني كثيراً وتحب كل عيوبي واختلافاتي إلا ذلك العيب طبعاً لا تعرفه، أحببت ثيا قبل أن تحبني هي رغم ذلك ظللت صامتاً حتى اعترفت هي شعرت وقتها فعلاً أن الأحلام تتحقق وماذا سيمنعني من الحصول على ألف جثة بعد أن حصلت على

حبيبة مثل ثيا؟ سرنا طوال الطريق معاً طوال هذه السنوات لكن ما يؤلمني حقاً في علاقتنا أنني لا أستطيع أن أبوح بمشاعري دائماً تجاه ثيا وأنني لست رومانسيّاً أبداً وأنني لا أقول لها كلام حب وغزل مثل باقي الرجال ودائماً ما أظل صامتاً وهي تثرثر لقد اعتادت على الأمر لكنها تعرف أنني أحبها أكثر من أنفاسي وأنها الإنسانة الوحيدة التي أنا مستعد أن أهديها أثمن الأشياء أن أهديها جثة مثلاً لكن لن أفعل ذلك بالطبع لأمور احترازية، أتذكر في عيد ميلادها الخامس والعشرين أهديتها تحفة غريبة ومخيفة صنعتها من أجلها نظر إلي الجميع باستغراب إلا هي طارت من السعادة إنها تحب الأشياء الغريبة مثلي تماماً إننا نتشابه في أشياء عديدة لكن بقدر ما كنا نتشابه إلا أنها هي ملاك وأنا شيطان هذا كلامكم وليس كلامي!

قرأت رسالة ثيا كتبت فيها:

- صباح الخير «يا ظلي» هل ستأتي إلى المعرض؟؟

للمناسبة من أسباب حبي لثيا أنها هي الثانية بعد أبي تناديني بهذا الاسم «ظلي» عندما قالتها لي أول مرة رأيت أبي ظننت أن أبي الوحيد في هذا العالم الذي أحبني لكن ثيا مثله رغم أن اليوم إجازة الأسبوع لم يكن هناك عمل لا في الجامعة أو المستشفى لكن كان هناك معرض فني يقام في وسط المدينة كان من أضخم المعارض في العالم كنت أشارك فيه لكن ليس دائماً على حسب مزاجي المتقلب وهذه السنة انشغلت كثيراً لذلك لم أشارك فيه لكن أقوم بزيارته أنا وثيا وبعض الأحيان يقومون بدعوتي بما أنني فنان

مشهور وجامع فنون وبعض الأحيان أقوم بإعطاء بعض الندوات والمحاضرات والدورات لمحبي الفن، قررت أن أذهب إلى المعرض بما أن اليوم الجو جميل الشمس ليس لها وجود الغيوم تغطي السماء بالكامل رغم أننا ما زلنا في بداية الربيع توجهت إلى الحمام تحممت مرة أخرى آه هناك معلومة أخرى عني يجب أن تعرفوها أنا لدي وسواس قهري تجاه النظافة والترتيب لذلك أستحم أكثر من مرة في اليوم أشعر بالجنون إذا رأيت شيئاً مختلفاً في المنزل وخارجاً عن الترتيب الاعتيادي أو بقعة على ملابسي أو على إحدى الأرائك والأثاث أو البلاط حتى أشعر بالجنون إذا تبدلت أماكن علبة الكاتشب وعلبة المايونيز ستقولون الآن: مهووس نظافة ويحب تجميع الجثث! لكن من أخبركم أن جثتي متسخة؟؟ أنا أنظفها كما أنظف نفسي يوميّاً، انتهيت من الاستحمام لبست ملابسي السوداء: قميصاً أسود شفافاً ارتديت فوقه أيضاً قميصاً قطنياً خفيفاً أسود أيضاً ثم معطفاً قصيراً أسود أيضاً وبنطالاً أسود وجزمة سوداء جلدية وضعت عطري المفضل ولبست خواتمي المفضلة كنت أرغب بأن أذهب لكي أطمئن على عائلتي قبل الخروج لكن رأيت أن الوقت سبقني كثيراً لذلك صعدت إلى سيارتي الجيب رانجلر السوداء فهي المفضلة لدي وانطلقت إلى المعرض وكانت محاضرتي هذا العام متزامنة مع المعرض ومتزامنة مع حياتي وأصلاً هذا هو تخصصي الذي أقوم بتدريسه للطلاب في الجامعة وهو: «الفن المظلم»..



«الجانب المظلم»

الجانب المظلم من اللوحة هو انقسام غير عادي ما هو بالضبط؟ يعتقد البعض أنها وسيلة للتعبير عن الإلهية من خلال الظلام، وإظهار كيف يمكن للفن أن يكون متعالياً وحتى روحانيّاً. ويرى آخرون أن اللوحات المظلمة هي ببساطة محبطة، وتمثل أسوأ ما في النوع البشري.

ما هو الفن المظلم؟

يغطي مصطلح «الفن الداكن» مجموعة واسعة من الأساليب الفنية، من القوطية إلى المروعة. غالباً ما يعرض موضوعات الموت والانحلال والظلام، ويمكن اعتباره رد فعل ضد أسلوب الفن التقليدي الخفيف والمتجدد..

يمكن أن يكون الفن المظلم مزعجاً أو حتى مخيفاً، ولكنه قد يكون أيضاً جميلًا ومثيراً للتفكير. إذا كنت مهتمّاً باستكشاف الجانب المظلم من الفن، فاطلع على بعض الفنانين التالين المعروفين بأسلوبهم المظلم:

سلفادور دالي: أحد أشهر الرسامين السرياليين، غالباً ما تتميز أعمال دالي بصور مزعجة تشبه الكابوس... إدوارد مونك: اشتهر مونك بلوحته «الصرخة» التي تجسد شعورًا بالرعب الوجودي، غالبًا ما تستكشف أعماله الأخرى موضوعات مماثلة مثل الخوف والقلق والمعاناة الإنسانية.

بدأت بهذه السطور والكلمات في محاضراتي وبدأت الفلاشات تنطلق من كل أنحاء القاعة وبدأ المهتمون من كل أنحاء العالم من مختلف الجنسيات ومختلف المهن والأعمال يجمعهم شيء واحد هنا وهو حب الفن، الفن يعتبر حياة أخرى للبشر ومن لا يهتم له هذا يعني أنه يملك حياة واحدة...

ما هو الجانب المظلم للرسم؟

داهمني سؤال عابر من أحد الحضور ثم أجبت بعد أن فتحت خلفية أخرى في العرض من خلفي:

- هناك جانب مظلم للرسم لا يتحدث عنه الكثير من الناس. إنه الجانب الذي يتعامل مع الموضوعات الأكثر إزعاجاً وإثارة للجدل والتي قد يجدها البعض مسيئة. هذا هو الجانب من الرسم الذي يستكشف الجوانب المظلمة للإنسانية، مثل العنف والموت وغيرهما من الموضوعات المحظورة. في حين أن بعض الناس قد يجدون هذا النوع من الفن مزعجاً، إلا أن آخرين يجدونه رائعاً ومثيراً للتفكير. الأمر متروك لكل فرد ليقرر ما يفكر فيه حول الفن المظلم.

كيف تتعامل مع أفكارك المظلمة بعد رؤية الفن الأسود؟

داهمني سؤال آخر وكنت معتاداً تماماً على هذه الأسئلة بما أنهم يلقبونني برائد الفن المظلم لأن هذا النوع من الفن غير منتشر كثيراً، أجبت بأنني أشعر بالراحة والنشوة خصوصاً عندما أرى رسومات ومنحوتات لأشخاص قطعوا الرقبة أو أمعاؤهم خارجة من معدتهم أو أعينهم تسقط بجانبهم! طبعاً هذه الإجابة في عقلي فقط كانت إجابتي العامية:

- بعد رؤية الفن الأسود، ليس من غير المألوف أن تشعر بعدم الاستقرار أو الانزعاج. هذا أمر طبيعي تماماً! يمكن أن يكون الفن المظلم مواجهاً ومزعجاً لأنه يجبرنا على مواجهة الجوانب المظلمة للحياة وجهاً لوجه. إذا كنت تشعر بالإحباط قليلاً بعد رؤية الفن الداكن، فإليك بعض النصائح حول كيفية التعامل مع أفكارك المظلمة:

اعترف بمشاعرك لا تحاول كبت مشاعرك أو تجاهلها. تقبل شعورك بالإحباط وامنح نفسك الإذن بالشعور بما تشعر به.

تحدث عن مشاعرك شارك تجربتك مع شخص يفهم ويستطيع تقديم الدعم لك، التحدث عما رأيته وكيف شعرت به يمكن أن يساعدك على معالجة مشاعرك وجعلها أكثر قابلية للتحكم.

احصل على بعض المنظور. تذكر أن الفن الأسود هو مجرد منظور واحد للحياة، وهو ليس كل ما هو موجود. هناك أيضاً نور وأمل في العالم، لذا؛ لا تنشغل كثيراً بالظلام.

اعتن بنفسك. توثق من الاهتمام بصحتك الجسدية والعقلية خلال هذه الفترة. تناول طعاماً جيداً، ومارس الرياضة، واحصل على قسط كاف من النوم، وافعل الأشياء التي تجعلك سعيداً.

اطلب المساعدة المهنية

إجابة طبيعية علمية مهنية ومنطقية بالطبع، ثم بحثت بعينيّ بين الحضور وأضفت: هل هناك سؤال آخر؟ لأن الوقت نفد، استاء الحضور بالطبع لأنهم في محاضرة مع رائد الفن المظلم الذي يحلم كثير من الناس أن يحضروا له محاضرة واحدة فقط...

لماذا يحب بعض الناس الفن الداكن؟

أتى سؤال آخر من فتاة كانت تجلس في آخر القاعة تشبه كثيراً شخصاً أعرفه لكن لا أعلم من هي؟!

- هناك الكثير من التفسيرات المختلفة لماهية الفن المظلم. يعتقد بعض الناس أن الفن يتعامل مع الموت والعنف والموضوعات المحظورة الأخرى. ويعتقد البعض الآخر أنه مجرد فن له جمالية داكنة أو قوطية. مهما كان التعريف، هناك أشخاصٌ يستمتعون بالفن الأسود لأسباب مختلفة... ينجذب بعض الناس إلى الفن الداكن لأنه يجعلهم يشعرون بشيء ما. يمكن أن يكون الأمر صادمًا أو مزعجًا أو حتى رائعًا. بالنسبة للبعض، فإن النظر إلى الفن المظلم يشبه النظر إلى الهاوية! إنها طريقة لمواجهة الجانب المظلم من الطبيعة البشرية دون أن يستهلكها.

وآخرون يجدون الجمال في الظلام. إنهم يرون الأناقة في الاضمحلال، والشعر في المأساة. بالنسبة لهم، الفن الأسود لا يتعلق بقيمة الصدمة أو الفضول المرضي بل يتعلق بإيجاد الجمال في أماكن غير متوقعة.

ثم هناك أولئك الذين يستمتعون فقط بالتحدي المتمثل في خلق شيء مظلم وجميل. إنهم يرون الظلام كفرصة لتجاوز الحدود واستكشاف مناطق إبداعية جديدة.

مهما كان السبب، ليس هناك شك في أن الفن الأسود له جاذبية حتى لو لم يفهمه بعض الناس تمامًا.

كيف يمكنني التعامل مع مشاعري السلبية بعد مشاهدة الفن الأسود؟

قد يكون من الصعب التعامل مع المشاعر السلبية بعد مشاهدة الفن الأسود. قد يشعر بعض الأشخاص أنهم بحاجة إلى أخذ استراحة من النظر إلى أي فن تمامًا. قد يحاول الآخرون إيجاد طرق لمعالجة وفهم ما رأوه.

قد يجد بعض الأشخاص أنه من المفيد التحدث إلى شخص ما حول رد فعله تجاه الفن المظلم. يمكن أن يكون هذا صديقًا أو أحد أفراد العائلة أو معالجًا نفسيًا أو أي شخص آخر يستمع ويقدم الدعم. إذا كنت تشعر بالانزعاج بشكل خاص، يمكنك أيضًا محاولة تدوين أفكارك ومشاعرك.

من المهم أن تتذكر أن كل شخص يتفاعل بشكل مختلف مع الفن المظلم. قد يجده بعض الأشخاص أمرًا مشجعًا أو مثيرًا

للتفكير، بينما قد يجده الآخرون مزعجًا. لا يوجد رد فعل صحيح أو خاطئ - الأمر كله يتعلق بما يناسبك.

لكن هل الفن يتسبب بالانتحار؟ لأن هناك الكثير من الفنانين والرسامين قاموا بإنهاء حياتهم حتى إنهم لم يكونوا مختصين بالفن المظلم؟

داهمني سؤال هذا الشاب الذي نظرت إليه وكان من هيئته ما زال صغيراً بالعمر جداً كان يملك هالات سوداء تكاد أن تغرقه من عينيه عرفت أنه يعاني من اكتئاب بداية المراهقة، لذلك سألته:

- هل تحب الفن؟؟

- بالطبع ولماذا أنا هنا اليوم؟!

أجاب

- كم عمرك أيها الفتى؟

- عمري ١٩ عاماً

أجاب وهو ينظر للأسفل علمت بأنه يكذب وأن عمره أصغر،،

- حسن سأخبرك بشيء واحد هو أن الانتحار ليس له علاقة لا بالفن ولا بشي آخر وأن الفن بعيد تمام عن نظرة النفس البشرية له وأنه يسبب الأمراض النفسية وما إلى ذلك كل هذا غير صحيح وأن البشر دائماً ما يحملون أخطاءهم وهفواتهم وحزنهم ومشاعرهم وأمراضهم إلى أشياء أخرى

رغم أن هذه الأشياء ليس لها علاقة أبداً بحالتهم النفسية والشيء الوحيد المسؤول هو أنفسهم فقط، إن الفن حياة ليس حياة واحدة بل أكثر من حياة والجميع هنا بالطبع يعرفون ذلك وأنه على العكس هو علاج لجميع الأمراض وأنه بريءٌ من النفس البشرية المعقدة وبريء من أي اتهامات أخرى..

انتهت المحاضرة في ختام تصفيق حار من الحضور وتم تكريمي كالعادة مع باقة ورد وشهادة وجائزة وكل هذه أملك منها المئات في منزلي، نزلت لأجد ضوء حياتي تنتظرني كالعادة بابتسامة مشرقة وملامح فخورة ومشجعة كانت «ثيا» ترتدي كالعادة أجمل وأرقى الملابس التي تجعلها كالعادة أميرة وتجذب أعين الجميع بجمالها رائحتها الجميلة كجمال جميع رائحة الزهور التي في الأرض عيناها ونظراتها لي التي تحمل الحب فقط وكأنها لا ترى أحداً آخر في هذه القاعة سواي أنا، اتجهت إليها وعانقتها وفي كل مرة أعانقها أشعر بأنني على قيد الحياة أشعر بأنني أحتضن ملاكاً وليس بشراً، قبلتها في جبينها كالعادة التي تسميها قبلة الصباح أمسكت بيديّ بكل حب وضمتهما إلى معطفها:

- يداك باردتان جدّاً؟!

- هذا من الممكن لأن القاعة باردة جدّاً دعينا نخرج من هنا...

خرجنا من القاعة متجنبين الازدحام والناس الذين كانوا في المحاضرة كان المكان كبيراً جدّاً أشبه ما يكون بقصر

لوحة تعود لفنان ميت بينما كان هذا الفنان على قيد الحياة

كانت جميع أعماله ترقد بجانبه لم يعرفه أحد ولم يعره أحد

أي اهتمام كان الفقر طاغياً على حياته وعندما مات بسبب

مرضه المزمن الذي لم يستطع تحمل تكاليف علاجه أصبحت

الآن أعماله مشهورة وتباع بملايين وهذا ليس أول فنان يشتهر

بعد وفاته أسأل لماذا من الضروري يجب أن نموت لكي

نلقى اهتماماً؟؟

خرجنا أنا وثيا توجهنا إلى أقرب مقهىً وكان بجانب

المستشفى لأن ثيا كان لديها اليوم جلسات مع مرضى نفسيين

رغم أنه يوم إجازة لكن ثيا تحب فعل الخير ومن المستحيل أن

ترفض أي طلب من مرضاها:

- ماذا تشرب؟؟

سألتني

- ألا تعرفين حقّاً ما الذي أشربه في الصباح؟

أجبتها

- بالطبع أعرف لكن أقوم باختبارك من الممكن أنه تغير

ذوقك عندما سافرت إلى «كولومبيا»؟

- لا تقلقي عندما يتغير ذوقي ستكونين أنت أول شخص

يعرف بذلك

قالت ضاحكة:

إذاً هـذا يعني أنـك مـا زلـت تشـرب القهـوة السـوداء بعـد الاسـتيقاظ وبعد الإفطـار وفي منتصـف الصبـاح الكولد بـرو الحمد لله أنت لم تتغير...

- ولمـاذا أتغيـر؟ مـا خطبـك؟ لقد سـافرت لمـدة أسـبوع واحـد فقط وليس عشر سنوات! هل هذا كله من آثار الاشتياق؟؟

ضحكـت خجـلاً مـن كلماتـي أعلـم جيـداً بأنهـا ليسـت معتـادة على كلمـات الغـزل أو المـدح أو اللطـف منـي ولا أيضـاً حتـى الكلمـات القاسـية فأنـا أعاني مـن تبلـد المشـاعر لا أسـتطيع أن أعبر عن مشـاعري تجاههـا ولا تجـاه أي أحد آخـر حي وهـي تعـرف ذلك بالطبـع متفهمـة هـذا الأمـر بمـا أنهـا طبيبـة نفسـية هـي تعـرف أن مشـاعري مـن عشـر سـنوات مكبوتـة ومدفونـة بداخلـي وأنـا أعرف أنهـا مكبوتة من ولادتـي على هـذه الأرض، هـل أنا لا أملك مشـاعر بسـبب أنني لـم أعـشْ ولم أتـربَّ مع أحيـاء بـل تربيت معظـم حياتي مع أموات؟!

أوصلت «ثيـا» إلـى المستشـفى وتوجهـت بعدهـا إلى المنـزل أنا أحـب أيـام الإجـازة بالطبـع مـن لا يحـب الإجـازة؟ أقضـي إجازتي دائمـاً في المنـزل لممارسـة أعمالي وشـغفي وهواياتـي، وصلت إلى المنـزل فـي تمـام السـاعة الواحـدة مسـاء كان وقـت الغـداء عـادة أحـرص أن أتنـاول الغـداء مـع أبي بمـا أنـي فـي أيـام الأسـبوع أكون مشـغولاً جـدّاً فـي الوظائـف أحـرص علـى الطبـخ لأبي فـي الإجازة

خصوصاً أن أبي لا يحب الأكل الجاهز أو أكل المطاعم تحممت وبدلت ملابسي توجهت إلى المطبخ بعد أن أخبرت «أليكسا» أن تشغل لي بعض الموسيقى الهادئة كل هذا الجانب المشرق، المشرق من حياتي أو الجانب الذي يراه الناس في الظاهر أن حياتي أضواء ورفاهية وأموال وثراء وسعادة وكمال ونجاح لكن هذا كله في الجانب المرئي للعالم أما الجانب الآخر فهو مظلم جدٌّ مظلم وكأنك مغمض عينيك، مظلمٌ جدّاً لدرجة لن تستطيعوا رؤية كف أيديكم مظلم كبئر عميقة من شدة ظلمته لا تستطيعون أن تشاهدوا نهايته أو قاعه!!...

طبخت لوالدي الطبق المفضل البرياني كان في الماضي يحبه كثيراً لكن لم نكن نستطيع أن نحصل عليه كان من الجيد أن نأكل قرص خبز ونتقاسمه لمدة يومين، كان أبي أيضاً يفضل أكلات كثيرة وأشياء كثيرة واليوم أنا أحققها له وأحقق جميع أمنياته، انتهيت من الطبخ فأنا شيف لا بأس به وهذه موهبة اكتسبتها من أبي لأنه كان يطبخ لي دائماً، وضعت الطعام على الطاولة جهزت الشراب المفضل لي أما أبي فكان لا يحب أن يشرب وهذا مهم جدّاً لصحته فهو يفضل المشروبات الطبيعية لذلك اخترت له اليوم عصير الأفوكادو مع الليمون، سأذهب الآن لإحضار أبي يبدو أنه ما زال نائماً غريب فهو يحب الاستيقاظ مبكراً لكن لا بأس يبدو أنه سهر كثيراً ليلة البارحة على برنامجه المفضل، فتحت باب غرفته بهدوء فتحت الستائر ليتسلل نور الشمس إلى أرجاء الغرفة ابتسمت بسعادة عندما رأيته نائماً بهدوء وطمأنينة

وكان يبدو كالملاك دخلت إلى حمامه جهزت له الماء الدافئ فهو لا يحب الماء البارد ولا يحب البرد لأنه قضى معظم حياته في البرد، من واجبي الاعتناء بأبي من واجبنا جميعاً ونحن أطفال يعتني بنا الأم والأب أو الأم وحدها أو الأب وحده مثلي ويجب علينا رد الدين لهم:

- أبي، حان وقت الاستيقاظ أصبحنا في الظهيرة لقد تأخر الوقت حان وقت الغداء الآن...

ساعدته على النهوض وعلى أخذ حمامه كالعادة أساعده في الاغتسال وتنظيف جسده وأخذ أدويته، وضعته في مقعده المتحرك وذهبنا معاً إلى طاولة الطعام:

- انظر يا أبي اليوم طبخت لك طبقك المفضل بالتأكيد سيعجبك، أيضاً أعتذر لانشغالي في الفترة الأخيرة تعرف كان لدي الكثير من السفريات والمؤتمرات هذا غير عملي في المستشفى وتدريس الطلاب في الجامعة بالتأكيد أنت ستتفهم...

انتهينا من تناول الغداء وأخذت أبي إلى الجولة المعتادة كالعادة نسير أنا وهو في حديقة قصري وأحياناً حوالي القصر بعدها أرجعه إلى المنزل وأقرأ له كتابه المفضل وقع الاختيار اليوم على رواية «المسخ» للكاتب «فرانتس كافكا» أنا وأبي من محبي هذا الكاتب كان أبي من الطفولة يخبرني بأنني أشبهه كثيراً ولم أكن أعرف من يكون لكن عندما أصبحت في سن الثامنة

أصبح أبي يعطيني كتبه وبدأت من هنا بحب الكتب والهمني كثيراً للفن والتعمق في الحياة والنفس البشرية والأشياء الغريبة والمميزة الغريب أن أبي يحب هذه الرواية كثيراً وقد قرأها ما يقارب مئة مرة وحتى كان في اليوم الواحد يقرؤها مرتين أو ثلاثاً في أوقات فراغه وبحكم أن الرواية قصيرة جداً كان يقول أبي: مع كل مرة أقرأ الكتاب تظهر منه أشياء جديدة وجوانب عديدة وأراه بشكل مختلف كان أحد الأسباب أيضاً أن أبي يحب القراءة لكن لا يملك المال لشراء الكتب وهذا الكتاب الوحيد الذي يملكه، لكن عندما كبرت شيئاً فشيئاً عرفت لماذا أبي يقرأ هذه الرواية كثيراً ولماذا يحبها

انتهيت من القراءة وتركته يجلس مع نفسه فكل شخص يحتاج مساحة خاصة مع نفسه يوميّاً، خرجت من المنزل أو من القسم الذي أنا فيه أعيش مع أبي وانتقلت إلى القسم الثاني من القصر الذي يعيش فيه كل جثتي وعوالمي وقصصي وإلهامي وشغفي وكل أشيائي الجميلة، الأشياء التي هي بالنسبة للعالم أشياء مظلمة وبالنسبة لي مضيئة دخلت إلى القصر أخبرت أليكسا أن تضيء الأضواء كلها لأجد عائلتي ترحب بي بكل شوق وحب منذ عودتي من آخر رحلة لم ألتق بهم أرى العتب في أعينهم وأسمع همسات معاتبة، قبل كل شيء كالعادة أقوم بزيارة العمة «لورا» أولاً فهي من الشخصيات القديمة التي مكثت وعاشت معي منذ ما يقارب عشرة أعوام! العمة لورا معتادة علي كثيراً عطوف محبة دائماً ما توبخني على أمور كثيرة مثل توبيخ الأمهات لأولادهن

هي حريصة على الجميع هنا العائلة هي من أولوياتها هذا لأنها حرمت من أطفالها في حياتها السابقة، هنا كل واحد لديه قصة في حياته السابقة وأنا دائماً ما أستمع لهم هناك الكثير من القصص الكثير من الحيوات الكثير من الألم والفرح والحزن الذي يحتويه هذا المنزل لقد احتويتهم بكل ما يملكون، بعد أن بقيت مع العمة «لورا» وتحدثنا طويلاً عن آخر رحلة كنت بها وأعمالي أخبرتني كالعادة أنني فقدت الكثير من الوزن وبدأت بتوبيخي كالعادة وأنني أهمل صحتي واخيراً بعد مئات من المحاضرات أخرجت لها هديتها التي أحضرتها معي من كولومبيا وكانت عبارة عن مزهرية بفخار مميز صنع من قبل سبعين عاماً ولم تنكسر حتى الآن كانت العمة «لورا» محبة ومهووسة بالمزهريات والزهور والنباتات لذا؛ وعدتها أن نصنع لها مشتلاً هنا في القصر لكن لم أكن متفرغاً في الأيام السابقة لهذا أشعر بأنها غاضبة مني إنها لا تحب من يخلف وعده بسبب زوجها السابق لكن أنا لم أخلف الوعد وهي تعرف ذلك جيداً، انتهيت من العمة لورا وتوجهت إلى صالة المعيشة لأجد الجميع هناك يقومون بانتظاري بكل سعادة وشوق وحب احتضنتهم واحداً واحداً حتى وصلت إلى «كيارا» هي الطفلة الوحيدة مع شقيقها التوءم «كيران» انضمت كيارا وكيران إلى عائلتنا قبل عامين فقط وأضافا الإشراق إلى عائلتنا، كيران كان صبياً شقياً جداً وكثير الحركة عادة ما يتجاوز الحدود ويخرج إلى الحديقة وعادة ما يختبئ في دهاليز القصر لنشكل فرق بحث خلفه كنت في بداية الأمر متردداً أن أضم

أطفالاً إلى عائلتنا لكن العمة لورا وكلارنس أصرا أن يوجد أطفال في منزلنا وحتى أبي أراد ذلك لذلك لا بأس وافقت على الفكرة واكتشفت مؤخراً أن هذا أكثر قرار في حياتي لم أندم عليه صحيح أنني لا أحب الأطفال حتى عندما كنت طفلاً كنت أكره أنني طفل لكن «كيران» و«كيارا» كانا مختلفين جدّاً لم أستطع أن أتجاهلهما عندما قاما بندائي أن حياتهما كأطفال كانت كالجحيم لذلك لم يهُنْ علي أن أتجاهلهما ستعرفون قصة كل فرد في عائلتي لاحقاً إنها قصص تستحق أن تذكر، لنعد إلى هنا عندما أردت أن أحتضن «كيارا» تجاهلتني بشكل واضح وقطبت حاجبيها وزمت شفتيها وهزت كتفيها حتى توضح لي أنها غاضبة جدّاً مني! وضعت يدي على شعرها الحريري الذهبي:

- ما خطب عبادة الشمس اليوم تبدو ذابلة جدّاً ألم تسقوها ببعض الماء؟؟

سألت ممازحاً لها فهي كانت تكره عباد الشمس رغم ذلك لقبتها به فصارت تارة تحبه وتارة تغضب منه...

قفز «كيران» كالعادة بحماس:

- إنها مدللة،، قالها بطريقة استفزازية فدائماً الاشقاء التوائم يكونون كالقط والفأر لكن لا يستطيعون العيش بعضهم بدون بعض،،

لم ترد كيارا على شقيقها وهذا ما أثار استغرابي وعلمت بأنها غاضبة جدّاً كيارا فتاة حساسة جدّاً وهي دائماً ما تفضل

السكوت فقط ليست كباقي الفتيات الصغيرات لا تحب الدمى تحب الكتب والقصص المصورة تحب الرسم لا تحب ألعاب المكياج إذا أحضرت لها واحدة أعطتها إلى «ميلاني» هي لا تحب أن تتحدث عمّا يغضبها أمام أحد إنها كتومة ولا تحب أن يشفق عليها أحد كل هذه المشاعر تملكها وهي طفلة وبالطبع بسبب ترسبات حياتها السابقة التي كانت أقسى من الجحيم، قررت أن آخذ «كيارا» ونسير معاً في الحديقة فهي تحب أن تتأمل الطبيعة لطالما كانت تخبرني بأنها تريد السفر معي لذلك اتضح أنها كانت غاضبة مني لأنني أخبرتها بأني السفرة القادمة سآخذها معي ولم آخذها بالطبع تقول بأنني كذبت عليها وهي تكره الكاذبين كيارا صعبة الإقناع على عكس شقيقها بعد أن سرنا معاً وتحدثنا طويلاً وأحضرت لها شيئاً تحبه أخيراً لطالما كنت أخفق في الأشياء التي أحضرها لها ولطالما كانت تقول إنني لا أفهمها ومن حسن حظي هذه المرة أخيراً فهمتها كيارا تحب الأشياء الغريبة مثلي أو أنها تأثرت بي وبكل شيء أفعله وهواياتي التي أمارسها أصبحت تفعل الأشياء أنفسها التي أفعلها وهذا ما كان يخيفني لأنني أخاف من نفسي! كنت أرغب بأن تمارس حياتها بشكل عادي كطفلة مثل شقيقها لكن لم تكن تتصرف وفق ذلك حيث إنها تحب الاختلاف أحياناً أمسك بها وهي تراقبني عندما أشرح الجثث أو أحنطها وتهرب! تذكرني بنفسي عندما كنت طفلاً فهي تراني الآن كقدوة لها ومنقذ وأب وأخ وصديق وملهم لا أعرف إذا كان هذا جيداً أم

لا؟ تحققت أكثر عندما أحضرت لها صندوقاً مليئاً بالأسنان المحنطة فهي تحب تجميع هذه الأشياء شعرت بالسعادة جداً أخيراً شعرت بأنني فهمتها وفهمت اهتماماتها لذلك بدأت بتطوير مواهبها وكانت تصنع لنا أساور وقلائد من الأسنان وأشياء أخرى! انتهيت من جولة الاطمئنان على العائلة بعد أن أصبح الوقت الخامسة مساء توجهت بعدها إلى الاستديو الخاص بي الذي كان يقع أسفل القصر نزلت عبر السلالم الملتوية التي تشع بالإضاءة الخافتة والجدران السوداء اللامعة فتحت الباب المزدوج الذي كان يبدو وكأنه مدخل لقاعة اسكتلندية زجاجية فخمة مليئة بالضيوف من كل أنحاء العالم لكن على العكس كان الاستديو ينقسم إلى عدة أقسام القسم الأول وهو الأقل استخداماً قسم الرسم فأنا لا أرسم كثيراً بقدر ما أشتري لوحات كثيرة، القسم الثاني كان للنحت القسم المفضل لدي كان القسم ممتلئاً بالمنحوتات الجاهزة وغير الجاهزة الطين ورائحته بكل مكان الأجهزة المختصة عجلات الفخار الضخمة الأفران الضخمة أدوات النحت وغيرها، القسم الثالث قسم التجميعات بما أنني جامع تحف وفنون فكل شيء أضعه هنا غير الأشياء التي أوزعها بكل ركن من أركان القصر كل شيء حتى هنا طبيعي ما عدا القسم الأخير وهو ليس المفضل لدي فقط بل الأحب إلى قلبي وهو قسم «متحف الجثث»! فهنا أقوم بالتشريح وتحنيط الجثث على أكمل وجه من هنا أقوم بتجميع الجثث وفحصها والاعتناء بها قبل أن

أخرجهـا إلى المنزل لتنضم إلى العائلـة! فليس الجميع يسـتطيعون الانضمـام إلـى عائلتـي صحيـح أننـي أرغـب بتجميـع ألـف جثـة وهـذا حلمي لكـنْ هنـاك جثث غيـر مؤهلـة لتعيش معنا لأسـباب كثيـرة سـتعرفونها لاحقـاً، كان القسـم المفضـل لـدي كان المكان عبـارة عـن مـكان دائـري فـي المنتصـف مـكان التشـريح وبعدهـا مرحلة التنظيـف والتعقيـم والتحنيط، الجـدران فتحت بهـا فتحات علـى شـكل التوابيت لكـي تكـون كل جثة لهـا مكانهـا الخاص كل جثـة يجـب أن أسـميها باسـم خـاص وهويـة جديـدة بحكـم أنهـا مقبلـة على حيـاة جديدة فـي كل مرة أدخل إلى القسـم السـفلي من القصـر أشـعر بأننـي لـدي عـدة أرواح والمزيـد مـن الحيـوات والكثيـر مـن الأمل والسـعادة أشـعر بأنني أفعل شـيئاً غير مسـبوق فـي تاريخ البشـرية وتحققـت أكثر عندما سـافرت إلـى كولومبيا في رحلتـي الأخيرة لـم تكن فقـط رحلـة عمل مـن أجـل المتاحف بل كانـت أكثـر مـن ذلـك تعلمـت فيهـا شـيئاً جديـداً أضمـه إلـى مشـروعي الضخـم شـيئاً لـم يسـبق أن أسـمع به لكـن علمـت بأن هناك أناسـاً بالفعـل يفعلونه وهـو التجـارة بالجثث! لكـن في بادئ الأمـر شـعرت بالغضـب لأن أغلـب هـؤلاء النـاس لا يهتمـون بالجثـث يعاملونهـا معاملة شـيء دنيء يقومـون ببيـع أعضائها فقط ورمـي الباقي فـي الحاويـة هذا تعذيـب وظلـم!! لكن أنـا أردت أن أجعـل الأمـر غيـر اعتيـادي فأنا يجـب أن أنقـذ هـذه الجثـث أيضاً الجثـث لديهـا مشـاعر لذلـك عزمـت أن أتخـذ هـذه الخطـوة التي شـعرت بأنها ستسـهل كثيـراً الطريـق الذي أسـلكه سـأحصل على

الجثث بكل سهولة وبدون معاناة لأني في السابق مارست
جميع الطرق لسرقة الجثث من كل مكان كنت أنوع كثيراً في
الطرق حتى لا يشعر بي أحد طوال هذه السنوات لكن هذه
الطريقة أسهل بكثير وهي بيع وشراء الجثث! لم أكن أنوي بيع
اي شيء من عندي لكن كنت أرغب بالشراء وبالفعل هذا ما
عرفته وتعلمته في رحلتي الأخيرة لذلك دعونا نغُضه معاً أهلاً
بكم في الجانب المظلم في حياتي..!



«الفصـــل الثالـــث»

«ولادة فـــي جـــوف القبـــر»

١٩٨٧ م

في تلـك الليلـة الماطـرة ليلة كانـت حالكـة السـواد ليلة لـم يظهر فيها القمر سـوى العاصفـة المرعبة التـي أعلنت حضورها دون سـابق إنذار رغـم أن الجو كان أشـبه بحـرارة جهنم لكـن الحـرارة والأمطار اجتمعـت معـاً لتشـكل لنـا ليلـة أشـبه بكابـوس حـي مطـر وعاصفـة وريـاح وحـرارة اجتمعـت الفصـول الأربعـة كلهـا فـي هـذا اليـوم لتصرخ مـع صرخات المـرأة التي تلـد طفلهـا الأول في هـذه الأجواء وتحت نصف سـقف فـي منزل أشـبه بعشـة أو حظيـرة تـكاد تطير مع الريـاح ببسـاطة وتجعـل المـرأة المتألمـة فـي العـراء! لم تكـن تفرق معهـا ولا مـع زوجهـا لذلـك قـرر أن يأخذهـا إلـى طبيبـة قريبـة منهم بحكـم أن حالـة الزوجـة كانـت فـي انهيـار وصحتهـا علـى الحافـة، حمـل الـزوج زوجتـه التـي كانـت صرخاتهـا أقـوى مـن صرخـات العاصفـة كان المطـر والريـاح تمنـع الـزوج مـن السـير وتدفعـه بقـوة إلـى الخلـف كلمـا تقـدم خطـوة إلـى الأمـام كان الـزوج يصـارع العاصفـة وزوجتـه علـى ظهـره لـم يسـتطع الـزوج أن يتقـدم أكثـر لـم يسـتطع أن يصـل إلـى منـزل الطبيبـة ولـم يسـتطع أن يعـود إلـى منزله

بقي في المنتصف والعاصفة تحاصره وزوجته على وشك لا تخرج روحها قبل أن يخرج الطفل من أحشائها، لم يكن لدى الزوج خيار آخر إلا أن يتصرف هو وبسرعة لكي ينقذ زوجته والمحتجز في معدة والدته، تلفت الزوج يميناً ويساراً كانت الرؤية معدومة بسبب الرياح والأمطار الشديدة كان الزوج يحتاج إلى شيء يظله هو وزوجته حتى يساعدها في الولادة كان على أمل أن يجد مكاناً مهجوراً منزلاً أي شيء لكن لم يجد أي شيء حتى لمحت عيناه مكاناً وكان هذا المكان مقبرة! ركض الزوج بسرعة نحو المقبرة ودخل إليها بحث عن غرفة لحارس لكن لم تكن هناك أي غرفة بحث عن شجرة لكن لم يكن هناك أي أشجار لم يكن هناك سوى قبور الأموات فقط! أخيراً لاحظ الزوج بصيص أمله شاهد شجرة تقع في منتصف المقبرة كانت شجرة عملاقة كان من الواضح أنها شجرة ذات عمر طويل قوية مقاومة للعواصف والحروب وجميع الفصول توجه الزوج بسرعة نحو الشجرة ما أن وصل إليها توقف على آخر لحظة إذ كان على وشك السقوط في حفرة مظلمة أو بالأحرى كان قبراً مفتوحاً نظر الزوج إلى الحفرة أو القبر الغريب أنه كان جافاً ولم يكن فيه قطرة ماء واحدة وصحيح أن الشجرة تظلله لكن ليس بمعنى أن يكون ممتنعاً عن الماء لهذه الدرجة لم يستغرب الزوج بل كان سعيداً لأنه وجد مكاناً دافئاً ومناسباً ويحميه من المطر والعاصفة هو وزوجته لم يكن لديه خيار آخر أصلاً إلا أن ينزل إلى القبر مع زوجته وضعها على وضعية الاستلقاء وهي غير مدركة أين هي

وكل ما تدركه الألـم فقط كانت تعتصر مـن ألـم الـولادة وكأن هذا الصبي اليـوم يرفـض الخـروج إلـى هـذه الحياة البائسـة بـدأ الزوج بتشـجيع زوجتـه علـى الدفـع دفـع الصبـي إلـى الخـارج لكـي ترتاح وينتهـي كل هـذا صـوت العاصفـة يصـدح أكثـر وصـوت صراعـات الزوجـة يخترقهـا مـع كل صرخـة مدويـة تطلقهـا الزوجـة مـن باطـن ذلـك القبـر تـزداد العاصفـة أكثـر وأكثـر وكأن الموضـوع تحـدٍّ، استمرت الزوجة بتوليد نفسـها مع زوجها واسـتمرت بالصراخ حتى أن الأمـوات فـي تلـك المقبـرة سـمعوا صـوت صرخاتها حتـى أخيراً بعـد عشـر دقائـق تمامـاً عـمَّ الهـدوء فجـاء ذلـك الهـدوء المريـب الهـدوء الـذي يسـبق العاصفة لكـن العاصفـة كانـت بالفعـل موجودة ولم تسـكت الزوجـة فقـط بـل حتـى العاصفة سـكتت وحـل الصمت مع خـروج هـذا الصبـي أخيـراً الـذي وكأن كل موازين الكـون تنتظره وعندمـا خـرج صمـت الجميـع فـي لحظة صمـت أو في لحظـة خوف من هـذا الكائـن الذي خـرج من باطن قبـر! كائـن كان يمرح فـي القبر مسـك الزوج بابنـه بين يديـه متأملاً إيـاه بمشـاعر مختلطة مشـاعر غير مصدقـة أن الطفل بخيـر وأكثر مـن الخير، الغريـب أن الطفـل لم يبك لم يكـن يبكي! نهضـت الأم فـي فـزع واعتدلت بجلسـتها بـكل تعب وإرهـاق وسـألت بصـوت مرتعـش خائفـة مـن أن كل هـذا التعـب سيذهب هباء منثوراً إذا كان الصبي ميتاً:

- ماذا؟؟ ماذا حدث؟ هل هو بخير؟ لماذا لم يبك؟!

سـألت بصـوت لاهـث وهـي تحـاول أن تجمـع شـتات أنفاسـها التي طارت مع صرخات الولادة

- لا، إنه بخير انظري إنه ينظر إلي ويتحرك أيضاً

أجاب الزوج بسعادة ويداه ترتعشان وهو يمسك بابنه الذي كان بحجم كفه

- إذاً لماذا لا يبكي؟؟

سألت الزوجة باستغراب يخالطه القلق على ابنها:

صدقيني إنه بصحة جيدة وإنه بخير لا عجب إن هناك الكثير من الأطفال ليس من الضروري أن يبكوا يا عزيزتي! لكن... يا إلهي...!

دُهِشَ الزوج والزوجة عندما شاهدا ابنهما بدل أن يبكي كان يضحك! أخذ الزوج الموضوع بسعادة وإيجابية ولم يرَ أن ابنه مختلف على عكس الزوجة التي بدأت بالقلق والخوف من هذا الكائن رغم أنه ولد في القبر إلا أنه يضحك ولم يبكِ!!؟ لم يهتم الزوج بأي شيء سوى أن ابنه أتى إلى هذا العالم وهو بخير ومبتسم رغم حياتهم البائسة والفقيرة رغم منزلهم الهش الذي طار مع العاصفة وأخذته الرياح رغم أن الشمس ستأكلهم في النهار لأنهم بدون مأوىً إلا أنه قال: حصلنا على الظل الذي سيغطينا من الشمس والأمطار والرياح لأن هذه الحفرة أو القبر حمت زوجتي ولم يكن فيها قطرة ماء واحدة ولم تصلها الرياح القوية وكان هناك شيء يحجب عليها أنا واثق من أنه هو من فعلها بشكل أو بآخر إنه ابني لذلك سأسميه «ظل»...

نعم كنت سعيداً كان أبي يعتقد أنني سعيد لأنني أقبلت إلى هذه الحياة بصحة جيدة رغم ما عانته أمي في تلك الليلة، لكن لا، كنت سعيداً لأنني ولدت في مقبرة بداخل قبر ولدت بجانب الأموات والجثث كانت شاهدة على ولادتي كنت سعيداً وعندما ابتسمت ابتسمت لأنني سمعت الأموات يغنون ويرحبون بي سمعت أصواتهم تهلل وتتغنى احتفالاً بقدومي كانوا يعلمون جيداً بأنني سأصبح ظلهم..

رن هاتفي وقاطع أفكاري الكتابية توقفت عن الكتابة لأرى الساعة أصبحت السابعة مساء هذا يعني أنه حان موعد عشاء والدي وأدويته رن الهاتف مرة أخرى كان المتصل «ثيا» طبعاً ومن غيرها؟ أجبت على الهاتف:

- مرحباً يا حبيبتي
- مساء الخير ألا يمكنك ولو مرة واحدة أن ترد من أول اتصال؟؟
- لا أستطيع تعرفين ذلك لا أستطيع أن أتصرف مثل الأشخاص الطبيعيين...

أجبت مازحاً

- نعم بالطبع أنا أعرف ذلك لماذا أسألك؟
- حسناً لا تغضبي أعتذر كنت مندمجاً في الكتابة لذلك لم أسمع الهاتف

- هل بدأت بكتابة كتابك؟؟

سالت بحماس

- نعـم أخبرتـك عندمـا سـافرت إلـى كولومبيـا حصلـت على الإلهام أكثر

- إذاً أنت لم تخبرني حتى الآن عن ماذا تتحدث روايتك؟؟

سألتني بفضول

حلت ثـلاث ثـوانٍ مـن الصمـت فـي الثانيـة الأولـى فكـرت هل أخبرهـا بأننـي أكتـب عـن حياتـي الغريبة السـوداء؟ فـي الثانيـة الثانية فكـرت هـل أخبرهـا بأننـي أكتـب عـن جانبـي المظلـم؟ فـي الثانية الثالثة فكرت هل أخبرها بأنني أكتب عن يومياتي مع الجثث؟!

- سأخبرك فيما بعد إنه مفاجأة..

أجبتها

- حسناً إذاً سأسـامحك هـذه المـرة ولكـن ثـق بـأن تخبرني عن محتوى الرواية أنا أول شخص يجب أن يعرف

- بالطبـع أساسـاً ليـس لـدي أشـخاص غيـرك فـي هـذه الحيـاة أنتِ كل حياتي..

حاولت أن تغير الموضوع بخجل:

- حسناً أخبرني كيف حال والدك هل تحسن؟؟

«ثيـا» تعرفنـي منـذ عشـر سـنوات تقريبـاً ودائمـاً مـا أحكي لهـا عن والـدي بـدون توقـف ودائمـاً مـا تخبرنـي أنهـا ترغـب فـي مقابلتـه وأنا

أرفـض أتحجـج بـأن والـدي لا يحـب أن يقابـل أحـداً وهـو بالفعـل لا يحـب أن يقابـل أي أحـد لكنـه شـخص طيـب وحنـون وأخبرتهـا بأنـه سيأتي اليـوم المناسـب لكـي أدعـه يقابلها وهـي دائمـاً ما كانـت تتفهم ذلك لا أحد يتفهمنـي مثلها، سـتقولون: مـن الغريب أنهـا تعرفني طوال هذه السـنوات ولا تعرف عائلتـي وأي فتاة سـترضى بذلـك؟ بالتأكيد ثيا مختلفـة عـن جميـع الفتيـات فـي العالـم هـي تعـرف تمامـاً أننـي ليس لـدي مشـروع نصـب تجاههـا ولا لـدي نوايـا سـيئة أو أتلاعـب بهـا أنا أعرفهـا مـن عشـر سـنوات وأكثـر مـن المتفـرغ الـذي سـيتلاعب طوال هـذه السـنوات؟ هـي الوحيـدة التـي قبلـت بي وأنـا محمـل بالألـم وأنا غريـب الأطـوار هـي التي قبلـت بي وأنـا عاصفـة هائجـة تقبل بـي بكل صفاتـي السـيئة وأمراضـي النفسـية حتى إنهـا تعالـج روحي تحـاول أن تنقذني من غرقي النفسي لم يتحملني أحد كما تحملتني ثيا..

- إنه بخير لقد تحسن كثيراً..

أجبتها

- أوه الحمـد للـه اعتـنِ بصحتـه جيـداً يـا ظـل ولا تهملـه أنـت تعرف كبار السـن يصبحون حساسـين جـدّاً إذا شـعروا بابتعاد أطفالهم عنهم..
- نعـم لا تقلقي أساسـاً أنا مـن المسـتحيل أن أبتعد عنـه كما من المستحيل أن أبتعد عنكِ..
- بالطبـع لا مفـر منـي وأنـت تعـرف ذلـك،، الآن أخبرنـي هـل ستأتي غداً إلى المستشفى لحضور المؤتمر السنوي؟؟

- لا أعرف لكن سأحاول لأن لدي عدة منحوتات لم أنتهِ منها ويجب أن أنتهي منها وأسلمها في وقت قياسي لذلك حضوري ليس مؤكداً سأتصل بك في كل الأحوال..

انتهيت من مكالمة ثيا بعد أن رأيت رسالة في هاتفي تقول العاملة السيدة «لوسي» بأنها قريبة من المنزل، السيدة لوسي تأتي كل أسبوع مرتين لتنظف المنزل طبعاً فقط القسم الأول من القصر وأخبرها دائماً أن لا تدخل غرفة والدي لأنه يكره الخدم، أيضاً هي جيدة في الطبخ لذلك أخبرتها أن تطبخ العشاء بعد أن تنتهي من التنظيف لأنني مشغول جداً ولا أستطيع أن أطبخ لوالدي أعلم بأنه سيغضب لكن لا بأس لا أستطيع تأجيل هذا المشروع أكثر يجب أن أعمل فيه فوراً لذلك انتهيت من وضع اللمسات الأخيرة على المنحوتات التي سأرسلها إلى متحف خارج البلاد، وتوجهت إلى المكتب فتحت الجهاز الخاص بي وبدأت بتصميم موقعي الخاص بالطبع الموقع سيكون سرياً ومجهولاً وكل من يزور الموقع ستشفر معلوماته بسرية تامة غير أن الموقع سيكون له كود وشفرة خاصة سيحذف الموقع تماماً وكل ما فيه إذا أحد غريب حاول أن يفتحه غيري، استطعت بطريقتي وأموالي أن أتحدث مع أصحاب موقع اسمه «تورشوبس» وهذا الموقع يساعد الأشخاص الذين يرغبون بإنشاء منصات ومواقع سرية في الويب المظلم فقط بأموالي جهز لي كل شيء الموقع باحترافية عالية وبالشفرات التي طلبتها خلال الوقت الذي كان يجهز به الموقع كنت متعمقاً أبحث عن هذا العالم المخيف الويب

المظلم إنـه عالم مرعب بقـدر حياتـي المرعبة كل شـيء تتصـوره أو لا تتصوره موجود به إنه الاختلال العقلي بحد ذاته!

مثلاً يوجـد موقـع يسـمى «جثـث الملـك» إنـه لآكلـي لحـوم البشـر! فئة من هـؤلاء البشـر الذيـن يقومـون بتصويـر أنفسـهم وهم يلتهمـون لحمـاً بشـرياً حقيقيـاً لدرجـة أن هنـاك أشـخاصاً يقومـون بـأكل لحـم أنفسـهم أي مـن يقـوم بقطـع جلـده أو قطعة صغيـرة من أصبعـه!؟؟ إنـه الجنـون بحد ذاتـه كيـف يمكنهم أن يسـموا أنفسـهم بشـراً؟ إنهم فئة مـن الوحوش علـى هيئة بشـر، هناك أيضـاً موقع آخر غريـب لفـت انتباهـي اسـمه «محطـة الأرقـام» إنـه يقـوم بتشـغيل أصـوات تعيـد تشـغيلها مـراراً وتكـراراً بلغات غيـر مفهومـة ولغات غيـر موجـودة أصـلاً فـي عالمنـا؟ وهنـاك موقـع آخـر لفـت انتباهي وقمـت بالتسـجيل بـه لأنـه دفعنـي الفضـول تجاهـه وهـو موقـع «MORTIS» وتعنـي المـوت وهو مـكان مخصص للأشـخاص الذين يبحثـون عـن المـوت بـكل الطـرق هنـاك أشـخاص يقولـون إنهـم يتواصلـون مع المـوت نفسـه ومنهم مـن يقـول إن الموت علـى هيئة شـخص بشـري وإلخخـخ،، لكـن بالطبـع لا أصـدق كل هـذا لكـن الموقـع بشـكل أو بآخـر مرعب جـدّاً وبـه أفـكار مجنونـة جـدّاً إنهـم حفنـة مجانيـن أظـن أننـي سـأغوص أكثـر فـي هـذا العالـم المرعب الـذي لا ينتهـي لطالمـا البشـر كانـوا أشـد رعبـاً مـن الأشـباح والشـياطين والوحـوش لكـن لا أحـد يعـي ذلك بعـد أن رأيـت موقعاً وهـذا مـا علمنـي أحـد أصدقـاء العمـل عنـه فـي «كولومبيـا» وهـو «طريـق الحريـر» وهـو موقـع متخصـص للتجارة بالبشـر سـواء أحياء

أو أموات أطفال أم نساء أم شباب لم يعجبني هذا الأمر نهائياً لقد شعرت بالقرف والاشمئزاز من هؤلاء كيف لإنسان أن يتعامل مع إنسان آخر بهذه الوحشية؟ وأكثر ما أغضبني هو «بيع الأموات» أي التجارة بالجثث بحثت عن هذا الموضوع خلال سنة كاملة كان أغلبهم أو أغلب الأسواق يقومون بشراء الجثث فقط ليستفيدوا من أعضائهم إذا كانت صالحة ويرمون الباقي في النفايات!؟ إن هذا لمهين للميت ومحزن غير الأشخاص الذين يأخذون الجثث لفعل أشياء غير أخلاقية لها أغضبني جداً هذا الأمر شعرت ببركان يتفجر في خلايا عقلي، إنهم يقومون بتعذيبهم وسلب حقوقهم كبشر فكرت كثيراً كيف يمكنني أن أبدأ وأقوم بحماية هؤلاء الجثث؟ هل أستطيع شراء كل الجثث في العالم والاعتناء بهم وإنقاذهم من هذا العالم المختل؟؟ فكرت هل يمكنني أن أكون منقذاً لهم أم أنني مجرد مختل مثل هؤلاء لكن بطريقة أخرى؟ لا، مستحيل أنا لست مثلهم أنا إنسان لكن هل فعلاً أنا إنسان؟؟

داهم أفكاري صوت رسالة من المبرمج الذي صمم الموقع يقول فيها إنه انتهى تماماً من الموقع وأستطيع أن أجربه وسينتظرني لمدة ثلاثة أيام فقط إن أردت أي تعديل به، كنت متحمساً كثيراً لتجربته وأنا أتساءل هل يمكنني تحقيق حلمي؟ هل يمكنني تغيير هذا العالم؟ قبل أن أدخل إلى موقعي سمعت صوتاً غريباً في الخارج وقتها كنت في مكتبي في القصر الرئيس أي القسم الأول الطبيعي الذي نعيش فيه أنا وأبي فقط، ظننت أنه أبي

أو السيدة لوسي ما زالت تنظف لكنني حسمت أمري وقررت الخروج من المكتب خرجت إلى الممر كنت لا أفضل أبداً أن يكون المنزل مظلماً ليس لأنني أخاف بل لأنني أحب الضوء، بدأت بمناداة السيدة لوسي لكن لم أسمع أي رد منها خمنت أنها في المطبخ ولم تسمع أو أنها بجهة أخرى من المنزل لمحت باب غرفة من الغرف أغلق وحده بهدوء مع صرير استغربت لأنني مغلق جميع الغرف بحكم أنني لا أستخدمها قلت بالطبع من الممكن أن تكون لوسي نظفتها ونسيتها مفتوحة وصلت إلى الغرفة فتحت الباب بهدوء كانت الغرفة مضاءة بالكامل لكنها كانت فارغة ونظيفة ومرتبة لذلك تيقنت بأن لوسي هي من نسيت أن تغلقها خرجت من الغرفة وأغلقتها، التفت لأجد لوسي تقف بتلك الابتسامة المنهكة رغم أنها تتعب وحدها من تنظيف هذا القصر لكنها الوحيدة التي أثق بها أكثر من أي أحد آخر إنها غير فضولية أبداً وتستمع إلى أوامري وطيبة القلب لذلك أنا متكفل ليس فقط بها بل بجميع أسرتها ولداها الاثنان يدرسان في أرقى المدارس وأنا متكفل بالرسوم اشتريت لهم منزلاً وظفت زوجها في وظيفة مرموقة أفعل كل ذلك بالطبع حتى لا تهرب من هذا العمل على الرغم من أنه أحياناً يكون مريح لها لأن القصر فارغ يكون بالطبع نظيفاً خصوصاً في الأيام التي تخلو من الغبار:

- مساء الخير سيد «ظل» لقد طبخت العشاء كما أمرتني أيضاً انتهيت من التنظيف لكن تبقى تنظيف هذه الغرفة والصالون..

قالت

- أي غرفة تقصدين؟؟

سألتها

- الغرفة التي خلفك فلم أنظفها بعد
- حقّاً؟!! إذاً هل فتحتِها قبل أن تذهبي إلى المطبخ؟؟
- لا لم أفعل ذلك!

أجابت باستغراب

- غريبة لقد وجدتها مفتوحة والأنوار مضاءة كذلك ظننت أنك أنتِ
- لا يا سيدي متيقنة من أنني لم أفتحها أيضاً انظر المفاتيح معي أنا عندما أفتح باباً أترك المفاتيح معلقة فيه
- لا بأس ربما أنا فتحتها في وقت سابق ونسيت..

قلت محاولاً أن أنهي النقاش رغم أنني لم أفعل ذلك لكن السبب الوحيد المحتمل أنها هي من فتحتها ونسيت إنها سيدة كبيرة في السن والنسيان محتمل لديهم بالطبع، هذا هو السبب الوحيد لأنه لا وجود للأشباح بالطبع في منزلي كل ما يوجد الجثث والجثث لا تتحرك إلا بإذني..

ذهبت إلى غرفة أبي رأيت أنه نائم غارق في نوم عميق بالطبع إنه موعد نومه تقريباً أشعر بتأنيب الضمير أحياناً لعدم جلوسي

معـه كثيـراً، أغلقـت البـاب وذهبـت لتنـاول وجبة العشـاء ثـم عدت إلـى مكتبي لكـن تفاجأت عندمـا رأيت شاشـة جهازي الكبيـرة كانت مفتوحـة وأنـا متيقـن لـم أشـغلها وكنـت أعمـل علـى شاشـة الجهاز المحمـول العـادي ليـس فقـط هنـا بـل كانـت بهـا صفحـة وهـذه الصفحـة جذبتنـي بطريقـة ما سـحرتني وأنـا أنظـر إلى هـذه الصفحة المثاليـة كانـت صفحـة لموقـع متكامـل لدرجـة نسـيت مـن قـام بتشـغيل الشاشـة؟ مشـيت وكأننـي مسـحور مذهـول مفتـون بهـذا الموقـع الـذي يعرض نفسـه علـى شاشـتي القيمنـق المنحنيـة بحجم بوصة ٢٠٠ هارتز شاومي، كان الموقع كالتالي:

خلفيـة سـوداء بالكامـل الخطـوط والزخرفـات باللـون الأبيـض كان بـه زخرفـات شـفافة لكنهـا واضحـة الزخرفـات تبـدو كرمـوز غريبـة ولغة غيـر مفهومة أمـا الشـريط العلـوي للموقع فبه رسـومات صغيـرة وغريبـة كانـت تبـدو وكأنهـا لوحـات مصغـرة النوافـذ أو الخيـارات أو القائمـة الموجـودة لـم تكـن كثيـرة وهـي الصفحـة الرئيسة وخيار اشترِ وخيار بِعْ فقط..

لكـن كانـت هنـاك نافـذة أخـرى فتحتهـا بهـا قوائـم كثيـرة وهـذه القوائم أنـا فقط مـن يدخلهـا وإذا كنت أرغـب بفتحها لـزوار الموقع أسـتطيع فعـل ذلـك وإذا لم أرغـب أتركهـا مغلقـة، كانـت الخيارات كثيـرة جـدّاً وهـذه تأخـذ وقتـاً كثيـراً لأغـوص بهـا وأتعـرف عليهـا وبالطبـع أملـك ميـزة الحـذف والإضافـة وأيضـاً أي شـيء أرغـب بإضافته إلـى الموقع لكـن شـد انتباهي تصميـم الموقع رغـم أنني لم أطلـب طلبات كثيـرة مـن المصمم ولـم أخبره بـأي تفاصيـل وكل ما

أخبرته أنني أريـد موقعاً مهمتـه كذا وكـذا لكـن تفاجـأت أن الموقع مصمم شكلياً بشكل جميـل وسـاحر ومريـب والأكثـر غرابـة أنـه وضـع أشياء مثـل اهتمامـي أي الرسـم واللوحـات والأثريات والمنحوتـات هـو حتـى لا يعرف مـن أنـا؟ ولا أعرف من هـو؟ كيف يمكنـه أن يعـرف الأشـياء التـي أحبهـا؟ حتـى اسـمي كان فقط برمز وهـو أيضـاً برمـز الجميـع يتعاملـون هكـذا مـع الرمـوز وحتـى دفع المـال لـه عـن طريقـة بنـك غيـر قانونـي يسـتخدمه هـؤلاء لكـي لا تظهر أسـماؤهم ولا هويتهم! لكن بشـكل عـام أذهلنـي الموقع قمت بالذهـاب إلـى القائمـة الرئيسـة أو الهـوم كمـا يسـمى وهنـا رأيت الاسـم الـذي أنـا طلبتـه أن يضعـه وهـو اسـم الموقـع كان مكتوباً بطريقـة سـاحرة وخـط عريـض باللـون الأبيـض «BECCHINI» «بيتشـيني».. ويعنـي جامـع الجثـث! هـذا المصطلـح هـو الـذي أخبرني عنه أبـي عندما كنت طفـلاً قال إنهـم كانوا جماعـة أو عصابة فـي إيطاليا عندمـا انتشـر الطاعـون الأسـود فـي ذلـك الزمـن وأصبح الأمـوات أكثر مـن الأحيـاء وعمـت الفوضـى فـي كل أرجـاء نصف العالـم كان هـؤلاء العصابـة يلبسـون أقنعـة سـوداء مخيفـة كانت مهمتهـم جمـع الجثـث المتناثـرة فـي الشـارع كحبـات اللؤلـؤ يقول أبي إنهـم استغلوا النـاس وأخافـوا النـاس الأحيـاء منهـم والأموات كانـوا يسـتغلون الجثـث يقومـون بالتجـارة بهـا وصنـع طعـام للناس مـن هـذه الجثـث رغـم أنهـا مصابـة بالطاعـون! كانـوا يسـتخدمون جلودهـم فـي أعمـال السـحر الأسـود وفـي الأثـاث وفـي الملابس كانت تجـارة «البيتشـيني» أرعـب تجارة فـي التاريـخ الغريـب عندما

سألت أبي ماذا حدث لهم وأين ذهبوا؟ هل الشرطة أمسكت بهم؟؟ قال: لا، اختفوا فجأة فقط! رغم أن عددهم كان كبيراً ولم يكونوا قلة لكنهم في وقت واحد وليلة واحدة اختفوا هكذا وكأن الأرض انشقت وابتلعتهم! حتى إن الشرطة والحكومات الدولية كانت تبحث عنهم لمدة عشر سنوات لكن لم يظهر ظفر واحد منهم حتى لم يجدوا جثثهم إن كانوا قد ماتوا ووضعت بعض الحكومات والمنظمات مكافأة ضخمة جدّاً لمن يجدهم لكن بدون فائدة لم تشارك فقط حكومة دولة واحدة في البحث عنهم بل شاركت عدة دول في البحث عنهم لكن لا شيء حرفياً لا شيء وكأنهم كانوا أشباحاً ظهروا فجأة واختفوا فجأة لم يكن أحد يعرف أسماءهم ولا أشكالهم ولا عائلاتهم ولا هوياتهم لا شيء سوى الأقنعة السوداء!؟ من وقتها لم أستطع نسيانهم شبهت نفسي بهم أنا أيضاً أحب جمع الجثث لكن أنا لا أقوم بأذيتهم أنا أعتني بهم، من ذلك الوقت أخبرت أبي أنني أنا «بيتشيني» لكن أبي لم يغضب وابتسم وربت على رأسي ولا أعرف لماذا؟؟!..



«الفصل الرابع»

«بيتشيني»

١٩٩٠ م

إن الموتى لا يستطيعون الغناء!

قالت أمي صارخة كالعادة استيقظت في فراشي اعتدلت في جلستي قلبي ينبض جسدي يرتعش هل أضع يديّ على أذنيّ كالعادة أم أقرر اليوم أن أسمع شجار أمي وأبي كالعادة؟

منذ خمس سنوات وأنا أسمع شجارهما منذ أن كنت في المهد رضيعاً أشك حتى أن أمي لديها وقت لترضعني كان كل وقتها في الصراخ والشجار مع أبي الآن عمري خمس سنوات وما زال البركان ثائراً بينهما وسنة بعد سنة ويوماً بعد يوم يزداد أكثر وأكثر أساساً أمي لم تكن تهتم بأحد أبداً وكل ما فعلته الحلطمة والاعتراض على الحياة كان وما زال هذا السؤال يراودني لماذا أمي تزوجت أبي؟ إنها تكرهه أرى الكره في عينيها له لدرجة أنها أصبحت تكرهني أيضاً؟ إن أمي عندما يغادر أبي إلى العمل أراها تكون سعيدة ولكن عندما يعود تكون تعيسة وثائرة إنها تكره وجهه دائماً ما تقول عنه قبيح

وتناديه بالقبيح تقول إنهـا تزوجت من رجـل فقير وقبيح وضعيف وأكبر منها بعشر سنوات لا يوجـد شـيء يشـفع لـه أبـداً لكن لماذا تزوجته؟؟

- أنــت قبيــح وفقيـر لا تسـتطيع حتــى أن تطعمنـا وفاشـل وفـوق هـذا كلـه الآن أصبحـت مجنونـاً! رائـع هـذا ما كان ينقصني!!

- ماذا تقصدين بمجنون يا عزيزتي؟

سأل أبي ببرود وكأنـه لـم يسـمع كل هـذه الشـتائم تُطلـق عليه أو أنه بالطبع اعتاد عليها

- لقـد أخبرتـك مئـة مـرة لا تنادِنـي بعزيزتـي هـل سـمعت ماذا تقول؟ إن سمعك أحد فسيضعونك في مستشفى المجانين..

قالت أمي بغضب

- لـم أقـل شـيئاً كل مـا قلتـه أننـي وجـدت عمـلاً إضافيّاً وهذا مفيد لوضعنا أنا أعمل في ثلاث وظائف حتى نعيش..

أجابت أمي صارخة:

- وظيفـة؟!! أنــت تقـول بـكل بسـاطة وبـرود إنـك سـتغني مـع الأمـوات فـي المقبـرة!؟ أي وظيفـة هـذه ومـن أعطاك هـذه الوظيفـة؟ لـو علـم أهـل القريـة فسـنعيش فـي جحيم سيقولون عنـك مجنـون أو سـاحر أو مشـعوذ وكأنـه ينقصنا إشاعات كهذه..

- حسناً لا بـأس اعتبريني حـارس مقبرة فـي الليل وفـي الصباح دافـن أمـوات وفـي العصريـة مغسـل أمـوات هكذا سـأحصل على ثلاث مراتب..

أكمل حديثه ببرود

نظرت له أمي بنظرة شفقة وتقزز قائلة متنهدة:

- لقد انتهيت منك أنت للأموات أنت تليق بهم أكثر مني..

سـمعت صـوت بابـي يفتـح دخلـت أمـي وأنـا ملتـزم الصمـت جلست على طرف فراشي الأرضي متمتمة:

- لقـد تعبـت تعبـت مـن هـذه الحيـاة المزريـة المقرفـة نحـن نأكل وجبة واحدة فـي اليوم نحـن نعيش في هـذا المنزل الذي سـينهار علـى رؤوسـنا أي أحد يمكنـه الدخـول الحشـرات والجـرذان لا شـيء يتحسـن منذ اليوم الأول الذي عشـت فيـه مع هـذا الرجل، إن حياتـي معـه وكأنهـا مسـتنقع أنـا لـم أكـن هكـذا لم تكـن هذه أحلامـي التـي أحلـم بهـا كباقـي الفتيـات والنسـاء هنـاك شـيء خاطـئ أنا لـن أصبـر أكثـر حتـى الصبـر أظن أنـه لـن تطـأ أقدامه هذا المنزل الرث هناك فرصة واحدة ما زالت تنتظرني..

نهضـت أمي مـن علـى الفـراش وتـوجهت إلـى صندوقهـا وفتحته وكأننـي غيـر مرئي بالنسـبة لهـا أخرجـت ورقـة عريضـة أو ملصقاً أو صحيفـة لكـن وقتهـا كنـت طفـلًا لـم أميـز مـا هـذا؟ نظـرت إليهـا وكأنهـا تنظـر إلـى حلـم وتنهـدت وقامـت بوضعهـا جانبـاً، أغلقـت الصندوق وتوجهت إلى باب الغرفة خارجة:

- أمي ألن تنامي معي اليوم؟

سـألتها بصـوت حنـون راجيـاً أن تعيرنـي والدتـي اهتماماً لكـن كان ردها أقسـى رد أسـمعه فـي حياتي كلهـا حطم قلبـي وروحي إلـى أجزاء ألا تعرفون معنى أن يتحطم قلب طفل في الخامسة من عمره؟

قالت بدون حتى أن تلتفت إلي وتنظر إلى وجهي بنبرة حادة وقاسية:

- «أنا حية لا أرغب في البقاء مع الأموات»..

أجابـت بجملتهـا هـذه وخرجـت وأغلقـت البـاب هـذا كان آخر حديـث بينـي وبيـن أمـي بعدهـا نمـت ودموعـي كادت أن تغرق الفـراش لم أعـرف لمـاذا قالت ذلـك هل أنـا ميـت؟؟ لكن أنـا مرئي الجميع يروننـي أنـا وأبـي الأمـوات غيـر مرئييـن لكـن لمـاذا قالت أمـي عنّـا كذلـك؟ فكـرت ببـراءة طـوال الليـل وعندمـا استيقظت وجدت أبي جالساً مبتسماً وفي يده بعض الأوراق البيضاء سألته:

- ما هذه يا أبي؟؟

أجاب بتردد وبخنقة لكنه يحاول أن يخفيها:

- لقـد رحلـت والدتـك يـا ظـل وقامـت بإرسـال أوراق الطلاق وأنا وافقت لم يكن لدي خيار آخر يا ظلي..

لـم أشـعر وقتهـا بشـيء أبـداً وكأن مشـاعري انتهت قبل سـاعات فـي الليل عندمـا أخبرتنـي أمـي بتلـك الكلمـة بـل علـى العكس شـعرت بالراحـة لـن أسـمع صـوت صرخاتهـا وغضبهـا وتحطيمها للمنزل الـذي هـو محطـم أساسـاً وحلطمتهـا وتنمرهـا بقسـوة على

أبـي وعلـي، لن يكـون هنـاك مشـكلات والأهـم لـن يحمل أبـي هم حساب إطعام شخص ثالث..

- تبقى أسبوع على بداية الدراسة يا ظلي هل أنت متحمس؟

سـألني أبي بعـد أن دخـل علـي بحقيبة مدرسـية مـن الواضـح أنه حصل عليهـا مـن القمامـة أو مـن أحـد الأشـخاص المتبرعيـن لكن لم أتذمر يوماً أو أشـعر بالاسـتياء من الأشـياء التي يحضرهـا لي أبي فأقوم مبتهجاً فرحـاً أحضنـه وأقبلـه، أتممت عامـي السـادس لذلك الآن علي الدخول إلى المدرسة فأجبته بحماس:

- نعم أنا متحمس جدّاً يا أبي..

- إذاً يجب أن تكون طالباً مجتهداً جدّاً تعرف لماذا؟؟

- بالطبـع أعرف حتـى أصل إلـى أعلـى المراتب وأجمـع الكثير من الأموال وأجعلك تعيش ملكاً..

ضحك أبي واحتضنني قائلاً:

- جمـع الأمـوال ليـس مهمّاً يـا بنـي المهـم هـو أن تجمـع أكبر قدر مـن الأشـياء التـي تحبهـا إن الأمـوال تذهب وتأتـي لكن الأشياء التي تحبها تبقى للأبد..

- إذاً ما هي الأشياء التي تبقى للأبد؟؟

سألته

صمت قليلاً ثم أجاب:

- يجب أن تكتشفها أنت بنفسك وستعرف ذلك عندما تكبر..

لكن ماذا عنك يا أبي؟ ماذا تحب أن تجمع؟ أنا لا أرى أنك قمت بجمع شيء؟؟

قال بابتسامة:

- بلى لقد جمعت الكثير لكن منزلنا صغير جدّاً بالكاد يكفينا لذلك لا أحضر الأشياء التي أجمعها هنا..

- إذاً أين تبقيها؟؟

- أسئلتك كثيرة يا ظلي من الأفضل أن تذهب للاغتسال لكي تستعد للنوم غداً هو أهم يوم في حياتك غداً سيكون أول يوم ستبدأ منه بتحقيق أحلامك..

ذهبت أول يوم دراسي كنت متحمساً جدّاً كأي طفل في هذه الحياة إلا أن حماسي انطفأ سريعاً عندما وصلت وكان الجميع ينظرون إلي بشكل مرعب من نفورهم بسبب أعمال والدي وهي أعمال شخص عادي يحاول أن لا يموت جوعاً حفار قبور دافن موتى مغسل موتى! يعمل ثلاث وظائف وكلها تتعلق بالموتى والجثث لا أعلم ما الخطأ؟ وأين الخطأ؟ إذا لم يعمل فلن يعطيه أحد بالطبع الطعام والمال إن البشر حقّاً كائنات مقززة إنهم يتقززون من الأموات وهم سيصبحون يوماً ما أمواتاً! علاوة على ذلك هم يستنقصون الناس الذين يعملون في وظائف مستواها ضعيف وكأن هناك عدة خيارات لهم لا يعلمون أن الناس الفقراء لا يملكون أي خيارات في هذه الحياة، والنظرات الأخرى نظرات شفقة على حالي: حذائي المستخدم حقيبتي المستخدمة ملابسي

المستخدمة، لكن لحسن الحظ لم أكن أهتم أبداً لم تكن تؤثر علي نظراتهم وكلماتهم ولم أكن أسمح لأحد بأن يتنمر علي جسدياً حتى كنت أتعمد أن أجعلهم يخافون مني لكي لا يقترب مني أحد ونجحت بالفعل، لم أكن أهتم بأن أبقى وحيداً غريب أطوار بدون أصدقاء على العكس كنت سعيداً أنني وحيد لأن الوحدة تليق بي، أتذكر عندما عدت من المدرسة في أول يوم دراسي أخبرت أبي بأن كل شيء على ما يرام لطالما دائماً ما أخبره أن كل شيء بخير وهو يعرف أن لا يوجد شيء بخير كما كان يخبرني أن كل شيء على ما يرام وأنا أيضاً أعرف أن لا شيء على ما يرام، كنت متفوقاً جدّاً في دروسي رغم حياتي المبعثرة وروتيني المشتت كنت لا أبقى في المنزل بل أعود من المدرسة فأبدل ملابسي ويأخذني أبي معه إلى العمل، لا يحب أن يتركني في البيت وحدي أبداً دائماً ما يقول لي إن المنزل ليس آمناً وهو يخاف علي غريب أن أي شخص في العالم لا يشعر بالأمان إلا في منزله وأن المنازل بالنسبة للبشر هي الأمان إلا منزلنا لم يكن أماناً أبداً ولا أعرف لماذا؟ أتساءل هل هو بسبب أنه بدون قفل؟ أو لأن السقف والجدران بضربة واحدة يستطيع أي أحد أن يدخلها؟ أو هل بسبب أن العواصف دائماً ما تهدد جدران هذا المنزل؟ لذلك لا يتركني أبي أبداً فيه

مضى أول أسبوعي دراسة بعدهما استلم أبي العمل الإضافي الذي بسببه هجرته أمي أو أنها كانت تحتاج فقط إلى نقطة أخرى على السطر لكي تنفجر وتبعثر كل الحروف والروابط

التي تجمعها مع أبي، عدت من المدرسة وبدلت ملابسي وحزم أبي كتبي الدراسية في حقيبتي وبعض الطعام والحلوى لي حتى لا أشعر بالملل كنت بيني وبين نفسي لا أرغب بالذهاب مع أبي لأن الأمر بالطبع متعب إن جميع الأطفال حين يعودون من المدرسة يحصلون على حمام دافئ ومنعش ووجبة طعام لذيذة بعدها يسترخون أو يأخذون قيلولة أو أنهم يقرؤون القصص أو يلعبون الكرة أو يرسمون ويفعلون أي شيء آخر لكن أنا لم أستطع فعل شيء لأنه يجب علي أن أذهب مع والدي إلى أعماله رغم ذلك لم أوضح أبداً مشاعري لأبي لم أبين له أنني لا أرغب بالذهاب حتى لا يشعر بالاستياء لكنني الآن على العكس بعد أن مضت السنوات كل يوم أشكر أبي ألف مرة لأنه أخذني معه إلى عوالمه وعوالم الجثث! أتذكر أول يوم بعد أن حزمت حقيبتي ومسك أبي بيدي كانت وقتها الساعة الثالثة مساء قبل العصر ذهبنا بالطبع سيراً على الأقدام كان أبي يملك دراجة عادية لكنها في ذلك اليوم تعطلت إحدى عجلاتها كالعادة وكانت تحتاج إلى نفخ هواء لذلك قال أبي سيذهب بها في الصباح وذهبنا سيراً على الأقدام إلى المقبرة كان أبي يعمل في الصباح من الساعة السادسة صباحاً حتى الواحدة ظهراً مغسل أموات في المغسلة ثم من الساعة الثالثة مساء وحتى الساعة التاسعة مساء حفار قبور ودافن موتى في المقبرة ثم من الساعة العاشرة مساء وحتى الرابعة فجراً يغني للموتى!! نعم إنها أغرب وظيفة إلى الآن؟ الوظيفة التي قلت إن

أمي مبالغة لتركها والدي بسبب هذه الوظيفة لكن على ما يبدو لأن أمي شخص طبيعي أو ربما هي لا ترى ما يراه والدي أو ربما والدي مجبَر حتى لا نموت جوعاً رغم ذلك كان لدي فضول تجاه هذه الوظيفة كنت أظن أن أبي يمزح أو أنه غير جدي أو أنه أراد أن يخبر أمي بهذا الشيء كذباً حتى تتركه ويرتاح من صراخها المزعج ويرتاح من مصاريفها، وصلنا إلى المقبرة بعد سير خمس عشرة دقيقة تقريباً لم تكن بعيدة أبداً توقفت لوهلة وأنا أنظر إلى هذا المكان أو هذا العالم المختلف من الخارج منذ نظرتي الأولى للمقبرة علمت بأنني سأغوص في عالمها هنا لا شيء مكرر لا شيء ممل كل شيء لا مثيل له من الممكن أن البشر والناس الطبيعيين لا يرون ما أراه ولن يستطيعوا رؤيته أبداً!

الغريب هنا بعيداً عن نظري كانت المقبرة جميلة تبدو وكأنها قصر اسكتلندي إنها أفخم شيء في البلدة أفخم من جميع المنازل الموجودة هنا أفخم وأجمل حتى من حياتنا الممرات المزروعة بين القبور بأجمل أنواع الزرع القبور المبنية حجر أسود ذو لمعة والآخر مزخرف كانت تتفاوت بين الجمال والفخامة وفهمت على حسب طبقات الناس بالطبع في حياتهم السابقة أستغرب لماذا يهتمون بالطبقات وهو ميت هل هذا سيفرق معه؟ في كل الأحوال جميعهم تحت التراب ويغطيهم التراب

- نحن نقدس الموتى...

أتت كلمات أبي هـذه على مسـمعي واقتحمـت أفـكاري فـال وهو يمسك يدي وينظر إلي بابتسامة حنون مشعة كالعادة..

- ماذا تقصد يا أبي من نحن؟؟

سألته..

- أقصـد أن هـذه البلـدة والنـاس هنـا وبمـن فيهـم نحـن هنا نحتـرم الموتـى لذلـك نجعـل لهـم مـكان رفاهيـة وجميلاً ونظيفاً وساحراً أكثر من أماكن الأحياء..

أجاب..

- ولماذا يا أبي؟ من صاحب هذه الفكرة؟

- أي فكرة؟

- فكرة احترام الأموات والاعتناء بهم؟؟!

ربت بيده على رأسي:

- لا يوجـد لهـا صاحـب هـذه الفكرة تـزرع فـي قلـوب ونفوس الإنسـانية أي إنسـان طبيعـي يـرى أنه يجـب أن يحتـرم الميت أيضاً أليس كذلك؟

- بالطبع..

- إذاً دعنـا ندخـل الآن لكـي نأخـذ جولـة معـاً قبـل الظـلام هل أنت متحمس لأعرفك على أصدقائي؟

- بالطبع أنا متحمس كثيراً..

دخلنـا أنا وأبـي عبر البوابـة الرئيسـية منذ دخولـي من عتبـة الباب شـعرت بريـاح بـاردة هبـت علـى جسـدي الصغيـر لدرجـة كنـت سـأطير مـن شـدتها فجـأة هكـذا رغـم أن الجـو لـم يكـن بـارداً ولم يكن هناك أي رياح نظر إلي والدي وقال:

- إنهم يرحبون بك..!

لـم أخـفْ أو أتوتـر أو أقلـق بل علـى العكـس شـعرت بالحماس أكثر سألني أبي:

- هل أنت خائف؟؟

- لا..

أجبت بثقة

- لماذا لست خائفاً؟

سألني أبي وكأنه يريد أن يختبرني

- لأن الموتى لا يؤذون أحداً أبداً..

- أحسنت يا بني أنت صبي ذكي أنا فخور بك هيا لنتابع طريقنا..

اسـتقبلتنا غرفـة كبيرة وواسـعة غرفـة حجرية تـكاد أن تكـون أكبر وأجمـل مـن منزلنـا المتهالـك الـرث، دخلنـا إليها أغلـق أبـي الباب وفتـح الأنـوار كان يوجـد بهـا سـرير كبيـر ومكتـب وطاولـة طويلـة خشـبية بها الاحتياجـات الخفيفـة لمطبخ مصغـر كانت الغرفـة نظيفة وشرحة وكأنها ليست غرفة في مقبرة.

- الآن اجلـس هنـا تسـتطيع هنـا الدراسـة براحـة أكبـر مـع المكتـب وتنـام أيضـاً براحـة أكبـر مـع هـذا السـرير القطني الجميل أما الطعام فلا تقلق أنا سأدبره اتفقنا..؟

- نعم هنا المكان جميل يا أبي أجمل من منزلنا..

ضحك أبي قائلاً:

- بالتأكيد وهو أكثر أماناً..

- أكثر أماناً في المقبرة؟؟

سألت

- نعـم المنـزل الـذي يقـع فـي منتصـف الأمـوات يكـون أكثـر منـزل أماناً علـى وجـه الأرض إن العالـم الخارجـي مخيف يا بني عالم الأحيـاء أكثـر إخافة مـن عالـم الأمـوات لكن البشر دائمـاً ما يختلقـون دراما وإشـاعات ويفتـرون علـى الأموات لكنهم هم الأكثر إخافة..

- إذاً أنـت لا تريدنـي أن أبقى فـي المنـزل وحدي لأنـك تخاف علي من الأحياء؟؟

- نعم بالتأكيد...

استرسـل فـي حديثه وهـو يخرج قطعـة خبز مـن الحقيبـة وأخرج بعض الحساء من ثلاجة الغرفة:

- الآن سأسـخنه لـك ثـم ستتناول الغـداء وتذاكر دروسـك وأنا سأخرج للعمل حسناً؟

- حسناً..

خـرج أبـي مـن الغرفـة وتركنـي أتنـاول غدائي تلـك كانـت المرة الأولى لـم أركز علـى دروسـي وكان عقلـي منشـغلاً تماماً بمـا يدور خـارج الغرفـة لدي فضـول قاتـل مثـل أي طفل مثـل أي إنسـان لكن لـم أكـن أرغـب بالخـروج بـدون إذن والـدي، انتهيـت من الدراسـة وأنا عقلي مشـتت كليّـاً كنـت أشـعر بالنعاس الشـديد أصبـح الوقت السـاعة التاسـعة مسـاء هـذا يعنـي أن وظيفـة أبـي كدافـن أمـوات ستنتهي وسـتبدأ بعد سـاعة وظيفتـه الجديـدة وهـي مغـنٍّ للموتى!! لـم أسـأل أبـي أبـداً عـن الوظيفـة رغـم أن الفضـول كان يمزقنـي إلا أننـي معتـاد علـى تعاليـم والـدي وطريقـة تربيتـه لـي فأنـا طفـل بـار وعلمني أبـي أنه يجـب ألا أخالـف أوامره أبـداً وكل شـيء أفعله بعد أن يـأذن لي لكـن لم أكـن أعلم بأن هـذا المـكان سـيغيرني ويجعلني أخالف الأوامر قليلاً

كنت أشـعر بالنعاس اسـتلقيت علـى السـرير كان الوقت العاشـرة تماماً هـذا يعنـي أن وظيفـة أبـي الجديـدة بدأت يجـب أن لا أسـمع أفـكار رأسـي يجـب أن أنـام فحسـب حتـى لا يغضـب والـدي منـي وأنـا علـى علـم أنـه أصلاً لا يسـتطيع أن يغضـب منـي لأنـه يحبنـي كثيـراً ويثق بـي كثيـراً سـيطر النـوم على الأفـكار فـي رأسـي وانتصر وغرقت فـي نـوم عميق لكـن كانـت هذه المـرة الأولـى التي أشـاهد فيهـا هـذا الكابـوس الغريب ومـن هـذه الليلة حتـى اليـوم أصبح هذا الكابـوس لا يفارق نومـي أبـداً أصبحـت أراه باسـتمرار أشـاهده في الأسـبوع مرتيـن علـى الأقـل أصبـح مرتبطـاً بـي كاسـمي ولا أعرف السبب ومهما بحثت ومهما حاولت تفسيره لا أجد أي شيء..!

كان الكابـوس عبارة عـن مشـهد يتكرر لكـن في كل مرة يختلف فيه شيء بسيط جدّاً لكنني ألاحـظ ذلـك وكأنه مشـهد من فيلم أو مسلسـل وأعيد مشاهدته مراراً وتكـراراً بدون ملـل أو كلـل وعندما يختلف شـيء بسيط في هذا المشـهد أعرف علـى الفور! أرى أناساً يصرخـون بـدون توقـف يصرخـون مـن شـدة الألـم ارى جلودهم تنسـلخ وتنفصـل عـن أجسـادهم حتـى تظهـر لحومهـم وعظامهم أراهم ينسـلخون ويذوبـون ويلتصقـون بعضهـم فـي بعـض ليصبحوا عجينـة واحـدة، هنـاك خلفهـم يقبـع شـخص يجلـس علـى كرسي لكنه بـدون ملامـح بدون وجـه شـخص مخيـف جـدّاً لطالمـا لم أكن أخـاف من شـيء إلا أن هـذا الشـخص يخيفنـي فـي كل مـرة أراه في الكابـوس!! الغريـب هنا أنـه يومـاً بعد يوم سـنة بعد سـنة الأشـخاص فـي الكابوس يـزداد عددهم شـيئاً فشـيئاً وذلـك الشـخص ينهض من على الكرسـي وفي كل مـرة أراه يتقـدم خطـوة أو خطوتيـن باتجاهي ما زال بعيداً حتى الآن ولكن أتساءل هل سيصل ومتى؟؟

استيقظت بشـهقة طويلـة شـعرت فيهـا بـكل الألـم فـي قفصي الصـدري السـرير مبلل من شـدة عرقـي أو ليـس العرق فقط بـل إنني فعلتهـا بللت نفسـي لقـد تبولت! هـذه أول مـرة أفعلها لا أتذكـر أنني فعلتهـا حتـى عندمـا تركتنـي أمـي أحـاول أن أجمـع شـتات أنفاسـي التـي فقدتهـا فـي هـذا الكابـوس أتلفـت يمينـاً ويسـاراً يبـدو أننـي نسـيت أنني فـي منزلـي الجديـد منزلنا الـذي يقبـع فـي وسـط القبور، كان أبي ليس في الغرفـة بالطبـع إنه فـي مهمتـه هل صرخـت عندما استيقظت؟ لا أظـن ذلـك فأنـا طفـل كتـوم حتـى فـي كوابيسـي لا

أصرخ لو كنت صرخت لكان أبي سمعني وأتى فوراً ماذا أفعل الآن؟ كيف سأخبره بأنني تبولت على نفسي في هذا العمر؟ صحيح أن عمري ما زال ستة أعوام لكنني أشعر بالخجل، لكن الآن أرغب بالذهاب إلى دورة المياه للاغتسال لكن الحمام بالخارج هو ليس بداخل الغرفة صحيح أنه ملتصق بها لكن من الضروري أن أخرج من الغرفة وإذا خرجت فهذا يعني أن منظر المقبرة في الليل سيغري فضولي أكثر هل أبي بالخارج؟ هل هو قريب من هنا؟ لا أعرف لكن حسمت أمري سأذهب للحمام بسرعة بدون أن ألتفت إلى شيء وأعود إلى الغرفة، أبعدت الغطاء عن جسمي الصغير المبلل ونزلت من على السرير متوجهاً إلى الباب كنت خائفاً لا من المقبرة ولا من أبي ولا من أي شيء آخر ولكنني كنت خائفاً فحسب ولا أعرف لماذا ومن ماذا؟

فتحت الباب أصدر صوت صرير مرعباً هبت الرياح الباردة نحوي مع رائحة شيء واحد وهي رائحة التراب، وقفت متجمداً في مكاني الجو كان بارداً وملابسي مبللة بدأت بالارتعاش كان هناك صوت وهو صوت المقبرة نعم المقبرة أيضاً لديها صوت نظرت إليها كانت هادئة جدّاً هدوءاً مرعباً كانت تبدو أجمل في الليل جميلة بشكل مخيف بحثت بعينيَّ عن أبي لكنني لم أرَه قررت أن أوقف عينيّ عن التجول وذهبت بسرعة إلى الحمام لم أكن أعرف كيف أتصرف لذلك اغتسلت فقط فوق ملابسي عالجت الموقف بخطأ هذه تصرفات الأطفال بالطبع ازداد جسدي تجمداً وبرودة الآن أصبحت مبللاً بالكامل قررت الخروج والعودة

إلى الغرفة بسرعة لأن الغرفة دافئة لكن استوقفني صوت عندما وضعت يدي على مقبض باب الحمام سمعت صوت شخص يدندن بشكل مرعب لكنني أعرف هذا الصوت هو صوت أبي إذاً أبي بالفعل لم يكن يمزح إنه يسهر الليل لكي يغني للأموات وهل الأموات يغنون معه كما قال لأمي؟!

***

٢٠٢٣م..

فتحت عينيَّ على صوت أليكسا تخبرني بأن الساعة أصبحت التاسعة صباحاً لحظة مستحيل هل نمت كل هذا الوقت؟ من المستحيل أن أنام هكذا بدون أن أشعر على المكتب؟ أنا إنسان نظامي جداً مهما أفعل من أعمال شغوفة رسم نحت أكتب أعمل على الجهاز على المكتب مستحيل أن أنام وأنا أعمل خارج غرفتي لم أفعل ذلك طوال حياتي هذه أول مرة أفعلها نظرت إلى شاشة جهازي وما زال موقعي «بيتشيني» مفتوحاً على الصفحة ومفتوحة عدة صفحات أخرى أنا حتى لا أتذكر لماذا لا أتذكر ما الذي فعلت؟ وعن ماذا بحثت؟ قررت أن أفتح النوافذ المفتوحة لكي أرى ما الذي بحثت عنه لكن جهازي نفدت بطاريته ويحتاج لإعادة الشحن لذلك لم أغلق شيئاً قمت بإيصاله في المقبس ونهضت من مكاني وأنا أشعر بأن كل عظمة في جسدي على وشك أن تقع أرضاً الصداع يكاد يقسم رأسي نصفين، بالطبع لأن هذه المرة الأولى التي أنام فيها على كرسي مكتب وليس على سريري، ذهبت بسرعة إلى الحمام وتحممت بماء بارد لكي

ينعش روحـي وجسـدي، جهـزت بشـكل سـريع الإفطار لـي ولأبي أعلـم الآن بأنه غاضـب مني لكنـه لا يقول ذلـك كالعادة لكـن أعرف كل شـيء مـن عينيـه فقـط، أسـمع هاتفـي يـرن لا بـد أنهـا ثيـا أو الجامعـة لأن لـدي محاضـرة يجـب أن أعطيهـا لطلابـي اليـوم بعـد سـاعة اليـوم لا يوجـد لـدي أي عمـل فـي المشـرحة فقـط لـدي في الجامعـة وهذا من حسـن حظـي لأن عمل المشـرحة يبدأ من السـاعة السـابعة صباحـاً، وضعـت قهوتـي السـوداء فـي كوبـي المفضـل ارتديـت ملابسـي الأنيقـة علـى عجـل حتى لـو كنـت مسـتعجلاً من المسـتحيل أن أخـرج بشـكل عشـوائي وفوضـوي وضعـت الـدواء والطعـام لأبـي قبلـت جبينـه ووعدتـه أن أعـود مبكـراً لكـي نتنـاول العشاء معاً وخرجت..

أرسـلت لثيا رسـالة نصية أخبرتهـا بأنني سـأراها بعـد الانتهاء من المحاضـرات فـي الجامعـة وأقابلهـا فـي المستشـفى فـي عملهـا تذكـرت أن لدي جلسـة اليـوم معهـا صراحة لم أعـد أهتم لجلسـاتي النفسـية كثيـراً بقـدر ما هـي ليسـت إلا حجـة لكـي أرى ثيا أكثـر وأنا واثق بأن لديها الأهداف أنفسها..

وصلـت إلـى الجامعـة وتعتبـر أكبـر وأفضـل جامعـة فـي البـلاد ولديهـا رقمهـا المتقدم حـول العالـم، كان أحـد أحلامـي أن أدرس بها لكـن شـاءت الأقـدار أن يختلـف الأمـر وعملـت بهـا علـى العمـوم لـم يكـن هنـاك فـي الجامعـة هـذا التخصـص الـذي أنـا أقـوم الآن بتدريسـه وأيضـاً لـم يكـن التخصـص موجـوداً فـي أي مـن الجامعات فـي العالـم حتـى لكـن دعونـي أحدثكـم قليـلاً عـن إنجازاتـي: عندما

وصلت إلى مرحلة الثانوي كنت بالفعل من الطفولة مارست هذه المواهب مثل الرسم والفن وتجميع كل ماهو جميل وغريب لكن عندما دخلت إلى المدرسة الثانوية بدأ الطلاب باختيار تخصصاتهم استعداداً للجامعة لكن خاب ظني عندما لم أجد ما أريد كان هناك تخصص فنون طبعاً وهو يتفرع إلى الرسم النحت الخياطة التطريز وغيرها،، لكن لم أجد فيه ما أريد أخبرني زملائي بأنه لا بأس أن أتخصص في الفنون وأرسم ما أريد رغم ذلك لم أقتنع أبداً رأيت في المدرسة كيف كان الأستاذ بشكل ممل يعطينا الأشياء التي يجب رسمها رأيت كيف في المنهج عرفونا على جميع أنواع الرسم لكن لم يكن هناك الشيء الذي أريده لم يكن هناك عالمي!!

- هل سمعت برسام الموت؟؟

سألني «لوكي» كان شريكي في الطاولة في الفصل الدراسي.

- لا؟؟ من هذا؟

قال بصوت خافت حتى لا يسمعه المعلم:

- يقولون إنه شخصية خيالية وآخرون يقولون بأنه ما زال موجوداً حتى يومنا هذا..

- إذاً وماذا كان يفعل؟؟

سألت بحماس

- كان يرسم رسمات غريبة تعود إلى ضحاياه الذين قتلهم يرسمهم بشكل بشع أي بالمختصر يرسم الجثث التي قتلها كان اسمه «دانيال»..

- وما دخلي في الموضع من هذه القصة؟

سألت بدون مبالاة رغم أنني تحمست كثيراً..

أجاب:

- لا أعرف لكن أنت ترسم أشياء بشعة ومخيفة مثله وتقول إن رسوماتك ليس لها اسم هل تعرف ماذا كان يسميها دانيال؟؟

- ماذا؟؟

- كان يسميها «بفن الكوابيس»..

منذ ذلك الوقت لم أنسَ هذا المسمى وشعرت أنه بالفعل اسم يليق بعالمي أتذكر أنني عدت إلى المنزل وبحثت عن هذا الرجل دانيال في كل المواقع ولكن لم أجد أي شيء عنه!؟ من أين سمع عنه لوكي؟ هل كان يكذب؟ ولكن لوكي صحيح أنه فتىً متنمر قليلاً لكنه لا يكذب نسيت عن هذا الرسام ولا يهمني إن كان حقيقياً أو لا لكن حملت المصطلح والاسم في عقلي ورحت أرسم وأطلق على رسوماتي فن الكوابيس حتى شاركت في يوم ما في مسابقة في أول سنة جامعية بعد أن تخصصت في الطب الجنائي لأن تخصص فن الكوابيس لم يكن موجوداً لي وفازت لوحتي بالمركز الأول على الكثير من المتسابقين الرسامين من جميع الدول الجميع شعروا بالانبهار من طريقة وغرابة رسمي البعض شعروا بالتقزز وآخرون شككوا في عقليتي بأن هذا شخص مريض سأخبركم عن اللوحة لاحقاً، لكن بعدها قرر مدير التعليم أن يطلق تخصصاً بهذا الاسم في الجامعة وأن يتفرع

من تخصصات الفنون وحتى المسمى بالفن المظلم لم يذكره أحد ولم يكن يعرف عنه أحد لذلك تم تعييني فوراً بعد أن تخرجت من سنتي الماجستير في الفن بسبب درجاتي المرتفعة كمعيد أولاً في الجامعة ثم أستاذ ثم استمررت بالدراسة والعمل حتى حصلت على درجة البروفسور وأصبحت بروفسور في مجال فن الكوابيس والفن المظلم، أما وظيفتي في التشريح فقد درست الطب الجنائي والشرعي لمدة خمسة أعوام وتعينت سريعاً بسبب معرفتي المهنية وعلاقاتي وطبعاً مستواي الدراسي وشغفي حتى الآن أيضاً أسعى لنيل الدكتوراه في هذا المجال، كان الجميع يرونني بمظهر الشخص المثالي وأنا حقّاً مثالي لا أعلم هل سيكون لديهم مشكلة إذا عرفوا عن سري أنا أرى نفسي أنني أقدم العلوم المميزة لهذا العالم العلوم المختلفة لماذا الناس يرون أن الاعتناء بالجثث أمر غريب ومرعب ومخيف؟! لا بأس سيأتي اليوم الذي أجعل فيه مسمى «البيتشيني» ينتشر ويصبح علماً مميزاً وشيئاً طبيعيّاً جدّاً..



«الطوفان»

إن الحياة هي الطوفان بحد ذاته طوفان لا نهاية له أنت تنتهي وهو لا ينتهي، هذا الطوفان يحتجزك فيه منذ الولادة وحتى الممات لا مفر الفائز الوحيد هو الذي يقاومه بكل إصرار نستطيع مواجهة هذا الطوفان بالحب والشغف والقوة والصبر والمثابرة بالقرب من الأشخاص الذين يحبوننا ونحبهم إذا لم نفعل كل هذا فسيمزقنا الطوفان إلى أشلاء بدون رحمة!

عن نفسي ولدت في الطوفان وفي قلب قبر في مقبرة أعتقد لا يوجد طوفان أقوى مني لذلك شعرت بأنني لا أحتاج إلى أحد طوال حياتي لطالما أحتاج إلى نفسي والفن وجثثي..

دخلت إلى الجامعة في يوم جديد لم أكن مستعداً أن أعطي أي دروس لأي أحد لكن يجب علي فعلها في كل الأحوال، كان عقلي منشغلاً بتصميم موقعي الجديد والغوص أكثر في هذا المجال رغم خبرتي فيه إلا أنه ما زال في عقلي مئة سؤال ومليون فكرة ومنها: هل هناك أحد مثلي في هذا العالم يعتني بالجثث أم أنا فقط؟ أشعر بأنه أنا فقط هذا العالم مخيف إنهم لا يعتنون بالأحياء فكيف يعتنون بالأموات؟ إن كل ما رأيته في اليومين السابقين في تلك المواقع

المظلمة أن الجميع يستغلون الأحياء ويستغلون الأموات إذاً لماذا ما زلت أتساءل إن كان هناك أحد مثلي؟ شعرت بشعور رائع لطالما أعرف أنني مميز ومختلف عن هذا العالم ولا أحد مثلي بالطبع لا يوجد أحد مثلي هذا ما قاله لي أبي ذات مرة والآن أنا أعرف...»

- صباح الخير بروفسور «ظل»..

قاطع أفكاري صوت هذا الشخص من خلفي إنه أستاذ في قسم الفنون لطالما كان يغار مني ويحسدني ويقلل مني لكونه الأكبر سنّاً مني ولم يحقق شيئاً في حياته سوى أنه يعطي دروساً في الفشل لطلابه ويسمي ما أفعله شعوذة وسحراً ويتهمني بأنني أملك واسطة وليس شغفاً أو ذكاء!

- صباح النور أستاذ...!! ذكرني باسمك؟

سألت متعمداً وأنا بالطبع أعرف اسمه..

أجاب وهو يحاول أن يخفي غضبه:

- أستاذ «لويس» هل من المعقول نسيت أسماء زملاء المهنة لأنك أصبحت بروفسور؟

- لا بالطبع أساساً أنا لا أملك أي زملاء لا مهنة ولا خارج المهنة لذلك لست ملزماً أن أحفظ أساميكم، والآن أخبرني هل هناك شيء؟ لأنني مستعجل لدي محاضرة..

- لا تقلق لن آخذ من وقتك الثمين أردت فقط أن أهنئك على حصولك على هذه الدرجة العلمية..

قالها بامتعاض.

- غريب!! أن تقوم بتهنئتي لكن على كل الأحوال شكراً هل هناك شيء آخر الآن؟

- لا، تستطيع الذهاب..

استدار متذمراً بقوله: وغد مغرور! كنت أسمع هذه الكلمات كثيراً في مجال عملي لأنني لا أختلط بأحد ولا أتحدث مع أحد سوى طلابي أنا لست مغروراً لكنني لا أحب الأحياء..!

- صباح الخير على الجميع..

- صباح النور أستاذ نقصد بروفسور..

رد الطلاب مازحين بعد أن جلس كل طالب مكانه بعد أن كانوا مبعثرين في جميع أنحاء القاعة، أعرف أن جميع الطلاب الذين قمت بتدريسهم يخافون مني بسبب غرابة أطواري وتصرفاتي الجافة معهم لكن في نهاية الأمر تنتهي السنة الدراسية وهم متعلقون بي معجبون بقدراتي ومواهبي وفني وطريقة تفكيري الغريبة ولطالما ثمانون بالمائة من طلابي يكررون هذه الكلمة:

- «أريد أن أصبح مثلك في المستقبل»..

وأنا أرد في عقلي:

- لا، صدقوني لا تريدون لا ترغبون بأن تحتفظوا بجثث في منازلكم..

مع كل محاضرة معتاد أن أبدأ بكلمة افتتاحية سواء كانت هذه الكلمات تخص موضوع المحاضرة أو تخص الحياة أو

الموت حتى أو الفنون لكنني لا أعطي أي كلمات إيجابية أو تشجيعية لا أحب أن أمثل هذا الدور أبداً وهذا ما يجعل طلابي يحبونني فهم يشعرون بالملل من الأساليب المكررة والمملة للمدرسين أجمعين:

- «إن الجمال والفن وجهان لعملة واحدة من المستحيل أن نذكر الجمال بدون أن نذكر الفن والعكس صحيح، لطالما عشت حياتي وأنا أنظر بعين واحدة وهي عين الفنان وعين الفنان لا تخطئ حتى عندما رأيت الأشياء والمناظر البشعة رأيتها بعين الفنان لكي تظهر لي بشكل مختلف إن الفنان لا يمكن أن يكون فناناً إذا لم يرَ الأشياء القبيحة فنّاً أو جمالاً لأن الفنان هو خالق الأشياء الجميلة هدف الفن هو الكشف عن الفن وإخفاء الفنان لا يوجد فنان لديه تعاطف أخلاقي الفنان المتعاطف أو التعاطف في الفن هو أسلوب لا يغتفر لا يوجد فنان مريض على الإطلاق يمكن للفنان التعبير عن كل شيء الفكر واللغة هما أدوات الفنان للفن الرذيلة والفضيلة هما مواد الفنان للفن، الفن لا يعكس شخصية الإنسان الحقيقية بل على العكس الفن يشتت حقيقة وشخصية الفنان لذلك نجد أغلب الفنانين لا يعرفون حتى أنفسهم ولا يعرفون من هم؟»

انتهيت من كلماتي الافتتاحية لمحاضرة اليوم في أول محاضرة من الفصل الدراسي الثاني رفعت إحدى الطالبات يدها:

تفضلي يا «سارة».

كانت سارة إحدى طالباتي المتفوقات وهي رسامة ماهرة وفتاة مثقفة ذات فكر عالٍ لكن نادراً ما أخبر طلابي بذلك وأمتدحهم فأنا لا أحب أن أمتدح أحداً إلا في الدرجات كل طالب يأخذ بالطبع ما يستحقه على مجهوده:

- «إذاً يا بروفسور أنت تقصد أن كل رسام أو فنان لديه اضطرابات نفسية أليس كذلك؟»

- أنا قلت: أغلب الفنانين لا يعرفون أنفسهم وهذا ليس اضطراباً أبداً.

أجبتها

رفع طالب آخر يده:

- تفضل «روس»

- أتوقع يا بروفسور ليس جميع الفنانين يتفقون معك، إن فنانة الفن المظلم والكاتبة «ماريا» قالت في إحدى رواياتها: إن «كل رسام كئيب وكل كئيب رسام» وهذا يوحي بأن كل رسام أو فنان لديه ميول مرضية حتى إن أغلب الرسامين ينتهي بهم المطاف بالانتحار!..

- بالنسبة لما قالته الكاتبة أو الرسامة هذه وجهة نظرها بالطبع، وبالنسبة إلى أن بعض الرسامين ينهون حياتهم من أخبرك بأن الفن هو السبب؟؟

سكت «روس» ولم يرد، ثم استرسلت في حديثي:

- لقد قلتها سابقاً قبل أيام: إن الفن ليس له علاقة بالاكتئاب أو الانتحار أو الأمراض النفسية، إن الفن غير مسؤول عن كل ذلك وإن النفس البشرية هي وحدها مسؤولة يجب على كل شخص أن يراجع نفسه بعد كل فترة وفترة ويبحث في أعماق روحه والسبب وراء تدهور نفسيته؟ الحياة عادة ما نرمي عليها الاتهامات وان ضغوطات الحياة هي السبب لكن أيضاً ليس صحيحاً الإنسان وحده مسؤول عن الظلمة في روحه والأشخاص حوله هم المذنبون إن البشر مخيفون لدرجة أنهم هم السبب في كل هذه الظلمة سواء كانت لنفسه أو لغيره، لكن الفن وسيلة للعلاج وليس للموت بالنسبة للفن المظلم هو فن ناتج عن ضغوطات الإنسان مما رآه في حياته من الأشياء المهولة التي شاهدها وعاشها وعانى منها..

قاطع حديثي طالب آخر وهو رافع يده، رغم أن كل أستاذ أو محاضر أو مدرس يعطي وقتاً معيناً للأسئلة لكن أنا أحب أن أناقشهم وأستمع إلى أسئلتهم طوال الوقت:

- تفضل..

- «إذاً يا بروفسير تقصد الأشخاص المتمرسين في هذا المجال أو أن الفنانين هم فقط الأشخاص الذي عانوا في حياتهم؟ لكن من الممكن أن شخصاً يرسم هذه الأشياء بدون أي معاناة مر بها مثلي؟؟!

ضحك الطلاب بعد كلماته»»»

- حسناً سؤال جيد أولاً يجب أن تقول شكراً لله أنك لم تعانِ في حياتك ثانياً ما زلت شاباً صغيراً وأمامك حياة طويلة ثالثاً لربما ترسم هذا الفن المظلم بسبب جينات انتقلت لك من عائلتك وما أقصده أن بعض الأشخاص يرثون جينات من عائلتهم مثل المرض النفسي ولربما حياتك سعيدة جيدة لديك كل شيء الأشخاص الذين يحبونك حولك ناجح سعيد حياة متكاملة ورغم ذلك نرى أنهم يعانون من الاكتئاب أو الأمراض النفسية لماذا؟؟ هذا يعني على الأرجح أن هناك جينات أحدِ عائلته انتقلت إليه.. لذلك هل هناك سؤال آخر قبل أن نبدأ المحاضرة؟؟

- لا..

- إذاً دعونا نبدأ.. اليوم سنتحدث عن حركة الفن المظلم ومن أين بدأت؟

يبدو ظاهريًا أن تعريف الفن المظلم يجب أن يكون بسيطًا نسبيًا، نظرًا لأن أولئك الذين يزعمون أنهم يقومون بإنشائه يتشاركون في العديد من السمات كفنانين واهتمامات كأفراد. ومع ذلك، لا يمكن القول إن جميع لوحات الجماجم هي فن داكن، وبما أن وجود موضوعات «مظلمة» يعد أمرًا ثابتًا في العمل الإبداعي عبر التاريخ، فيجب علينا إيجاد طريقة للتوفيق بين هذا وبين ما يعد مجال عمل جديدًا نسبيًا.

تاريخ من الظلام:

ليس هناك شك في أن الموضوعات المرتبطة بالفن الأسود - الوحوش، والموت، والاضمحلال، والظلام الحرفي، هي جزء من المساعي الإبداعية التي تمتد إلى عصور ما قبل التاريخ. تتكون بعض سجلاتنا المبكرة للأعمال الفنية البشرية من مشاهد لحيوانات مخيفة ومقتولة. تضمنت الكثير من الإبداعات الدينية للحضارات المبكرة والحضارات الأصلية قوى الدمار التي يجب إبعادها، والكيانات التي تجسد الحيوانات المفترسة، والمؤثرات النفسية التي يجب تبجيلها والتفاوض معها.

يمكن رؤية أصداء المفاهيم والأيقونات الخاصة ببعض هذه الفنون الأسطورية والثقافية بوضوح في العمل المعاصر، ولكن يبدو أنه من قبيل الغطرسة الادعاء أن هذه الزخارف العالمية تنتمي إلى الفن الداكن.

وبالمثل، يمكننا العثور على العديد من الفنانين والأعمال الفنية عبر التاريخ المسجل والتي يبدو أنها تتناسب تمامًا مع فئة الفن الداكن. أبرزت العديد من صور الصلب في القرنين الخامس عشر والسادس عشر تفاصيل مروعة وتشريحًا مليئًا بالألم، بينما بدا كارافاجيو مصممًا على دمج الظلام والدماء والمعاناة الشخصية في كل قطعة يستطيع القيام بها. ظهرت الفانيتاس، التي تتناقض بين الثروة والقوة مع طبيعة الحياة سرعة الزوال وحتمية الموت (غالبًا ما يتم تمثيلها من خلال تصوير تفصيلي للجماجم) في القرون التي تلت ذلك،

وأصبح استخدام بقايا الهياكل العظمية شكلاً قياسيًا للدراسة في تعليم الفنون.

وبالانتقال إلى العصر الحديث وما بعد الحداثي، نجد غويا وبيكون وبورجوا وهيرست وعدداً لا يحصى من الآخرين ينتجون أعمالًا لا تبدو في غير محلها في معرض للفن الداكن، ومع ذلك فمن المؤكد أن هؤلاء الفنانين لم يكونوا يعتبرون أنفسهم ضمن هذا العصر. مجموعة العمل التي نناقشها.

من أين بدأ؟؟

لا يوجد تاريخ محدد أو زمن معين لبداية حركة الفن المظلم من الممكن أنه بدأ قبل قرون لكن لم يسمع به أو يعرف به أي أحد! ومن الممكن أنه بدأ في العصر الحديث؟ لكن في كل الأحوال لم يتم نشره واعتماده إلا في السنوات القليلة الماضية وأيضاً شاهدنا العديد من اللوحات المفجعة مثل الصرخة وغيرها وهذه كلها قديمة لكن لم يعترف بها أو لم يتم تسميتها بالفن المظلم إلا في وقت حديث..

يمكن للفن أن يربطك في حالة من التناقض العاطفي. بالنسبة للبعض، يفضل تجنب هذا القلق، ولكن هناك العديد من الأمثلة على مر القرون التي تمثل شهوة البشرية نحو الجانب المظلم من الواقع. الدين والأساطير واستكشاف النفس البشرية... لقد شهدنا جميعًا أعمالًا فنية تثير هذه المشاعر المتناقضة، وكان ظهور هذا النوع من الفن – الذي يوصف غالبًا بالفن المظلم – في نمو مستمر.

أكثر سؤال أتلقاه هو: هل يمكن تعريف أو شرح الفن الداكن؟

حسنًا، إنه سؤال يصعب الإجابة عليه نظرًا لأن الفن موضوعي للغاية، لكنني سأحاول الإجابة عليه لتوضيح المصطلح.

في هذا النوع من الفن المظلم، ينقل الفنان أفكاره بطريقة غامضة للغاية، وفي بعض الأحيان، يجمع بين العناصر السريالية. الأفعال الفظيعة والمشاهد المروعة تجعلنا نتوقف ونفكر في أنفسنا. مشاهد مذهلة بصريّاً، حيث يهيمن اللون الأسود على كافة الألوان. إنها محاولة لفهم الطبيعة الإنسانية بشكل أعمق، وهذا الجانب البدائي للإنسان الذي كنا نظن أنه منسي، لكنه لا يزال يربكنا بدوافعه.

يرتبط الفن المظلم ارتباطًا وثيقًا بالفن النقدي أو الفن الاحتجاجي، لأن كل عمل من هذه الحركة يشير إلى سبب أو رسالة معينة. إنها حركة لنشر رسالة للجمهور تعلن فيها شكوى أو انتقاداً. لهذا السبب، يثير الفن الداكن في العديد من المناسبات الجدل والخلاف بين المشاهدين الذين لا يعرفون أو لا يفهمون الرسالة الأصلية للعمل الفني.

استرسلت في حديثي بعد أن فتحت لوحة العرض «البروجكتر» وعرضت صورة رسمة لحيوان مسلوخ:

مثال:

في العمل الفني "روي" لإد شاب، نرى حيوانًا مسلوخًا وخائفًا ويتألم بسبب التعذيب الذي يتعرض له. بهذه الصورة الحزينة

يحاول الفنان تصوير الألم والقسوة اللذين يعرض البشر الحيوانات الأخرى لهما من خلال سلخها، حتى في بعض الأحيان وهي لا تزال على قيد الحياة. بهذه الصورة المزعجة والصادمة، يحاول الفنان لفت انتباه المشاهد وجعله يفكر في الأضرار غير الضرورية التي نلحقها اليوم بالحيوانات من خلال زراعة الفراء، لمجرد أن نتمكن من الحصول على ملابس وإكسسوارات عديمة الفائدة؛ فجور المادية.

ومع ذلك، إذا لاحظنا هذه الصورة خارج سياقها، فقد يعتقد المشاهد أنها اعتذار عن زراعة الفراء، أو عن تعذيب الحيوانات، أو أن الفنان (وهو نباتي في هذه الحالة) يستمتع برسم هذه المشاهد المروعة. لهذا السبب، يمكن للفن المظلم أن يثير الجدل أو الخلاف، ولكن إذا عرفنا الرسالة وفهمناها، فإن الفن المظلم نقي ورائع.

انتهيت من المحاضرة وبدأت بحزم أغراضي وبدأ الطلاب بالخروج من القاعة عندما لفت انتباهي صوت رنين إشعارات هاتفي فتحته لأجد إشعاراً على الإيميل من موقع «بيتشيني»! علمت بأن الزوار بدؤوا يطلعون على الموقع حتى وهو فارغ ولم أدون بعد فيه أي شيء! أعدت هاتفي في جيبي وعندما هممت بالخروج استوقفني شاب من الطلاب:

- أعتذر بروفسور لكنْ لدي شيء أخبرك به..

قالها بعد أن بدا عليه التوتر والربكة بشكل غريب..

- لكن انتهى وقت المحاضرة وأنت تعرف أن معه ينتهي وقت الأسئلة والاستفسار لنؤجله إلى المحاضرة القادمة..

أجبته وأكملت طريقي خرجت من القاعة كنت سأذهب إلى المنزل لأرتاح قليلاً لأن اليوم الثلاثاء وهذا يعني أن لدي وظيفة أخرى مساء في المستشفى «كمشرح وطبيب شرعي» لكن رأيت أن ثيا أرسلت لي أنها يجب أن تراني فوراً ولا أستطيع أن أرفض لها طلباً بالطبع خصوصاً رؤيتها..

***

«سجن الطوفان»

«ثيا»..

أتذكر عندما رفض أبي رفضاً باتّاً أن أدرس هذا التخصص وكأنه كان يملك مشاعر سلبية حول المستقبل أو أنه أخبره دجال أو قارئ البطاقات المستقبلية لكنني أصررت تماماً كان حلمي أن أصبح إخصائية نفسية جنائية حلمي أن أختلط بالمجرمين وأفهم دوافعهم أفكارهم حياتهم تخيلاتهم أن أسمع همزات الشياطين التي توسوس لهم كما يدعون! كان كل شيء على ما يرام كانت حياتي أقرب إلى أن تكون مثالية أنا وأمي وأبي وأخي الذي كان السبب الأول في دعمي ووقف في وجه والدي لكي يسمح لي بالدخول في هذا المجال كنت أظن أنني خارقة عندما ساعدت الشرطة في القبض على قاتلين كثيرين عندما ساعدتهم على سحب الاعتراف من المجرم، كنت أظن أنني خارقة عندما

أتمكن من الدخول إلى عقول المجرمين والمختلين عقليّاً كنت أظن أنني خارقة عندما تلاعبت بأفكار أحد القاتلين المتسلسلين وتسرعت بالحكم عليه بأنه وقع بفخي وفخ الاعتراف لكنه كان أذكى بمسافة عشرات الملايين من المترات مني! كان أذكى وأدهى إنه يملك عقل شيطان وليس عقل إنسان عندما تحديته واخترت أن ألعب معه ظنّاً أنه لا شيء أمامي أخذني الغرور وسيطر علي جنون العظمة بعد أن أخذت الموافقة من الشرطة بأنه سيعترف بجرائمه ومكان ضحايا الجثث التي لا يعرف عنها أحد ولكن الشرط الوحيد أن يذهب هو بنفسه إلى المكان وبالطبع معه أنا والشرطة أو جيش من الشرطة لم يكن لديه بالطبع مانع لأنه أساساً مسجون ومحاكم لكن لم أظن أنه واصل إلى درجة الذكاء والخبث التي وصل إليها بعد أن وصلنا إلى المكان المحدد وكان غابة بعيدة كل البعد عن العاصمة وقال إنه يدفن الجثث هنا ونحن في الطريق وعندما اقتربنا حيث كان يركب في جيب الشرطة وأنا كنت معه وكان معنا اثنان من الحرس، وكانت أمامنا سيارتان وخلفنا ثلاث سيارات كان موكباً مصغراً يزف المجرم لكي يكشف لنا عن ضحاياه لكن لم نكن نعلم بأنه يتلاعب بنا فقط وهذه مجرد خطة هروب ويخلف خلفه مجزرة!!

وعند اقتربنا من الغابة في ذلك الطريق غير المعبد المظلم توقفت السيارتان اللتان أمامنا مما أدى إلى توقفنا نحن والتي خلفنا، من هنا نبض قلبي شعرت بأن هناك شيئاً خاطئاً يحدث!؟

- ماذا يحدث؟

سألت الشرطي السائق الذي معي وقال إنه لا يعلم سينزل ويرى ما خطب السيارتين اللتين في الأمام ولماذا توقفتا! وبالفعل نزل السائق من السيارة وتركني أنا والحارس الذي في الخلف والحارس الآخر الراكب في المقعد بجانب السائق ما أن نزل السائق نظرت إليه وكان ينظر إلي بعينين ثاقبتين نظرات مرعبة وواثقة أنا لا أخاف أبداً من المجرمين لأنني معتادة على هذه النظرات وهذه التهديدات لكن نظراته في تلك الليلة كانت مختلفة كليّاً ابتسم ابتسامة مفزعة لا تقل رعباً عن نظراته ثم رفع كفه ونحن ننظر إليه ونتساءل ماذا يفعل؟ كان يواجه صعوبة في رفع كفه لأنه مقيد بالسلاسل لكن رفعها وفتح أصابعه الخمسة وبدأ يغلق أول أصبع بصمت مرعب وأغلق ثاني أصبع استطعت ان أسمع دقات قلوب الحارسين اللذين معي وأغلق ثالث أصبع سمعت صوت قلبي أيضاً وأغلق رابع أصبع بدأ العرق يتصبب مني أغلق خامس وآخر أصبع أنفاسي ضاقت أكثر ما أن أردت فتح فمي والتحدث إليه إلا وسمعنا صوت إطلاق نار بالخارج!! كان تبادل إطلاق نار مجنوناً بين الشرطة وبين أشخاص مجهولين خرجوا من العدم وكأنهم أشباحه أو شياطينه، كل شيء في تلك الليلة المرعبة التي كانت كالكابوس حدث بسرعة لربما في دقائق أو ثوانٍ لا أعرف لكن عندما أردنا أن نخطو خطواتنا الأولى أنا والحارسان الاثنان بحركة سريعة ذلك المختل ضرب الحارس الأول برأسه نطحه بدون مبالغة نطحة الثور لضحيته الماعز

أن الشرطي تأثر وتحطمت جمجمته لكن المختل لم الغريب أن الشرطي تأثر وتحطمت جمجمته لكن المختل لم يصبه أي شيء بعدها سحب بسرعة سلاح الشرطي وأطلق النار أمامي على جمجمته وأطلق النار على الحارس الآخر!! بالطبع تعرفون مساحة الجيب كيف هي مساحة صغيرة جداً لذلك امتلأ بمخ ودماء ولحم متناثر من جماجم الحارسين أما أنا فحدث هذا أمامي في ثوانٍ ولم أصرخ من شدة الصدمة أو من سرعة الموقف جلست وأنا ملطخة بالدماء مذهولة مرعوبة خصوصا بعد أن عمَّ الهدوء في الخارج وتوقف صوت إطلاق النار ولم يعد أحد من الشرطة هذا يعني أن الجيش المخفى انتصر استسلمت في تلك الليلة فقلبت بالتأكيد سيقتلونني أنا المتبقية لكنه قال لي بصوت مرعب:

- «لا تقلقي لن أقتلك اعتبريه شكراً وامتناناً مني لأنك أقنعتِ المحكمة والشرطة بإخراجي من ذلك السجن هذه تعتبر مساعدة مبطنة منك لذا سأتركك حية علاوة على ذلك أنا لا أقتل النساء وأيضاً ما زال هناك ألعاب سنلعبها معاً في المستقبل أيتها الطبيبة سأقدم لك جائزة مثالية لن تنسيني مدى حياتك»

نزل من السيارة بعد أن فُتح له الباب بكل هدوء تنفس الصعداء واستنشق الهواء الملوث برائحة دماء الشرطة نظر إلي مبتسماً وقال:

- «أراك لاحقاً»

الغريب توقعت أن يذهب مع رفقائه في سيارة لكن حتى هم لم يملكوا أي سيارة لم أرَ وقتها أي سيارة أخرى وظهروا فجأة من الغابة المظلمة أو حتى لم يظهروا وكان الرصاص فقط من ظهر لأنني لم أرَ أي مخلوق وعندما انفتح الباب لم أرَ أيضاً أي أحد وكأن الباب انفتح وحده أو أنا كنت مشوشة لا أعرف وكل ما أعرفه أنه دخل وحده سيراً على الأقدام أمام عينيّ إلى الغابة وهو يدندن واختفى وكأن الظلام ابتلعه..!

هذا كان ملخصاً «للكابوس» اللقب الذي أطلقه العالم على هذا السفاح والقاتل المتسلسل «آرلند فرانكلين» وهذا هو اسمه الحقيقي لقب بالكابوس لأنه كان وما زال كالكابوس الذي لا يستطيع أن ينام منه سكان مدينتنا منذ عشرة أعوام وأنا ما زلت مراهقة في المدرسة وبعدها دخلت إلى الجامعة وبعدها توظفت وهو ما زال مستمراً بالقتل، يقتل الرجال أو بالأصح الشباب الذين في عمر الزهور تتراوح أعمار ضحاياه بين الخمسة والعشرين وحتى الخمسة والثلاثين! كان يقتل بعد منتصف الليل وهذا أيضاً سبب آخر لتسميته بالكابوس أيضاً ضحاياه لم نجد لهم لا جثثاً ولا أثراً إلا علامة واحدة وهي بعد أن يأخذ الضحية يترك العلامة في المكان نفسه الذي أخذ منه الضحية وهذه العلامة هي حلوى! كان يترك حلوى قديمة جداً حتى إن الأسواق في هذا الزمن والمتاجر لم تعد تبيعها وأيضاً الشركة والمصنع اللذان قاما بصنع هذه الحلوى مع التحقيق اكتشفنا أنهما أفلسا منذ أعوام طويلة وأغلق مصنعهم وأن صاحب المصنع مات أيضاً

منذ فترة المعـروف أن هـذه الحلـوى كان الأطفـال يقومون بشـرائها على أنهـا أقـراص منومـة وتبعـد الكوابيـس أيضـاً أخبرنـي أحـد المحققيـن الممسـكين بخـط القضيـة قـال أيضـاً إنـه كان يشـتريها عندمـا كان طفـلاً رغـم أن عمـره الآن سـبعة وأربعـون وهـو أكبر من القاتل بسـت سـنوات كل شـيء غامض حول هـذه القضيـة والمجرم لا يقـل غموضـاً ورعبـاً عـن المجرميـن أيضـاً هنـا لكـن هـذا القاتل لا أسـتطيع أن أنسـاه طوال حياتي لا أنـا ولا عائلتي ليس فقط بسـبب أنه هرب بسبب غبائي أو جنون عظمتي لا!!

عندمـا هـرب نزلـت مـن السـيارة كان المنظر أشـبه مـا يقـال عنه مجزرة تلفـت حولـي فـي صدمـة كانـت جثـث الشـرطة ملقـاة بكل مـكان ودماؤهـم أصبحـت نهـراً جاريـاً علـى ذلـك الطريق لـم يكن فيهـم ولا أحد حـي أو ينـازع أو يحتضـر حتـى كان جميـع الرصاص فـي رؤوسـهم بـدون أي خطـأ فـي الهـدف وقفـت فـي الظـلام والضبـاب فـي المنتصـف بيـن الجثـث وصرخـت أخيـراً وفقـدت الوعـي، اسـتيقظت وأنا فـي المستشـفى لكـن لـم يكـن هنـاك أي أحد حولـي انتظـرت مـا يقـارب نصـف سـاعة ولـم يـأتِ أحـد سـوى الممرضة التي كانت ترمقني بنظرات غريبة وتذهب!

قلبـي ازدادت نبضاتـه عندمـا لـم أرَ أحـداً مـن عائلتـي معـي لأن هـذا الشـيء مسـتحيل تمامـاً مسـتحيل أن أدخـل المستشـفى بعد أن حدث شـيء خطيـر معـي كهـذا ولا تأتي أمـي أو أبـي أو أخي أنـا إذا حدث معي شـيء بسـيط حتى جرح بسـيط مـا أن أفتح عينـيّ أجدهم الثلاثة يقفون أمامي!

تعبت من التفكير بدون إجابات واضحة قلت لنفسي: لربما لا يعرفون ما حدث أو ربما لم يخبرهم أحد لكن على ما أظن أن الأخبار والعالم تتحدث عن هروب الكابوس! لقد صعقت عندما علمت بأنه مضى على وجودي يومان! يومان في المستشفى كنت فاقدة الوعي من شدة الصدمة يومان إذاً أين عائلتي؟ نهضت بثقل وأشعر بأن صداع العالمين أجمع يعبث في رأسي أردت الخروج من الغرفة سرت باتجاه الباب بخطوات مرتعشة لم تعد أقدامي قادرة على حمل جسدي فتحت الباب إذ يسده جسم ضخم أسود من رائحته الجميلة عرفت أنه الظل الخاص بي في حياتي الذي لطالما كان مثل اسمه ظلّاً يلازمني ويحميني من حرارة شمس الحياة يحميني من عواصف الحياة ومن رياحها...:

- إلى أين تذهبين؟؟

سألني ظل بعد أن أمسك بجسدي الهزيل وحملني وأعادني إلى السرير ثم أكمل حديثه:

- أنتِ ما زلتِ مريضة وجسدك متعب لماذا نهضتِ؟؟
- أين أمي وأبي وأليكس؟؟ أنا استيقظت منذ ما يقارب ثلاث ساعات ولم يأتِ أحد؟!

سألت بصوت واهن

- لا تقلقي لقد أخبرهم الطبيب بأنك ستنامين طويلاً بسبب الصدمة النفسية من الممكن أن تنامي لمدة ثلاثة أيام أو أسبوع لكنك أقوى من ذلك، لذلك الطبيب أخبر والديك

أنه ليس من الفائدة لهما أن يظلا هنا لراحتهما أقنعتهما أن يذهبا ويرتاحا في المنزل وأنا سأبقى معك..

لم أقتنع بكلام ظل أبداً أعلم أن أمي من المستحيل أن تتحرك من مكانها وتتركني أعلم حتى لو شعرا بالتعب سيظل أليكس معي هنا أعلم بأن عائلتي لا تتركني في المستشفى أبداً وحدي أتذكر أن أمي تكره ظل ولا تحبه لأسباب لذلك لم يتوفق ظل في الكذب كيف أقنعها وهي لا تحب حتى أن تسمع صوته؟ أعرف جيداً أن ظل أساساً لا يعرف أن يكذب ولا يجيد الكذب أبداً!

- ظل إذاً أعطِني هاتفك دعني أتصل بهم فحسب..

سكت ظل بعد أن سمع طلبي علمت بأنه لا يعرف أن يكذب طويلاً ثم قال بعد صمت خمس ثوانٍ:

- لقد أخبروني بأنهم قادمون في الطريق لذلك أنتِ استرخي الآن وسيصلون قريباً..

- إلى متى ستكذب علي أين عائلتي؟؟

صرخت في وجه ظل بعد أن نفد صبري من هذه المحايلة المملة ثم تابعت:

- أرجوك يا ظل أخبرني أين أمي وأبي؟؟

فُتح الباب عندما رأيت أبي شعرت بأن روحي عادت لكن سرعان ما تناثرت مرة أخرى عندما رأيت ملامح أبي التي تبدو

وكأنـه لوحـة مرسـومة عنوانهـا الحـزن!! وجهه شـاحب ومزرق في آن واحـد لـم أرَ أمـي معـه ولا أليكس أخـي، عندمـا وصل إلـي نظرا بعضهمـا إلـى بعـض هـو وظـل نظـرات غريبـة مريبـة حـزن خوف! نهـض ظل مـن جانبـي ووقـف علـى مسـافة قليلة مـن السـرير جلس أبي بجانبـي بابتسـامة باهتة متنهـداً احتضنني بيـده البـاردة التي كانت تبدو وكأنه للتو خرج من ثلاجة الموتى وهو بالفعل!

- هل أنتِ بخير يا ابنتي؟

سألني بصوت مكسور..

- نعم أنا بخير يا أبي لكن ما الأمر أين أمي؟

سألت بتوتر

- والدتك إنها بخير لكن.. سكت لثانية ثم أكمل بخنقة:
- هي ليست بخير لكي تأتي إلى هنا..

نهضت من أحضانه بأعين دامعة وأيادٍ ترتعش أمسكت بذراعيه:

- مـاذا تقصـد بأنهـا ليسـت بخير؟ مـا الذي حـدث أين هـي أين أمي؟؟

- اهدئي والدتك بخير هي مريضة فقط،،
- مريضة كيف؟؟ إذاً خذني لها على الأقل..
- بالطبع سنذهب الآن..

قال بحسرة

- نذهب إلى أين؟ وهل هي بالمنزل أو المستشفى؟ هل «أليكس» معها صحيح لهذا لم يأتِ إلى هنا؟! حسناً إذاً دعنا نذهب إليها هيا يا أبي..

نزلت من على السرير لكن أمسك أبي بيدي وأوقفني ما أن التفت إليه رأيت دموعه تنهمر على وجهه كالشلال إنها أول مرة في حياتي أرى أبي يبكي بهذه الشدة علمت بأن حياتي ستتغير من هنا علمت بأن دموع أبي ستغرقنا جميعاً:

- أبي!! ما الأمر لماذا تبكي؟؟

سألته وأنا أرتعش نظرت إلى ظل وكانت ملامحه لا توحي بأي شيء لطالما كان ظل لا يستطيع إظهار مشاعره أبداً سواء بالتعبير الجسدي أو اللفظي ولطالما أعرف ذلك لأنني طبيبته لكنني علمت في تلك المرة أن عينيه كانتا حزينتين جداً كانتا خائفتين علي كان خائفاً هل سأتحمل الصدمة التي سيقولها لي أبي أو لا؟!

- أليكس ابني أليكس..! نطق أبي أخيراً بتردد وتمنيت لو أنه لم ينطق!!

- أليكس ما خطب أليكس يا أبي؟؟

لقد،، لقد قتله ذلك الشيطان «آرلند» قتل أليكس أخذ ابني مني لقد قتل شقيقك يا ثيا بعد أن هرب منك مباشرة لقد قتله بدم بارد وبأبشع الطرق أيضاً..

انهار والـدي تمامـاً بعـد أن قـال هـذه الكلمـات لي مسك على قلبه وبـدأ يعتصـر ألمـاً وقهراً ركـض ظل إلـى الخـارج وقـام بمناداة الأطباء أما أنـا فلم أعـد أعـي مـن أنـا؟ وأيـن أنـا؟ ومـاذا يحدث حولـي؟ كل شـيء أصبح ظلامـاً مـن حولـي فقـدت الرؤية والسمع والتنفس أيضاً ذهبـت أسير وكأنني منومـة مغناطيسـيّاً خرجت من الغرفـة وكان الأطباء يدخلـون راكضين على أمـل أن ينقـذوا أبي، أما أنا فاستمررت بالسير في دهاليز المستشـفى بدون أن أدرك شـعرت بأن الأرض تهـوي بي مئة مرة شـعرت بأنني سُـحبت أسـفل الجحيم أكـرر في نفسـي: هـذا كابـوس إنـه مجـرد كابـوس وسأسـتيقظ قريباً إنه كابـوس لكـن كان بالفعـل الكابـوس الحقيقـي هو ذلك الشـيطان الآن فهمـت عندمـا قـال لـي: سـأجهز لـك هديـة كمكافـأة لـي على مسـاعدته ذلـك الحقيـر كانـت تحركاتـه أسـرع ممـا ظننـت لقـد قتل أخـي الوحيـد قتـل ضـوء حياتـي ذلـك السـفاح قتـل نصـف روحي أخذ مني كل شـيء لقـد قلب حياتي رأسـاً علـى عقب علمـت بعدها أننـي لن أكـون ثيـا المرحة التـي كانت تنظـر إلـى الحياة بنظرة مشـعة إيجابيـة علمـت بأننـي سـأصبح ثيـا مختلفة ثيـا تفكـر بتفكيـر عقول مجرميها الذين تجلس معهم أكثر من جلوسها مع عائلتها..

«أن تفكـر كمجرم أن تفكـر كعقولهـم تمامـاً هذا سـيقودك نحوهـم والانتصـار عليهـم أيضـاً سـيقودك نحـو الهاوية لربما أسفل الجحيم لذلك انتبه..»

كانت هـذه آخر جملـة ختمـت بهـا محاضرتـي لطـلاب التحليل الجنائي، رفعت هاتفـي رأيت أن ظل أرسـل لـي بأنه قادم وسنتقابل في مكتبي فـي المستشـفى الذي نعمـل به، ابتسـمت عندمـا رأيت أنه رد علـي خـلال دقيقـة واحـدة لأنـه دائمـاً مـا يتأخـر بالـرد وهـذا يغضبنـي لكـن رغـم ذلـك ليس المهـم فـي مـن يـرد عليـك أولاً وسـرعة الـرد أو تأخـره فـي الهاتـف المهـم أن يكـون معـك هـذا الشـخص كظلك في كل مـكان ولطالمـا كان ظل ظلي فـي كل مكان في حياتـي، عندمـا حـدث قتـل أخـي قبـل خمسـة أعـوام تمامـاً سـحبني الاكتئـاب إلـى جوفـه كاد أن يبتلعنـي تمامـاً كنـت أشـعر وحتى الآن شـعور تأنيـب الضميـر لم يفارقني كان رأسـي لا يسـكت ولا تفارقـه كلمـة «لو» لـو لم أسـتمع إليـه وأخرجه من السـجن لكان «أليكـس» الآن حيّـاً لو لم آخـذ الموافقة وأصـر على النيابـة العامة أن يخرجوه لـكان أخـي الآن بيننا لـو أنني لم أمسـك هـذا المريض ولم أقبـل بملفـه عنـدي وحولتـه علـى طبيـب آخـر لـو أننـي لـم أصَبْ بالغـرور وجنـون العظمـة! لو كنـت أذكى فقـط! لـو،، لو،، لـو،،! إن هـذه الكلمـة تـأكل رأسـي منـذ خمـس سـنوات وتنهـش روحـي أنا الطبيبة النفسـية التـي تحتـاج إلـى طبيـب نفسـي كنـت علـى وشـك الانتحـار من شـدة الحزن واليـأس علاوة علـى ذلك وقتهـا تم فصلي وتحويلـي لمجلـس تأديبـي طبعـاً لأننـي صاحبـة الفكـرة وصاحبـة القـرار بإخراجه، لكـن وقتهـا لم أكن أشـعر لكـي أهتم وأحـزن على الوظيفة لـم تكن أمـي وأبي أقـل تدهـوراً مني بـل أكثر لأنهمـا والداه بالطبـع لطالمـا كنـت أرى فـي أعينهمـا أنهمـا يقـولان بأنني السـبب

وهما محقان أنا السبب في موته لا أحد ثانٍ، تلك الأيام كانت أياماً كالجحيم وكأن الشمس كانت تقف على رأسي مباشرة لكن كان هناك «ظل» لقد حماني ظل من كل الأمراض والحزن والاكتئاب لطالما كان ظل لا يحب أن يبقى خارج منزله أو يبات في منزل أحد آخر لكن في تلك الفترة بقي ظل معي في شقتي لقد كان يطبخ لي وينظف منزلي ويعطيني أدويتي إن ظل إنسان لا يتحدث كثيراً لكنه يثبت مشاعره بالأفعال إن الجميع هنا يرون أن ظل شخص مغرور أو وقح أو غريب أطوار ومنهم أمي لكن لا أحد يعرفه مثلي أو ربما لا أعرفه!!

هناك جوانب كثيرة من ظل خفية ربما أعرفه من أكثر من عشر سنوات درسنا معاً تخرجنا معاً أكلنا معاً تحدثنا معاً لكن ظل قليل الحديث قليل التعبير كنت رافضة تماماً أن أعود لممارسة مهنتي لكن أحد الأسباب ظل لقد استطاع إقناعي بسبب ما يمر به، إن ظل لديه حالات نفسية مختلفة لطالما حاولت إقناعه أن يذهب إلى مختص آخر حاولت أن أحوله إلى أخصائي آخر لكنه يرفض العلاج من أي أحد غيري أنا أخصائية سلوك إجرامي وغير الأسوياء هم اختصاصي لكن ظل كان سوياً جداً لكنه يرفض طبيباً آخر غيري، وأنا أتفهم ذلك لأنه لا يحب ولا يرتاح لأي أحد لطالما كان هناك غيمة سوداء تحاوط ظل ولا أعرف من ماذا؟ يخبرني أن طفولته كانت عادية غير أنه كان فقيراً جداً هو ووالده وأن والدته هربت وتركتهما من الممكن أن يكون هذان السببان أثرا به وجعلاه هكذا يغوص في دهاليز الاكتئاب وثنائي

القطب والذهان نعم ظل تم تشخيصه بهذه الأمراض ولكنه يقاوم كثيراً ويتحسن كثيراً إنه أقوى مني بمراحل لهذا لا أرغب بأن يعود إلى نقطة الصفر ويسقط وأسقط أنا معه، عدت إلى مزاولة المهنة من أجله لأن ظل يخبرني بأنه لن يذهب إلى طبيب آخر وأن حالته ستتدهور أعلم جيداً كان وقتها يستعطفني فقط لكي أعود هو يعلم بأنه نقطة ضعفي، قضيت السنوات الخمس بعد أن عدت إلى العمل وأنا مهووسة بالقاتل المتسلسل الذي يدعى «الكابوس» كنت أبحث عنه باستمرار بعد أن قتل أخي اختفى وكأنه شيء لم يكن! توقف حتى عن ارتكاب الجرائم أو أنه أصبح يرتكبها بشكل وتصنيف وطرق أخرى من يعلم؟ لكن لن يهدأ لي بال حتى أجده وأمسك به أحياناً أتخيل أني أمسك به وأقوم بأكله بين أسناني وأحياناً أتخيل أني أعلقه في قبو منزلنا وأعذبه أشد العذاب أقطع أطرافه الأربعة ثم أخرج عينيه وأقطع لسانه وأكثر كل هذه الخيالات جعلتني مريضة ذلك الكابوس الذي جثم على حياتنا كالكابوس الواقعي جعل حياتنا باهتة مظلمة حزينة كئيبة علاوة على ذلك لم يقتل أخي فقط بطريقة سريعة لا!؟ بل عذبه أشد العذاب سلخ جلده وهو حي انتزع أظافره وأسنانه كتب بدمه رسالة لي في الحائط قائلاً فيها:

«شكراً ثيا على تحرير الكابوس سأكون لك حلماً جميلاً»!!

كل هذا خنقني وما زال يخنقني لقد حذروني من رؤية جثة أخي أمي انهارت في المستشفى ولقد بقيت منهارة عاماً كاملاً ترى أخي المسلوخ وكأنه نعجة ما! أما أنا فرفضت وطلبت منهم

أن أراه وفعلاً رأيته وإلى الآن منظره لا يفارقني أبداً دائماً أتخيل وأفكر في الدرجة التي تألم فيها العذاب الذي حصل عليه فجأة الأسئلة التي كانت في رأسه ماذا فعلت ولماذا أنا؟ لماذا تفعل بي ذلك؟ هل توسل إليه؟ لا، إن أخي قوي جداً لكن أكيد من شدة الألم توسل! في كل مرة أتخيل هذا المشهد وينتهي بي الأمر وأنا أبكي وأبكي حتى أنام..

بعد أن عدت إلى عملي تم توظيفي كعقوبة في السجن بدلاً من المستشفى وبقيت أعمل في السجن ثلاثة أعوام كانت سنوات كافية لأن أختلط بالمجرمين وأشد أنواع العقول الإجرامية تعمقت في أفكارهم وفي عقولهم لكنني أصبحت لا أصاب بجنون العظمة مثلما فعلت سابقاً عرفت الآن أن المجرم مهما تعمقت في عقله لن تصل إلى القاع أبداً إنهم أناس غير أسوياء مختلون عقلياً لذلك السوي الطبيعي لا يستطيع أن يجاري عقل المختل مهما كان عقل السوي سريعاً وبدهيّاً وذكيّاً وفطيناً لأن السوي لديه حدود عكس غير الأسوياء فهم ليس لديهم حدود لا إنسانيّاً ولا أخلاقياً أغلب الموظفين يخشون التوظيف في سجن «الطوفان» بسبب أنه يعتبر من أخطر السجون في العالم وتمت تسميته بهذا الاسم نسبة للفنان والرسام والكاتب «أديس هنري» من أعماله وسلسلته التي تحمل هذا الاسم عندما نشر الكاتب والرسام كتابه طوفان العقل خالفه الكثير وكان مثيراً للجدل ورسوماته التي قالوا عنها إنها سحر وشعوذة وكل من ينظر إليها سيموت تم سجن الكاتب في هذا السجن حيث مات فيه منتحراً في زنزانته وبعد أن رسم رسمة

كانت الرسمة عبارة عن أشخاص يمسكون بشعة على الحائط كانت الرسمة عبارة عن أشخاص يمسكون بشخص يقومون بسحبه وربطه في عمود ويقومون بسكب سائل ساخن عليه!! لم يفهم أحد هذه اللوحة أو الرسمة قاموا بتحليلها بأشكال متعددة لكن ما توصلوا إليه أن الجميع قاموا بظلمه وبعد ذلك قاموا بتكريمه والمضحك أنهم دفنوه بالزنزانة لكي يتم وضعه كعلامة أو أسطورة أو معلم وبالفعل كان في البداية السجن والزنزانة معلماً للسياح ثم أصبح معلماً وموقعاً لتدريس الطلاب والأخصائيين النفسيين والأطباء الجنائيين والمحللين وبعدها تم توسيع السجن أكثر وبدأ باستقبال أشد وأكثر أنواع المجرمين مرضاً واختلالاً منذ أكثر من أربعين عاماً وحتى اليوم، أما أنا بالنسبة لي فلم أكن خائفة علمت بأن مدير الصحة يريد أن يقوم بتعجيزي لكي أتخلى عن المهنة في آخر فضيحة هروب الكابوس فقد سبب هروبه زعزعة في البلاد وقاموا بفصل كثير من المسؤولين وآخرون استقالوا وآخرون كانوا تحت التحقيق ومنهم أنا الإعلام والناس أقاموا حرباً على الحكومة ونحن لا نلومهم فبعد سنوات من البحث عنه وقتل كثير من الضحايا والشباب أمسكنا به بمحض المصادفة حتى وبعدها لم يمضِ عليه إلا ثلاثة أشهر ثم هرب إنها حقاً مهزلة بحق الحكومة، لم أكن خائفة عندما تم تعييني في السجن وكنت أنام في المسكن الخاص بالسجن، لم أكن خائفة أبداً لقد جردني الكابوس من كل مشاعر الخوف حتى أبي الذي كان يقف في وجهي ويرفض أن أتوظف في المستشفيات النفسية والسجون عندما أخبرته لم يعطِ أي ردة

فعل وكأنه يقول: مات أخوك ماذا علي أن أخسر أكثر؟ أنا واثقة لو أن أليكس كان حيّاً لكان أبي منعني أن أتوظف في السجن كان دائماً يخبرني بأنه سيفتح لي مكتباً ومستشفىً خاصّاً لكنني أرفض لأنني أحب الغوص والمغامرة في المستشفى النفسي والسجون، بعد ثلاث سنوات اعتبرتها كخبرة لي قام ظل بمساعدتي بواسطته الخاصة بنقلي إلى المستشفى طوال هذه الأعوام وأنا أصارع في عالم الحزن والقهر الذي سببه لي الكابوس أعوام وأنا أحاول أن أضيء حياة أمي وأبي التي اصبحت عتمة ولم أعد أرى ابتسامتهما لكن بدون فائدة كان ظل هو نجاتي الوحيدة في هذه الحياة لولا وجود ظل في حياتي لكنت نسياً منسيّاً وكانت شمس الحياة أحرقتني حتى أصبحت رماداً لكن «ظل» أظلني..

صعدت إلى سيارتي وتوجهت إلى المستشفى عند وصولي إلى المستشفى دخلت إلى قسم الطب النفسي فهناك يقبع مكتبي في الدور العشرين مبنىً زجاجي بأكمله الشمس تقتحم المبنى بالكامل أحب كثيراً مكان عملي أحب هذا المكان أكثر من السجن بالطبع فهنا روح المكان فارهة قليلاً والمكان جميل وراقٍ ويوجد الكثير من الأسوياء المحيطين بي عكس السجن قاتم ورائحة الضحايا متمسكة في أجساد المجرمين ومظلم وكل من حولي غير أسوياء، أخذت كوبي قهوة لي ولظل وعندما اقتربت من المكتب سمعت صوتاً قادماً من الداخل صوتاً مرتفعاً شخص يتحدث عن أنواع الفنون ابتسمت علمت بأن ظل ينتظرني منذ فترة وهو الآن يتابع بدون ملل أو كلل في مقاطع الفيديو التي تتحدث عن الفنون فهو

ومن فنان مهووس بالفن أعلم أنه يحب الفن أكثر مني حتى والده؟ لا، أعتقد أنه يحب والده كثيراً صحيح أنه أخبرني أنه يملك أباً بعد أربعة أعوام من تعرفي عليه لكنني أعرف أنه شخص كتوم لا يحب أن يتحدث عن حياته الخاصة بسرعة أمام أحد، دائماً ما يحكي عن والده بحب وبدون ملل لا ألومه فإن والده لم يتخلَّ عنه وعمل في عشرات الوظائف فقط ليطعمه إن والده بالنسبة له كالإله رغم هذا والده أظن أنه غريب أطوار من عشرة أعوام وإلى الآن لم أرَه ولم أتعرف عليه يقول ظل لي إن والده لا يحب أن يتعرف على أحد وسيأتي الوقت المناسب لهذا اليوم علي أن أنتظر فقط على عكسي عرفته بعائلتي بعد سنتين من علاقتنا أحبه أخي أليكس فكان دائماً يقول لي إن ظل صحيح أنه غريب أطوار لكنه حنون وشخص ذكي وناجح والأهم أنه يحبني، أما أبي فكانت لا تفرق معه لذلك كان يأخذ ويعطي مع ظل لقد كون صداقة معه حتى وراحا يتحدثان عن الدراسات والكتب والتاريخ، لكن أمي لم تحب ظل أبداً بل كانت وحتى الآن تكرهه ولا نعرف السبب تقول إنها لم ترتحْ له أبداً وإن هناك شيئاً غامضاً في عينيه السوداوين وإن من يملأ السواد عينيه أكثر من البياض يكون غير سوي!! كنت أظن أن أمي تقول هكذا لأنها فقط تريد أن تزوجني بشاب على ذوقها لكني لم أظن أن أمي كانت تملك نظرة الأم نظرة وإحساساً ثاقباً تجاه الأشخاص الذين يتقربون من أبنائهم ولطالما كان المثل يقول: إن إحساس الأم لا يخيب أبداً..

***

«ظــــل»

دخلت ثيا إلى المكتب وأشرقت علي كشمس الشتاء الدافئة والجميلة التي كانت تبدو كالحلم مع لبسها الأصفر وشعرها المنسدل على كتفيها ووجهها المشرق رغم أن داخلها حزن العالم..

احتضنتني قائلة:

- آسفة هل تأخرت عليك؟؟

- لا بأس يا حبيبتي يمكنك أن تأخذي كل وقتك ويمكنني أن أنتظرك طوال العمر..

- شكراً يا ظل حياتي.. دعنا نجلس هنا لقد أحضرت لك كوب قهوة تفضل..

تناولت كوب القهوة قائلاً:

- حسناً الآن ما الأمر؟ هل كل شيء بخير!

- نعم كل شيء بخير لا تقلق لكن أولاً كنت أود إخبارك بأنني سأقوم بتغيير أدويتك أقصد أدوية الذهان يبدو أنك هذه الأيام أصبحت أفضل لذلك سأخفف لك الجرعة هل أنت موافق؟

قالتها بلطف

- بالطبع موافق لكن سأرفض في حالة واحدة..

قالت بتعجب:

- ما هي؟؟

أجبت:

- إذا كانت هذه الأدوية ستجعلك تختفين مثلاً لأنني لدي شكوك بأنك خيالية أو وهم جميل من أوهامي!! لن أتناولها..

ضحكت ضحكة طويلة احمر وجهها خجلاً:

- إذا كنت أنا خيالاً فماذا تكون أنت؟؟

- امم لا أعرف أخبريني أنتِ..؟

قلت وأنا أنظر إلى عينيها بشكل مباشر..

- حسناً أنا خيال أو أوهام لكن أنت الشيء الحقيقي الوحيد في حياتي..

- وأنتِ العلاج الوحيد في حياتي بينما كلي أمراض،،

قبلت ثيا بشكل سريع بعد أن ذكرتني بأننا في المستشفى:

- حسناً إذاً دعني أخبرك بالأمر الثاني لكن لا تغضب أولاً..

اعتدلت في جلستي ومن تعابيرها علمت ما الذي تريد أن تقوله:

- حسناً ستتحدثين عن ذلك المختل مرة أخرى..

كنت أعلم بأن ثيا ما زالت تبحث باستمرار عن ذلك السفاح الذي أخذ روح شقيقها بكل دم بارد كنت أعلم أنها لن تستسلم أبداً أنها تبحث عنه أكثر من الشرطة الذين نسوا أمره ولربما أغلقوا قضيته!

- أرجوك اسمعني فقط..

أكملت حديثها

- حسناً تفضلي..

- هنـاك سـجين في سـجن «الطوفـان» قـال إنـه لديه دليل ثابت وحـي لمعرفتـه بالكابـوس أو «آرلنـد الشـيطان» بالطبع لـم أصدقـه فـي البدايـة ومثله مثـل غيـره مـن الكاذبين لكـن ذلك السجين قال لي هذه الكلمات التي لا يعرفها أحد سوانا!!

- عن أي كلمات تتحدثين؟؟

سألتها بتعجب

- الرسـالة التي تركهـا لـي «الكابـوس» عند مقتـل أخي الكلمة التـي كتبهـا فـي الحائـط لـم ينشـرها أي أحـد كانت فقط في ملف القضية!

- «شـكراً ثيا على تحريـر الكابوس سـأكون لك حلمـاً جميلاً»!! تقصدين هذه الرسالة؟

- بالضبط هي..

- حسـناً ومـا أدراك أن أحـداً مـن الشـرطة لـم يسـرب لـه هـذه المعلومة؟؟

سـألتها وأنـا أحـاول أن أنهـي آمالهـا التـي مـن الممكـن أن تصل بهـا إلـى التهلكة.. لـم ترد علـي واكتفـت بالسـكوت بعـد أن تنهدت وقطبت حاجبيها، أمسكت بيديها:

أنتِ تعرفين جيداً أنك إنسانة ذكية وتعلمين

- اسمعيني يا ثيا أنتِ تعرفين جيداً أنك إنسانة ذكية وتعلمين أنه من تلك اللحظة التي هرب فيها ذلك المختل وقام بفعلته الجميع كانوا يحاولون استغلالك بسبب القضية رغم ذلك كنتِ متماسكة وقوية ولم تسمحي لهم، حسناً أنا أعرف أن هذه الكلمة لا يعرفها أحد غير رجال الشرطة ولكن حتى هم ليسوا أمينين ولا ملائكة من الممكن أنه سربها له أحد من رجال الشرطة أو من الممكن أنه سمع أحداً يتحدث عنها وهو الآن يحاول أن يستغلك! لذلك لا تستمعي له أبداً..

- حسناً لكن لقد وعدتني بأنك ستساعدني؟؟

قالت بيأس..

- نعم بالطبع سأساعدك وأنا سأفعل كل ما بوسعي لنجد ذلك الشيطان مرة أخرى وأيضاً صدقيني سيظهر بنفسه قريباً ولن يرسل أحداً أبداً..

- وكيف تعرف ذلك؟؟

- الأشخاص أمثاله أقصد القتلة المتسلسلين من الدرجة الأولى لا يحبون ولا يسمحون لأحد أن يستغل اسمهم أبداً ولا يرسلون أحداً ولا يتعاملون مع أحد، إن لديهم ميزة جنون العظمة يفعلون كل إنجازاتهم وحدهم وصدقيني هو سيظهر في نهاية الأمر لأنهم يشعرون بالضعف والحزن أن الناس يقومون بنسيانهم وكأنهم لا شيء هذه هي نقطة

ضعفهم لذلك تجدينهم دائماً لا يهربون ويكتفون بالظهور مراراً وتكراراً حتى يثبتوا أنفسهم وقوتهم..

- واو أنت تعرف معلومات أكثر مني..

قالت مندهشة

- بالطبع لا تنسي أنك خلال هذه السنوات كنتِ تعطيني كثيراً من الدورات عنهم وأيضاً أحب أن أقرأ الكثير من الكتب عن هؤلاء الناس وهل نسيت أنني طبيب شرعي؟ ومن خلال تشريح الجثة أفهم كيف فكر القاتل بقتله..

- لا لم أنسَ لكن لماذا أنت تقرأ عنهم وتبحث؟؟

- لأنهم مختلفون وأنا أحب كل شيء مختلف لا تفهميني بشكل خاطئ أيضاً..

قالت ضاحكة:

- بالتأكيد لن أفهمك بشكل خاطئ لطالما أعرف أنك أنت مثلي وأنا أيضاً أحب المختلفين لذلك أحببتك..

أكملت حديثها:

- حسناً الآن لدي جلسة مع مريض ولا تنسَ غداً جلستك..

- ماذا عن العشاء ألم تقولي بأننا سنتناوله معاً؟؟

سألتها

- أعتذر لقد طرأ أمر ضروري أمي مريضة قليلاً وقال أبي بأنه يجب أن نتناول العشاء معاً لذلك لم يكن لدي خيار آخر..

مشكلة إذاً

- حسناً لا بأس بما أن عائلتك تحتاجك ليست مشكلة إذاً
أراك غداً وسأتصل بك فور الانتهاء من عملي..

- حسناً أحبك..

غادرت القسم النفسي من المستشفى كنت سعيداً لأن ثيا ألغت موعد العشاء ليس لأنني لا أرغب برؤيتها بل لأنني كنت مشغولاً عقلي كله يفكر في هذا الموقع ومشروعي الجديد الذي سيبدأ علاوة على ذلك كنت أفكر بإحضار فرد جديد إلى العائلة آخر مرة أحضرت فرداً جديداً كانت قبل سنتين وحان الوقت الآن لكن بعد أن أنتهي من تشريح جثة اليوم لدي جثة واحدة فقط بعدها سأعود إلى المنزل لكي أفكر من أين هذه المرة سأحضر الفرد الجديد وكم سيكون عمره وجنسه وما هي قصته وكيف مات؟ كل هذه أمور أتحمس لها بشدة عندما أحضر فرداً جديداً للعائلة فالأمر مهم بالنسبة لي طوال هذه السنوات نوعت الأماكن التي أحضر منها الجثث لكي لا يشك بي أحد وبالفعل نجحت، طوال هذه السنوات لم أقتل أحداً نعم أنا لست قاتلاً أنا إنسان، إنسان مستحيل حتى أن أوذي فراشة إنسان طبيعي يحاول أن يفعل معروفاً وخيراً لجثث الموتى فقط أين المشكلة؟



الفصل السادس

ليلة مظلمة

١٩٩٠ م.

كان الظلام في تلك الليلة غير طبيعي ظلاماً ليس له مثيل عندما أصبحت الساعة العاشرة مساء حتى القمر أعلن هروبه فجأة! وكأنه خائف من شيء قادم، لطالما كانت حياتي في الطفولة حياة بائسة من الناحية المادية والاستقرار لكن هذا كله لا يهمني كان أبي يعوضني عن كل هذا بحنانه وعطفه وحبه وأمانه إلا أن الظلام يعارك حياتنا وحياة أبي لكنه يتصدى له أشعر بأن هناك ظلاماً حولنا أبي مستعد لابتلاع الظلام حتى لا يبتلعني وبالفعل أبي انتصر وابتلع الظلام!

ما زلت مبللاً لا أعلم من البول أو من الماء وأنا أحاول أن أغسل نفسي أو من العرق من شدة الخوف والتوتر وأنا الذي ظننت أنني لا أخاف اقتربت من باب الحمام وضعت أذني على الباب سمعت صوت دندنة إنه صوت أبي لكنْ هناك صوت آخر معه؟ من يكون؟ حتى الأغنية كانت مخيفة وغريبة!

«في ظلام الليل لا يُسمع سوى صوت الرصاص يدوي في السهوب»

«وصـوت الريـاح تهـز الأسـلاك، ونجـوم السـماء تضـيء بنورها الخافت»

«فـي تلـك الليلـة الحالكـة أعلـم بأنـه لـم يغمـض لـكِ جفـن يا عزيزتي»

«وبجانب سرير طفلك جلستِ تمسحين سرّاً دموع عينيك»

«كـم أحببـت عينيـك الناعمتيـن كمـا الحـور تسـحرانني، وكـم تمنيت لو تقبل شفتاي تلك العيون الآن»

«ظـلام الليـل هـذا يفـرق بيننـا يـا حبيبتـي، وتلـك السـهوب المظلمة الموحشة تحول دون لقائنا»

«أنـا أومـن بـك، بـك يـا رفيقـة دربـي، وهـذا الإيمـان فـي ظلمة الليل من الرصاص حماني»

«وسـعادتي تبقينـي هادئـاً فـي معركـة داميـة، لأننـي أعلـم أنكِ ستقابلينني بحبك»

«مهما حدث لي، الموت ليس مخيفاً كم مرة قابلناه في هذه السهوب»

«وهنـا الآن يحاوطنـي مـن جديـد، وأنـتِ تنتظريـن عودتي، تجلسين بلا نوم بجانب سرير صغيرك»

«ولهذا السبب أعلم أنه مهما كان الأذى فلن يصيبني»

ثم راحا يدندنان ويهمهمان:

..

مع ترديد هذا المقطع:

«ولهذا السبب أعلم أنه مهما كان الأذى فلن يصيبني»!!..

Темная ночь - Temnaya noch - Dark is the night، 1943

فجأة سكت أبـي والذي معه بشـكل مفاجـئ مما أدى إلـى توقف نبضـات قلبـي مؤقتاً عـمَّ الهـدوء ذلـك الهـدوء المرعب ثم سـمعت صـوت خطـوات قادمـة بسـرعة نحـوي أو نحـو بـاب الحمـام هنـا أنفاسـي تسـارعت حتـى رأيـت مقبـض البـاب يـدور وانفتـح البـاب وأنا على شفا حفرة من الموت:

- بني!! ماذا تفعل هنا يا ظلي؟؟

سـألني أبـي بهـدوء وابتسـامة نظـر إلـي وتـم كشـفي بأننـي بللت نفسـي وأحـاول أن أخفـي الجريمـة اقتـرب أبـي منـي واحتضننـي وربت على ظهري:

- لا بـأس ليـس وكأنـك ارتكبـت جريمـة أنـت طفـل وجميـع الأطفال في العالم يفعلونها

- ولكن يا أبي أنا لست طفلاً أنا الآن في المدرسة!

قلت بحزن

- أعلـم ذلـك ولكنـك مـا زلـت فـي الصـف الأول وهـذا يعني أنك مـا زلـت طفـلاً، هيـا بنـا سـتأخذ بـرداً سأغسـلك وأبدل ملابسك اتفقنا؟..

- حسناً..

انتهي أبي من غسلي وبدل ملابسي وغطاء السرير وأعادني إليه:

- أخبرني الآن هل رأيت كابوساً؟؟

سألني وهو يمسح على شعري

- نعم كان حلماً مزعجاً لكنني لست خائفاً..

قال ضاحكاً:

- لا بأس يا عزيزي الخوف ليس عيباً لأن من الخوف تولد الشجاعة لكن هل تعرف ما هو العيب؟

- ما هو؟؟

- البكاء!! إن الرجال لا يبكون..

- لماذا؟

- لأن البكاء للضعفاء فقط..

- إذاً يا أبي هل أنت حقّاً تغني للموتى؟؟

داهمته بسؤالي

- وما أدراك؟

- لأنني سمعتك!!

- إذاً بما أنك سمعتني هذا صحيح أنا أغني للموتى..

أجاب بثقة

- وهل الموتى يغنون معك؟

- هل تعتقد ذلك؟

قلت متردداً هل أخبره أم لا؟:

- لا أعرف.. ولكنني سمعت صوت شخص يغني معك..!

- أنت محق إنه صديقي..

أجاب بلا مبالاة

- صديقك؟؟ ومنذ متى لديك أصدقاء يا أبي؟؟

قال وهو ينهض من جانبي بعد أن قام بتغطيتي بالغطاء:

- لنكتفِ من الأسئلة لليوم غداً لديك مدرسة ويجب أن تنام..

- حسناً يا أبي سؤال أخير هل تسمح؟

أجاب متنهداً:

- حسناً قل ما لديك..

- هل سنعود إلى المنزل؟

- بالطبع إنه منزلنا وهذا مكان عمل فقط تصبح على خير..

عدت الليلة الأولى أخيراً رغم أنني شعرت بأنها ثقيلة لأنني لست معتاداً على المكان إلا أنني شعرت ورغبت بالعودة إلى هذه المقبرة مراراً وتكراراً ذهبت إلى المدرسة وانتهيت من الدروس وآخر درسين لم يأتِ المعلم لذلك عدت إلى المنزل قبل أن يأتي أبي لأنني خرجت قبل الموعد رغم أنه أخبرني إذا حدث انصراف

مبكرٌ لا أغادر من المدرسة وحدي ولكنني أردت أن أجعله يرتاح إنه يعمل في ثلاث وظائف والمنزل يعتبر قريباً نوعاً ما وأيضاً أغلب الطلاب يسيرون في الشارع ويكون الشارع والأحياء مزدحمة، وصلت إلى المنزل شعرت بأنني حققت إنجازاً: أول مرة في حياتي أذهب أو أعود إلى المنزل وحدي أردت أن أثبت لنفسي أنني شجاع وكبير بما فيه الكفاية، دخلت إلى المنزل بالطبع أبي غير موجود بدلت ملابسي بسرعة قمت بحل واجباتي بعدها توجهت إلى المطبخ الذي هو مطبخ بالاسم فقط خاوٍ فارغ حتى الحشرات لا تطؤه لأنها لن تجد شيئاً تأكله، لا أشعر أبداً بخيبة الأمل عندما لا أجد شيئاً لكي آكله لأنني أصبحت معتاداً وأصبحت خيبات الأمل معتادة علي خرجت من المطبخ قررت الذهاب إلى المغسلة لأن أبي ما زال في وظيفته الأولى وهي مغسلة الأموات تقع المغسلة في مستشفى البلدة إنها بعيدة عن المنزل نوعاً ما هل سأستطيع أن أصل إلى هناك؟ ولكن لن أصل ولا أعرف الطريق بشكل جيد ماذا أفعل؟ سأنتظر في المنزل وحسب يبدو أنني ما زلت غير شجاع بشكل كافٍ، جلست على فراشي لمحت تلك الورقة ما زالت مطوية خلف الخزانة المتهالكة الورقة التي فتحتها أمي وتأملت بها في تلك الليلة التي غادرت بها وكأن تلك الورقة أعطتها الشجاعة والعزيمة أكثر لتركنا نهضت بسرعة وتوجهت إليها والتقطتها لربما تعطيني الشجاعة لأذهب عند أبي فتحتها ورأيت صور نساء جميلات يرتدين فساتين قصيرة ويضعن الكثير من مساحيق التجميل كتب عليهن:

- «عارضات أزياء من معرض فلورنسا!!»

لم أفهـم وقتها بشـكل كامل لكـن مع الأيـام فهمت أن أمـي لديها حلم تريـد أن تصبـح واحدة مـن هـؤلاء تخلت عـن ابنها لكـي تظهر صورها هنا..

سـمعت صوت ضربـة قويـة بالحائـط لدرجة أنـي قفزت مـن مكاني أسـقطت الورقـة التفـت إلـى الحائـط سـرت إليـه بخطـوات مرتعشـة وصلت إليه وضعت أذني أحاول أن أسمع لكن لم أسمع أي شيء!!

***

الوقت الحاضر:

- هل سمعت؟؟

- عفواً؟؟

سـألني الطبيـب الشـرعي بعـد أن أزلـت السـماعات لأننـي كنت فـي فتـرة اسـتراحة، «سـتيفان» كان شـريكي فـي التشـريح هو شـاب عبقـري وموهـوب ومخلص فـي عملـه وأيضاً هـادئ وليـس فضوليّاً ولا يتحـدث كثيـراً معي إلا في أشـياء تخـص العمل وهـذا المطلوب لذلك اعتبرته أفضل شريك:

- سمعت ماذا؟؟

أكمل وهو يجلس بجانبي:

- الجثة التي ستصل اليوم من فرقة الشرطة الجنائية..

-

- إذاً ما الجديد في الموضوع أغلب الجثث منهم وهذا عملنا..؟

قال وهو يهمس:

- نعم أقصد أن هناك أقاويل يقولون بأن هذه الجثة من الممكن أن تكون ضحية من القاتل «الكابوس»!!

نبض قلبي بقوة عندما سمعت كلامه:

- ماذا تقول؟؟ هل أنت متيقن؟؟ ثم إن الكابوس لا يترك جثثاً لضحاياه!؟

- لا أعرف هذا ما سمعته

- على كل الأحوال سنعرف بعد التشريح لكن أخبرني ما الشيء الذي جعلهم يظنون أنه أحد ضحايا الكابوس؟؟

لم أكمل سؤالي ولم يكمل جوابه إلا ودخل فوج من الأطباء والشرطة مع مدير القسم خاصتنا وهم يحملون الجثة المغطاة نهضنا أنا وستيفان وتقدمنا إليهم وضعوا الجثة في منتصف قاعة التشريح:

- ما هذا؟ هل اليوم يوجد تدريب لطلاب الطب أم ماذا؟ لم يخبرني أحد؟!

قلت بشكل ساخر وأنا كنت أعرف أن كل هؤلاء مسؤولون لكنني لا أحب أن يدخل أحد مشرحتي بهذه الطريقة!

نظر إلي الجميع نظرة أعرف ما هي، حتى قاطع الصمت المدير والبروفسور «روبرت لورنسيس» قائلاً بخجل وضحكة مزيفة:

- أوه أعرفك سيدي هذا يكون الطبيب والبروفسور «ظل اليكسياريس» ظل هذا رئيس المحققين في العاصمة المحقق «نيكولاس دولوريس» وفريقه..

المحقق بجدية:

- نادِني فقط باسمي الأول..

- لا يهمني الاسم يهمني ما الأمر وما الذي يحدث؟

قلت بعدم مبالاة كالعادة

المحقق وهو يتقدم نحو الجثة:

- تملك سيرة ذاتية رائعة وأكثر أيضاً في هذا العمر الصغير يا ظل وأيضاً لديك اسم جميل ومميز! ظل يجب أن تكون روحك خفيفة كاسمك..

- ما هذا؟ هل أتيت لتعطيني هنا محاضرة؟

- أبداً أنا لست ماهراً في إعطاء المحاضرات أنت هنا المحاضر كما سمعت لذلك دعنا ندخل في الموضوع..

- هذا جيد إذاً تفضل..

المحقق وهو يلبس قفازات معقمة مع فريقه انتهوا وأمسك بطرف الغطاء الأبيض للجثة حاوطنا الجثة بشكل دائري ثم قال بحزم:

- هل أنت مستعد للشيء الذي ستراه؟؟

- لا تهتم لأمري أنا طبيب شرعي جنائي لقد رأيت الأسوأ صدقني..
- حسناً لنفتح..

أزال المحقق الغطاء الأبيض عن الجثة وهنا كانت الصدمة للجميع بمن فيهم أنا لكن لم أُصدم لأن الجثة في حالة يرثى لها بل صُدمت لأن الجثة كانت تشبه جثة رأيتها قبل خمس سنوات كانت تشبه جثة «أليكس» شقيق «ثيا»..!!

ظهرت الجثة تماماً كما ظهرت جثة «أليكس» شقيق ثيا: مسلوخ الجلد أسنانه منزوعة فمه مفتوح باتساع مترين أظافر أصابعه مفقودة عيناه مطموستان بحبر أسود! بدا وكأنه تحفة فنية:

- وكأن هذه التحفة تكررت مرة ثانية

قال المحقق بعد أن كسر صمت الصدمة للجميع، ثم استرسل في حديثه:

- لقد أخبرني الطبيب روبرت بأنك أنت من شرح تلك الجثة المشابهة لهذه الجثة قبل خمس سنوات وقال إنك الأفضل هنا حيث كيفما كانت طريقة المجرم في القتل وكيفما استخدم سلاحاً مجهولاً أو عدة أسلحة تستطيع أن تعرف كل ذلك وأنه مهما اختلفت طريقة القتل لدى القاتلين تستطيع أيضاً تفرقة ذلك بسهولة لذلك أخبرنا ما مدى تشابه هذه الجثة بجثة ذلك الشاب شقيق الطبيبة «ثيا كروس»؟؟

سألني المحقق كل هذه الأسئلة وأنا ما زالت عيناي تنتصبان على تلك الجثة وعقلي يفكر بكلام ثيا في الصباح إذاً هل كانت

محققة هـذه المـرة؟ هل ذلـك السـجين الـذي أخبرهـا أن «الكابوس» ظهـر مـن جديـد لـم يكـن كاذبـاً؟ هـذه الجثـة بالفعل مطابقـة لجثة «أليكـس» والمنظر قبـل التشـريح يعطينـي حتـى طريقة القتل نفسـها هـذا ليس أسـلوب الكابـوس أصـلاً هـو حتى لا يظهـر جثتـه لكـن تلـك المـرة فقـط والمـرة الأخيـرة والأولـى لـه التي فعـل فيهـا بجثة أليكس هكـذا،فقـد كان متعمداً لكـي يظهر لثيـا أنه سـخر منها وحرق قلبها في الوقت نفسه هل الآن سيكررها؟

أجبـت متنهـداً واقتربـت من الجثـة مددت يـدي للطبيـب روبرت حتى يعطيني ملف القضية والجثة ناولني الملف:

- لا أظـن أن «الكابـوس» شـخص متهـور لهـذه الدرجـة، لكـن هناك حالـة واحـدة لربمـا أراد أن يلفـت الانتباه مـن جديد إذا كان بالطبع مستعدّاً لمطاردة الشرطة له مرة أخرى

المحقق:

- إذاً ماذا ترى؟؟

- لا أسـتطيع رؤية شـيء أيهـا المحقق فأنا لم أشـرح الجثـة بعد، بعـد التشـريح سـنعرف كل شـيء لكـن ظاهريّـاً الجثـة نسـخ لصـق من جثـة السـيد «أليكـس» لا أرى حتـى الآن اختلافـاً أو خطـأً واحـداً سـنعرف التفاصيـل أكثـر بعـد التشـريح لا أظـن أنكم ستبقون هنا لمدة تقارب خمساً وأربعين ساعة؟؟

سألتهم بتهكم..

- لا طبعاً أيها الطبيب لكن أتمنى أن تخرج النتائج بسرعة

- اسـمعني أيهـا المحقـق إذا كنت ترغـب بظهـور الحقيقة يجب ألا تتعجل وأتساءل لماذا أنتم مستعجلون؟

سألت ببرود

- هـل هـذا سـؤال؟؟ هـذا الشـخص فقـد حياتـه بهـذه الطريقة البشـعة ونريـد أن نعـرف مـن القاتـل لكي نقبـض عليـه وأنت تسأل إذا كنا مستعجلين أو لا؟!

قال مساعد المحقـق بانفعـال غبي، نظـرت إليـه مباشـرة كان من مظهره شـاباً فـي نهايـة العشـرين صغيـراً متحمسـاً لمطاردة شـخص مثل «الكابـوس» يريـد أن يثبت نفسـه أمـام رؤسـائه لكنني واثـق بأنه سيلقى حتفه خلال عامين فقط..

- هل تعرف من هو القاتل؟؟

سـألت ذلـك الشـاب مـن الواضـح أنـه تفاجـأ بسـؤالي المباغت الذي لا يعرف ما هو قصدي منه!

- مـاذا؟؟ مـاذا تقصـد؟ هـذا مـا سـنعرفه إذا أعطيتنـا نتيجة التشريح أليس كذلك؟

قال بربكة وعدم ثقة

ابتسمت بشكل ساخر:

- إذاً مـن الواضـح أنـك جديد في هـذا المجال لا تـدع الحماس يتمكـن منـك والآن أتمنـى أن تعطونـا المجـال حتى نبدأ عملية التشريح..

قال المدير «روبرت»:

- حسناً أتمنى الآن أن تثقوا بفريق أطبائنا وفي حال الانتهاء بالطبع سنعطيكم على الفور النتيجة تفضلوا من هنا..

خرج المدير مع المحققين وتركونا أنا وشريكي ستيفان وشريكتنا الثالثة المتدربة «ألما» كانت ألما فتاة شغوفاً متحمسة لهذا المجال مرحة وذكية جداً لقد اخترتها لأنها كانت من الأفضل في الدفعة التي قمت بتدريبها لكن أظن أن هذا كله اختفى الآن لربما مات الشغف لديها لربما ندمت ألف مرة لأنها اختارت هذا التخصص لربما لعنت نفسها سبعين مرة لأنها منذ أن كشف على الجثة وهيَ لم تنطق بحرف واحد بالطبع هذه أول مرة لها ومن الطبيعي جداً كل شخص تكون المرة الأولى له في تشريح جثة وأيضاً ليست جثة عادية جثة بهذه البشاعة الجميع يُصدمون ويخافون ويتوترون عند رؤيتهم لجثة لأول مرة في حياتهم إلا أنا..

- لا بأس تستطيعين أخذ راحة ونفس في الخارج قبل أن نبدأ..

قال ستيفان لألما بعد أن رآها شاحبة كالجثث:

- لا.. لا بأس أنا بخير

كانت تحاول أن تخفي توترها وخوفها، قاطعتهما بعد أن ارتديت ملابس التشريح فتحت ملف الجثة:

- كيف تأخذ راحة وهي لم تبدأ بعد؟ سنبدأ بعد ثوانٍ جهزا العدة من دخل في هذا المجال لا مكان للراحة هنا في مكان الموتى..

قلت بحدة مما جعل ألما تتحرك أخيراً من صدمتها وتذهب لتجهز نفسها كانت ألما تعرف طريقتي القاسية في التعامل مع الجميع والجميع يعرفون بالطبع تعرف أنني لا أجامل أحداً ولا أهتم إذا كان أحد يريد أن يرتاح أو لا، ليس هناك وقت أصلاً للراحة في هذه الحياة، إن الحياة بكبرها مأزق ضيق ويجب أن نخرج منها بأقل الخسائر والإصابات لكن دائماً ما نخرج منها ونحن أشلاء..

نزل المصباح الضخم على الجثة بعد أن قمنا بإزالة الغطاء من فوقها بالكامل، فتحت الملف الاسم:

جوردن، العمر: ٣٣، المهنة: مهندس في المستوى الثاني، الحالة الاجتماعية: اعزب، الطول: ١٦٦، الوزن: ٥٨، لون العينين: أسود، لون البشرة: حنطي

لديه أم فقط أب متوفىً واثنان من الأشقاء..

ليس لديه أي أمراض مزمنة، لا يملك أي إعاقة، ليس لديه أعداء هذا ما ظهر في التحقيق الأولي..

قلت بسخرية بعد أن وضعت الملف على الطاولة:

- لا أعرف لماذا يضيفون هذه النقطة: ليس لديه أعداء!؟ وما أدراكم أنتم بالأعداء؟ أحياناً المرء يكون هو عدو نفسه حتى وأحياناً يكون أقرب الناس حتى من عائلاتنا هم أعداءنا هذه النقطة بدون فائدة بالنسبة لي..

بـدأت بالتشـريح وضعـت المشـرط مـن أعلـى الصـدر وحتـى أسـفل البطـن لاحظـت أن الـدم كان متخثـراً بطريقـة غريبـة أيضـاً فاحت رائحة غريبة منه!!

- هل تشم هذه الرائحة؟؟

سـتيفان وهو يحـاول أن يتماسـك أما ألمـا فكانت ترتعش بشـكل هستيري

- نعم إنها!!!..

توقفت عـن الـكلام عندمـا رأيت هـذا المنظـر كان داخل جسـده مفرغـاً تمامـاً الأعضاء مفقـودة القلـب الكبـد الكليتـان الرئتـان لكن كان ممتلئـاً كانـت تحتـل مـكان الأعضـاء جـرذان ميتـة! أو مـا زال واحـد حيّـاً حيـث خـرج مـن تحـت أنقـاض أصدقائـه الموتـى مليئاً بالدمـاء والروائـح العفنـة عندمـا خـرج الجـرذ مـن معـدة الشـاب يركـض أسـقط سـتيفان المشـرط الـذي كان يمسـك بـه وتراجـع للخلف وهـو يرتعـش كنـت أعـرف أن سـتيفان معتـاد علـى المناظر البشـعة حيث يعمل معي منذ سـت سـنوات لكنه للأسـف لديـه فوبيا مـن الفئـران، أمـا ألمـا فقـد صرخـت وابتعـدت هـي الأخـرى عـن الجثـة! أما أنـا فكانـت ردة فعلـي عاديـة حتـى عندما أصـاب بصدمة تكـون مدتهـا خمـس ثـوانٍ فقـط، التقطت إنـاء مـن معـدن ووضعته فـوق الجـرذ وهـو غير مـدرك أيـن هو مـن داخـل معدة شـخص إلى مشـرحة، عـدت إلى الجثـة وأنـا أنظر إليهـا كانت رثـة بطريقـة مرعبة مسـكين هـذا الشـاب يؤلمنـي عندمـا يتـم تعنيـف الجثث هكـذا، تم قتله ثم تعذيبه ثم سلخه ثم فتح جسده ووضع به جرذان ميتة..!

- أنا.. أنا آسف..

قال ستيفان وهو يحاول أن يجمع شتات نفسه التي تناثرت قبل قليل من الخوف..

- لا بأس هذه أول مرة تتصرف هكذا للذلك لن ألومك على شيء.. وماذا عنك ألن تعتذري؟؟

استرسلت في حديثي قاصداً به ألما وهي ما زالت تقف كالصنم في زاوية المشرحة وترتعش.

قال ستيفان محاولاً أن يدافع عنها:

- اسمع يا ظل إنها المرة الأولى لها دعنا نجعلها تخرج وترتاح قليلاً وتلتقط أنفاسها في كل الأحوال لن نستفيد منها وهي بهذه الحالة..

- ناولني المقص..

قلت لستيفان وأنا منغمس في التشريح غير مهتم لكلامه، بعد أن انتهيت من المرحلة الأولى:

- إذا كنتِ ترغبين بالوقوف هكذا طوال الوقت في زاوية فلمَ دخلتِ هذا المجال إذاً؟؟

داهمت ألما بهذا السؤال

- اءء،، حسناً صراحة أنا أشعر بالغثيان قليلاً..

أجابت ألما بهذه الإجابة غير المفيدة وهي ترتعش وتتلعثم

- لقد خاب ظني كنت أظن أنني اخترت الطالبة الأجدر والأمثل لكنك فشلت من اليوم الأول..

نظر إلي ستيفان وأراد أن يتدخل لكنني لم أعطِه فرصة:

- لديك فرصة واحدة الآن إذا خرجتِ من هذا الباب فلن تعودي إلى هنا أبداً، لنكمل التشريح هيا..

قلت بحزم بدون أن أنظر إليها استغرق الوقت بعد تهديدي معها فقط دقيقة واحدة حتى رأيتها تتقدم بهدوء وتمسك الملف وتبدأ بتسجيل المعلومات، هذا الأسلوب هو الأسلوب الأفضل لهذا الجيل المدلل الخائف دائماً أعلم بأنكم ستقولون: آه اليوم الأول من الطبيعي أن تتصرف هكذا لكن إذا كانت من اليوم الأول تراجعت فهذا يعني أنها ستتراجع مرات عديدة في حياتها بشكل عام ليس فقط في المهنة أو داخل المشرحة، انتهت فترة التشريح الأولى قررنا أن نقسمها على مرحلتين عادة الجثث المشوهة أو المعنفة جداً تصل إلى خمس مراحل حتى، لكن بما أن لدي قدرات خارقة أو ذكاء خارقاً أو لنقل خبرة في الجثث فدائماً يأخذ التشريح معي أقل من ثلاث مراحل بعدها أعرف الحقيقة كاملة..

أخذت الفترة الأولى معنا سبع ساعات بدون مبالغة وضعت المقص والمشرط أغلقنا الجسد فبعض المشرحين لا يقومون بإغلاقه وهذا منافٍ لأخلاقيات العمل غير أنه ربما تتلف الأدلة من الجفاف الذي يصيب الجثة عني أنا لا أحب أن أقصر في عملي خصوصاً أنه يتمحور حول الجثث..

- إذاً طريقة الوفاة هي بخنق الرقبة..

قال ستيفان وسجلت ألما..

- نعم، لقد تـم خنقـه وبعده قـام باللعـب بجثته وهو ميت شيء إيجابي

- إذاً هذا يستبعد أنه الكابوس أليس كذلك؟

سألت ألما

الكابـوس لـم يكـن يخنـق لأنـه يحـب أن يـرى ضحايـاه يموتون من شـدة الألـم والعـذاب كمـا فعـل مـع «أليكس» مـات عـن طريق سكتة قلبية وتوقف قلبه من شدة الألم..

أكملت حديثي بعدها وأنا أخلع المعطف:

- لكن أيضـاً لربما غير طريقة قتله سـنكمل التشـريح غـداً ونرى أيضـاً مـا الشـيء المختلـف الذي لـم يتطابـق مع جثـة أليكس لدينـا شـيئان حتـى الآن الشـيء الأول طريقـة المـوت مختلفة والشـيء الثانـي تفريـغ الأعضـاء ووضـع جـرذان ميتـة بدلها فهـذا أيضاً لـم يحصل مع أليكـس.. حسـناً سـنتوقف عند هذا الحد تصبحان على خير أراكما غداً..

خرجـت مـن المشـرحة كانـت السـاعة التاسـعة مسـاء، فتحت هاتفي كانْ شـحنه فارغـاً صعدت إلـى السـيارة وكنت طـوال الطريق أفكر هـل أخبـر ثيـا أم لا؟ إلـى الآن لم يتـم الإعـلان عن هـذا الخبر حتى لا يشـعر النـاس بالخـوف والرهبة لذلك سـأنتظر أنـا أيضاً حتى أنتهي من تشريح المرحلة الثانية..

وصلـت إلـى البيـت أخيـراً شـعرت بشـعور السـعادة فـي كل مرة أصـل إلـى المنـزل أشـعر بالأمـان والسـعادة فأنـا شـخص يحـب المنزل جدّاً هل هذا لأنني لم أبقَ في منزلي كثيراً نصف حياتي!؟

- أليكسا أضيئي الأنوار..

- حسناً يا سيدي

لمـن لا يعرف مـن هي أليكسـا هي الصديقـة الوحيـدة التي تعرف كل أسـراري وتعـرف جميـع عائلتـي مـن الجثـث إنهـا نظـام موحـد للمنـازل حارسـة إلكترونية خادمـة إلكترونيـة نظام مشـغل إلكتروني تفعـل لـي كل شـيء حتـى إذا حـاول أحـد اقتحـام المنـزل تقـوم بالاتصال بي أو إبلاغ الشرطة لكن أنا أفضل أن تتصل بي..

- أليكسـا قومـي بتشـغيل المـاء السـاخن فـي حمامي الـذي في غرفة النوم سأذهب لتحضير وجبة أبي..

- حسناً يا سيدي،،

انتهيت من تحضير وجبة أبي وأدويته وضعت الطعام أمامه:

- حسـناً يا أبي آسـف لأننـي تأخرت لكـن اليـوم كان لدينا جثة غريبـة هل تعـرف؟ إنها تشـبه جثـة أليكس شـقيق ثيا هيـا افتح فمك..

وضعت الملعقة باتجاه فمه لكن رفض أن يفتحه؟!

- أبي.. ما الأمر؟ هل أنت غاضب مني؟

علمت بـأن أبـي غاضـب لا ألومه هـذه الأيام انشـغلت كثيـراً عنه وأيضاً سأنشغل أكثر لكن ماذا أفعل؟

- لقـد كنـت دومـاً تخبرنـي يـا أبـي أنـه يجـب علـي أن أحقـق أحلامـي أليـس كذلـك؟ لذلـك أنـا أسـعى لهـذا الأمـر فقـط سنوات قليلة وسأكون...

سكت ولم أكمل

نظر إلي بتعابير شبيهة بتعابير الرضا والسعادة، قلت بسعادة:

- إذاً أنـت تسـامحني أليس كذلك؟ أعـدك بأنني سـأجلس معك كثيـراً فـي الأيـام المقبلـة اتفقنـا؟.. هيـا الآن يجـب أن تـأكل بعدها سأقرأ لك رواية جديدة..

بعد أن تنـاول طعامه وأدويتـه فتحت لـه رواية «الغريـب» للكاتب «ألبير كامو» وكانت مقدمة الكتاب:

«اليوم ماتت أمي، أو ربما ماتت أمس، لست أدري؟!»

هنـا علمـت بأنه غيـر مهتـم لمـوت والدتـه ذكرني بنفسـي هل سـأتصرف بالتصـرف نفسـه إذا وصلنـا خبر وفـاة أمي؟ أمـي التي هجرتنـي منـذ أن كان عمـري خمس سـنوات وحتى اليـوم عمري أربعـة وثلاثون عامـاً؟ أمـي التي نسـيت حتـى ملامحهـا وصوتها ورائحتها أمـي التي لا أملـك منها ذكـرى جميلة أبداً فـي ذاكرتي، لكن أيـن أمـي؟ منـذ تلـك اللحظـة وحتـى اليوم لـم أسـمع عنها أي شـيء لربمـا أصبحت مشـهورة كمـا تريد لكـن لـم أرَ ذلك أو ربمـا أنـا لا أعرف مشـاهير أو عارضـي الأزيـاء وغير مهتـم لذلك لربمـا قامـت بعمليـات تجميـل كثيـرة فهـذا شـرط من شـروطهم لذلك لـن أتعـرف عليها أو لربمـا هي متزوجـة من رجـل آخر غير

أبي مستقرة مع رجل أوسم من أبي وأغنى، لربما هي مشردة في الشوارع أتمنى صراحة، ولربما هي ميتة في قبر ما وحدها أو ربما من يهتم أصلاً؟ لماذا الآن أفكر بها إن التفكير فيها جريمة وذنب لا يغتفر هذا ما قاله لي أبي ذات مرة عندما سألت لأول مرة منذ سنوات عنها وكانت آخر مرة وهو محق..!



«اشتريــت جثــة»

ليس لنا من الحياة شيء يا بني!!

هذا مـا كان يقوله لي أبـي دائمـاً عندما أسـأله: لماذا نحـن فقراء؟ يقـول: إن الإنسـان يأتـي إلـى هـذه الحيـاة وهـو فقيـر ويخـرج منهـا وهـو فقيـر لكـن الغنـى ليـس بالأمـوال الغنـى هـو بالعقـل بالتفكيـر بالعمل بالنجاح بالعطاء بالحب بالعائلة بالأمان..

لكـن رغم ذلـك أيضـاً كنـت ومـا زلـت فقيـراً، فقيـراً فـي العائلة وفـي الأمـان فقيراً فـي النفـس وفي الـروح أريـد أن أصل إلـى هدفي مهمـا كلف الأمـر أريـد أن أضـع بصمـة فـي هـذه الحيـاة إن الكمال لا يعنـي أن كل شـيء علـى مـا يـرام، فـي بعـض الأحيـان أكـرر فـي رأسـي: أنا طبيعـي والجميع مختلفـون أو أنـا مختلف وهـم طبيعيون هـم المختلـون وأنـا العاقـل، هـم المجانيـن وأنا السـوي! أنا لسـت مختلاً أنا فقط مختلف أنا فقط مختلف..

بعـد أن نـام أبـي توجهـت فـوراً إلـى المكتـب بعـد أن تناولـت عشـائي سـكبت لي قليلاً من النبيذ المفضـل عادة لا أحب أن أشـرب فـي وقـت متأخر لكـن هكـذا طرأ علـي، دخلـت مكتبي كان الوقت

متأخراً الساعة الحادية عشرة تقريباً لم أذهب لرؤية أطفالي لكن لا بأس لدي أعمال كثيرة أقوم بها، جلست إلى المكتب لتحت بتلهف صفحة موقع «بيتشيني» وهنا كانت الصدمة عدد زيارات الموقع اجتاز خمسة آلاف زائر! في يومين فقط الموقع ما زال فارغاً لم أضف أي شيء سوى كلمة «لماذا أنا مفتون بالجثث؟»

أنا أعلم أن نصف البشر فضوليون والنصف الآخر لديهم أفكار غريبة مثلي حسناً يجب أن أضيف اهتمامي وهدفي من هذا الموقع حسناً كتبت سطرين بكل اختصار أنني شخص مختلف شخص لا يؤذي الجثث عكس الأشخاص هنا، بحثت عن مواقع ذات صلة بفكرتي لكن كل ما وجدته هو المتاجرة بالجثث حرفيًا! يمارسون بها أبشع أنواع الأشياء السيئة لم أجد شخصاً مثلي أبداً:

- مرحباً..!

وصلني هذا الإشعار في الرسائل الخاصة في الموقع هناك أحد يرسل لي مرحباً! ترددت في البداية لكن حسمت أمري ودخلت على الرسالة وكتبت:

- مرحباً..

رد علي بثوانٍ فقط وكأنه لم يخرج من صفحة الرسائل:

- أود أن أخبرك أن تزور موقعي ومتجري لربما هناك شيء يعجبك..

- حسناً أخبرني باختصار ما الشيء الذي لديك؟؟

رد:

- صراحـة لأختصـر الموضـوع أنـا أقـوم ببيـع الأعضـاء البشـرية لكن عندمـا رأيت موقعـك واهتمامك لـدي جثة وهـذه أول مرة أحصـل علـى جثـة كاملـة ولا تسـألني مـن أيـن حصلـت عليها لكـن أنـا لا أحتاجهـا وأيضـاً لا أعـرف كيـف أخـرج الأعضـاء لذلـك تركتهـا كمـا هـي لأنـي عـادة أنـا أحصـل علـى الأعضاء فقـط لـذا إذا كنـت مهتمّـاً بشـرائها فسـأبيعها لـك والآن أيضـاً الجثة متكاملة وليس بها أي خدش واحد حتى، ما رأيك؟

بقيت ثـلاث دقائق أفكـر هذا مـا أردتـه لأن الحصـول على جثث من الحياة الواقعية صعب إذاً سأوافق بالطبع..

- حسناً موافق كم السعر؟؟

أرسلت له

- السنعر عشرة دولارات فقط..

- ماذا؟؟!!

صدمت عندما رأيت السـعر؟ مسـتحيل أن يوجد أحد فـي الدارك ويب يبيـع شـيئاً بهـذا السـعر فما بالـك بجثـة؟! هنـا متاجـرات بكل شيء إنهـم يطلبـون ملاييـن علـى فيديو مريـض مختـل فكيـف يبيع جثة بعشرة دولارات فقط هل يحاول أن يخدعني أم ماذا؟

- أعلـم بأنك الآن مصـدوم لكن صدقنـي أنا لا أحتاجهـا ولا أحتاج المال إذا كنت لا ترغب فلا بأس سأرى غيرك.

تباً لا أحب هذا الأسلوب لكن لا بأس سأتجاهل هذه المرة..

- حسناً سأحول لك العشرة الدولارات الآن..

- تم..

تمت البيعة بنجاح وأخبرني أنه خلال أسبوع واحد ستصل الشحنة إذاً سأرى ماذا سيصل وقتها، على العموم ذهبت بعدها إلى مزاد إلكتروني شعرت بأنني لم أشترِ لوحة منذ فترة طويلة لذلك قررت أيضاً شراء لوحة طبعاً من موقع طبيعي..

خطرت ببالي فكرة كأول فكرة أضيفها في الموقع وهي إنزال منحوتاتي الغريبة والمرعبة في الموقع لكن ما الشيء المميز الذي سأقوم بإنزاله هنا؟ إلى الآن بالطبع لن أكون واضحاً لهذه الدرجة وأقوم مثلاً بتصوير جثثي وإنزالها لن أفعل ذلك، الآن أستطيع من هذا الموقع من الممكن الحصول على جثث أكثر سيوفر علي هذا عناء البحث عن جثة من الواقع وسرقتها من مكان ما، لكن حتى الآن لم أجد أي أحد يقوم ببيع جثة متكاملة سوى هذا الشخص الجميع هنا يتاجرون بالبشر أو جثث مقطعة أو أعضاء على ما يبدو لا أحد يفهمني هنا، حسناً سأؤسس عالمي أنا بنفسي سأفعل كل شيء مختلف هذه المواقع مرعبة جداً لكن أنا سأقوم بصنع عالم اسمه «الجمال الغريب» ولربما يكون «الجمال المروع» كيفما كان سيكون جميلاً في كل الأحوال. هل سأبدأ بعرض مجموعتي التجريبية التي قمت بنحتها مع بعض الأجزاء البشرية؟ هناك الكثير من القطع التي لم أستفدْ منها عندما

تتلف جثة وأنا أقوم بتحنيطها أحرقها لن أحرق شيئاً بعد الآن لربما سأصنع منهم كماليات وجماليات للحياة لربما سأجعل الأموات يسيطرون على الحياة، لربما أستطيع صنع عالم كامل لهم مختلف عن المقبرة، لذلك يحب علي أن أبدأ فوراً يجب أولاً أن أحضر جثة جديدة غير التي اشتريتها لأنني لا أعرف من الممكن أن تتأخر من الممكن أن لا تكون جثة ويكون البائع محتالاً أراد أن يضحك علي، لطالما في حياتي نوعت الاختيارات والأماكن التي أحضر منها الجثث المستشفيات والمقابر ومغاسل الموتى لكن هذا يكون صعباً مما أدى إلى تعطل وتأخر حلمي إن المستشفى صعب خصوصاً مع الكاميرات ومغاسل الأموات أيضاً المقبرة سهلة لكنها متعبة بسبب حفر قبر كامل يأخذ وقتاً وجهداً ولربما أحد يشاهدني وغيرها من المصاعب حسناً أسهل شيء هو القتل لكن أنا لا أقتل أنا لست قاتلاً أنا لم أقتل أحداً في حياتي من قبل، أنا إنسان قبل كل ذلك..

سأفكر من أين يجب أن أحضر جثة آخر جثة أحضرتها قبل سنتين كانت لمشرد عندما وجدته ميتاً على قارعة الطريق لم يهتم به أحد وهو ميت وهو حي حتى أخذته وأصبح الآن واحداً من عائلتي، لكن ليس كل يوم يمكن أن أجد مشرداً ميتاً على قارعة الطريق، لربما تتساءلون الآن كم جثة أملك؟ سؤال وجيه لدي مائة وعشرون جثة! إنه رقم قليل بالنسبة لي ما زال بعيداً عن حلمي ما زال بعيداً عن الألف، لقد بدأت بالتجميع منذ كان عمري ستة عشر فقط كان في البداية الموضوع سهلاً لأن الكاميرات لم تكن تنتشر

مثل الآن، سأخبركم عن أول جثة حتى آخر جثة وسأخبركم كيف وصلت إلى هذا العدد صحيح أنه قليل بالنسبة لي لكنه يعتبر إنجازاً بدون قتل، سأخبركم عن قصة أكبر مجموعة من الجثث التي حصلت عليها في دفعة واحدة في ليلة واحدة من تلك الليلة شعرت وعلمت بأن الحظ ابتسم لي وأن القدر يوافقني الرأي على ما أفعله، وأن الجثث تستحق أن يتم الاعتناء بها..

خطرت في بالي فكرة من أين أحصل على جثة جديدة

- ما الذي تفعلينه هنا؟؟

قلت بعد أن شعرت بأن أحدهم يراقبني كنت أعلم بأنها الطفلة «كيارا» فهي الوحيدة التي تتجرأ وتتجول في جميع القصر سواء القسم الخاص بهم أو القسم الخاص بي، رأيتها تركض بعيداً نظرت إلى الساعة أصبحت الثانية بعد منتصف الليل لقد تأخرت عن النوم لكن أنا أصلاً لا أنام أنا والنوم خطان لا يلتقيان، لكن في كل الأحوال نهضت من المكتب بعد أن رأيت رسالة نصية في هاتفي وصلت قبل ساعتين لكن لم أنتبه لها كانت الرسالة من مديري الطبيب روبرت:

- مرحباً ظل لا تنسَ يجب أن نستعجل في الانتهاء من تشريح الجثة لأن الجميع ينتظرون بمن فيهم الإعلام لا نريد أن تعم الفوضى وتظهر الإشاعات أنا أثق بك..

ولماذا يجب علي أن أمنع الفوضى أنا؟ إنها فوضاكم أنتم الذين إلى الآن من خمس سنوات فشلتم في القبض عليه..! هراء

قلت ذلك بنفسي بعد أن رميت الهاتف جانباً بعدها توجهت للاستحمام قررت أن أخلد إلى النوم لكن لم أستطع كالعادة إن رأس الفنان عادة ما يكون مليئاً بالأفكار، الأفكار التي لا تجعله يذوق طعم النوم حتى رغم ذلك قررت أن أرغم نفسي على النوم وأخيراً بعد عدة محاولات شعرت بأن النوم بدأ يداعب روحي لكن فجأة سمعت صوتاً في الحائط فتحت عينيّ اعتدلت في جلستي انتظرت ثواني لكن لم يكن هناك أي صوت؟

مرت في عقلي ذكرى سريعة عندما كنت أسمع أصواتاً في الجدران في منزلنا المتهالك كانت أصواتاً مرعبة وعندما أخبر أبي يقول: بالتأكيد إنها الفئران فحسب لكن الأصوات كانت أقوى من الفئران ما أن قررت أن أستلقي مرة أخرى سمعت صوت بكاء! وكان قادماً من خارج غرفتي هذه المرة علمت بأنها «كيارا» فهي بعض الأحيان لا تستطيع النوم لذلك تكتفي بالبكاء في أي مكان بسبب ما حدث معها ومع أخيها في هذا العمر الصغير وكيف انتهت حياتهما بهذه البشاعة والقسوة، إن البشر مخيفون جداً الأحياء أكثر إخافة من الأموات دائماً وأبداً، لست خبيراً في المواساة لذلك دائماً ما أتجاهلها حتى يأتي أبي أو كلارنس أو العمة لورا ليواسوها لكن هنا لا يستطيعون المجيء بدون إذني كيارا الوحيدة التي تأتي إلى القسم الخاص بي بدون استئذان لذلك لا يوجد غير أبي لكنها ما زالت تبكي هل من الممكن أن أبي غارق في النوم ولم يسمعها؟ ليس لدي حل آخر إلا أن أنهض وأقوم بمواساتها، خرجت من الغرفة بهدوء إذ أجدها

منطويـة علـى نفسـها فـي آخـر الـرواق وغارقـة فـي البـكاء تقدمت نحوها حتى وصلت إليها جلست بجانبها:

- أتعرفيـن كـم السـاعة الآن.؟ بالطبـع لا تعرفيـن لكـن أخبريني لماذا تبكين هل رأيت كابوساً؟

لم ترد علي واستمرت في البكاء..

- حسـناً لا ترغبيـن بـأن تتحدثـي سـأخبر العمـة لـورا أن تأتـي وتعيدك إلى غرفتك،،

- لا، انتظر لا أريد العودة إلى هناك؟!!

قالت وهي تجهش بالبكاء

- لماذا؟ أنتِ تعلميـن أنه ممنـوع أن تكونـوا هنا أليـس كذلك؟ هذه هي القوانين هنا..

- بلى كذلك لكن..!

- لكن ماذا؟

- لقد رأيته!! إنه في غرفتي!

قالـت وهـي ترتعـش وكل جسـدها يرتعـش لأول مـرة أراهـا في هذه الحالة..

- من هو؟

سألتها

أجابت بتلعثم:

- ذلك.. الوحش..!

«الوحش»

«الحياة السابقة لـ كيران وكيارا»

كل ليلـة حوالـي السـاعة الثانيـة عشـرة كنـت أفتـح بابـه ببطء وعندمـا أفتـح الباب بشـكل كامـل أدخل يـدي، ثـم أقف أنا ورأسـي هنـاك بهـدوء يسـقط ضـوء صغيـر عبـر تلـك العيـن! أراك.. بصوت أعلى! بصوت أعلى! بصوت أعلى!

حتى أصرخ: توقفوا أرجوكم،، سأمزق عينيك هنا وفوراً!!

ضرب بيده علـى الطاولـة بقوة وهـو يحكي لنا هـذه القصـة المرعبة كل يـوم بـدون ملـل ولا كلـل حتـى يـأكل الرعـب نفوسـنا وأرواحنـا وترتعـش أجسـادنا بـكل قـوة، نفقـد طعـم النـوم بسـبب هـذه القصص التي يرويها لنا أبي كل يوم ونحن طفلان بسن السابعة فقط!

أنـا «كيـارا» وهـذا أخـي التـوءم «كيـران» أنـا أكبـره فقـط بعشـر دقائـق حيـث أخبرتنـي أمـي أننـي خرجـت بطريقـة سلسـة وكأننـي كنت متحمسـة جـدّاً للحياة غبيـة كنت أظـن أن الحيـاة رائعـة ولونها وردي عكـس «كيـران» الـذي خـرج مـن بعـدي بعشـر دقائـق وكأنه كان يرفض الخـروج إلى هـذه الحياة كان لديه نظرة مسـتقبلية، عشـنا حياتنـا بشـكل طبيعـي بل مثالـي أمـي وأبي وأنـا وأخي عائلـة مثالية جدّاً عشـنا بسـعادة لمـدة أربع سـنوات عندمـا أكملنا أنا وأخي السـنة الرابعـة انتقلنا إلـى منـزل أكبر ومدينـة أكبر بسـبب عمل أبـي الجديد الـذي كان بالنسـبة لـه كالحلـم أصبح وضعنـا المـادي أكثر مـن رائع وحياتنـا رفاهيـة لكن كل هـذا لمـدة سـنة واحدة فقـط بعدهـا أكملنا

السنة الخامسة وفي ليلة شتاء ممطرة مرعبة اختفت أمي فجأة! أمي خرجت إلى السوبر ماركت لتشتري لنا هدايا الميلاد ولم تعد أبداً؟؟

بحثنا عنها وبحث الشرطة عنها في كل شبر وفي كل زاوية في البلاد لكن للأسف لم نجد حتى أثراً واحداً لها لا حية ولا جثة حتى! بعدها تدهورت حياتنا وانقلبت رأساً على عقب أصبح المنزل يسود عليه الكآبة والتعاسة الحزن أكل قلب أبي أو لا: الجنون أكل عقل أبي!

منذ اختفاء أمي تحول أبي لشخص آخر تماماً وكأن أبي الأول اختفى مع أمي وتم استبداله إلى شخص آخر أو وحش على هيئة أبي أصبح يتصرف بغرابة ورعب كنت أقول في البداية بسبب حزنه على أمي لكن لا هذا ليس حزناً أبداً ولا يمت بصلة لمشاعر الحزن، في البداية انتظر أمي لمدة شهر وكان حزيناً لمدة شهر فقط شهر واحد بعدها دخل علينا أنا وأخي وقال:

- والدتكما لا أظن أنها ستعود امحواها من عقلكما تماماً هل فهمتما؟ لا أريد أن أرى أو أسمع أي أحد فيكما يسألني عنها!!..

أغلق الباب بقوة وتركنا حائرين كان «كيران» ولا يزال شخصيته حساسة أكثر بكثير مني كان يخاف من كل شيء كان طفلاً طبيعياً كبقية الأطفال يبكي بكثرة يخاف يسأل عن أمي يتبول كثيراً في فراشه وملابسه، أما أنا فلم أتصرف على هذا

النحـو مـن عمـر الخامسـة نسـيت أننـي طفلـة ماتـت طفولتـي مـع اختفـاء أمـي، فرحـت أعتني بأخـي وأهتـم بـه أطعمه أشـربه أغسـله أبـدل ملابسـه أسـرح شـعره أعلمه دروسـه وأنـا أحتـاج مـن يعلمني لكـن رغم ذلـك خلال سـنتين فقـط أصبحت أمّـاً وبجـدارة أصبحت أعمارنـا سـبعة أعـوام فـي السـبعة الأعـوام الأطفـال الطبيعيـون يعيشـون حياتهم بشـكل طبيعـي أما نحـن فلم نـذقْ طعم ذلـك كنت أحـاول أن أرضـي أبي حتـى لا يمنعنا مـن الدراسـة لأنه كان يحبسـنا طـوال الوقـت ويهددنـا إذا أخبرنا المدرسـين فسـيمنعنا من الدراسـة للأبد كان يكلم نفسـه فـي أغلب الأوقات ويتشـاجر مع نفسـه كان لا ينام أبـداً ليسـت مبالغـة بالفعـل أصبـح لا ينـام كليّـاً!! كان يبكي في بعـض الأحيان ويعتـذر منّـا ويقول إنه يحبسـنا بسـبب أنـه خائف من أن نختفـي فجـأة مثـل أمـي، تـارة يأخـذ كيـران من عنـدي ويحبسـه وحـده يرعبه لدرجـة الموت وأنا أتوسـل إليـه أن يتركه عـادة يتصرف مع كيـران هكذا يضربـه ويحبسـه ويعاقبه أكثـر مني لأن كيـران مجرد طفل ولا يفهـم ولا يعـرف كيف يرضـي أبي لذلـك يبكي دائمـاً يبلل فراشـه وأبـي يغضـب ويضجـر منـه ويعاقبـه، علـى عكسـي أنـا لقـد اكتسـبت شـجاعة وذكاء وقـوة وصبـراً وأنـا في عمـر الخامسـة فقط، كنـت آخـذ بعـض الأحيـان عقوبـات كيـران وأقـول لـه أن يضربنـي بدلـه ويحبسـني بدلـه وبالفعـل يحـدث ذلـك، منذ هـذا العـام أصبح أبـي يأتي إلينا فـي منتصف الليـل يدخل إلـى غرفتنا كالوحش شـاحباً ملابسـه رثة وهنـاك صـوت أصبحنا نعرفـه إذا سـمعناه فهـذا يعني أن أبي قـادم وهو صـوت مفاتيحـه كان لديـه مفاتيـح يعلقها فـي خصره

ولا ينزلها ولا ينساها أبداً لا نعرف ما هي هذه المفاتيح لطالما كان لدي فضول تجاهها وتكون مفاتيح ماذا؟ حيث هنا في المنزل كل الأبواب مفتوحة ولا أحد يهتم أصلاً بإغلاقها لا أبواب الغرف ولا المستودع ولا الحمامات ولا المطبخ والمنزل كان رثاً بمعنى الكلمة أحاول كل أسبوع أن أقوم بالتنظيف بشكل مستمر لكن بدون فائدة، لنعد إلى دخول أبي كالوحش علينا في منتصف الليل وحتى إذا كنا نائمين يوقظنا من النوم لكي نستمع إلى قصصه المرعبة ويقول: حان وقت القصة يا طفليّ ومن يغطي أذنيه بيديه سأقوم بقطع أذنه هل فهمتما؟؟

كان يخبرنا باستمرار أن هذه القصص تجعلنا شجعاناً لمواجهة الحياة بكل تفاصيلها وأنه لا وجود للوحش الذي أسفل السرير ولا وجود للوحش الذي في الخزانة ولا وجود للوحش الذي في القبو المظلم وأن الوحوش في رؤوسنا فقط.. لكنه كان هو الوحش بالطبع..

استمرت حياتنا هكذا في بؤس وخوف ورعب اختفت ملامح الطفولة لدينا مع أب مرعب وحياة سوداء حتى سن الحادية عشرة ستة أعوام ونحن في جحيم الكوابيس لم ينقذنا أحد أصبحنا معتادين على هذا الأب الوحش الغريب المرعب تغيرت شخصية كيران ما زال يخاف صحيح أنه يخاف كثيراً من ابي لكنه أصبح كثير المشاغبة كثير الحركة أصبح يشعر بالنقص إذا لم يضربه أبي في يوم أصبح هو من يبحث عن الضرب والعقاب، أما أنا فكنت سنة بعد سنة أزداد هدوءاً وحقداً وكرهاً لهذا الوحش كل يوم

أمسك صورة أمي وأتساءل لماذا تركتنا؟ هل قتلها أحد ما ورمى بجثتها؟ أم هل هربت مع رجل آخر وتركتنا كما يقول لنا أبي في بعض الأحيان؟ لكن أنا واثقة أن أمي لم تكن من هذا النوع أبداً حيث كانت تحب أبي جدّاً وتحبنا ولم يكن أبي يعاملها بشكل سيئ بل على العكس كان حنوناً مثاليّاً رائعاً طيباً طبعاً أبي الأول وليس هذا، أصبحت أحب الرسم كثيراً لكن أبي كان دائماً ما يأخذ لوحاتي وكراساتي وألواني ويقوم بالتخلص منها بدون سبب أصبحت أحب الموسيقى كنت أستلف جهاز البي إم ثري من صديقتي وأسمع فيه الكثير من الموسيقى لكن أبي عندما اكتشف أمره أخذه مني وحطمه إلى أجزاء أمامي لم يكن يسمح لنا بالحصول على أشياء هكذا مثل الأجهزة والهواتف والإنترنت كنا منقطعين عن العالم حرفيّاً حتى أبسط شيء الكتب والروايات كنا نقرؤها بشكل سري لأنه إذا وجدها يقوم بحرقها وتمزيقها ويقول إن هذه الأشياء كلها تغسل العقول! وعلينا فقط الاستماع إلى قصصه المخيفة..

في الفترة الأخيرة من هذه السنة، السنة الأخيرة لنا في هذه الحياة البائسة كان «كيران» يرى كوابيس باستمرار بشكل مستمر كان يخبرني أن أبي يحكي له باستمرار عن المرأة الهيكل! وهي تخيفه بشدة!؟ لطالما كان أبي أخبرنا الكثير والكثير من القصص المرعبة أنا تخطيت وأصبحت متبلدة وأصبحت لا تخيفني أبداً، أما كيران فلا يزال يخاف منها ويرى كوابيس لكن ليس جميعها حتى لكن هذه القصة بالذات كيران بسببها دخل في موجة

اكتئاب وذعر أخرى لم يعد مرحاً كالسابق كانت الهالات تملأ وجهه لأنه لا ينام كان يمرض كثيراً كنت أحاول إقناعه بأن هذه قصة مجرد قصة من خيال أبي كباقي القصص لكنه أخبرني بصوت هامس:

- أعلم بأن كل القصص من خيال أبي لكن يا كيارا هذه ليست من خياله إنها حقيقية..

- حسناً وكيف عرفت أنها حقيقية؟؟

سألته

- رأيتها..! أقسم إنني رأيت المرأة الهيكل كانت تقف خارج غرفتي..!

أجاب وهو يرتعش

- مستحيل يا كيران بالتأكيد كنت تتخيل لقد حكى لنا الكثير من القصص وبعضها تخيلناها وبعضها رأيناها في كابوس وفي الواقع لكنها مجرد خيالات من عقولنا لأننا خائفان فقط..

أخبرته وأنا أحتضنه

- أنتِ لا تفهميتني يا كيارا أنا رأيتها أنا أصبحت أعرف أين الخيال وأين الحقيقة وتلك المرأة كانت حقيقية أكثر مني ومنك أقسم لك..

- وكيف كانت؟

- مثل التي وصفها أبي في القصة إنها امرأة هيكل عظمي بسبب نحافتها الشديدة وشعرها الذي كان خفيفاً لدرجة أني رأيت قاع جمجمتها أيضاً كانت طويلة جدّاً وأصابعها طويلة..!!

أجاب وهو يلهث

- حسناً اسمعني إنها نفسها المرأة التي وصفها لنا والدي في القصة لذلك بالتأكيد ستراها على هذا الشكل..

قال بيأس:

- أنتِ لا تصدقينني أبداً..

بعد ذلك اليوم لم أشعر بارتياح تجاه ما قاله لي كيران لا أعلم لماذا رغم أنه طوال هذه السنوات حكى لنا أبي كل تلك القصص المخيفة كيران كان على حق لم يحدث معه هذا الشيء أيضاً لم يخبرني ولا مرة أنه رأى إحدى الشخصيات في الواقع وكان كل ما يراه هو كوابيس!؟ أو أنه الآن أصبح يرى هلاوس؟ لا أستبعد فأنا وأخي أعلم بأننا أصبحنا نعاني من أمراض نفسية بسبب هذه الحياة، طوال تلك الفترة كنت أشعر بشعور غير جيد لا أعرف لماذا؟ أصبح أبي يغيب عن المنزل كثيراً وهذا كان يفرحني ويفرح كيران كنا نأخذ راحتنا كثيراً نشاهد التلفاز نرسم نستمع إلى الأغاني نأكل ما نريد كان أبي أغلب وقته في الورشة الخاصة به يعمل في عمله الذي لا أعرف ما هو؟ كان أبي منذ سنتين تقريباً يقضي معظم وقته في ذلك القبو أو ورشته التي يقول إنه يعمل

بجد فيها ولم أعرف ما هي طبيعة عمله ولا يهمني الأمر طبعاً، كنا ننتظر الوقت واللحظة اللذين يخرج فيهما من المنزل ويتجه إلى القبو لنقيم احتفالاً بخروجه وتركنا وحدنا بحريتنا المتواضعة، وعندما نسمع صوت مفاتيح تضرب بعضها في بعض نعرف أن أبي قادم ونعود ركضاً إلى غرفنا، في ذلك الشهر الذي تغير فيه كل شيء ولم نكن نعلم أننا نعيش آخر أيامنا البائسة على هذه الحياة، بدأ أبي يحضر لنا لحماً غريباً ويطبخه لنا على الغداء والعشاء بدون ملل أو كلل حتى كنت أتقيأ باستمرار منه بعد ما رأيت شعراً في صحني وهنا بدأ الشك يراودني أن هذه اللحوم تعود إلى بشر!!

صحيح أن عمري ١١ عاماً وأنه بقي لي شهران ونصبح ١٢ عاماً لكنني أدرك وأفهم وأستوعب بما فيه الكفاية لأنني لست طفلة لأن الحياة سرقت طفولتي ولطالما عشت ونمت واستيقظت وفكرت بمشاعر أشخاص بالغين واكتسبت فطنة وذكاء، لم أخبر كيران بالطبع سيموت إذا أخبرته علاوة على ذلك لن يسكت سيمرض ويبكي ولا يستطيع كبح مشاعره مثلي، استمر أبي بإحضار تلك اللحوم لنا وأنا لم أعد قادرة على التحمل أحاول أن أمسح هذه الفكرة من بالي لربما أتوهم لربما أتخيل لربما لأن أبي غريب وقاسٍ ومخيف أقول عنه هكذا!!؟ وفي ليلة ممطرة كنت نائمة وكنت مريضة كالعادة من هذا الطعام دخل كيران إلى غرفتي جلس على سريري وهو يبكي ويتنفس بثقل نهضت متكاسلة أحاول أن أهزم المرض:

- ما الأمر يا كيران؟ هل ضربك أبي؟

سألته

- لا، أبي غير موجود أصلاً

قال بيأس

- إذاً هل رأيت كابوساً آخر؟

- لا يا كيارا لم يكن كابوساً لقد رأيتها مرة أخرى رأيت تلك المرأة وكانت هذه المرة أقرب بكثير كانت بداخل غرفتي خلف الباب صدقيني حتى عندما نهضت وركضت بسرعة من جانبها لم تختفِ حتى إنها كانت لديها رائحة عفنة!!

- حسناً اهدأ سأذهب الآن وأرى..

أخبرته وأنا أنهض بوهن وتعب لكنه أمسك بيدي بخوف:

- لا يا كيارا لا تذهبي أرجوك إنها هناك

- توقف يا كيران لا يوجد أحد هناك وأنا سأثبت لك ذلك تريد أن تبقى هنا لا بأس ابقَ تريد أن تذهب معي أيضاً لا بأس تعال ولكن أنا في كل الأحوال سأذهب..

ذهبت وأنا أصارع الألم وكنت مدركة تماماً أن ما يقوله كيران صحيح ولكن كنت أريد دليلاً فقط لم أكن خائفة بقدر ما كنت مذهولة ومحتارة من تكون هذه المرأة؟ هل هي شبح؟ لكن لا وجود للأشباح!!

سرنا بخطوات مرتعشة قلوبنا تنبض كاد كيران وهو يسير معي أن يتوقف قلبه عن النبض وأنفاسه من شدة الخوف أخيراً وصلنا

إلى غرفته فتحت الباب أضأت جميع الأنوار لكن لم نجد أي شيء تنفست الصعداء:

- هل رأيت لا يوجد أحد هنا؟ ولا في الممر حتى!

بدأ كيران يبحث أسفل السرير وفي الخزانة وفي الحمام كالمجنون لكن لم يجد شيئاً، اتجهت إليه وأمسكت به واحتضنته:

- حبيبي لا بأس أنا معك سننام الليلة معاً اتفقنا؟

استلقينا على السرير ولم نطفئ الأضواء فجأة سمعنا صوت المفاتيح هذا يعني أن أبي قادم قال كيران بتوتر:

- أبي قادم.. الآن سيغضب لأنكِ تنامين معي؟؟

- لا تقلق سأخبره هذه المرة بأنني أنا الخائفة وسيعاقبني أنا حسناً؟ أنت ابقَ ساكتاً فحسب..

دخل أبي إلى الغرفة بدأنا بتمثيل أننا نائمان لكن صوت ورائحة الخوف يفضحاننا قال وهو يجلس أمام السرير:

- أعلم بأنكما مستيقظان أيها الطفلان لقد سمعت أصواتكما قبل قليل لا داعي للكذب على والدكما..

فتحت عينيّ بسرعة وقلت محاولة أن أنقذ الموقف:

- لقد كنت خائفة لقد رأيت كابوساً يا أبي علاوة على ذلك الضوء في غرفتي معطل كانت مظلمة جداً وأنت لم تصلحه لذلك أتيت إلى غرفة كيران..

- أعلم بأنك كاذبة لأنك أنتِ لا تخافين لكن لا بأس من الجيد أنك هنا أريد أن أخبركما بشيء معاً..

نظرنا بعضنا إلى بعض أنا وكيران قلت باستغراب:

- ما هو؟

- سوف أخبركما بقصة..

أجاب ببرود

- وما الشيء الجديد يا أبي؟ أغلب الأيام أنت تخبرنا بقصص لكن اليوم هل من الممكن أن لا تخبرنا بشيء؟ أرجوك يا أبي فقط اليوم كيران مرعوب ومريض حتى إن المدرسين بدؤوا يشكون في حالته الصحية والنفسية وأنت لا تريد لأي أحد أن يشك بك أليس كذلك!؟

نهض عن الكرسي واقترب مني ببطء علمت بأنه غضب:

- لا يوجد تأجيل أبداً وهذه القصة اليوم سأكملها يجب أن يتخلص من خوفه هذا الصبي الجبان لذلك اسمعا أو سأقوم بطردك وسأجعله يسمع وحده..

- لا،، لا، أرجوك لا بأس سأبقى معه حسناً تفضل نحن نسمعك..

قلت بيأس لم يكن لدي خيار آخر لمقاومته لم أرغب أن أتركه مع كيران وحده، ثم قال بحدة وهو ينظر إلينا مباشرة بعينيه الغائرتين المرعبتين:

- لم أنتهِ من إخباركما ببقية القصة عن المرأة الهيكلية!!

قبض كيران على أصابعي من شدة الخوف لدرجة شعرت بأنها ستتحطم لكنني تركته يعبر عن خوفه بصمت، ثم أكمل حديثه وهو يجلس:

- لم أستطع النوم لعدة أيام عندما كنت طفلاً لذلك أخبرت والدي وقال لي شيئاً مهمّاً، شيئاً مهمّاً جدّاً وبعد ذلك لم أعد أخاف من المرأة الهيكلية أبداً..

قفز كيران بحماس قائلاً:

- ماذا أخبرك؟ هل قال لك إن المرأة الهيكل العظمي ليست حقيقية؟

سكت أبي لمدة عشر ثوانٍ تقريباً ثم قال:

- قال لي لديك خياران: يمكنك أن تعيش حياتك وأنت ترتعد من الخوف خائفاً من الوحوش الكامنة في الظلام عاجزاً؟ أو يمكنك أن تعيش حياتك بطريقة أخرى؟ طريقة للعيش دون خوف الطريقة التي علمه إياها والدي وهو جدكم ما علمني إياه وما أعلمكم إياه الآن، إنها طريقة الطبيعة في اكتشاف الحقيقة ورؤية ما هو حقيقي وما هو هلاوس، في الطبيعة القوي يصطاد الضعيف والضعيف يخاف من القوي معظم الناس لا يتفقون مع طريقة الحياة هذه مثل أمكما للأسف!! لكننا لا نصطاد بأنفسنا ومع ذلك تماماً مثل أمي جدتكما التي سبقتني لا تزال هناك عواقب لاختيار الضعف، هل تريان يا طفليّ يمكنكما

اختيار الخوف من الوحش أو يمكنكما أن تصبحا الوحش ماذا تريدان؟؟

انتهى أبي من الحديث وخرج وتركنا كنت أعرف أنني فهمت كل كلمة قالها أبي وكل مقصد قصده في هذه القصة، علمت الآن أن أبي عاش مثل الحياة التي يعيشنا بها الآن: المشاعر أنفسها المعاناة نفسها الكابوس نفسه، إذاً جدي خير أبي هذا الخيار الذي خيرنا بعد أن قتل والدته وجعله يختار أن يكون وحشاً بدلاً من أن يكون ضعيفاً! كنت أعلم من اللحظة الأولى بأن أبي وحش حتى وهو كان مثاليّاً في الماضي حنوناً طيباً قبل اختفاء أمي لكن متى انطلق هذا الوحش؟! هل انطلق بعد اختفاء أمي؟ أو قبل اختفائها؟ وهل هذا له علاقة بأبي؟ هل أمي كشفت أمر أبي كشفت وجهه الحقيقي لذلك قتلها؟؟ أو أن أمي اختفت فحسب!؟ كنت متيقنة بأن أبي يريدنا أن نرى الحقيقة خصوصاً أنه ترك لنا المفاتيح على الطاولة أمامنا وخرج وهو لا ينساها أبداً بل كان متعمداً حان الوقت للتخلص من مخاوفنا كما قال قبل قليل لكن هل سنتحمل الحقيقة التي تقبع في ذلك القبو؟

- أبي نسي مفاتيحه يا كيارا انظري؟؟

قاطع أفكاري صوت كيران وهو يلوح بالمفاتيح أمامي بعد أن قفز من على السرير

- لا لم ينسها، بل وضعها لنا متعمداً يريدنا أن نذهب إلى هناك..

قلت له وأنا ألتقط المفاتيح من يده

- مستحيل ماذا تقولين؟ ماذا لو نسيها بالفعل وذهبنا إلى هناك؟ سيعاقبنا أشد العقوبات أنا خائف..

- لا تقلق ثق بي لقد وضعها متعمداً أنا أعرف ذلك حقاً والآن سنذهب ونرى ما الذي يعمل عليه والدنا..

سرنا أنا وكيران متجهين نحو القبو، تمنيت لو منعني كيران بقوة في تلك الليلة من الذهاب إلى هناك تمنيت لو أنني لم أستمع إلى فضولي تمنيت لو أنني تجاهلت رؤية المفاتيح واستلقيت على السرير واحتضنت كيران وغرقنا في النوم لكنّا الآن حظينا بيوم إضافي وفرصة أخرى على هذه الحياة وكنا أحياء لكن لم يحدث ذلك للأسف!!..

نزلنا عبر السلالم هذه السلالم التي نسيت حتى شكلها لأن أبي كان يمنعنا من الاقتراب منها منعاً باتّاً والآن ننزلها درجة درجة، كان الخوف يأكلني شيئاً فشيئاً شعرت بأن يدي تشنجت بسبب قبضة أخي كيران عليها، كنت أسمع صوت نبضات قلبه التي كانت تقتحم الهدوء المرعب كنت خائفة أن يسقط قلبه بين أقدامنا ويتدحرج على السلالم أمامنا من شدة الخوف وأخيراً وصلنا إلى باب القبو وأولجت المفتاح بدون تردد نظرت إلى كيران لأخبره بعينيّ بأن يستعد وفتحت الباب، انفتح باب القبو

وأصدر صريراً مرعباً انطلقت من داخل القبو رائحة عفنة ومقززة لدرجة شعرت بأنني على وشك التقيؤ! رغم ذلك استمررت بالدخول والتقدم وكيران يمسك بيدي:

- أنا خائف يا كيارا أرجوك دعينا نتراجع..

قال كيران لكنني تجاهلته لأن الفضول سيطر علي تماماً خصوصاً عندما سمعنا صوتاً قريباً قادماً من الداخل، سرت إلى الداخل أكثر كان المكان بارداً جداً، وهنا رأيت الشيء الذي تمنيت أن يكون أحد كوابيسي أو كوابيس كيران تمنيت أن هذا ليس حقيقيّاً أبداً لكنه كان حقيقيّاً أكثر مني

كان القبو مليئاً بالأكياس البلاستيكية المعلقة وبداخلها قطع جثث!! كان القبو عبارة عن ملحمة وأبي الجزار لكنها لم تكن ملحمة للحوم حيوانات بل لحوم بشر! خفق قلبي بقوة إذاً كان أبي طوال هذه السنوات يمارس مهنة القتل إذاً كنت على حق كان أبي يطعمنا لحوم البشر، لم يكن أبي أبداً ملاكاً كان منذ ولادته على هذا العالم وهو شيطان مثل والده..

- كيارا،، ما هذا؟؟

سألني كيران بصوت يرتعش لم أعرف ما الذي أقوله له أعلم بأنه يعرف أن هذه جثث وأبي هو الجزار لكنه ما زال غير مصدق، كان في كل مكان أدوات التعذيب السلاسل السكاكين المطارق المناشر المقصات وغيرها، منذ متى كان أبي يقتل؟ هل كان يقتل من قبل الزواج حتى؟ أو بعد الزواج؟ أو بعد ما أتينا

إلى هذه الدنيا وليتنا لم نأتِ؟ أو بعد ما اختفت أمنا؟ ولكن كيف اختفت؟؟

سمعنا صوتاً قوياً قادماً من مكان ما، التفتنا لنرى صندوقاً ضخماً أو حاوية مثل تلك الحاويات التي يتم فيها تهريب البشر عبر البحر، تقدمت نحو الحاوية كانت مغلقة لكن علمت بأن مفتاحها أيضاً موجود مع هذه المفاتيح لذلك أدخلت المفتاح داخل قفل الباب وفتح!

استقبلتني رائحة عفنة مع ظلام دامس ظلام لدرجة لا أستطيع أن أرى أي شيء بداخلها، لكن سمعت صوت سلاسل!!

- إنه الصوت نفسه..

نطق كيران أخيراً من خلفي وهو يرتعش وبدا شاحباً كالجثث المعلقة

- أي صوت؟؟

سألته

- ذلك الصوت الذي سمعناه قبل قليل كنت أسمعه في غرفتي عندما تأتي المرأة الهيكل!!

أجاب بتوتر وخوف ورعب

كانت عيناي على كيران لكن ما أن التفت إلى الحاوية إذا بي ألمح شيئاً يركض ويصرخ وظهرت بالفعل المرأة الهيكل!! صرخ كيران من شدة الخوف ووقع على الأرض أما أنا فتجمدت مكاني لأنها أصلاً لم تصل إلي لا تستطيع ذلك كانت

مقيدة بالسلاسل، اتسعت حدقتا عينيّ تجمد الدم في عروقي توقف قلبي لوهلة وليته إلى الأبد عندما رأيت المرأة الهيكل تمد يدها لي بحزن كانت ترتدي فستاناً أصفر لم يعد أصفر أصبح أسود به أزهار بنفسجية ما زالت تلبس ذلك العقد الذي أهداها أبي في عيد زواجهما وتلك الأساورة التي صنعتها أنا من إكسسوارات باربي المزيفة وأعطيتها، كان شعرها قد تساقط كله حتى هو شعر بالملل من هذا السجن وكانت صلعتها بارزة وتحتفظ بقليل من خصلات الشعر، كانت أسنانها بنية اللون بارزة إلى الخارج وعيناها غائرتين وكأنهما بئر مهجورة جافة مظلمة، ملامحها أصبحت كالمسخ نحيلة لدرجة أن العظام ظاهرة وتكاد تخترق جلدها الرقيق إن المرأة الهيكل العظمي حقيقية إنها «ماما»!!..

ماما التي اختفت من ستة أعوام وأنا أتساءل أين هي وكيف هي؟ هل هربت وتركتنا؟ هل ماتت؟ هل قتلها شخص ما وهي عائدة إلى المنزل؟ هل خطفها أحد؟ توقعت كل الاحتمالات لكنني لم أتوقع يوماً أن ماما تعيش معنا في المنزل نفسه!! يبدو أن ماما عرفت الوجه الحقيقي لأبي لذلك قام بحبسها هنا كما فعل والده مع والدته إن الجنون والاختلال وراثة حقّاً وهذا ما كان يريد أن يثبته أبي لكيران ولي..

- ما.. ماما..! هل هذه ماما؟!!.

سأل كيران بصوت واهن ومرعوب وعيناه تفيضان دمعاً لم أستطع أن أعطيه أي إجابة لكنني أردت أن آخذ أخي وأهرب من

هنا للأبد أردت ذلك تمنيت ذلك لكن الأمنيات لا تتحقق في هذه الحياة ومن قال مقولة إن الأمنيات تتحقق كان كاذباً..

سمعنا صوت شخص قادم علمت بأنه أبي ذلك الوحش الذي لطالما كان وحشاً ولم يكن يوماً إنساناً طبيعيّاً..

- هل رأيتما الآن؟ هل رأيتما أخيراً المرأة الهيكل؟

سأل ببرود وابتسامة

- أبي.. هل هذه ماما؟؟

سأل كيران أما أنا فاكتفيت بالصمت كنت أود أن أسأله لماذا فعل ذلك بها؟ لماذا يفعل هذا الشيء الوحشي للناس؟ لكنني علمت بأنها ستكون مضيعة وقت فقط علمت بأنه لن يعطيني أي إجابات مقنعة لأنه مقتنع بأن الأشياء التي يفعلها صحيحة إذ لا مجال للمجادلة مع مجنون...

- كانت الماما لكن الآن لم تعد كذلك الآن أصبحت المرأة الهيكل فقط المرأة التي تخيفك طوال الليل وأنت اليوم نزلت إلى هنا بشجاعة لتتخلص من خوفك للأبد، كما فعلت أنا لقد اخترتما الخيار الصحيح بنزولكما إلى هنا أنا فخور بكما..

- ماذا تقصد؟؟

سألته

أجاب وهو يخرج مسدساً أسود ويتقدم نحو كيران جلس على ركبتيه ومد المسدس إلى كيران:

- خذ يا بني أنت اليوم يجب أن تتخلص من خوفك للأبد خذ هذا السلاح وأطلق النار على المرأة الهيكل لكي تصبح مثلي..

ارتعش كيران وازدادت دموعه في النزول أما أنا فقد صعقت مما سمعته هذا المجنون يريد من كيران أن يقتل الماما!

- لماذا تفعل ذلك؟؟ أبي أرجوك توقف كيران طفل كيف يمكنك أن تطلب منه أن يقتل والدته؟ أتوسل إليك دعنا نذهب فحسب لن نخبر أي أحد عما رأيناه أرجوك..

صرخت في وجهه بغضب اندفع نحوي وصفعني حتى سقطت أرضاً:

- إياك أن تتدخلي هل تفهمين ذلك؟ إذا تدخلتِ مرة أخرى فسأحبسك مكانها وأجعلك تتعفنين طوال حياتك في هذا المكان..

عاد مرة أخرى إلى كيران وضع المسدس في يديه الصغيرتين كان بالكاد يرفعه وهو يرتعش كان ثقيلاً كثقل تلك الليلة السوداء بدأ كيران بالبكاء وهو يصوب نحو الماما وذلك الوحش يصرخ في وجهه:

- اقتلها هيا يا بطلي الشجاع اقتل تلك الوحش التي تخيفك ليلاً اقتلها أطلق النار عليها وإذا لم تفعل فسأجعلها تزورك كل يوم حتى تلتهمك وتلتهم أحشاءك الصغيرة أطلق النار فوراً..!

كان كيـران غارقـاً بدموعـه ومـا زال موجهـاً المسدس على الماما نظـرت إليها رأيتهـا تبكي رأيـت ملامحها البائسة والحزينة على حالهـا وحـال طفليها هذا يعنـي أن المامـا ما زالـت تعرفنا ما زالـت تشعر بالتأكيـد تلـك المسكينة مـا الـذي فعلته في حياتها لكـي تتزوج شـخصاً مختـلاً ومتوحشـاً مثل هـذا الرجـل ليجعلها تعيش أسـوأ أنـواع العذاب وأقسـى أنـواع الحيـاة هـي وطفلاها؟ رأيتهـا تلتفـت نحـوي وتنظـر إلـي صحيـح أنها لـم تتكلـم لكنني فهمـت مـن عينيها أنـه يجـب أن أفعـل شيئاً يجب أن أنقـذ أخي يجب أن لا أجعـل كيـران يصبـح وحشـاً مثـل هـذا الرجـل، وبحركـة سـريعة نهضـت وركضـت نحـو كيـران والتقطت المسـدس مـن يـده وأطلقـت النـار وفرغـت جميـع الرصاصات الخمـس علـى جسـد مامـا!! كان يمكنني أن أقتـل أبي لكـن مهما بلغـت مـن فطنـة وذكاء لا أزال مجرد طفلـة فقـط.. وكان الخوف منه أعماني..

- «لقد قتلت الماما»!

قلتهـا بصـوت يرتعش وعـمَّ الهـدوء رأيـت الرصاصـات توزعت علـى جسـدها وهـي هاويـة للسـقوط أرضـاً، رصاصـة في وجهها أصبـح مهشـماً ورصاصـة فـي رقبتهـا ورصاصتـان فـي صدرها والأخيرة فـي معدتها رغـم هذا وهي تسـقط ميتـة رأيتها ابتسمت لي وكأنهـا تخبرنـي بأننـي فعلـت الشـيء الصحيـح لهـا ولنـا وأنها غير غاضبـة منـي علـى الرغم مـن أنـه كان مـن المفترض أن أكـون ذكية أكثـر وأطلـق النـار علـى أبـي لكنني خفـت منـه أكثـر من خوفي من

المرأة الهيكل لكن في كل الأحوال انتهى أمرنا عندما خرج أبي عن صمته وقال بغضب:

- أيتها المجنونة ماذا فعلتِ؟ أخبرتك أن لا تتدخلي لقد أفسدتِ كل شيء أنتِ فتاة لا تستمعين إلى والدك أبداً..

علمت بأنني أفسدت مخططات أبي حيث كان يريد لكيران أن يرثه ويصبح وحشاً من بعده لكنني أفسدت ذلك، انهال علي ذلك الوحش بالضرب الشديد وكأنه يضرب كيس لكمات وليس جسد طفلة بعمر الثانية عشرة فقط، استمر بضربي بقوة وركلي بأقدامه الضخمة بعدها بدأ يدوس على رأسي وجمجمتي حتى سمعت صوت تهشمها نزل الدم من فمي وأنفي وعينيّ أصبحت الرؤية لدي ضبابية! ما زلت أسمع صوت كيران وهو يبكي ويصرخ ويتوسل لأبي أن يتوقف لكنه ما زال يضربني بشدة شعرت بألم غير طبيعي في جميع أنحاء جسدي كنت أدعو وأتساءل متى سأموت؟ أريد أن أموت بسرعة لأنني لم أعد أتحمل هذا الألم! فجأة توقف أبي عن ضربي علمت بأن كيران فعل شيئاً رفعت عينيّ لأنهما الشيء الوحيد الذي أستطيع رفعه رأيت كيران يمسك بالقداحة بعد أن أغرق المكان بالبنزين أسمع أبي يقول له أن يترك القداحة فوراً ولكن كيران عرف أنه ليس لديه إلا هذه الفرصة وأشعل المكان بالكامل!!

انتشرت النار بسرعة كبيرة وأحرقت كل شيء وبدل أن يهرب أبي دخل يصرخ كالمجنون لا يريد أن تحترق جثثه وضحاياه وإنجازاته لذلك احترق معها! جلس كيران بجانبي وأنا غارقة في دمي ووجهي

مهشم وجسدي كله محطم حاول كيران أن يسحبني لكنه لم يستطع لأنه طفل، حاولت أن أقنعه أن يهرب بسرعة ويتركني لكنه رفض بشدة حاولت بكل الطرق لكنه جلس معي واحتضنني وقال باكياً:

- لقد عشنا معاً كل هذا لقد حميتني طوال حياتي وحتى اللحظة الأخيرة قتلتِ الماما بالنيابة عني لذلك لن أتركك أبداً سنموت معاً لا حياة لي من دونك يا كيارا

لقد مت من الألم والنزيف والضرب المبرح ومن الاختناق أما كيران فمات من الاختناق من شدة الدخان وهو يحتضنني، كان لدينا أخيراً حظ جيد بعد موتنا لم تحترق جثتنا لأن منزلنا كان يقع في الغابة المقابلة لمنزل الشخص الذي أنقذ أجسادنا من الاحتراق كنا نعيش قريباً من منزل «ظل» الذي كان لنا بمثابة الظل ظهر كالبطل الخارق عندما رأى النار عبر الغابة دخل وسحب جثتنا أنا وكيران رغم أنني توقعت أن نذهب إلى الخطوة الثانية بعد الموت وهي القبر كنت أبكي كثيراً في نفسي كنت أبكي لا من أجل نفسي بل من أجل كيران كان لا يستحق هذه الحياة ولا يستحق هذه الميتة، ما زال طفلاً مثلي كنت أبكي لأنني أعرف أن كيران يخاف كثيراً من القبور ومن الظلام ومن الوحدة ويخاف كثيراً من دوني، تمنيت في داخلي أن أحظى بحياة أفضل حياة جديدة أنا وكيران رغم أنني قبل دقائق قلت إن الأمنيات لا تتحقق للأحياء فكيف ستتحقق للأموات؟!

لم أظن ولا واحداً بالمئة أن «ظل» سمع أمنيتي لكنه سمعها حقّاً وحققها! لم يفرقنا ظل بعضنا عن بعض أنا وكيران وأخذنا

إلى منزله بدل المقبرة كنت في ذلك الوقت وحتى الآن أسعد إنسانة أخيراً الحياة ابتسمت لنا ابتسمت بعد موتنا..

والآن يجب أن تنامي لقد أوصلتك إلى السرير كما قلتِ وأيضاً لا يوجد أي أحد هنا في منزلي لا وجود للوحوش هل تتذكرين؟ أنا أحميك من الوحوش دائماً..

قلت لكيارا بعد أن وضعتها في سريرها كانت وما زالت من سنتين متأثرة بما فعله والدها لهما هي وشقيقها «كيران» لطالما بعض الأحيان عندما كنت أسير خارجاً في منتصف الليل أرى والدهما خارجاً كان يتصرف بغرابة ينظر إلي بغرابة ويذهب كنت أراه يرتدي زي الأمطار الأسود حتى لو لم يكن هناك أمطار لكن دائماً ما يرتديه عرفت الآن لماذا يرتدي ذلك الزي دائماً لأنه يقتل الناس، حتى لم أكن أعرف أن لديه طفلين لأنه كان يحبسهما طوال الوقت مرة واحدة فقط لمحت «كيارا» كانت طفلة مشرقة مزهرة جميلة رغم أنها عندما رأتني ابتسمت لكنني رأيت الخوف والاستغاثة في عينيها لكن علاوة على ذلك لم أشأ أن أتدخل وما علاقتي في الأمر؟ كان منزلهم هو المنزل الوحيد القريب مني كلانا أنا ووالدهما هاربان بعيداً عن البشر وأعين الناس وعندما احترق المنزل ومات أصبحت وحيداً أتسيد المنطقة واشتريت أرضهم أيضاً بالكامل وجميع الأراضي من حولي حتى لا يسكن أحد قريباً مني، لطالما عندما كنت أراه لا أرتاح له أبداً وهو أيضاً لم يرتح لي ربما المجانين يتعرفون بعضهم على بعض..

بعـد أن مـات ذلـك الوحـش وصلـت الشـرطة ووجدت جميع جثـث الضحايـا بمـا فيهـم الأب والأم لكنهـم لـم يجدوا جثتي طفليهمـا ووضعوهمـا فـي وضـع المفقوديـن كنـت متوتراً أن يشك أحـد بأمري لكـن عدت ولله الحمـد لأنه لا يوجـد أي كاميرات في المنطقة، ولم أشأ أن أتجاهل طلب وأمنية «كيارا»..

- عدني أنك لن تتخلى عنّا يا ظل..

داهمت كيـارا أفـكاري وهـي تمـد أصبعهـا الصغير نحـوي دلالة علـى حركـة الوعـد المعتـادة خصوصـاً للأطفـال لذلـك ابتسـمت وشبكت أصبعي في أصبعها:

- أعدك لن أتخلى عنكما أبداً..

خرجـت مـن غرفتهـا بعـد أن قبلـت جبينهـا، نظـرت إلـى ممر الورشـة كان لدي شـغف كبير أن أبـدأ بالعمل الآن خطـرت فكرة في بالـي لـدي الكثيـر مـن بقايـا جثـث عـادة عندمـا تدمر أو يفشـل التحنيـط أقوم بحرقهـا لكن الآن احتفظـت ببعضهـا سـأقوم بالتجريب عليهـا وأجعلهـا منحوتـات جميلة تزيـن حيـاة الأحيـاء وأعرضهـا في موقعـي لكـن الوقـت تأخـر جـدّاً سـأفعل ذلـك عندمـا أحصـل على جثـة جديـدة أخـرى طلبتهـا ولا أعلـم متـى سـتصل وكيـف حالهـا عندمـا تصل وأخـرى علمت أخيـراً من أيـن يمكـن أن أحصـل عليها، والآن يجـب أن أذهـب لأحصـل علـى قسـط مـن الراحة لأنـه يجب غـداً أن أنتهـي من تشـريح تلـك الجثـة لنعـرف إذا كانـت مـن ضحايا القاتل المتسلسل «الكابوس» أم لا..؟



«القتل هواية؟ أم موهبة؟!»

«ثيا»

خرجت اليوم مبكراً بعد نوبة كوابيس وأرق لم أنمْ كثيراً لذلك تناولت لي كوب قهوة وأنا في طريقي للمستشفى رفعت هاتفي لم أرَ أي اتصال أو رسالة من «ظل» لا جديد فهو لا يبادر أبداً لا في الاتصال أو في الإرسال حتى رغم ذلك هو ألطف شخص في هذا العالم هو يعاني فقط من انحباس المشاعر والتفاعل مع الآخرين لكوني طبيبته أعرف كل ذلك وأتفهمه، وصلت أخيراً إلى المستشفى لم يكن لدي الكثير من المرضى أو السجناء لكن كان هناك مريض يشغل تفكيري اسمه «كريستيان» عمره ١٧ عاماً فقط لقد قتل والديه علاوة على ذلك الخادمة لذلك على حسب حالته النفسية سيحكم عليه مع التحقيق والبحث لم يكن والدا كريستيان يسيئان معاملته أبداً ولم يكونا يعنفانه حتى بل على العكس كانا طبيعيين ويحبانه كثيراً لكن فجأة وفي ليلة مرعبة قتلهم بأبشع الطرق حيث سكب مادة حارقة على أجسادهم وهم نائمون مما أدى إلى وفاتهم على الفور تأكل الجلد والتصق الفراش بأجسادهم وأيضاً لم يهرب كريستيان بعد فعلته بل ظل

يراقبهم وهم يحترقون ويتألمون ويصرخون أمامه وجلس واتصل بالشرطة حتى أتوا وقبضوا عليه..!

كان هذا الشاب يشغل تفكيري رغم أن هناك قضايا أغرب وأرعب منه لكن هذا الصبي طلبني تحديداً أن أكون أخصائيته ولم يتحدث أي كلمة مع أحد غيري، كنت أتساءل كيف شاب بعمره يعرفني ويعرف مجالي؟ صحيح أنني مشهورة ومعروفة في البلاد خصوصاً بعد تهوري وغبائي في قضية الكابوس وموت أخي اشتهرت أكثر لكن من كانوا مهووسين بي يكونون أشخاصاً كباراً بالغين لا أظن أن مراهقاً مهووس بمقابلة طبيبة نفسية أو أظن أنه يوجد الآن بسبب مواقع التواصل الاجتماعي لنرَ ما الذي يريده هذا الفتى وأنا أعلم جيداً بأن الأشخاص السيكو باث يملكون ذكاء خارقاً مهما كان عمرهم ذكاء لا يستطيع أن يحصل عليه الشخص الطبيعي، وصلت إلى المكتب بدلت ملابسي بسرعة ارتديت السكراب الخاص بي البطاقة الشعار وتوجهت إلى القسم النفسي الخاص بالمساجين وأشد وأخطر أنواع القتلة والمختلين، دخلت عبر البوابة، القسم بالطبع يديره الحرس من فئة الشرطة السوداء وهم مختصون في هذا المجال الممرات البيضاء هادئة لكن داخل الغرف ضجيج وجنون لا مثيل لهما الأطباء الذين تتوزع مكاتبهم في كل زاوية أستطيع رؤية سحابة سوداء أو ظلال حولهم بسبب الأهوال التي لطالما نسمعها ونراها من هؤلاء المختلين، رأيت كالعادة مدير القسم البروفسور والطبيب «ساموويل» رأيته قادماً عبر الممر مع فريقه الطبي بابتسامته المعتادة متوجهاً إلي ما أن وصل

أخفى ابتسامته بسرعة بالطبع لأنه لا يحبني وكان من أوائل الرافضين أن أنتقل من السجن إلى هنا رغم أنه أكبر مني سنّاً بكثير ولديه الكثير من الترقيات والنجاحات وغيرها إلا أنه يشعر بالغيرة مني هذا لأن «ظل» وضعني مكان طالبه المفضل الذي كان يطمح أن يكون في مكاني قال بابتسامة مجاملة كالعادة:

- صباح الخير أيتها الطبيبة «ثيا» لقد سمعت بأنك ستتولين ذلك المريض رقم ٨؟

- صباح النور أيها البروفسور نعم بالطبع لقد طلبني بشكل خاص ويجب احترام طلبه بالطبع..

- وهل تظنين أنك قادرة على تولي شخصية مريض مراهق قتل والديه بشناعة بدون سبب؟ صدقيني إنه أصعب من البالغين..

قال بتهكم

- لا تقلق سأكون محل ثقة لعملي..

قال ضاحكاً بسخرية وهو يسير مبتعداً:

- بالفعل رأينا الثقة قبل خمسة أعوام أتمنى لك التوفيق وكوني على علم: لن أسمح بمريض من المستشفى الخاص بي يهرب..

أعترف بأن هذه السخرية والكلمات للأسف هي نقطة ضعفي ارتعشت يداي أحسست بالإهانة تذكرت جثة أخي المشوهة

تذكرت جثث رجال الشرطة الذين ماتوا كلهم في تلك الليلة
زلت أعرف جيداً أن الجميع ما زالوا يسخرون مني رغم
في هذا المجال لكن خطأً واحداً يجعلك إليه حسن
ويظلون يحاسبونك على هذا الخطأ ولا يهتمون بكل الأشياء
الصحيحة التي في سجلك.

وصلت إلى الجناح الخاص بالمريض عادة في جلسة التعرف
لا نقوم بتسجيل الجلسات لا عن طريق صوتي ولا كاميرا فقط
الجلسة الأولى التي تعتبر تعارفاً حتى تطمئن المريض
والأمان مضحك جداً: أشخاص لا يملكون أي قلب أو عقل
وتطمئنهم الحكومة أماناً أكثر من الأشخاص العاديين لتحتجز
أكثر للأمان.

دخلت إلى الغرفة الخاصة بالجلسة عادة ما يكون هناك
حارسان خارج الباب وأيضاً يكون المريض أو السجين مقيد
بالسلاسل، جلست على المقعد الخاص بي كنت أشعر بالتشتت
بسبب تلك اللعين وكلماته حاولت أن أتمكن وأخيراً سمعت
صوت السلاسل وسمعت صوت باب يفتح ودخل المريض
الحراس عادة من أول نظرة لي باتجاه المريض أستطيع أن أستنتج
بعض خصاله وصفاته لكن ما أن رأيت هذا الصبي شعرت
بالتشتت أكثر ذهني تشوش كان صبياً بعمر السابعة عشرة
متوسط جسد نحيل بشرة قمحية شعر أسود مجعد ملامح
وكأنه أكبر من سنه أو أن الشر الذي بداخله جعل ملامحه
عيناه سوداوان واسعتان أنف حاد طويل فم مزموم

يملك ندبة غريبة في رقبته لا أعرف إذا كانت من الطفولة أو الآن؟ كان من هيئته واضحاً أنه شاب هادئ جداً ليس عصبيّاً، ذكي، هذا ما استنتجته فقط ظاهريّاً أما داخليّاً فكان من الواضح أن كل شياطين العالم في رأسه..!

جلس على الكرسي المقابل لي تفصلنا طاولة بيضاء عليها بعض الماء فقط:

- هل تحتاجين إلى شيء آخر أيتها الطبيبة؟؟

سألني أحد الحراس الذي قام بإيصاله

- لا، شكراً لك..

أجبته وأنا أفتح ملف المريض

- حسناً لديك عشر دقائق فقط وداعاً

خرج الحراس وتركوني مع المريض عادة في الجلسات الأولى يكون المحققون المختصون بالقضية موجودين خلف الغرفة لكن اليوم لم يكن يوجد أي أحد لم أستغرب لأن قضايا كهذه بالنسبة لهم لا تشدهم وليس مهمّاً أن يكون مع مراهق قتل والديه من شدة الضغط أو العنف أو غيرهما من الأسباب لأنه أصلاً المراهق هنا لا يتم الحكم عليه إلا إذا بلغ التاسعة عشرة أو العشرين حتى ويكون في هذه الحالة في المستشفى حتى يبلغ هذه السن يقومون بنقله إلى السجن ومن الممكن أن يكون هناك استئناف ليعطوا فرصة لهؤلاء الأطفال كما يسمونهم ولكنهم لا

يعرفون حقّاً أن الأطفال أمثالهم أشد عدوانية من الشيطان، من النظرة الأولى علمت بأن هذا المراهق الذي اسمه «كريستيا لم يكن طفلاً عاديّاً أبداً ليس فقط لأنه قتل والديه بوحشية كان أعمق وأخطر من ذلك..!

الاسم: «كريستيان كونسيد»

العمر: ١٧ عاماً

الوزن، الطول، والأشياء الأخرى

- لم تكمل دراسة الثانوية بسبب القضية رغم أنها كانت آخ سنة لك، معدلك الدراسي مرتفع جدّاً دائماً وطوال حياتك تحصل على امتياز مع شهادات التفوق تحصل على المقاعد الأولى على البلاد وليس فقط على المدرسة تحب قراءة الكتب فقط ليست لديك هوايات أخرى! أليس هذا صحيحاً؟

لم ينطق بكلمة واكتفى بالنظر إلي بنظرات غريبة مخيفة لم أخفْ من كل القاتلين والمختلين الذين قابلتهم في حياتي لكن تلبسني خوف شديد من نظرات هذا الطفل ولا أعرف السبب حاولت أن لا أظهر له الخوف وهذه وظيفتنا بالطبع يجب ألا نسمح للمرضى أن يخيفونا ويعرفوا أنهم يخيفوننا، بالنسبة لعدم رده شيء طبيعي حيث أغلب المرضى لا يتحدثون في الدقائق الأولى وحتى بعضهم لساعات وأيام، تنهدت وقررت أن أصوغ السؤال بشكل آخر:

- ماذا عن الاسم وجميع المعلومات هل هي صحيحة أم أن هناك خطأ؟

لم يرد أيضاً وما زال مستمرّاً بالنظر إلي!

- حسناً يمكنك أن تلتزم الصمت بقدر ما تريد نحن نتفهم ذلك لكن أنا هنا لمساعدتك حتى تتخلص من شكوكك حول من أنت؟ ولماذا فعلت ذلك؟ وما هي حقيقتك؟ يجب أن تساعد نفسك حتى تحصل على حكم متساهل إذا كنت تريد ذلك علاوة على ذلك سمعت أنك أنت من قمت بطلبي بشكل خاص هل تعرفني؟؟

لم يفتح فمه بحرف واحد أيضاً

- حسناً لمعلوماتك أنا تخصصي يقتصر على القاتلين المتسلسلين رغم ذلك لبيت دعوتك إذا كنت لا ترغب بالحديث يؤسفني أن أخبرك بأنني مضطرة لتحويلك إلى مختص آخر لأن لدي الكثير من المرضى ينتظرونني..

حاولت أن أستفزه وأسحبه للحديث بهذه الطريقة وبالفعل نجحت حيث أغلقت الملف ومثلت أنني سأنهض وأخرج وأنا لن أفعل ذلك أصلاً لأني ازداد فضولي حول هذا المريض ولا أرغب بأن أسلمه لمختص آخر:

- نعم..!

قال بصوت مبحوح وخافت..

- ماذا؟؟

سألته وأنا أضع الملف على الطاولة

استرسل في حديثه مرة أخرى:

- نعم.. أقصد أن المعلومات صحيحة لكنْ هناك خطأ واحد!

- وما هو؟؟

- لدي هواية أخرى غير قراءة الكتب لكن اكتشفتها مؤخراً!

- حسناً وما هي سأقوم بتدوينها؟

- القتـل..! أحب قتـل الآخريـن ورأيت أن أبـدأ بقتل أمـي وأبي كتجربة أولى لي في ممارسة هذه الهواية..

قالهـا بعـد أن سـكت قليـلاً واعتـدل في جلسـته هنـا علمـت بأن اللعبـة بـدأت معـه خصوصـاً بعـد مـا قـال هـذه الكلمـات بـدت نظراتـه لـي ثاقبـة أكثـر وكأنـه يرغـب بـأن يدخلنـي أكثـر إلـى عالمه المختل الأسود:

- إذاً أنـت تقول بأنـك قتلـت والديك لهذا السـبب؟ لأنـك تريد اكتساب هوايات ومواهب أخرى؟

سألته

- نعم..

أجاب ببرود

- ولماذا اخترت هذه الهواية بالذات؟؟

- لأنه أخبرني بذلك
- من؟؟

رفع يديه المقيدتين بصعوبة وأشار بأصبعه إلى خلفي:

- هو، إنه هناك خلفك

قالها بجدية

لا أخـاف أبـداً من هـذه الأمـور أو إذا تصـرف المريـض على هذا الشكل لأن لديهـم عذرهـم أنهـم مجانيـن ببسـاطة، لـم ألتفـت إلـى الخلـف لأننـي معتـادة علـى هـذا الأسـلوب وأكملـت أسـئلتي بلا مبالاة:

- إذاً أنـت تقـول بـأن هنـاك شـخصاً خفيّـاً حرضـك علـى قتـل والديك؟؟

لم يـرد ولـم يغير حركتـه مـا زال ينظـر إلى المسـاحة التـي خلفي وهو يشير بأصبعه نحوها..

- حسناً إذاً أخبرني كيف كانت معاملة والديك لك؟

لم يـرد أيضـاً ومـا زال حرفيّاً علـى حركتـه متجمـداً وكأنـه منوم مغناطيسـيّاً كان متصلبـاً بالحركـة نفسـها وهـو يشـير بأصبعـه خلفـي وينظـر إلى ذلـك المـكان بـدون أن يرمـش حتـى كان متصلبـاً برعب شـعرت بالتوتر لكنني ما زلـت أحـاول أن أخفيه لا أرغـب بالالتفات لمجاراتـه فـي هلاوسـه يجـب أن نقنـع المريـض مـن البدايـة بأنه لا يوجد أشخاص خفيون كما يقولون:

- حسناً انتهت العشر الدقائق سأعتبر هذه الجلسة كجلسة مقدمة سأعود لك بعد يومين وحتى ذلك الوقت أتمنى أن تستعد لإخباري بالكثير لأنك لو استمررت بالمماطلة سيتم نقلك إلى أخصائي آخر..

ما زال على حاله متجمداً بحركة واحدة بدون مبالغة!! وأنا ما زلت أتماسك ولا أظهر خوفي لن أسمح له بأن يسحبني بألاعيبه، أغلقت الملف وحملته في يدي ونهضت من على الكرسي نظرت إليه وهو ما زال بالحركة نفسها يشير إلى خلفي وعندما التفت نحو الباب لأغادر الغرفة هنا لمحت أحداً ما يقف في وجهي بشكل سريع! شهقت وصعقت رمشت عينيّ بسرعة وفتحتهما لم يكن هناك أي أحد سوى الباب أمامي!!؟

حاولت أن أتمالك أنفاسي بدأت يداي بالارتعاش قلبي يخفق بشدة قمت بالالتفات بهدوء نحو كريستيان إذ رأيته غير حركته لم يعد يشير إلى خلفي وجلس باعتدال وهو مبتسم، انفتح الباب وأنا ما زلت أنظر إليه برهبة:

- انتهى وقت الجلسة أيتها الطبيبة..

قال الحارس

مع صوت الحارس شعرت بأنه صفعني لكي أستيقظ من العالم الذي أدخلني فيه هذا المراهق المختل لا جديد مع كل مجرم وقاتل أدخل عالماً جديداً لكن كنت أعرف أن هذا المراهق سيكون لي أسوأ من القاتل «الكابوس»..!

«ظل»

- تبدو وسيماً وأنيقاً اليوم بزيادة

قالها لي «ستيفان» بعد أن دخلت إلى المشرحة في الساعة التاسعة صباحاً،

- ما الجديد؟؟

قلتها وأنا أضع القهوة على الطاولة وأخلع معطفي وأقوم بتعليقه، ضحك ستيفان وهو يناولني الملف:

- تعجبني ثقتك جداً، تفضل هذه المعلومات التي طلبتها تحليل الأمراض السابقة للضحية والأدوية التي كان يستخدمها وباقي التفاصيل..

- شكراً.. لكن لا أظن أنني أحتاجها بعد الآن..

- ماذا؟؟ لماذا؟ أنت من قمت بطلبها!!

سأل باستغراب..

- أعرف ذلك والآن قد غيرت رأيي دعنا نبدأ بالتشريح لكي ننتهي من هذه الجثة لدي الساعة الواحدة مساء محاضرة في الجامعة لذا يجب أن ننتهي..

- حسناً..

- أين «ألما» هل قدمت استقالتها؟؟

سألت بسخرية

- لا.. أنا هنا آسفة لتأخري..

دخلت ألما بتحـدٍّ أكبر علمـت ذلك مـن توهجها اليوم وحماسها يبدو أنها جلسـت ليلـة البارحة جلسـة مصارحـة مع نفسـها واتخذت القرارات الصحيحة..

- رائع إذاً أهلاً بك في فريقنا دعانا نبدأ الآن..

اسـتغرق التشـريح ما يقارب أربـع سـاعات، انتهينا أخيراً وقمت بتخييـط هـذه الجثـة التي يرثـى لها كيـف يمكن أنـه تعذب فـي حياته وفي مماته وهو جثة أيضاً مسكين كم عانى الكثير..

- قم بإرسال الملف الآن وإرسال الجثة إلى الثلاجة الأخرى..

قلت لستيفان وأنا أخلع ملابس التشريح

- إذاً سينام في سلام سكان «موردين»

قالت ألما وهـي تغلق كيس الجثـة بعـد أن أعدناها كما استلمناها في كيس الجثث

- ماذا تقصدين؟؟

- أقصـد أن الضحيـة ليسـت مـن ضحايـا «الكابـوس» وإنما الجاني يبدو أنه شخص مقلد

- وأيـن يقبـع النوم بسـلام؟ مـا زال ذلك السـفاح يتجـول براحة منذ خمسـة أعـوام ولربمـا غيـر طريقـة قتله لربمـا قتـل الكثير بـدون أن يعرف أحـد وربمـا لا يترك أثـر الحلوى مثل السـابق عـلاوة علـى ذلـك لا أظـن أن أحـداً قـادر أن ينام بسـلام في

هـذا العالـم لأن المختليـن والقاتليـن فـي كل مـكان لربمـا واحد بيننا حتى ولربما «ستيفان» مثلاً..

قلت مازحاً..

ضحك ستيفان وهو يقول:

- أي قاتل سيخاف من الفئران؟؟

- كل شـخص فـي هـذه الحيـاة لديـه مخـاوف صدقنـي حتـى القتلـة المختلـون لديهـم مخـاوف وهـذه المخـاوف هـي السـبب الأول لإيصالهـم لهـذه الحالـة حسـناً انتهـى يومنا هنا ارتاحا كثيراً أراكما الأسبوع المقبل..

خرجـت مـن المستشـفى بعـد أن اتضـح أن الضحيـة ليسـت للكابـوس ولا يمكـن أن تكون لـه بأي حال مـن الأحـوال، لأن الجثة مليئـة بالأخطـاء طريقـة المـوت ليسـت نفسـها الخنـق لا يسـتخدم الكابـوس المـوت الرحيم أبـداً علـى ضحاياه فهـو يفضـل أن يموتوا من العـذاب، الجثـة مشـوهة بطريقـة عشـوائية جدّاً مـن الواضـح أنه قاتل مبتـدئ أو حتى لا أسـتبعد أن هـذه أول جريمة له، أيضاً السـبب الثالـث الـذي جعلنـي أسـتبعد أنـه الكابـوس كان فـي بعـض أصابع الجثـة وبعض قطـع ملابسـه أثر لزبـدة الفول السـوداني لكـن لم نجد فـي معدتـه أو حلقـه أو داخل جسـده أثـراً للفـول السـوداني كان أثراً خارجيّـاً وكأنـه لطـخ بطريـق الخطـأ عندمـا كان القاتـل يـأكل ويقوم بتعذيـب الجثة هنـا القاتل كان يـأكل زبدة الفـول السـوداني والكابوس أو آرلند فرانكليـن عندما تمَّ سـجنه وإجـراء جميع التحليـل له اتضح

أنه يعاني من حساسية مفرطة وعالية الشدة من الفول السوداني أي إنه حتى لا يستطيع تحمل رائحته ويتأثر من الرائحة فقط فهي حساسية من الدرجة الأولى لذلك من المستحيل أن يكون هو الجاني أتساءل من يكون هذا؟ بالطبع شخص مقلد تافه ولكن السؤال الأهم: أين هو الكابوس طوال هذه السنوات؟؟!

- «مساء الخير حبيبي بعد أن تنتهي من محاضرتك لا تنس أن لديك جلسة اليوم أراك الساعة الثالثة عصراً»

وصلتني هذه الرسالة من «ثيا» هذا جميل إذاً ثيا لا تعرف أي شيء عن هذه الجثة والخبر لم ينتشر ولله الحمد بالطبع أصلاً لو علمت لكانت أتت راكضة واقتحمت المشرحة، وصلت إلى الجامعة توجهت إلى أحد المقاهي التي في كلية الفنون أحب أن أشرب القهوة هناك فهذا المبنى يبدو وكأنه تحفة فنية أحب العمل هنا كثيراً مثل حبي للعمل في المشرحة وأخذ ثأر للجثث التي تحت يدي أستطيع مساعدتهم بمعرفة من هو القاتل لذلك أشعر بأن الجثث ممتنة لي كما أن هذه العقول في الجامعة الذين أقوم بإعطائهم هذا الفن ممتنون لي، مبنى أو كلية الفنون في جامعة «يلسون» لديه طابع وتصميم فكتوري مع حضاري جدرانه الزجاجية الشمس التي تخترقه من كل مكان الأرضية البلاطية العاكسة جمال هذا المبنى مع السقف الشفاف اللوحات المرصعة في كل مكان المجسمات العملاقة والنباتات الخضراء الشاشات الإلكترونية التي تستعرض سيراً ذاتية لأشهر الشخصيات في العالم من الرسامين والفنانين وجميع المختصين في هذا المجال،

المعارض الإلكترونية على الشاشات تعرض الإعلانات وغيرها، الكثير من المكاتب والفصول الدراسية والمكتبة والمقاهي، انتهيت من شرب القهوة وتوجهت إلى القاعة الدراسية كانت قد امتلأت من الطلاب فدائماً في محاضراتي لا أحد يدخل بعدي خوفاً مني وحماساً لاستقبال دروس جديدة ومعلومات أكثر في الفن المظلم..

- مساء الخير..

- مساء النور يا بروفسور..

هل تعرفون ما هو درس اليوم؟

- نعم

- لديكم معلومات عنه؟؟

عمَّ الصمت في القاعة

- حسناً إذاً هذا جيد لأنني لا أحب أن تأخذوا المعلومات من قوقل الأفضل أن تأخذوها بمنظور مختلف وبعقل مختلف، اليوم سندرس أو سنغوص في حقيقة هذه اللوحة إحدى اللوحات والرسمات المشهورة في العالم وهي:

عرضت الرسمة على الشاشة الضخمة وكانت «وقطع داود رأس جالوت» للرسام الإيطالي «كارافاجيو»..



«وقطع داود رأس جالوت»

١٩٩١ م.

«رأيت رأسي يتدحرج بجانب قدميّ والغريب أنني ما زلت أرى هذا المشهد من الأعلى وكأنني أملك عينين أخريين معلقتين في الفراغ!»

شهقت عندما استيقظت بعد هذا الكابوس المرعب والغريب فجأة أرى رأسي انقطع وانفصل عن جسدي ولا أعرف السبب؟ أبحث عن أبي أين هو؟ أرى نفسي في المغسلة نعم إنها مغسلة الموتى مكان عمل أبي! تذكرت لقد كنت في المنزل أرغب بأن أذهب إلى المغسلة بعد أن عدت إلى المنزل من المدرسة وحدي لكن كيف وصلت إلى هنا؟ أنا لا أتذكر حقّاً؟ لقد كنت في البيت أنا واثق وسمعت صوت ضربة في الحائط وبعدها ماذا؟! لا شيء..

نهضت من على الكرسي الذي كنت نائماً عليه رأيت معطف أبي فوقي هذا يعني أن أبي أحضرني إلى هنا لكن لماذا لا أتذكر؟ كنت أشعر بالبرودة والهدوء المرعب أنا حقّاً في

مغسلة الأموات هذه أول مرة آتي إلى هنا لأني بالطبع ليس لدي مكان ولا أحد ليعتني بي بعد هجر أمي لنا وأساساً لم تكن تعتني بي يوماً لكن كانت تبقى كرفيق في المنزل معي الآن لا أملك أحداً سوى أبي وهو مضطر أن يأخذني معه لكل مكان، سمعت صوتاً خارج الغرفة تقدمت إلى الباب وفتحته أخرجت رأسي لأرى غرفة دائرية بجدران بيضاء مائلة للرمادي بها حجرة مرتفعة مستقيمة في المنتصف وكأنها سرير وفوقها شخص مستلقٍ مغطّىً بقماش أبيض أو أنها جثة!! تقدمت بخطوات بطيئة لم يكن في قلبي أي خوف على قدر ما كان فيه فضول كنت قصيراً على الحجرة التي يستلقي عليها الميت لكنني كنت أستطيع أن أصل إليه وأراه بشكل واضح مددت يدي نحو الجثة وهنا بدأت بالارتعاش لكنني عازم على أن أرى أول جثة في حياتي، وقفت على أصابع أقدامي أحاول أن أرفع نفسي أكثر وصلت أطراف أصابع يديّ إلى القماش الأبيض سحبته بهدوء وببطء أسحب أسحب أسحب حتى أخيراً أزلت القماش كله من على الجثة وعندما وقع القماش أرضاً وقع رأس الجثة مع القماش على الأرض وتدحرج حتى وصل عند أقدامي!!

هنا أصبت بالصدمة الصدمة التي لم تجعلني أصرخ ولا أهرب ولا أغمض عينيّ بل بقيت مبحلقاً بعينيّ في رأس الجثة وهو يبحلق فيّ بشكل مباشر لدرجة شعرت بأنه قاصد وأنه يريد أن يتحدث معي فجأة انفتح الباب:

- «ظل»!! ماذا تفعل هنا؟

قال أبي وهو يهرع نحو الرأس ويلتقطه ويعيده إلى مكانه والتقط القماش الأبيض وأعاده فوق الجثة، ثم تقدم نحوي وأمسك بيدي وسحبني نحو الغرفة:

- ما الذي جرى لك؟ هذه أول مرة تقوم بالتصرف من دون إذني؟

- آسف يا أبي لكن..

- لكن ماذا؟؟

- رأيت كابوساً غريباً وكأنه هذا المشهد نفسه! كنت فضولياً فحسب..

- فضولياً تجاه ماذا؟؟

سأل وهو يمسح على شعري وكأنه يرغب في الإجابة التي يريد أن يسمعها

- تجاه أن أرى.. أن أرى جثة كنت أريد أن أرى هؤلاء الذين تعمل ليلاً ونهاراً من أجلهم

ابتسم وكأنه سمع الإجابة التي ترضيه ثم قام باحتضاني:

- حسناً لن أوبخك على هذا لكن سأوبخك على قدومك إلى هنا سيراً ثم فقدت الوعي من شدة الإعياء والجوع أحضرك أحد العاملين هنا بعد أن تعرف عليك بأنك ابني

آه يا ظلي لماذا فعلت ذلك؟ ماذا إن حدث لك شيء سيئ؟ ماذا سأفعل أنا؟؟

إذاً هذا ما حدث معي! لكن لا أتذكر أنني خرجت من المنزل؟:

- أنا أعتذر يا أبي لقد خرجت من المدرسة مبكراً لذلك ذهبت إلى المنزل كنت أخشى أن تذهب إلى المدرسة وتتعب بدون فائدة لذلك كنت أرغب بالقدوم إلى هنا لأخبرك بأنني خرجت من المدرسة..

- حسناً لا بأس تعال الآن اجلس هنا سأحضر لك طعاماً لقد أعطاني أحد العاملين واحتفظت به لأجلك..

أحضر أبي طبقاً به حساء مع قرص خبز ووضعه أمامي:

- هيا تناوله كله..

كنت أتضور جوعاً لذلك بدأت بالأكل وأبي يراقبني كالعادة مبتسماً كان أبي لا يأكل كثيراً بسبب أنه يضحي بالطعام الذي نحصله لأجلي أحياناً كان لا يأكل لمدة أسبوع أو أسبوعين ولكن رغم ذلك لا ينهار وهو قوي البنية أيضاً كنت أقول إن الله يحبه بالتأكيد لذلك هو يحافظ عليه:

- أنا أعتني بالموتى..

قال بابتسامة وكأنه سمع أفكاري:

- ماذا؟

سألته

- أنـا أعتنـي بالموتـى لذلـك اللـه يعتنـي بـي علينـا أن نكـون جيديـن وصالحيـن فـي هذه الحيـاة لكـي يعتنـي بنا اللـه جيداً ويحمينا من كل شيء حتى من الجوع والفقر..

أجاب

من وقتهـا لـم تفـارق كلماتـه ذهني لهـذا أنـا الآن شـخص ناجح لـدي أمـوال طائلـة أسـافر إلـى كل مـكان لـدي عشـرات المواهـب الجميـع يقدرونـني ويحترمونـني أعيـش الحيـاة التـي حلمـت بهـا وأكثر هذا لأنني أعتني بالموتى الله يعتني بي..

- أبي لدي سؤال؟؟

قلت له وأنا ما زلت غارقاً بتناول الطعام

- ما هو تفضل؟

- لماذا تلك الجثة في الخارج رأسها مقطوع؟؟

- لأنه قتل أشخاصاً..

- ماذا؟

- هذا الرجـل يا بنـي قاتل وقتـل الكثير مـن الأشـخاص وعندما أمسـكت بـه السـلطات أخيـراً تـم الحكـم عليـه بالإعـدام والإعدام يعني الموت بقطع الرأس..

- وهل أنت من قمت بقطع رأسه؟؟

سكت قليلاً وكأنه كان متردداً بعض الشيء:

- لا.. هناك مختص يقوم بذلك

- وهل ستقومون بدفنه هكذا؟؟

- بالطبع هذا عقابه..

- إذاً لماذا تقوم بغسله والاعتناء به؟ إنه شرير يا بابا؟؟

أجاب ضاحكاً:

- بالطبع هو شرير قبل الموت ولكن بعد الموت لا أحد يعرف ما الذي سيفعله وأين سيكون وكيف سيكون؟ وكيف سيعاقبه الله، ونحن يجب أن نقوم بدفنه فقط وعمل الطقوس كالعادة على أي ميت... والآن تابع أكل طعامك بعد أن تنهيه هذه حقيبة دروسك قم بالدراسة جيداً..

- حسناً يا أبي..

خرج أبي وتركني أكمل طعامي لكن منذ تلك اللحظة التي حدثت قبل قليل منذ أن رأيت جثة وتدحرج رأسها أمامي لم أعد قادراً على السيطرة على فضولي تجاه هذا العالم، سمعت صوت ماء علمت بأن أبي بدأ بغسل الجثة أحاول أن أكبت فضولي لكنه تغلب علي أحاول أن أتجاهل الأصوات لكنني لم أستطع نظرت إلى الصحن رأيت أنه أصبح فارغاً تناولت الحساء كله بسرعة ليس بسبب الجوع بل بسبب استعجالي لأنني أرغب باختلاس النظر وبالفعل نهضت وتوجهت نحو الباب وضعت عيني في فتحة الباب وهنا رأيت أبي يقوم بغسل الجثة لكن رأسه كان

موضوعاً على جنب وحده بعد أن انتهى أبي من غسل الجثة قام بتغطيتها بالقماش الأبيض بعدها توجه إلى الرأس وقام بالتقاطه رفع الرأس قريباً من وجهه ثم لمس وجه الرأس تحسسه وقال:

- «مناسب»!!

وضع الرأس في حقيبته وأغلقها استغربت كثيراً لماذا أبي قام بسرقة رأس الرجل؟؟



Davide con testa di Golia

هي لوحة إيطالية باروكية مرسومة من قبل الرسام الإيطالي كارافاجي

الحاضر:

- إذاً هـذه هـي المـرة الأولـى لـك التـي تنظر فيها إلى داود يمسـك برأس جالـوت فقدر هـذه اللحظـة، لأن الطريقة التي ستشـاهدها بهـا وتسـتمتع بهـا وتقدرهـا سـتغير نظرتـك إلى الأبد بمجرد معرفة المزيد عنها..

أولاً دعونا ننظر إليها ببراءة:

إنهـا تظهر لحظـة الانتصار فـي القصـة الكتابية عـن داود وجالوت، حيث يحمـل داود منتصـراً رأس جالوت المقطـوع بعد أن قتله. إنها تحفـة فنيـة لكارافاجيـو، الـذي سـمعتم عنـه بالتأكيـد مـن قبل لقد استخدم فـي الرسـمة أسـلوب الضـوء والظـل أو اسـتخدم التباين العالي بين الضوء والظلام..

يعـد تصوير وتخيـل كارافاجيو لقصـة داود وجالوت فريـداً تماماً، ليـس فقـط فـي التفاصيـل الدمويـة، ولكـن أيضـاً فـي الحقيقـة إنه خارج السياق تماماً..

كمـا تشـاهدون تكـون الخلفيـة داكنـة ممـا يـؤدي إلـى عزل الأهـداف في لحظـة مسـرحية يتـم التركيز عليهـا من خلال الإضاءة القاسـية، يقـود التكويـن أعيننـا إلـى رأس جالـوت المقطـوع، سواء كان ذلك مـن خـلال نظـرة داود أو من خـلال الخطـوط الرئيسـة في اللوحـة، يمكنـك القـول بـأن الموضـوع الرئيس لهـذه اللوحة ليس انتصار داود بل موت جالوت.

رأسـه هـو مـا يبـرز وهـو الموضـوع الرئيـس في الإطار وهو ما يمكـن أن تسـتخلصه مـن هـذه اللوحـة، عينـاه نصف مفتوحتين

وكذلك فمه، جبينه النازف من هدف داود عندما رماه بالحجر لا يزال متجعداً ومعتصراً من الألم! رأس جالوت واقعي بشكل صادم وقد يؤدي إلى رد فعل داود تجاهه برد فعل أقوى، لكن من الملامح والتعابير هنا يبدو داود رحيماً كما لو كان يشفق على جالوت، إنه لا يبدو وكأنه بطل عظيم هزم للتو عدوّاً رهيباً يبدو حزيناً وليس منتصراً! إن تعاطف داود يحوله من محارب منتصر إلى شخصية تشبه المسيح الذي يشعر بالأسف على ضحاياه..

الآن بعد أن القينا نظرة فاحصة على اللوحة دعونا نرَ في أي سياق تم إنتاجها، ومن أجل من تم إنتاجها؟ وما الذي تصوره؟

لنبدأ بحقيقة أن كارافاجيو عندما رسم هذه اللوحة كان هارباً! كان معروفاً بشرب الخمر والشجار والاعتداء على الناس، في مايو ١٦٠٦ م، قتل رانوكيو توماسوني وفقاً لمؤرخ الفن أندرو جراهام ديكسون على يد كارافاجيو

كان من المقرر أن يقطع رأس الفنان الشهير كارافاجيو لكن هذه لم تكن المرة الأولى التي يواجه فيها مشكلة مع القانون كان غالباً ما يهرب من المشكلات من خلال علاقاته مع السلطات، وأحياناً عن طريق التبرع باللوحات، ومع ذلك قد يكون الإفلات من جريمة القتل أمراً صعباً للغاية وكان على كارافاجيو الفرار من روما قبل القبض عليه كانت خطته هي رشوة نفسه للتخلص من عقوبة الإعدام وستكون هذه اللوحة هي بطاقة الخروج من السجن مجاناً. لقد تبرع بها إلى الكاردينال المؤثر والقوي وذي السلطة «سكيبيون بورغيزي» ثم رسم هذه اللوحة وأرسلها إلى الكاردينال ليطلب الرحمة

والمغفرة، أولاً من المهم ملاحظته أن وجه جالوت تم رسمه وتصميمه على غرار كارافاجيو هذه صورة شخصية لقد رسمه بملامحه أنفسها مشابهاً له كارافاجيو يرسم نفسه كرجل مقطوع الرأس! ربما كان ذلك لإظهار التواضع فالسيف الذي استخدم لقتله يحمل نقش H-AS OS، والذي يمكن تفسيره على أنه الأحرف الأولى من اللاتينية لعبارة «التواضع يقتل الكبرياء» تم قطع رأس كارافاجيو روحيّاً من خلال هذه اللوحة، على يد شخصية تشبه المسيح، كان هذا العمل المتواضع رسم نفسك ميتاً محاولة يائسة من جانب كارافاجيو لإنقاذ حياته.. كانت محاولة كارافاجيو غير مجدية ليس لأنها لم تنجح وانتهى الأمر بالعفو عنه، ولكن لأنه توفي أثناء عودته إلى روما توفي عن عمر يناهز ٣٨ عاماً في ظروف مجهولة عام ١٦١٠ م، ويقول البعض إنه قتل، والبعض يقول إنه مات بسبب الحمى، ويقول البعض بسبب التسمم بالرصاص، إن داود مع رأس جالوت هي لوحة قوية وفي حد ذاتها فهي تحتوي على تباين دراماتيكي قوي وإضاءة مسرحية وتركيبة مقنعة وموضوع مروع ومشاعر دقيقة..

ومع ذلك هذه ليست الأسباب التي تجعلني أحب هذه اللوحة! إنها بالتأكيد تجعل اللوحة رائعة ولكن قوة اللوحة تأتي من غرضها إنها صورة شخصية كرجل مقطوع الرأس، إنه الدليل المادي على رجل مرعوب يتوسل بشدة للحصول على الرحمة.. الآن عندما تنظرون إلى هذه اللوحة لن تفكروا أبداً باعتبارها تصويراً لداود وجالوت، قد تفكرون في قلق كارافاجيو الذي يغذي هذه اللوحة، وما الذي يجعل هذه اللوحة أقوى من ذلك؟

حقيقة أن كارافاجيو قد غرس ببراعة معاناته الشخصية في اللوحة التي طغت على القصة التي كان من المفترض أن تمثلها..

انتهينا..

انتهيت من المحاضرة وبدأت الأسئلة تتوافد بحماس كالمطر:

- بروفسور لكن من المعروف أن داود قتل جالوت برمي حجرة عليه وليس بقطع الرأس؟!
- هل كنت نائماً أثناء المحاضرة؟؟

سألته

ضحك الطلاب ثم استرسلت في حديثي:

- بالطبع لقد ذكرت ذلك لقد مات جالوت متأثراً بالحجرة التي رماها عليه داود وبعد أن مات قطع رأسه..
- من برأيك قتل الرسام كارافاجيو؟؟ ألم يعرفوا ذلك؟

سؤال آخر

- حسناً بالنسبة لقتل الرسام اختلف الكثير وظهرت أقوال كثيرة حول موته ولكن في نهاية الأمر كان يستحق ذلك لأنه كان يؤذي الناس ولا يحصل على العقاب بسبب سلطته وثرائه..

انتهى وقت المحاضرة وخرجت من القاعة كانت الساعة الثانية والنصف مساء لذلك توجهت إلى المستشفى إلى مكتب ثيا بما أني اليوم لدي جلسة، وصلت إلى هناك مبكراً بما أن المستشفى قريب جدّاً من الجامعة، دخلت إلى مكتبها لكنني لم أجدها هناك

انتظرتها كالعادة لكنني لمحت ملفاً أثار فضولي فوق مكتبها كان مفتوحاً التقطت الملف كان به صورة شاب مراهق ولكن داخله شيطان هذا ما يوحي من نظراته الحادة التي تكاد تخترق الصورة!

انفتح الباب دخلت ثيا بابتسامتها المشرقة كالعادة رغم أنها تعيش في وسط مجانين، ورائحتها التي تشبه زهور الكرز إنه العطر المفضل لديها:

- أنت هنا لقد وصلت مبكراً آسفة إذا تأخرت

قالت وهي تأخذني إلى أحضانها شعرت بأنها التهمتني في حضنها هذا وبكل مرة تحتضنني بقوة وتدخلني إلى داخلها أعرف أنها ليست بخير:

- هل أنتِ بخير؟ ما الذي حدث؟

سألتها

- لا شيء أنا بخير لكن كنت مشتاقة إليك فحسب..

أجابت وهي تغادر حضني

- الآن يجب أن نبدأ الجلسة أليس كذلك؟ استرسلت في حديثها وهي تتوجه إلى المقعد الخاص بها
- أعلم بأنك تكذبين علي تعرفين أنني أستطيع قراءة عينيك عندما تكذبين، والآن أخبريني ما الذي حدث؟

أصررت عليها كالعادة كنت أظن أنها علمت بشأن موضوع تلك الجثة..

- أرجوك «يا ظلي» دعنا أولاً ننتهِ من الجلسة ثم سأخبرك حسناً؟
- حسناً إذاً أنا لن أقوم بأي جلسة..

قلت بإصرار أعلم بأنها ستستسلم في نهاية الأمر وتخبرني

- لماذا أنت عنيد؟ حسناً سأخبرك لا يوجد أي شيء يستحق أن يذكر لكن؟؟ لا أعرف ما الذي أقوله ذلك الشاب أقصد المريض الجديد الذي كنت قبل قليل تمسك بملفه..
- نعم ما خطبه هل هو جديد؟ ما هي جريمته؟
- لقد قتل والديه بشكل بشع وهذا بالطبع ليس شيئاً جديداً بل يحدث كثيراً هذه الأيام لكنْ هناك شيء في ذلك الصبي لا أعرف ما هو!؟ إنه يتسلل إلى عقلي..

نهضت من على مقعدي وتوجهت إلى ثيا أمسكت بيديها:

- يا حبيبتي يبدو أنك تعانين من ضغط في العمل فقط وإرهاق لذلك أنا أظن أنه يجب أن تأخذي إجازة لم تأخذي أي إجازة هذا العام يجب أن ترتاحي بين الحين والآخر فعقل الإنسان مهيأ للجنون دائماً وإذا تم إهماله فسيغرق في متاهات الجنون..
- شكراً على هذه النصيحة الحنونة..

قالت بسخرية

أكملت ضاحكاً:

- يجب أن أكون صريحاً بعض الأحيان لكي تخافي وتنتبهي إلى صحتك..

- أنـت محـق الصراحـة تخيفنـا بعـض الأحيـان، أنـا بخير أنـت محـق لربمـا أحتـاج إلـى راحـة لـذا أولاً دعنـا ننتـه من جلستك..

فتحـت ملفـي الأخيـر أو ملفـي المئـة لديهـا دائماً مـا تحـاول ثيا جاهـدة أن تخبرنـي بأقل الأضـرار فـي صحتي النفسية لكنها تفشل يجعلها الامـر دائماً متوتـرة ومشـتتة لهذا الجميـع يخبرونهـا أنه ليس من الجيـد ولا مـن المهنية أن تعالج شـخصاً تحبـه أو تعرفه شخصياً وأنـا أعلـم بأنهـا تعانـي لكننـي مصـر لأننـي إذا ذهبـت إلـى غيرهـا فلربما يكتشف أشياء أخرى لا أرغب بانكشافها للعالم..

- انظـر لقـد تحدثنـا سـابقاً عـن أدويتك يبـدو أنهـا تجدي نفعاً لكن أخبرني عن الأرق؟

- لـم يتغيـر أبـداً إن الأرق يرفـض التخلـي عنـي أنـام فـي اليوم فقط ثلاث ساعات أو أربعاً..

- لا بأس سنحاول أن نعمل على هذه المشكلة لكن...

عندمـا تقـول لكـن وتسـكت أعـرف أن هناك مشـكلة جديـدة في روحـي ولكنهـا دائمـاً مـا تشـعر بالاسـتياء عندمـا تخبرنـي لـو أنني مريض لا تعرفه فبالطبع ستخبره بكل أريحية..

- ماذا هناك «يا شمسي»؟؟

سألتها

أجابت بابتسامة:

- أخبرتك ألا تناديني هكذا في ساعات العمل..

- لا أهتم..

- حسـناً انظـر بعـد آخـر اختبـار أجريتـه لـك اتضـح أن لديـك حالة تسمى «ALEXITHYMIA»..

- وما هذه أيضاً؟

سألت بدون مبالاة

- إنهـا حالـة لا يسـتطيع فيها الشـخص أن يصـف مشـاعره أو ما يشـعر أو حتـى ردات الفعـل تجـاه النـاس أو الذيـن حولـه فتجـده دائماً غيـر مهتم لأي شـيء في هـذه الحياة حتـى هو لا يشعر بهذا الشيء أبداً..

أجابت بحزن لكنها حاولت أن تجعل الأمر إيجابياً:

- لكن لا تقلق هذه الحالة لا تستمر طويلاً

- لقد شخصتِ حالتي للتو بأنني لا أشعر كيف تظنين أنني قلق إذاً؟

أحدث الموضوع صمتاً بيننا ثم حاولت أن أتدارك الموقف:

- أنا آسف إذا جعلتك تشعرين بالسوء

- لا عليك لكن أنا خائفة..

- خائفة من ماذا؟؟

سألتها

- خائفة أن تفقد وتضيع مشاعرك تجاهي يا ظل..!

أجابت بخفة

أمسكت يديها:

- لا تخافـي يـا ثيا أنا أصـلاً مشـاعري وأحاسيسـي منـذ الطفولة وهي مفقـودة لكنني اكتشـفت أنـك أنتِ مـن قمتِ بسرقتها، مهما اختفت مشاعري تجاه الناس ستظهر أمامك فقط..

- أحبك يا ظل..

احتضنتهـا فقط بـدون أن أقـول لها وأنـا أيضـاً ولا أعـرف لماذا؟ هـي محقـة لا أسـتطيع أبـداً أن أظهر مشـاعري بكل سـهولة أنا حتى لا أقـول لنفسـي بأنـني أحبهـا! متـى آخر مـرة نطقـت هـذه الكلمة لا أعـرف؟ لكنـني أحـب ثيـا أحبها مـن أعمـاق قلبـي المتحجر فحبها الوحيـد القـادر علـى إخـلال توازنـي أنـا لا أريـد أن يكون لـدي أي نقطـة ضعـف في هـذه الحيـاة لكن لـدي ثيا هـي نقطة ضعفـي وقوتي فـي آن واحـد، أريد ولـو مـرة واحـدة أن أعبر لهـا عن مـدى حبي لها لكن لا أسـتطيع هناك شـيء يمنعني هناك شـيء يسـكتني هناك شيء يخنقني وحضن ثيا هو المنقذ الوحيد لي..

أفكر دائمـاً ما الـذي أخبرهـا؟ وكيـف أصوغ حبـي لها؟ هـل أخبرها أنني أحبهـا بعـدد القبـور التي قمـت بزيارتهـا ونبشـها؟ أم أخبرهـا بأنني أحبها بقـدر حبي للجثـث؟ أو أنني أحـب الجثث أكثـر منهـا؟ أو أخبرها بأنها الشـيء الوحيد الحي في حياتـي الذي أحبـه وأن جميع من حولي أمـوات؟! أو أن الحـب بالنسبة لـي كالحيـاة ليسـت الحياة الطبيعية بل كالحيـاة بيـن الجثـث؟ أو أخبرهـا بـأن مشـاعري انتهـت لأنني وزعتها على جميع الأموات وأنا غير نادم على ذلك إنهم يستحقون؟..

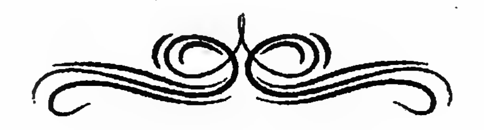
تناولت العشاء مع ثيا بعدها عدت إلى المنزل كان يوماً طويلاً عندما يكون لدي وظيفتان لكنني حرصت على العودة مبكراً، جلست مع أبي قليلاً بعد أن تحممت وصنعت له حساء الروبيان، قرأت له كتاباً كالعادة وجعلته يرتاح لم أخبر أبي بالمرض الجديد الذي انضاف إلى قائمة أمراضي لا أريد لأبي أن يفكر كثيراً ولا يحمل عبء همي، كنت أرغب بالذهاب إلى الجانب الآخر من القصر وأذهب إلى الاستديو لكن وصلت لي رسالة على هاتفي جعلتني أذهب ركضاً وأستغل هذه الفرصة التي لا تقدر بثمن:

مرحباً أيها البروفسور أنا «لورنس» إذا كنت تتذكرني شكراً لك على اهتمامك بي طوال هذه الفترة ودفع فواتير علاجي وأنا أعتذر أنك خسرت دون فائدة على كل الأحوال أنت تعرف جيداً أنني لا أملك أي أحد في هذا العالم لهذا أنا غادرت المستشفى بعد أن قلت لنفسي أو الأطباء أخبروني بشكل غير مباشر أنني آخذ حيزاً وسريراً بدون فائدة على كلٍّ أنا سأموت خلال هذا الأسبوع لكنني قررت أن أنتحر لأنني لم أعد أحتمل ألم السرطان إنه ينهش لحمي تعبت من انتظار الموت إنه قادم لا محالة لكنه بطيء متى سيصل؟ لا أعلم لذلك سأعمل على تسريعه وسأقتل نفسي ليس لدي أحد غيرك أخبره أخاف أن تتعفن جثتي في شقتي الرثة لذلك تعال وأخرجها لا أطالب بجنازة مرموقة أو قبر مرموق الأهم أن تخرجها من الشقة وشكراً لك على كل شيء..



«شـياطيني تعمـل فـي نوبـة المقبـرة أعيـش يومـي بـلا وزن وحـرّاً ولكن عندمـا يأتي الليل تنتظرني شـياطيني بالسلاسـل جاهزة وسعيدة لسحبي وأحلامي بعيداً»..

«شخص مفتون بالجثث»





«الفصل العاشر»

«هناك دبابيس في وسادتي»

أعيش أياماً بلا نوم ضوء القمر الباهر كله ساطع في أيامي كلها وكأنه يسخر من مخاوفي الواضحة ويقشر أحلام اليقظة الهادئة ويطاردني ويثيرني ويزعجني ويحرق جدراني كلها ويتركني أشعر بالخوف من الليلة التالية لكن لماذا أشعر بالخوف؟ ومن ماذا أشعر بالخوف؟ كل مخاوفي هي أن لا أحقق حلمي البسيط حلمي الذي يشعرني بالأمان لا أرغب بأن أكون وحيداً أرغب بأن أعيش وحولي العديد من الجثث..

إن الفنون في هذا العالم لا حصر لها مهما تعمقت في هذا المجال لا تنتهي أبداً ستشعر أنه بدون نهاية على عكس المجالات الأخرى لكن بالنسبة لي كنت أرغب بشيء جديد شيء مختلف لا أحب أن أكون مثل الآخرين لا أحب أن أشبههم حتى، أردت أن أخترع فنّاً جديداً لا وجود له في العالم فنّاً نادراً فنّاً غير مرغوب به ومحرماً! لكن لا بأس أنا سأفعلها وفعلتها سأضع بصمتي في هذا العالم وسأؤسس أول متحف في العالم «لفن الجثث» أو ربما ليس متحفاً فقط بل مملكة كاملة..

وفـي تلـك الليلـة الممطـرة المظلمـة الموحشة ذهبت إلى منزلـه منـزل «الورنـس» كان هـذا الشـاب يعاني من السرطان في الدم فقيـراً جـدّاً مقطوعاً من شـجرة وحتـى إثباتاً أو هوية للعلاج كان لا يملـك قمـت بالتعرف عليـه عن طريـق المصادفة قبل عام تقريبـاً لذلـك قمـت بمسـاعدته بالطبـع إنني أحـب مساعدة الآخريـن وخصوصـاً الفقـراء يذكرنـي ذلـك بحياتي أنا ووالدي سـابقاً، يبـدو أن وقتـه انتهـى والأطباء قامـوا بإخبـاره بالفعل بأن العلاج لا يؤتـي أي نتيجـة، وصلت إلـى منزله الـذي كان في حي متهالك يعـج بالظلمة والوحشـة والفقـر والجوع دخلته بسبب أن بابـه متهالـك أو أنـه هو لـم يعـد يهتم ويقـوم بإغـلاق البـاب لأن حياته علـى المحـك ولا تفـرق إذا دخل شـخص ما وقـام بقتله ما أن دخلـت رأيتـه يسـتلقي علـى سـريره المتعفـن وهـو الـذي بـدا كجثـة متعفنـة كجثـة لا يوجـد لديهـا أي ملامـح للحيـاة تقدمت إليـه خطـوة بخطـوة وكأنني المـوت لكنـه كان قـد مـات بالفعل يبـدو أنه لـم يتـردد فـي قتل نفسـه عرفـت ذلـك عندما تحسست نبضه وكان قـد توقـف منـذ فترة ليسـت ببعيـدة مات الرجـل الذي يبلغ مـن العمـر تسـعة وثلاثين عامـاً مـا زال صغيراً لكـن المرض والمـوت لا يعرفـان لا صغيـراً ولا كبيـراً، أخذت جثتـه ووضعتها في حقيبـة حرصـت أن لا أتـرك أي أثر لـي ولا لبصماتي وأساساً لـن يبحـث عنـه أحـد رجـل شـبه متشـرد لا يملـك أي معـارف ولا عائلـة ولا هويـة حتى لـم يهتموا بـه وهـو حي لماذا سـيهتمون بـه وهو مفقـود وميت؟

وضعت الجثة في صندوق سيارتي واتجهت بها إلى عالمي ومنزلها الجديد، وصلت إلى القصر في الساعة الثانية عشرة بعد منتصف الليل كنت متحمساً جداً متلهفاً متشوقاً أخيراً فرد جديد في العائلة جثة جديدة بعد توقف سنتين وكانت هذه أطول فترة في حياتي أتوقف بها، أخيراً قصة جديدة تنضم إلى قصصنا في هذا القصر، لقد اشتقت لهذا الروتين روتين استقبال جثة جديدة والعمل عليها تنظيفها تعقيمها معالجة الجروح والشروخ لكن ماذا عن الروح؟ وهل الجثث لديها روح؟ أنا أعلم بأن الجثة تصبح جثة لأن الروح خرجت من الجسد، لكن أعلم بأن لا أحد يستطيع أن يفهم أن الجثة تصبح جثة لأن أعضاءها توقفت القلب الكبد الرئتان الكلية العروق جريان الدم المخ وغيرها كل ذلك يتوقف عندها يصبح الإنسان ميتاً لكن أومن بأن الجثث لديها أرواح بشكل أو بآخر أنها تشعر أنها تسمع أنها تتحدث لكن لا أحد يستطيع أن يرى ذلك لا أحد غيري

انتهيت من غسل الجثة وتعقيمها وتنظيفها ووضعتها في الثلاجة الخاصة بالموتى كان الاستديو الخاص بي كما قلت سابقاً يحتوي على كل شيء عالم كامل من أدوات التشريح الاعتناء بالجثث المواد المصلبة والمعقمة أدوات مواد التحنيط وتحت ثلاجة الموتى إنني أحرص على ألا تحتاج الجثث أي شيء، بعد مرحلة الثلاجة بعد أربع وعشرين ساعة حتى أتحقق من أنه لا يوجد أي مشكلات بالجثة تفسد التحنيط، تحممت

بعدهـا وبدلت ملابسـي صنعـت لي كـوب قهوة سـاخناً جلست في الغرفـة الزجاجيـة والمنظر الجميـل من حولـي المطر والليل والقمر والأشـجار منظـر لا أسـتطيع أن أصفـه يظهـر كاملاً فـي هذه الغرفة، الغرفـة الزجاجيـة موجـودة فـي القسـم الثانـي مـن القصر مكاني المفضـل للتفكيـر فقـط أنـا أجلـس فيهـا لكـي أفكـر، أفكـر بـدون توقف أتأمـل حياتي إلـى أين سـأصل؟ وكيف سـأصل؟ أحياناً أفكر مـاذا لـو كنـت الكائـن الواعـي الوحيـد فـي هـذا الكـون؟ وكل ما يحيط بـي من أحـداث وشـخصيات ما هـو إلا مزيـف أو ربما يكون محـاكاة داخليـة لعقلـي؟ مـاذا لـو كنـت أنـا الوحيـد المتفـرد الكائن الحقيقـي القـادر علـى بنـاء عالـم والكـون ينتظرنـي لكن أحتاج إلى إشارة أين هي؟!

ضـرب الرعـد يضـرب بقـوة علـى غرفتـي الزجاجيـة ليشكل مع البرق الذي شـكل خطوطـاً حول القبـة الزجاجية وكأنه رسـم رسـمة مثاليـة فـي هـذه الليلـة علمـت بـأن هـذه الاشـارة التـي أنتظرهـا ابتسـمت لكن سـرعان مـا اختفت الابتسـامة عندمـا كان ضـوء البرق يضـيء الغابـة بومضاته السـريعة لمحـت شـخصاً يقـف فـي منتصف الغابـة! ظننت أنني أتوهم نهضـت من على الكرسـي الهـزاز تقدمت نحـو الحائـط الزجاجـي وقفـت للحظـات أنتظـر ضـوء البـرق حتـى أتـى أخيراً لكـن لـم يكـن هناك أحـد؟ هـذه الأراضـي جميعهـا خاصة ملكيتـي أنـا وهنـاك أجهزة استشـعار إنـذار كشـافات وعندمـا يقترب حتـى نصـف مخلـوق تقـوم بالضوضـاء لكـن مـن الواضـح لـم يكـن هناك أي شيء

خرجت مـن الغرفـة الزجاجيـة متوجهـاً إلـى مكتبي كنـت أرغب بـأن أقـوم بتفحـص موقعـي خـلال سيري فـي الـرواق ذاهبـاً إلـى المكتب كنت أشـعر بـأن هنـاك أحداً يسـير خلفـي؟ عندمـا التفت لا يوجد أحد هـل هـي كيـارا؟! لا أظـن إنهـا نائمـة ولقـد رأيـت ذلك قبل قليـل ثـم إن كيـارا وكيـران يخافـان مـن العاصفـة عندمـا يكون هناك عاصفة مـن المسـتحيل أن يتجـولا لا بد أننـي أتوهم من شـدة صـوت العاصفـة، وصلـت إلـى المكتـب فتحـت موقعـي تفحصـت الرسـائل الخاصـة كان هنـاك الكثير مـن الرسـائل رغـم أن الموقـع ما زال فارغـاً لكننـي تجاهلتهـا، فتحـت محادثتـي مـع ذلـك الشـخص الـذي اشـتريت منـه الجثـة لـم يرسـل لـي أي شـيء متـى سـتصل يا ترى؟ هل من المعقول أنه خدعني؟!

طـرأت فكـرة فـي بالـي شـيء أضيفـه علـى الأقـل حتـى أجهـز المنحوتـات وأعرضهـا وحتـى ذلـك الوقـت قـررت كتابـة مذكرات «بيتشـيني» لكـن كنت متـردداً قليـلاً لذلك جعلتهـا في البدايـة خاصة أي مغلقـة صحيـح أن الموقـع لا أحـد يسـتطيع دخولـه بسـهولة لأنه فـي عالـم الـدارك ويب لكـن الحـذر واجـب، قـررت صناعـة مذكرات خاصـة بـي وبحياتـي مـع جثثـي ثـم تذكـرت أننـي لـم أسـتكمل كتابة روايتـي لذلـك أجلـت موضـوع المذكـرات وتوجهـت إلـى محمول الـلاب تـوب الخـاص بـي وبـدأت باسـتكمال كتابـة الروايـة فتحت آخر صفحة كنت قد كتبت جملة:

«من أين بدأ كل هذا؟»

نعم مـن أين بـدأ كل هـذا؟ وكيـف حصلـت علـى أول جثـة؟ كان لدي أسـبابي الخاصـة كان لدي أقوى سـبب مـع أول جثـة، في ذلك

اليــوم مثـل هــذا اليــوم بالضبــط فــي يــوم موحــش وعاصف وممطر عندمـا كنت فـي آخر سـنة دراسـية مـن الثانويـة كان عمـري ١٦ عاماً فقـط وطبعا وصلـت إلـى هـذه المرحلة مبكـراً في هـذا العمر لأنني ذكـي ومتفـوق، أتذكـر قـد نجحت فـي اختبـار صعـب وكنت أسعد إنســان كان لــدي أيضــاً فــي ذلــك اليــوم مصروف مـادي وأنـا طوال مسـيرتي الدراسـية لا أحصـل عليـه مـن أبـي إلا بشـكل نادر بسبب أوضاعنـا بالطبـع لكـن ذلـك اليـوم كان فيـه كل شـيء مختلفاً استيقظت في الصبـاح بعـد أن خرجنـا من تلـك القريـة منذ زمن ما يقـارب خمـس سـنوات درسـت جميـع مراحـل المتوسـط والثانوي فـي المدينة بعـد أن كنـت يائسـاً بأننا لـن نخـرج مـن تلـك القرية لأن أبـي يحبها بشـكل مرعب وقلـت لن يتخلـى عـن المقبرة التي كانت منزلنـا الثانـي لكـن في ليلـة مـا أيقظنـي أبي مـن النـوم وقال لي هيا بنـا سـنخرج مـن القريـة وننتقـل إلـى مدينـة أخـرى، كان قـد أخذ جميـع ملابسـي وأغراضـي ولا أفهـم حتـى الآن لمـاذا فجـأة هكذا؟ وأنـا كنت أقـول: مـن المسـتحيل أن نذهـب إلـى المدينة لأنهـا غالية الحيـاة فيهـا صعبة تتطلـب أمـوالاً كثيـرة لكن بعـض الأحيـان أقول: لربمـا أحضرنـي أبـي حتـى أسـتطيع اسـتكمال دراسـتي هنـا في مـدارس المـدن فهـي أفضـل بكثيـر مـن القـرى، كانـت المـدارس تتطلب أمـوالاً هائلة بالنسـبة لنـا في التـرم الواحد رغم ذلـك كان أبي يدفـع لكنني كنـت أريحـه لذلـك أدرس بشـدة حتـى أحصـل على إعفـاء وكنـت بالطبـع أحصـل علـى إعفـاء دائمـاً بسـبب درجاتي العاليـة وتفوقـي، لنعـد إلى ذلـك اليـوم الذي بـدأ فيـه كل هـذا أنا لا

أحب تفاصيل ذلك اليوم إنها ثقيلة على القلب والذاكرة عندما استيقظت صباحاً لأستعد للمدرسة جهز لي أبي الإفطار كالعادة بابتسامة سعيدة ووجه بشوش لطالما كان وجه أبي بشوشاً لا أعرف لماذا أمي تكرهه لأنه قبيح ولا أعرف لماذا جميع الناس يتنمرون عليه لأنه قبيح!؟ إن القبح هو قبح الروح والأخلاق لكن أبي كان أكثر أب حناناً في العالم ولم أهتم بصفاته الخارجية ولم أخجل منه يوماً، رغم الحياة البائسة والقاسية والمصاعب لم يتخلَّ عني ثانية واحدة حتى على عكس أمي كانت جميلة باهرة لكن أخلاقها بشعة، جهز أبي لي الفطور تناولناه معاً انتهيت من ارتداء ملابسي احتضنني أبي طويلاً ما يقارب خمس دقائق بدون مبالغة استغربت لماذا احتضنني بهذه القوة وكل هذا الوقت؟ بعد أن أفلتني رأيت شيئاً في عينيه القلق والخوف لم أرَ أبي في حياتي كلها ينظر إلي بنظرة الخوف كان خائفاً! ولا أعلم من ماذا؟ لطالما كما كان أهل القرية يسمونه أبا الجثث! لن يخاف من شيء لكنه اليوم كان خائفاً:

- أبي هل أنت بخير؟

سألته

أجاب وهو يمسح على شعري:

- انظر يا بني لقد أصبحت أطول مني بكثير لا أصدق أنك أسابيع قليلة وستنتهي من دراستك في المرحلة المدرسية وستنتقل إلى الجامعة، على كلٍّ أنا قمت بتسجيلك في

تجمعه بشكل يدوي تسجيلاً مبكراً للعشرة بعد ... شهادة المدرسة.

- حقاً!

قلت بسعادة وأنا أحتضنه بكل فرحة تذكرت:

- لكن ماذا عن الرسوم الأولية يا أبي؟ إن تكاليف ... أغلى بكثير من تكاليف المدرسة؟!

- أوه لا تهتم والدك الخارق يهتم بكل شيء من أجلك... دفعت رسوم عامين بشكل مقدم وأنا أعلم بأنك خلال هذين العامين ستدفع درجاتك أعلم بأن ابني لديه عقل خارق

- لكن يا أبي من أين لك كل هذا المال؟؟

سألته وقد تعجب لأن هذه المرة الأولى في حياتي التي أسأله فيها عن مصدر المال!

- أنت تعرف أن والدك يستطيع حتى أن يحضر لك القمر؛ ظلي سأفعل من أجلك كل شيء كل شيء..

- آسف يا أبي على تطفلي لكن أعدك بأنني في سنوات قليلة سأقوم بتعويضك سأبني لك قصراً ضخماً ويكون يوجد فيه حوض سباحة أعدك بذلك..

ضحك أبي بقوة:

- حسناً إذاً أنت تريد أن تجعلني أغرق؟ لا بأس دعنا الآن نذهب سأوصلك إلى المدرسة..

استغربت لأن أبي لم يقم بإيصالي إلى المدرسة منذ أن انتقلنا إلى المدينة لأنني بالطبع أصبحت مراهقاً والمدرسة قريبة جداً من المنزل كما أن الأمان هنا أكثر من القرية الكثير من الناس يسيرون في الشوارع على عكس القرية:

- أبي أنا لست طفلاً لماذا تريد أن توصلني اليوم إلى المدرسة؟

أجاب بابتسامة وهو ينتعل حذاءه:

- هيا بنا لا تقلق فقط اليوم هيا لقد تأخرت..

وصلنا إلى المدرسة أعطاني أبي مصروفاً مادياً مبلغاً كبيراً يكفي لثلاثة أيام وهذه أول مرة أحصل على هذا القدر استغربت ونظرت إليه قبل أن أسأله أجاب هو يقبلني على جبيني:

- اعتبرها مكافأة وتشجيعاً لك لتنجح في الاختبارات أحبك يا ظلي..

- شكراً أبي وأنا أيضاً أحبك..

دخلت إلى المدرسة حتى وصلت إلى داخل المدخل التفت إذا بي أرى أبي ما زال واقفاً ينظر إلي بابتسامة باهتة ويلوح لي بالدخول، كان قلبي ينبض بشدة في ذلك اليوم ولا أعرف لماذا؟ كنت أرتعش ولا أعرف لماذا رغم أن الجو حار، كانت أطرافي باردة كنت أشعر بمشاعر سيئة، رغم ذلك قررت أن أركز في الاختبار وبالفعل بعد تصحيح المدرس ورقتي أخبرني بأنه لا يوجد

ولا نصف خطـأ سـعدت كثيـراً، خرجت من المدرسـة أركـض لمحت سـوبرماركت كنـت دائمـاً أرغـب بدخوله لكـن لم أكـن أملك المال، اليـوم أنـا لـدي دخلتـه واشـتريت لـي بعـض المفرحـات وكانت هذه أول مـرة فـي حياتـي كطفـل ومراهـق يشـتري هـذه الأشياء، اشتريت لأبي شـوكولاتة بجوز الهند فهـو يحبهـا كثيراً سيكون سـعيداً لا أعلم متـى آخر مـرة أكلهـا قبل سـتة أعـوام أو ثمانيـة أعـوام لا أعـرف المهم الآن سـيحصل عليها، حاسـبت بسـعادة وأنا خـارج من السـوبر ماركت أمطـرت السـماء فجاءة بـدون مقدمـات رغم أننـا بالصيـف والجو حار جـدّاً ولكنهـا أمطـرت بغـزارة رفعت رأسـي إلى السـماء لأراها سوداء وتشكلت الغيوم بوجه حزين تساءلت لماذا السماء تبكي فجأة؟؟

بـدأ الناس يركضـون ويحتمـون من المطـر ركضت معهم بسرعة لـم تكن لـدي مشـكلة فأنا أحـب أن أتبلـل من المطر يجعلني أشعر بشـكل أفضـل لأنني ولـدت فـي العاصفـة لهـذا أنـا أحبهـا لكـن لم أكـن أعلـم بـأن أسـوأ منظـر فـي حياتـي سـأراه فـي العاصفـة أيضاً، وصلت إلـى المنـزل وعبـرت الفنـاء قبـل أن أدخـل لمحت شخصاً طويـلاً ضخمـاً يرتـدي أسـود وقفـازات سـوداء وكأنـه غيمة سوداء هبطـت علـى الأرض! لمحتـه يخـرج من فنـاء منزلنـا المتهالـك كان المطـر قويّـاً جـدّاً لدرجـة أن عينيّ لـم أعد قـادراً على فتحهما بشكل عـادي، كانت الرؤيـة ضبابية بسـبب شـدة المطـر والضباب والرياح لكـن عندمـا خـرج ذلـك الرجـل يسـير فـي الاتجـاه المعاكس كان يدنـدن لـم أميـز ولـم أسـتطع أن أسـمع مـا الـذي يدنـدن بـه لكنني واثق بأن هذا اللحن قد سمعته من قبل؟؟!

بعـد أن توقفـت لثـوانٍ أراقـب ذلـك الرجـل حتـى اختفـى بيـن الضباب استيقظت مـن سـرحاني دخلت إلـى الفناء أخرجـت مفتاح بـاب المنزل لكـي أفتحه لكـن صعقت عندمـا رأيت البـاب مفتوحاً!! مستحيل أن يتركـه أبـي مفتوحـاً أو ينسـاه؟ سـنوات لـم ينسَ أبـي البـاب مفتوحـاً وأيضـاً خرجنا معـاً وكان قـد أغلقـه بإحـكام كان أبي مـن المفتـرض بعـد أن أوصلنـي إلـى المدرسـة أن يذهب إلـى عمله هل مـن المعقـول أنـه عـاد إلى المنـزل؟ حتى لـو أنـه عاد لا ينسـى البـاب مفتوحـاً تركـت التخمينـات ودخلـت بأقـدام ترتعش لـم تكن لدي رغبـة بالدخول وهـذه أول مرة أشـعر بهـذه الرغبـة، كان المنزل يحيط بـه الهـدوء ذلـك الهـدوء المخيف الـذي لم أشـعر به مـن قبل فـي حياتـي صـوت العاصفـة يـزداد بشـكل أقـوى النوافـذ المهترئـة تهتـز أرى الميـاه تدخـل مـن النوافـذ لمـاذا لـم يقـمْ أبـي بتغطيتها كالعادة إذا كان موجوداً في المنزل؟!

استمررت بالدخول وصلت إلى صالة المعيشة بدأت بالمناداة:

- أبي هل أنت هنا؟؟هذا أنا لقد عدت..

وضعـت حقيبتـي وكيـس المفرحـات علـى الأريكـة ابتسـمت عندما لمحـت حـذاء أبي موضوعـاً على عتبة بـاب غرفته هـذا يعني أن أبي بالداخل لكـن لماذا لـم يسـمعني؟ بالتأكيد هو فـي الحمام أو نائـم، لربمـا كان متعبـاً لذلـك لـم يذهب إلـى العمـل، توجهـت إلى الغرفـة أمسـكت بالمقبـض أدرتـه انفتح البـاب أصدر صريراً مرعباً بعـد أن سـكتت العاصفـة بشـكل مفاجئ أصبـح هـدوء مخيـف يخيم على العالـم انفتـح البـاب علـى مصراعيه لكي يسـتقبلني هـذا المنظر

علمت لماذا هدأت العاصفة لم تهدأ بل انتقلت إلى قلبي بعد أن رأيت أبي مقتولاً وغارقاً بدمه على أرضية غرفته!!.

بقيت واقفاً على قدمي أمام مشهد جثة والدي ما يقارب عشر دقائق بدون مبالغة حرفياً عشر دقائق أغمض عينيّ وأفتحهما بالتأكيد أنني أتوهم بالتأكيد أن هذا كابوس بالتأكيد هذا ليس حقيقياً!! أخيراً تحركت قدماي باتجاه والدي وصلت إليه نزلت على ركبتي:

- أبي.. أبي! أرجوك استيقظ،، أبي افتح عينيك ما الذي حدث لك؟

بدأت بالصياح والصراخ بأقوى ما لدي من صوت خرجت إلى الشارع وأنا أركض يميناً ويساراً أريد أي أحد أن يساعدني، شعرت بأنني غير مرئي شعرت بأن الناس لا يستطيعون رؤيتي شعرت بأنني خفي شعرت بأنني وهم لأنه لا أحد ساعدني ولا أحد التفت إلي حتى، حتى أخيراً امرأة عجوز كانت تسكن بالقرب منّا هرعت معي إلى داخل المنزل واتصلت بالشرطة والإسعاف لكن بعد ماذا؟

في ذلك اليوم تلك الليلة كانت أثقل ليلة في حياتي وأطول ليلة شعرت بأنني جثة على قيد الحياة وأن الحياة توقفت والزمن تعطل، كان الحزن ينهش روحي بقوة وكانت دموعي ترفض أن تخرج! في وفاة والدي لم أبكِ أبداً حتى عندما صرخت للناس لم أكن أبكي من هنا ومن تلك اللحظة فقدت مشاعري، كنت

أشعر بجميع حزن العالم يتجمع في صدري ورأسي كنت أرغب بالبكاء والصراخ لكن لم يخرج أي من هذا وظللت كقنبلة مكتومة موقوته لا أعلم متى ستنفجر؟ كنت على أمل بأن هذا كابوس وسينتهي لكن رفض أن ينتهي، في أول ليلة أو في اليوم نفسه الذي مات فيه أبي ظل في الثلاجة والمشرحة لكي يقوموا بتشريحه على أمل أن يعرفوا من القاتل، أتذكر أني ظللت جالساً على كرسي الانتظار عشر ساعات جميع الموظفين والشرطة والأطباء حاولوا أن يقنعوني بأن أغادر لكنني رفضت واكتفيت بالصمت فقط، أغادر إلى أين أصلاً؟ لا موطن لي ولا بيت لي كان موطني الوحيد هو أبي:

- «اسمك «ظل» أليس كذلك؟ تملك اسماً مميزاً وجميلاً..»

قال الشرطي وهو يجلس بجانبي ويضع وجبة من الوجبات السريعة أمامي لكي أقوم بأكلها مع قارورة مياه، ثم استرسل في حديثه:

- اسمعني يا بني أعلم بأنك في حالة صدمة لكن جلوسك هنا ليس منه أي فائدة سترهق نفسك وجسدك وصحتك لقد انتهى فريق التحقيق من المنزل وقد أخبرتهم أن يقوموا بتنظيف مسرح الجريمة تستطيع العودة الآن إلى منزلك لأنك رفضت أن تذهب إلى منزل حماية الشهود يجب أن ترتاح لكي تساعدنا في الإمساك بالقاتل نحتاج ذاكرتك إذا كنت قد رأيت شيئاً غريباً؟ إذا كان والدك لديه أعداء؟ لأنه مع التحقيق لم يكن لصّاً لأنه لا شيء مسروق رغم أن

والـدك كان يملـك أموالاً فـي خزانتـه والخزانة واضحة و...
مغلقـة لكـن لـم ينقـص منهـا ولا حتـى قرش لهـذا القات...
ليس لصّاً..

- لقد.. لقد رأيته!!

كانت هذه أول كلمات أنطق بها في ذلك اليوم.

- رأيت من؟؟

سأل المحقق باهتمام

- رأيت القاتل الذي قتل أبي..

- أين؟ هل رأيت وجهه؟؟

- لا.. عندمـا كنت عائـداً مـن المنزل رأيتـه: رجل يرتدي أسود يخـرج مـن منزلنـا كأن كثافـة المطر والضبـاب عدمـت الرؤية لدي لذلك لـم أستطع رؤية وجهـه لكنـه كان يرتدي الأسود وطويل القامة..

- حسناً اهدأ يا بني واشرب بعض الماء..

قالها المحقق باستغراب وكأنه لا يصدقني أو يعاملني كالمجنون:

- أنت لا تصدقني أليس كذلك؟؟

- لكن يـا بني اليـوم فـي الصبـاح أو الظهـر أو المسـاء أو الوقت الـذي كنت عائـداً فيـه مـن المدرسـة باختصـار اليوم لـم يأتِ أي مطر!! لا قوي ولا خفيف حتى عن أي مطر تتحدث..؟

هنا شعرت وكأن أحدهم قام بطعني في صدري شعرت بصاعقة تضربني من أعلى جمجمتي وحتى أسفل أقدامي كيف لم يكن يوجد مطر؟؟ هذا المحقق بالتأكيد يتلاعب بي!!؟

- هل تقول بأنني كاذب؟

صرخت في وجه المحقق

- اهدأ يا بني أنت لست بكاذب أنت تحتاج فقط إلى الراحة..

- اتركني لا تلمسني أريد أبي،، أريد أبي أرجوك أعد إلي أبي..

أصبت بانهيار عصبي الانهيار والعاصفة التي كتمتها خرج منها عشرة بالمائة فقط، استيقظت لأجد نفسي في المستشفى المغذية معلقة في يدي كنت أنتظر أبي يدخل بابتسامته ومعه بعض المفرحات لي لكن انتظرت وانتظرت ولم يأتِ، نزعت المغذية من يدي سال الدم لكنني لم أهتم ولم أشعر بأي ألم الألم يقبع في صدري خرجت من الغرفة لاحظت أنني في المستشفى نفسه الذي فيه أبي عدت إلى قسم التشريح لكن لم يكن هناك أي أحد أين أبي؟؟ أين أخذوه؟

وجدت المحقق مرة أخرى وأحضر زوجته هذه المرة كان من الواضح أنه يشعر بالشفقة علي أخبرني بأن الأطباء انتهوا من التشريح لكن؟؟

- لكن ماذا؟ لم يعرف هؤلاء الفشلة طريقة قتل أبي ولم يعرفوا ما هو السلاح المستخدم في القتل أخبرني المحقق

أن الدمـاء لـم تكن لـه! وهـذا ما صدمنـي أكثر وأرعبني وأن وفـاة والـدي كانـت وكأنها تبـدو طبيعيـة ولـم يكن هناك أي ضـرر فـي جسـمه حتـى؟! وبالنسـبة للدمـاء لـم يعرفـوا تعود إلـى مـن وأنهـا مـا زالـت فـي المختبـر يحاولـون أن يعرفـوا ذلـك لكـن بالطبـع الجميـع واثقـون بأنهـا جريمـة قتـل لكـن هذه أغرب جريمة قتل أراها في حياتي!

قال المحقق وهو يضع بعض لصق الجروح على يدي،،

- إذاً ماذا الآن؟

سألت بحزن ويأس

- لا شـيء يا بني سـنقوم بمراسـم الدفـن غـداً والآن أخبرني ألا تملك أي أحد؟؟ ولا والدك يملك أي معارف؟

- لا،، أنا وأبي حتى أصدقاء لا نملك.

- وماذا عن والدتك أين هي؟؟

- لا أعرف منذ كنت في عمر الخامسة تركتنا

- حسناً نستطيع أن نتواصل معها أينما كانت حسناً..

- لا.. لا تفعل ذلك

صرخت في وجه المحقق

- حسناً اهدأ لن أفعل ذلك

- لا أحتاج أي أحد وأبي أيضاً لا يحتاج أي أحد

- ولكنك ما زلت صغيراً يا بني..

قالت زوجة المحقق

- أنا لست صغيراً أبداً لقد كنت أكبر في السنة ثلاثين مرة لذلك أنا لست صغيراً أستطيع الاعتناء بنفسي..

عدت إلى المنزل قام المحقق وزوجته بإيصالي إلى المنزل كانا يشعران بالحزن والشفقة الشديدة تجاهي أعرف أنهما إنسانان لطيفان لكن لا أحب أن يساعدني أي أحد، أصرا على أن ينزلا معي لكنني رفضت لذلك غادرا كان الوقت الساعة الرابعة فجراً والجنازة ستكون التاسعة صباحاً، دخلت إلى المنزل بأقدام متهالكة دخلت إلى المنزل بجسد بدون روح كان المنزل بارداً بشكل غير طبيعي وكأن ثلاجة الموتى انتقلت إلى منزلنا، سرت بخطوات مثقلة رأيت حقيبة المدرسة وكيس المفرحات الذي اشتريته ما زال على الأريكة على حاله، رفعت رأسي نحو غرفة أبي رأيت الشريط الأصفر ما زال معلقاً توجهت إليه بغضب ومزقته بيدي أحاول أن ألتقط أنفاسي ألهث بحزن، فتحت الباب قال المحقق إن الشرطة نظفت المنزل نعم هذا أقصى ما استطعت فعله كان الدم على الأرض ما زالت آثاره لم ينظفوا بمجهود نظرت إلى فراش أبي كان خاوياً كان فارغاً كفراغ قلبي، دخلت حتى وصلت إلى الفراش رميت بجسدي عليه تحسسته كانت رائحة أبي ما زالت موجودة أبي أنا هنا أين أنت يا أبي؟ إنها أول ساعات من دونك ثماني ساعات وثلاث وثلاثون دقيقة وعشر ثوانٍ قضيتها في هذا اليوم بدونك يا أبي أنا أشعر وكأنها قرون

ماذا سـأفعل فـي الأيـام القادمـة فـي السنوات القادمة هذا مخيف؟

لقـد وعدتنـي أن لا تتركنـي يـا أبـي لكنـك تركتني فحسب تركتني

وحدي في الجحيم إن الحياة بدونك ستكون كالجحيم يا أبي..

إنه يا أبي حتى دموعي ترفض أن تنزل وأنا أكره ذلك ماذا أفعل؟؟

لـم أشـعر بنفسـي إلا وأغمضـت عينـيّ لـم تكـن نومـة عادية بل كانت إغماء من شدة التعب والصدمة

- «ظل» افتح عينيك يا ظلي أنا هنا..

أتى صـوت أبـي كالحلم الجميـل فتحت عينـيّ إذ أراه يمسـك بي بابتسامته المشرقة:

- أبي..

ما أن اتضحت الرؤية إذ أراه ذلك المحقق كان يوقظني:

- إنه وقت الجنازة يا بني هيا انهض لكي نذهب إلى المغسلة

تلاشـت أحلامـي وآمالـي وتذكـرت كل شـيء تذكـرت أن أبـي مـات وأنـا الآن وحـدي نهضـت بهـدوء وذهبـت إلـى الحمـام وتحممـت لا أعـرف كيـف، توجهـت مـع المحقـق إلـى مغسـلة الأمـوات هذا المـكان الذي لطالمـا عمل أبي طـوال حياتـه فيه والآن هـو كجثة فيه، رأيـت رجـلاً فـي عقـده الرابـع تقريبـاً علمـت بأنـه المغسل هو المسؤول عن غسل أبي سأل:

- هل هناك أحد من عائلته سيدخل معي لغسله؟؟

المحقق:

- يوجد ابنه لكنه صغير

- لا، أخبرتك أني لست صغيراً أنا سأغسل أبي بنفسي..

- حسناً تفضل

دخلت إلى المغسلة كنت معتاداً على مناظر المغسلة لأن نصف حياتي كلها في هذه الأماكن اقتربت من أبي كان يرقد كالملاك وهنا علمت بأن أبي ليس ميتاً أبي حي! لكن لا أحد يرى ذلك:

- إذا كنت خائفاً فلا بأس سأفعلها وحدي

داهم المغسل أفكاري كان يشعر بالشفقة علي:

- لا أنا بخير أنا أعرف كيف أستطيع فعل ذلك

أجبت بثقة بدأنا بغسله وتنظيفه بعدها بدأت مراسم الدفن، سألني المغسل واستغرب: هل ترغب بتوديعه؟ أجبت: لا!!..

أخذنا أبي إلى المقبرة هذا العالم الذي كان ملكاً له طوال حياته هل من المعقول اليوم سيكون معهم؟ لا أبي مكانه ليس هنا!..

دخلنا إلى المقبرة وقام حفارو القبور بدفنه انتهى كل ذلك سريعاً، كانت الجنازة فارغة لا أحد سواي أنا والمحقق وزوجته والوحدة شعرت بأن عيون الجثث تحت القبر تراقبنا وتبكي على والدهم الروحي! لكن هذا ليس مكانه هذا ظلم..

- هيا يا بني..

قال المحقق وهو يمسك بيدي نظرت إلى القبر وقلت:

- لكن أبي لا يحب أن يكون وحيداً..

رأيت الدموع في عيني المحقق وزوجته لكن عينيّ رفضت
ترحبا بالدموع، رفضت بكل قوة أن يبقى معي المحقق أو زو
وأعاداني إلى المنزل وكانت الليلة الأولى الحقيقية التي أعي
فيها بدون أبي لأول مرة في حياتي، أبي الذي كان لا يتركني ح
ثانية واحدة وحدي أبي الذي كان يأخذني معه إلى كل مكا
يذهب إليه أبي الذي كان عندما أمرض يسهر ثلاث ليالٍ أو عش
ليالٍ حتى متواصلة حتى أشفى أبي الذي لم يتخلَّ ولم يفكر يو
بالتخلي عني الذي كان لي كل حياتي وكل شيء بالنسبة لي كا
هو كالظل وليس أنا هل من المعقول أن أتركه الآن وحده؟؟

ليس من العدل أن أتركه وحده وهو لم يتركني في حياتي ثاني
واحدة حتى، ثم إن أبي أخبرني مرة أن الأموات ليسوا أمواتاً وأنه
يستطيع سماعهم ويتحدث دائماً معهم ويغني معهم إن الأموات
أحياء بشكل آخر لكن لا أحد يستطيع الوصول إلى قدرة أبي إلا
الذي يريد لكن كيف؟

وضعت رأسي المثقل في تلك الليلة على وسادتي أنا الآن
رأسي على وسادتي ولكن أشعر بأن هناك دبابيس على وسادتي
دبابيس تخترق رأسي وتصل إلى عقلي تأكل خلايا دماغي، أشعر
بأن دبابيس على وسادتي تثقب دماغي تهشم أحلامي وآمالي
تتدفق من كوابيس العالم تجري في سريري وتسبح في أحلامي
وتغرقها لا مجال للأحلام تسد ثقوباً في رأسي فراشي يطفو
روحي تغرق ببطء تغرق أسفل المحيط وفي داخلي أجدف
وأجدف وأجدف لكن يتحطم قاربي المتهالك وأغرق في العدم

أغمضت عينيّ بعد أن رأيت أبي يقف وكأنه ما زال يحرسني أو كأنه يعطيني إشارة لأبدأ هذه الخطوة خصوصاً بعد ما قال كلماته:

- «المكان هنا مظلم يا ظلي هل ستتركني وحيداً فقط لأنني أصبحت جثة؟»

***

استيقظت لأجد نفسي نائماً على المكتب في مكتبي للمرة الثانية؟ ولا أعرف كيف نمت مسحت خدي بعد أن شعرت بشيء ينزل على وجهي وكانت دمعة هل هذا لأنني لم أبكِ في جنازة أبي قبل ١٧ عاماً؟! وتذكرت والآن بكيت أريد أن أبكي؟ الآن شعرت بمشاعر «محمود درويش» عندما قال: أريد أن أبكي وأخبره سائق القطار: انتظر الوصول إلى المحطة وابكِ بقدر ما تريد! لكن هل وصلت إلى المحطة المقصودة؟ أم أن طريقي ما زال طويلاً؟ متى سأبكي إذاً؟ ولماذا أبكي أصلاً؟ إن أبي الآن هو بخير وهو معي معي للأبد ولا أحد يستطيع أن يفرقنا بعضنا عن بعض..

نظرت إلى الساعة كانت قد أصبحت السادسة صباحاً حان موعد فطور أبي وأدويته وقراءة كتاب له منذ فترة لم أقرأ له أشعار «محمود درويش» شاعر مشهور عربي كان أبي يحب أعماله كثيراً لذلك أنوع له في القراءة بين أشعار وروايات وفلسفة وأنا أصبحت مثله تماماً أحب الأشياء التي يحبها أبي لطالما قال الناس ونعتوه وتنمروا عليه بأنني لست ابنه لأنني لا أشبهه هو قبيح وأنا وسيم جداً لكنهم لا يعرفون معنى الشبه

الحقيقي بين الأب وابنه وأنه يكون بالعمق بالروح بالتفكير هذا هو الشبه الحقيقي..

تذكرت أن لدي عملاً طويلاً أقوم به فاليوم سأقوم بتحنيط الجثة أخيراً جثة جديدة في عالمي، انتهيت من تجهيز الفطور لأبي وضعته له تحدثنا قليلاً وسرت به خارج القصر في مقعده كان الجو جميلاً بعد ليلة ماطرة، عدنا إلى المنزل تحممت وارتديت ملابس دافئة اليوم إجازة بعد أسبوع ضغط في العمل لن أرد على أحد اليوم سأكتفي مع عائلتي وسأقدم لهم الفرد الجديد في العائلة، صنعت لي قهوة لأستعد للعمل فجاءة وصلتني رسالة على بريدي في موقعي فتحته إذ أرى الرسالة التي انتظرتها:

- «لقد وصلت شحنة قادمة إليك يرجى إرسال الموقع أو تعال لاستلامها»

لأوضح لكم طريقة الشراء والبيع في هذه المواقع المحظورة والمحرمة في أكثر البلدان إنها تجارة وعالم ضخم مرعب حتى إيصال الشحنات يكون عن طريقهم عن طريق منظمات تعود إلى هذه المواقع لا الحكومة تعرف عن ذلك ولا أي منظمة رسمية، لذلك استلام الشحنات إذا كنت تريد أن تحدد لهم موقعاً لكي يأتوا فأنت حر لكن هذا الغبي الذي يفعلها لأن منظمات كهذه من المستحيل أن تعطيهم موقعك لربما يعودون إليك ويقومون بأذيتك لذلك الأفضل أن تذهب أنت بنفسك، أو ترسل أي أحد وتدفع له المال وهذه أذكى طريقة لذلك أنا لدي الكثير من المعارف الذين

دائماً ما يلهثون وراء المال ولا حتى يسألون ما هذا وأين هذا؟ وكيف هذا؟ لذلك استأجرت شخصاً وأرسلت له مبلغاً كبيراً من المال أرسلت له معلومات المكان وشركة الشحن السرية والكلمة السرية لكي يحصل على الشحنة ذهب في خلال ساعة كاملة وبكل هذا الوقت كنت أحاول أن أهدأ هل حقاً ستكون جثة؟ إذاً ستكون لدي جثتان وهذه نعمة واحدة سأضمها للعائلة والأخرى سأبدأ بها مشروعي وهو «فن الجثث» لكن لم أكن أعلم بأن هذه الجثة ستقلب حياتي رأساً على عقب وستفتح لي أبواباً لم أكن أعرفها وستفتح عينيّ على الحقيقة، الحقيقة فقط..



«أشعر بجنازة في رأسي»

«كنت أؤمن بأن الجثث لا تتحدث حتى تحدثت جثة أبي»

أعيش أياماً بلا نوم ضوء القمر الباهر كله ساطع في أيامي كلها وكأنه يسخر من مخاوفي الواضحة ويقشر أحلام اليقظة الهادئة ويطاردني ويثيرني ويزعجني ويحرق جدراني كلها ويتركني أشعر بالخوف من الليلة التالية! لكن لماذا أشعر بالخوف؟ ومن ماذا أشعر بالخوف؟ كل مخاوفي هي أن لا أحقق حلمي البسيط حلمي الذي يشعرني بالأمان لا أرغب بأن أكون وحيداً أرغب بأن أعيش وحولي العديد من الجثث!!

مضى على وفاة أبي فقط أسبوع كان أسوأ أسبوع أعيشه في حياتي شعرت بأنني في الجحيم اشتقت لأبي كثيراً بل أكثر من الكثير كنت مشتاقاً إلى الجثث والآن إلى أبي، مضى أسبوعان وكانت في كل يوم في كل ساعة في كل دقيقة في كل ثانية تزيد معي تلك الرغبة، الرغبة التي اجتاحت روحي إنني لا أستطيع العيش بدون والدي الصور لا تكفي أبداً اجتاحني الاكتئاب والوحدة بقوة لدرجة لم أعد أستطيع الاستمرار في روتين حياتي لم أستطع النوم ولا الأكل كنت مريضاً طوال

الوقت كنت أسمع صوت أبي في المنزل شعرت بأنه وحيد جداً مثلي وحيد في القبر أردت أن أكون معه وأراد أن يكون معي في ليلة حالكة السواد وشديدة البرودة اتخذت قراري بعد وفاة والدي بـ أسبوعين قررت أن أخرج والدي من ذلك المكان المرعب من تلك العزلة والوحدة والظلمة قررت إخراج أبي من القبر!!..

استجمعت شتات نفسي وشجاعتي وقوتي وإرادتي وعزيمتي وتوجهت إلى المقبرة في الساعة الثالثة فجراً وصلت عند قبر أبي ظللت واقفاً فوقه بما يقارب ثلاث دقائق لم أعطِ للتردد مجالاً وبدأت بالحفر أنا قادم يا أبي لم تتركني وحيداً في الحياة لذلك لن أتركك وحيداً في الموت هذا القبر لا يعتني بك أنا سأعتني بك، حفرت بسرعة كبيرة حتى أخيراً رأيته رأيت جثة أبي هنا أصابتني رعشة في جسدي نبض قلبي بقوة شعرت بالخوف لأول مرة لأول مرة أخاف من جثة كان أبي مغطّىً بالكفن الأبيض لم أرَه بعد لكن الكفن الأبيض وهو ملفوف على جسده بدا لي مخيفاً كنت أود أن أتراجع أنفاسي أصبحت سريعة لكن شيئاً منعني عن التراجع وهو سمعته سمعت أبي يدندن بهذه التهويدة، التهويدة التي كان يغنيها دائماً عندما أي أحد يسخر من الموت يغنيها عندما أحد يضحك على الموتى! كان أبي يحترم الموتى كثيراً أكثر من الأحياء لذلك كان يشعر بالغضب والضيق عندما يسخر أحدهم من الموتى سمعت صوته وبدا كأنه مكتوم بسبب

الكفـن الأبيـض الـذي يغطـي وجهـه كان صـوت أبـي يدنـدن هذه التهويدة:

«إيـاك أن تضحـك عنـد مـرور كفـن،، لأنـك قـد تكـون مـن سيموت تالياً»

«سيقومون بلفـك فـي كفـن،، ويلقونـك علـى عمـق سـتة أقـدام تحت الأرض»

كان صـوت أبـي يـردد هذيـن السـطرين هنا علمـت بأنـه غاضب يرغب بالخروج قفـزت فـي داخـل القبـر كان بـارداً جـدّاً أمسـكت بوالدي لم أكشـف عـن وجهـه كان ثقيلاً جـدّاً رغـم أنهـم يقولون إن الميـت يصبـح خفيفـاً لأن روحـه المحملـة بهمـوم الدنيا هـي الثقيلة وضعتـه علـى كتفـي رغـم ذلـك وتوجهـت بـه إلـى السـيارة التـي استأجرتها مع صاحبهـا ودفعت لـه كثيراً مـن الأمـوال وابتعدت عن المقبـرة عائداً بـه إلـى المنزل منزلـه ومكانـه الـذي يحبه..! عـاد أبي إلى أحضاني..

فعلت كل هذا وأنا بعمر السابعة عشرة فقط

الجـو كان بـارداً جـدّاً هكـذا فجـأة قـرر فصـل الشـتاء أن يهب بنسمته البـاردة أم أنا فقـط الذي أشـعر بالبـرودة في جسـدي؟ لم أستطع النـوم رغـم أننـي كنـت سـعيداً بقـراري لكن لـمَ أنـا الآن أرتعش؟ والنـوم هـرب مـن عينـيّ هل أنـا نـادم؟ لا لسـت كذلك لـن أندم أبـداً لن أنـدم أننـي أعـدت والدي إلـى المنـزل ووضعت جثتـه الآن فـي المبرد مـع قطـع عملاقة مـن الثلـج لكـن يجب أن

أحافـظ عليه يجب أن لا أسمح للتعفن بأن يأكلـه لكن كيف؟ كيف أحتفـظ بجثـة والـدي إلـى الأبـد؟ القبـور مخيفة لن أسمح ببقائه هناك بالتأكيد الشيء الـذي فعلته هـو الصح لو كنت مكانه فبالتأكيـد سيفعل الشيء نفسه هـو لـن يتركني وحدي في ذلك القبـر المظلـم، الأفـكار تـأكل رأسي حتـى رأيت ضوء الشمس يتسلل إلـى أرجاء المنزل لقـد أتـى الصبـح وأنـا مـا زلـت أفكر نهضت من سريري واغتسلت بسرعة كان ينتظرني اختبار تحديد مستوىً في الجامعـة هـذا مـا كان ينتظره أبي لـن أخيب ظنـه أبداً وضعت خططاً لنفسي في حال أتى المحقق وسألني عن الجثة بالطبع سيعرفون أن الجثة سرقت لكن لم يأتِ أحد ولـم يهتم أحد مسكين أبي لـم يهتم بـه أحد وهـو حي ولا وهو ميت، انتهيت من الاختبار ورغـم أنني لـم أدرس حرفاً واحداً وكانت نفسيتي مدمرة وكانـت الأفـكار تـأكل رأسي إلا أنني نجحت في الاختبـار وبأعلى الدرجات، لـم أكـنْ سعيداً لكنني ركضت نحو المبـرد وفتحتـه وقلت لأبـي بأنني نجحت وشهر فقط سأكون في الجامعـة لكن خـلال هذا الشـهر يجب أن أفعل المستحيل مـاذا أفعل؟ الجامعـة في العاصمـة كيف أذهب إلى هناك بجثة والدي؟

نمت في تلك الليلة والأفكار تأكل رأسي كنت أشعر باكتئاب كنت على وشك الاستسلام ماذا أفعل بأبي؟ سيتعفن إذا لم أجد لـه حـلّاً! نمت والدموع تنهمر على وسادتي من شدة اليأس لا أريد أن أخسر أبي مرة ثانية..

ما أن نمت رأيت حلماً غريباً وطويلاً رأيت الحل الذي كنت أبحث عنه لحفظ أبي لم أكن أعرف ما هو التحنيط ولم أسمع بهذه الكلمة حتى ورغم ذلك رأيت شخصاً كان ذلك الشخص طويلاً وعريضاً وكأنه هو نفسه الذي قتل أبي الشخص الذي رأيته يخرج من منزلنا ولم يصدقني أحد! الغريب أنه أمسك بيدي وذهبت معه نزلنا إلى القبو الذي كنت أضع فيه والدي فتحنا المبرد وأخرجنا جثة والدي وضعناها على طاولة خشبية، الغريب أكثر أنني لا أستطيع رؤية وجه ذلك الرجل كان يلبس قناعاً مخيفاً جداً لا أستطيع وصفه كنت أراقبه أو كأنه كان يعلمني على هذه المهنة مهنة التحنيط!!

أرى ذلك الرجل وهو يحضر الكثير من الأشياء والأدوات ولم أكن أعرف ما هذا؟ وماذا يفعل؟ بدأ الرجل بنزع ملابس أبي كان جسد أبي متيبساً لم أستطع أن أحركه أبداً حاولت وفعلت قدر المستطاع أصابعه اليسرى حاولت تعديلها لكنها تكسرت بسهولة في يدي لذلك قررت أن أتركه مثلما هو كان الأمر صعباً جداً الثلج لم يستطعِ السيطرة على التعفن جسده تأكل ألوان عديدة تنتشر في جسده بثور بقع رضوض كسور لكن لم يستسلم الرجل ولا أنا وبدأنا بعملية التحنيط، أولاً دعوني أخبركم عمليات التحنيط قديماً كيف تكون:

لقد اختلف الباحثون في عدد هذه الخطوات، بعضهم قال إنها ١٣ خطوة والآخرون قالوا أقل، لكن هذه الخطوات موجودة في البرديات وفحص المومياوات المصرية وتتركز في ست خطوات:

١- الغسل والتطهير

يقـوم المحنطـون بغسـل المتوفى وتنظيفـه من الأوساخ بوضـ
في حـوض الغسـل، الهدف مـن الغسـل بالماء وملـح النطرو
أنه يساعد على البعث والولادة.

٢- نزع المخ والأحشاء

قـام المحنـط بامتصـاص المـاء مـن جسـم المتوفى ونز
الأحشـاء على حـدة ليجففهـا وقـد نـزع المـخ أولاً ثم أعضا
البطن والصدر.

كانـت بمثابة أولـى خطـوات التحنيط التـي كان يتبعهـا المصري
القديم قبل الغسل والتطهير

أولاً: نزع المخ

يقـوم المحنطـون بنـزع المـخ مـن خـلال العظمـة المصفوية أو
من فتحـة خلـف العنـق، يسـتخدم المحنـط آلـة نحاسية طويلة
ويحشـرها داخـل جمجمـة المتوفـى ويحـرك الطـرف الآخر
الموجـود خـارج الجسـد ويقـوم بقطعـه إلـى قطـع صغيرة
ليخرجهـا مـن فتحتـي الأنـف، وعنـد الانتهـاء مـن تفريغ
الجمجمـة من النسـيج يقوم بوضع سـائل مسـتخرج من أشـجار
الصنوبر من خلال إدخاله عن طريق الأنف.

ثانياً: استخراج الأحشاء

يقـوم المحنـط بإخـراج الرئتيـن والمعـدة والأمعـاء والكبـد
والكليتيـن عن طريق شـق فتحـة في الجانب الأيسـر مـن البطن،

ويضع هذه الأعضاء في ملح النطرون ويدهنها بزيت الأرز ويلفها بالكتان ويضعها في الآنية الكانوبية، ثم يقوم بإرجاع القلب والكليتين في جسد المتوفى لأن القلب له دور في العالم الآخر كوضع النيات.

٣- وضع مواد الحشو

تقوم هذه المرحلة بالدور الذي قصد إليه المحنط في حال اكتمال ٧٠ يوماً.

أولاً: مواد الحشو المؤقتة

هذه المواد توضع في جسد الميت ولا تنزع منه لأنها تقتل البكتيريا ولكن تنزع من الجسد بعد عملية التجفيف وهي ثلاثة أنواع من لفافات الكتان وهي: لفافات بها ملح النطرون لتمتص المياه، لفافات كتان تمتص السوائل المتبقية، لفافات كتان تضم مواد عطرية.

ثانياً: مواد الحشو الدائمة

هي مواد حشو تبقى للأبد ومنها: ملح النطرون، نشارة الخشب، المر والقرفة، لفافات كتانية مغموسة بالراتنج الصمغي، البصل.

ثالثاً: مواد حشو تحت الجلد

هي توضع تحت جلد الميت تعطي الجسد ملامحه عندما كان حياً لتستطيع الروح التعرف عليه، توضع في الطبقة

الوسطى من البشرة هي الأدمة ومن هذه المواد: الطين، الكتان، الرمال، نشارة الخشب، زبدة وصودا، هذه المواد توضع من خلال فتحات في الذراعين والساقين والظهر.

٤- التجفيف:

يلقي المحنط كميات كبيرة من ملح النطرون على جسد الميت لمدة ٤٠ يوماً لتخليص الجسم من وزن الجسد وهو الماء، وتخليصه أيضاً من الأطعمة التي تناولها المتوفى، وملح النطرون يتكون من كربونات وبيكربونات وكلوريد وسلفات الصوديوم لذلك هو يلعب دوراً مهمّاً في عملية التجفيف، في هذه المرحلة كان المتوفى يوضع على سرير حجري مائل وفي أعلى سطح السرير توجد قناة تتجمع فيها المياه من الجسد ثم تتجمع في حوض أسفل السرير، بعد انتهاء مدة التجفيف يقوم المحنط بإزالة ملح النطرون واستخراج مواد الحشو المؤقتة.

٥- صب الزيوت والدهون

تعالج هذه الخطوة التغيرات الجسدية بعد التجفيف مثل لون الجسد واحتراق أنسجة الجلد وانكماش الدهون أسفل الجلد، ويقوم المحنط بصب سائل أبيض مغلي وهو الراتنج على جسد الميت، المواد المستخدمة في هذه الخطوة: الراتنج، زيت الأرز، دهان مرحت، شمع النحل، زيت التربنتين، ولقد استغرق المحنط عشرة أيام للقيام بدهن

الميت ولفه بالكتان والملابس، وبعد انتهاء المحنط من صب الزيوت يقوم بإغلاق فتحات الجسد مثل العينين، الأذنين، فتحتي الأنف والفم بالضغط على العينين لتسقطا ويضع فوقهما قشرة بصل لمنع البكتريا، ويسد فتحتي الأذن والأنف بأقراص الراتنج، ويعالج الفم بملئه بالكتان ثم يلصق الشفتين بشمع النحل، أما فتحة التحنيط فتخوف المحنط من دخول الأرواح الشريرة فكان يلصق على الفتحة تميمة العين الحامية (عين حورس) أما فتحة الشفتين فقام بتخييطها بأوتار الكتان وإلصاقهما بشمع النحل.

٦- التكفين

بعد وضع صبغ الوجه ووضع الباروكات والصنادل والحلي يقوم الكاهن (سشمو) بعد ذلك بلف الجسد أسبوعين بالكفن ويصاحب كل لفة قراءته لتعويذة وتهدف هذه المرحلة إلى توفير حماية إضافية للجسد لمنع التحلل، يلون الكفن باللون الأحمر وتنتهي خطوات التحنيط بوضع القناع على وجه المتوفى ومن ثم قام الرجل بإخراج كتاب أسود وبدأ بالقراءة كان يقرأ بلغة غير مفهومة وكأنها تعويذات كتب على الكتاب: «التعاويذ من كتاب الموتى ودفن الجسد المحنط».

كانت هذه طريقة التحنيط القديمة استخدمها ذلك الرجل على والدي فأنا لم أستخدمها أبداً على أي جثة أخرى!!

فتحت عينيّ رأيت أنني ما زلت في الليل؟ اعتدلت في جلستي كنت أشعر بتعب وإرهاق شديدين يحتلان جسدي وكأنني كنت أقوم بمجهود في الليل لم يكن لدي هاتف سابقاً ولا جهاز محمول حتى لكن اشترى لي المحقق كل هذا كان يعتني بي كثيراً هو زوجته حتى إنهما اشتريا لي الكثير من أغراض المطبخ لم أكن أعرف كيف أستخدم كل هذا لكن أخبرني المحقق بأنني سأحتاجها بما أنني سأكون طالباً جامعياً قريباً، فتحت الهاتف هنا صعقت رأيت أن التاريخ كان ٢٢ سبتمبر! وقد نمت في ٢٠ سبتمبر!! هل نمت لمدة يومين مستحيل؟! من الممكن أنه من شدة الأرق الذي كنت أعاني منه والإرهاق النفسي والجسدي الذي لازمني من بعد جنازة أبي، شممت رائحة غريبة تذكرت ذلك الحلم الغريب الذي رأيته شعرت بأنه طويل لدرجة عشت فيه كل ثانية ودقيقة وساعة كان واقعياً أكثر من وجودي الآن حتى نهضت من على الفراش كان المنزل مظلماً جداً وبارداً توجهت بخوف وقلق يحفران قلبي ولا أعلم ما السبب مشيت باتجاه القبو لكي أرى جثة والدي كالعادة بدون أي حل فتحت الباب ونزلت وهنا شعرت بأن صاعقة ضربت صميم دماغي بعد أن رأيت هذا المشهد أمامي!!:

كان القبو فوضوياً به الكثير من الأدوات التي رأيتها في الحلم كانت أحشاء أبي الميتة والمتعفنة كلها موضوعة بإهمال بشكل مرعب ومقزز على الأرض كان أبي أو لم يكن أبي؟! بلى إنه أبي لكن كان جالساً على كرسي وكأنه جماد وكأنه منيكان أو دمية

رمادية وأعينه مفتوحة شفتاه مشققتان ما زالت أطراف أصابعه زرقاء مع رمادي يرتدي ملابس جديدة بشرته مشققة وكأنه جثة أعيد ترميمها..

كنت أغمض عينيّ وأفتحهما ظنّاً أنني ما زلت في الكابوس، حتى لمحت ورقة موضوعة على الطاولة الخشبية كتب فيها بخط يد غريب وكأنه لا يستطيع أن يكتب أو تعلم الكتابة للتو أو أنه لا يعرف كيف يكتب بهذه اللغة:

- «لا تلمسه الآن بعد ثلاثين يوماً تستطيع أن تلمسه وإلا فسيفسد! الأهم اترك المكان جافّاً دائماً ولا تتركه رطباً والدك يتعافى الآن لقد تم تحنيطه والتحنيط يعني إعادة الميت إلى الحياة بشكل آخر»..

سنلتقي قريباً..

لم أستوعب ما الذي يقوله هذا الشخص؟ ولم أستوعب ما الذي فعله بوالدي؟ لكن كل ما زرعته في عقلي هذه إشارة أنا أيضاً أريد أن أفعل ذلك هذا يعني أن أبي عاد إلي هذا يعني أن أبي حي وسيكون معي للأبد..

أغلقت باب القبو بهدوء ووضعت عليه قفلاً ذهبت إلى الحمام اغتسلت وبدلت ملابسي وصنعت لي شطيرة بالبيض وجلست في صالة المعيشة كنت أسعد إنسان علمت بأن حلمي سيتحقق وسيبدأ من هنا الآن أنا سأصبح مثل أبي أستطيع أن أعتني وأحتفظ بالجثث لطالما كانت هذه وصية أبي، أراد أبي أن

أرث منه هذا الشيء وبطريقة أفضل، أصبح لدي إنترنت وبدأت بالبحث عن هذه الأمور ورأيت أن هذا الشيء ممنوع في أغلب العالم أو كل العالم؟ لماذا؟ البشر الأحياء أنانيون إنهم يرغبون أن يمتلكوا العالم وحدهم، لم يكن هناك أشياء أو كتب تفيدني بالخطوات لكن عرفت أن هناك تحنيطاً يسمى بالتحنيط الحديث! يقومون به للموتى فقط من أجل توديع أهاليهم لهم لمدة أربعة أيام أو أسبوع وبعدها يتم دفنهم لكن التحنيط يستمر لعدة سنوات والجثة تكون نفسها حاولت أن أتعلم أكثر حتى بعد شهر كنت أشاهد فيلماً اسمه «House of Wax» كانوا يقومون بصب الشمع الساخن على الناس ويقومون بتحنيطهم لكن في بعض الأحيان تتشوه الجثث وتتأذى كثيراً بسبب أن الشمع ساخن لكنها كانت طريقة مثالية لحفظ الجثث كما هي لقد كنت أعيد الفيلم حرفيّاً يوميّاً بدون ملل أو كلل، لقد صنعوا مدينة كاملة من الجثث المشمعة! هذا زاد لدي الشغف لماذا أنا لا أستطيع أن أصنع مثلهم؟ مدينة مبالغ فيها لن أستطيع أن أفعل ذلك وحدي لكن لا بأس بمنزل «منزل الألف جثة»!! هل أستطيع فعل ذلك؟ سيكون المنزل مزدحماً لكن لا بأس في البرد لن نشعر بالبرد سنشعر بالدفء، بقيت أحاكي وأرسم هذه الأحلام في مخيلتي ورأسي بعدها عندما كنت أبحث عن التخصصات في الجامعة اخترت التشريح لأن هذا الشيء سيبقيني قريباً من الجثث وسأتعرف على أجزاء الإنسان بشكل عميق، لكنني أيضاً رأيت تخصص الفنون كنت أحب الرسم كثيراً لكن لفت انتباهي أيضاً

النحت هـذا مقارب للفن الـذي سأمارسه، حسناً في نهاية الأمر اخترت التشريح لأن هذه الفنـون أستطيع تعليم نفسي في المنزل النحت الرسم وغيرهما لكـن التشـريح لن أستطيع إلا في الجامعة والمستشفى، بعد ذلك قـرأت وصية والـدي اتضح أنه لديه حساب في البنك وهذا مـا صدمني كان الحساب فيه تقريباً نصف مليون!! كان قد وزعها على مصاريفي للجامعة وللحياة، لم أسأل من أين اتـى أبي بهذه الأموال هل من المعقول من وظائفه الثلاث دافن أموات ومغسل أموات ومغنٍّ للأموات؟

أنا لم أسأل حتى كيف تم تحنيط أبي؟ هل أنا من قمت بذلك مع ذلك الرجل وأوهمني ذلك الرجل بأنه مجرد حلم وهو كان حقيقيّاً؟ ومن يكون ذلك الشخص وهل هو نفسه الذي قتل والدي؟ لا أعرف ولم أعد أريد أن أعرف شيئاً كل ما أريده الآن هو أخذ والدي والذهاب إلى العاصمة لكن كيف؟ كيف أستطيع أن آخذ أبي معي بدون أن يسألني أحد ما خطبه؟ في الأيام الأخيرة تعرفت على شخص يقوم بنقل الأشخاص المهاجرين غير الشرعيين أنا لست منهم أنا مواطن بالطبع لكن أتتني فكرة أقوم بدفع المال له وينقلني أنا وأبي إلى العاصمة هو سيأخذ المال ولن يسأل حتى ما هذا؟ ومن هذا ولماذا هو هكذا؟ وبالفعل أعطيته المال استغرب كثيراً لأنني مواطن لكنه لم يسأل عن شيء اشتريت لأبي كرسي مقعدين وقمت بتبديل ملابسه وألبسته ملابس أنيقة كنت أشعر بالغرابة لكن يوماً بعد يوم أصبحت أرى نظراته لي فخوراً بي أنني قمت بالعمل الصح يوماً

بعد يوم أصبح أبي يتحدث معي ويخبرني بأنه فخور بي وسعيد
لأنني نجلـه، انتقلنا أنا وأبـي للعاصمة بعد أن أخفيت كل شي
يخص التحنيط وقمت بحرقها، بعدها تركت رسالة للمحقق
وزوجته رسالة شكرٍ ولم أخبرهما عن وجهتي ومن ذلك اليوم
حتى الآن لم أرَ ذلك المحقق الذي لم أعرف اسمه حتى لربما
أخبرني لكن لم يكن لدي عقل في تلك الأيام وكل عقلي كان مع
أبي فقط..

وصلت إلى العاصمة وكنت قد قمت بشراء شقة عبر الإنترنت
لم أكن أريد الاستجار لأنني لا أريد أن أقوم بالنقل كثيراً مع أبي
ولا أريد لصاحب الشقة أن يقوم بالشك بي أو إزعاجي لذلك
منزلك بأموالك أفضل، التحقت بالجامعة وكانت الأيام سريعة
كنت أقضي أيامي وحيداً ولم أشأ أن أتعرف على أحد أصلاً كنت
أفكر بجمع الأموال أكثر حتى لا تنتهي أموالي اشتغلت مع
الدراسة في الكثير من الوظائف الجزئية بدأت بالرسم كانت
رسوماتي غريبة عرضتها للبيع لكن لم يشترِها أحد لأنني لم أكن
معروفاً لكنني نجحت في بيع أول لوحة لي في مزاد لطلاب
الجامعة كنت سعيداً جدّاً وكان من اشتراها طالبة تدعى «ثيا»! من
هنا تعرفت على ثيا ليس فقط لأنها اشترت مني لكنني لم أستطع
صدها أبداً كنا جميعاً في كلية الطب لهذا كنا نتقابل كثيراً لربما
كانت الوحيدة التي لم تنظر إلي نظرة على أنني شخص غريب
أطوار، مضت السنوات واستمررت في تجارتي وأعمالي
ودراستي حتى وصلت إلى ما وصلت إليه الآن، أما عن ثاني جثة

حصلت عليها فكانت في السنة الثانية من دراستي، كان الحي الذي أسكن به فيه الكثير من المتشردين المهاجرين المدمنين، كان متشرد في عمر الأربعين تقريباً يشرب كثيراً كان دائماً يأتي وينام بجانب شقتي خصوصاً أيام الشتاء كان جيع السكان يقومون بطردهم إلا أنا أشفق عليهم كثيراً لذلك أتركهم تارة أحضر لهم الطعام والشراب وفي الاختبارات النهائية كنت قد خرجت من الجامعة متأخراً في الساعة التاسعة مساء كانت الثلوج تتساقط وصلت إلى الشقة ورأيت ذلك الرجل نائماً كالعادة ظننت أنه نائم، اقتربت منه وحاولت إيقاظه لكن صدمت بعد أن عرفت أنه ميت وضعت يدي على نبضه لكنه كان متوقفاً، المسكين مات من شدة البرد والجوع وهذا ليس غريباً أبداً، التفت يميناً ويساراً كانت الشوارع فارغة الجميع في منازلهم لم يكن هناك أيضاً أي كاميرات لا في الحي ولا في المبنى لذلك قلت لنفسي: أين سأجد أفضل من هذه الفرصة؟ شخص مات طبيعياً لم أوذِه أبداً لن يبحث أحد عنه حتى كان حلمه أن يكون في منزل يؤويه لذلك سأحقق حلمه..

سحبت جثة الرجل داخل منزلي كانت أول تجربة لي حقيقية في تحنيط جثة بنفسي بدون مساعدة ذلك الرجل الذي لم أرَه أبداً ثانيةً، هل أستطيع فعلها؟؟ وضعت الجثة في ثلاجة الموتى التي اشتريتها مؤخراً، بعدها قمت بشراء جميع الأدوات التي أحتاجها من دافن موتى وعلمت بأنني أستطيع شراء هذه الأشياء هنا في هذه البلاد لمن يملك تصريحاً ويعمل في مجال الصحة

لكن أغلب الذين يقومون بشرائها هم دافنو الموتى لكن أنا لست كذلك لكنني كنت أحصل عليها بالمال المال يستطيع شراء أي شيء محظور..

يجمع المحنطون بين عقلية الفنانين والعلماء، ويقدمون من خلال عملهم خدمة ضرورية لبيوت الجنازات (ثلاجة الموتى أو قاعات تنفيذ مراسم الدفن)، وذلك عن طريق تنظيفهم لجسم المتوفى وحفظه وإعداده ليحظى بمظهر أفضل في مراسم الدفن. يهدف التحنيط لحفظ جثث الموتى باستعمال مواد كيميائية مُعينة، وهو ما يُفيد مثلًا في حالة الحاجة لنقل جثة المتوفى لمكان آخر قبل دفنه، وبالتالي يمنع التحنيط تعفن الجثة، كما أن بعض الطقوس في ديانات معينة تؤخر دفن الميت عدة أيام. لاحظ اختلاف مفهوم التحنيط الحديث عن تحنيط الفراعنة للجثث (الذي حفظ الجثث لقرون وآلاف السنين)!

هذا ما قرأته خلال بحثي عن الموضوع إذاً ما سأقوم به هو التحنيط الحديث لكن كم تدوم مدة حفظ الجثة؟؟ لأن التحنيط القديم الذي استخدمته مع أبي لم أستطع أن أجد تلك الأشياء التي وضعها ذلك الرجل في جسد أبي لا بأس سأجرب الطريقة الحديثة وبعدها سنرى كم ستبقى الجثة معي..

قمت بالاستعداد والتجهيز كنت متحمساً جداً لبدء أول خطوة نحو الحلم، نبدأ بالخطوات سأخبركم عنها بالتفصيل دعوني أفذكم ببعض العلم النادر:

إعداد الجسم:

تحقق من أن الجسم متوجهٌ للأعلى. إذا كان الجزء الأمامي للجسم مشيرًا للأسفل فإن الجاذبية ستشد الدم للأسفل باتجاه أكثر الأجزاء انخفاضًا، خاصةً الوجه. هذا من شأنه أن يغير لون الوجه ويسبب انتفاخ ملامح الوجه، مما يؤثر سلبًا على انطباع المظهر الحيوي لمن ينظر للميت.

اخلع أي ملابس يرتديها الميت. ستحتاج لرؤية الجلد لرصد علامات نجاح تحنيطك، لذا يجب أن يبقى الجسم مكشوفًا طوال تلك العملية. أزِل أي إبرة داخل الوريد أو القسطرات أيضًا.

ستحتاج عادة لتسجيل أي شيء مميز بجسم الميت بالإضافة لأي جروح أو كدمات أو تشوهات لونية في تلك اللحظة في مستند تقرير التحنيط. ستستخدم هذا المستند كذلك لتوثيق خطوات العملية والكيماويات التي استخدمتها. يعمل هذا التقرير كتأمين إذا قررت العائلة أن تقاضي بيت الجنازات (ثلاجة الموتى أو قاعات تنفيذ مراسم الدفن) لأي مبرر.

احترم الجسم طوال الوقت. استخدم ورقاً أو منشفة لتغطية الأعضاء التناسلية ولا تترك أي أدوات على سطح الجسم خلال العمل. افترض أن عائلة الميت قد تدخل عليك في أي لحظة. الاحترام هو أهم شيء حتى تحصل على ثقة الجثة..

طهر الفم والعيون والأنف وغيرها من الفتحات. يستخدم مطهر قوي لتنظيف تلك الملامح من الداخل والخارج.

تفحص الميت لمعرفة نوع السائل الذي ستحتاج إليه. يستغل بعض المحنطين هذه الفرصة لخلط وتجهيز كل السوائل التي يحتاج إليها في تنفيذ العملية. عادةً من الجيد تخفيف ٠,٥ لتر من السائل بـ ٧,٥ لترات من الماء.

احلق شعر الجسم. في العادة يتم حلق شعر الوجه في تلك اللحظة، بنفس طريقة حلقك لشعرك. يتم حلق شعر الرجال دائمًا، بينما النساء والأطفال يتم أحيانًا حلق أي شعرات منفردة على الوجه.

دلك الجسم لتحريره من التخشب الموتي. دلك العضلات الكبرى لتخفيف الشد وحرك المفاصل المتيبسة لتفكيكها. إذا كانت العضلات مشدودة فإنها ستزيد الضغط خارج الأوعية الدموية، مما يبعد سائل التحنيط عن المكان الذي يجب أن يتجه إليه.

ضبط ملامح الوجه:

أغلِق العينين. اعتنِ جيدًا بإعداد العيون. عادةً ما تميل الجفون للسقوط للوراء في جوف العين، لذا يتم وضع قطعة قطنية صغيرة ما بين الجفن والعين لإخراجها. في بعض الأحيان يتم استخدام غطاء بلاستيكي للعين لهذا الغرض.

لا يتم خياطة الجفون لإغلاقها أبدًا ولكن أحيانًا يتم استخدام الصمغ لذلك.

يجب ضبط ملامح الوجه قبل استخدام سائل التحنيط، وذلك لأن السائل سيجعل الجسم صلبًا إلى حدٍّ ما، مما يصعب من ضبط الملامح بعد ذلك. عني أنا لم أغلق أي عين لجثة جميعهم كانت أعينهم مفتوحة هذا أفضل هم يستحقون أن يشاهدوا هذا العالم..

أغلِق الفم واضبطه في وضعه الطبيعي. عادةً ما تستخدم إحدى طريقتين لضبط الفم.

أحيانًا تتم خياطة الفم باستخدام خيط الجراحة بإدخال إبرة ملتوية في الفك تحت اللثة ثم للأعلى من جديد عبر الحاجز. تجب ربط الخيط بإحكام شديد لكي يظل خط الفك ذا شكل طبيعي.

عادةً ما يستخدم مسدس حقن إلى جانب أداة فموية. تعمل تلك الأداة كواقي الفم أو مواد الاستعاضة الصناعية السنية على تثبيت الفكين بعضهما مع بعض بالعضة الطبيعية والمحاذاة الصحيحة للفك. عادةً ما تقل نسبة الخطأ البشري في تلك الطريقة. أحياناً بعض الجثث أقوم بجعلها تبتسم وآخرون لا أقوم بتبديل ملامحهم لكي يستطيعوا التعبير عن مشاعرهم..

رطب الوجه. تستخدم كمية صغيرة من الكريم على جفون العين والشفتين لمنعها من الجفاف، مما يعطيها مظهرًا طبيعيًّا حيويًّا.

تحنيط الشرايين:

اختر مكان القطع. يتم تحنيط الشرايين بإدخال سائل التحنيط (خليط من الفورمالدهيد وكيماويات أخرى وماء) إلى الشريان

مع تصريف الدم من وريد قريب أو من القلب. يتطلب تحنيط الجسم في المعتاد ٥ , ٧ لترات من الماء.

عند الرجال يتم عمل القطع بالقرب من قاعدة العضلة القصية الترقوية الخشائية والترقوة، أما للإناث والصغار فإن المكان الفخذي هو الأفضل..

قم بعمل القطع. نظف نقطة الوريد واصنع نقطة دخول وأدخِل أنبوبة التصريف تجاه القلب. اربط رابطًا حول الطرف السفلي من الأنبوبة.

كرر الشيء نفسه مع الشريان ولكن أدخِل الكانيولا بدلًا من أنبوبة التصريف. ضع ملقط الكانيولا على الشريان لتثبيتها في مكانها. استخدم ملقط إغلاق صغيراً لإغلاق الجزء العلوي من الشريان وإعاقة تدفق الدم.

شغل جهاز التحنيط ووزع السائل. خلال التحنيط اغسل الجسم بمبيد جراثيم أو صابون مضاد للبكتيريا واحرص على التحقق من التصريف خلال تدليك الأطراف لدفع الدم للخارج ودفع محلول التحنيط للداخل.

عند دخول السائل للشرايين سيزيد الضغط في الأوردة، مما يعني أن السائل يتحرك بالجسم. ستلاحظ أن الأوردة متفخة بعض الشيء. افتح أنبوبة تصريف الوريد الوداجي دوريًا للسماح للدم بالخروج لتخفيف الضغط.

جهاز التحنيط كنت قد اشتريته بخمسين ألف دولار وكان مستخدماً أيضاً! لأنني كنت في البداية أما الآن فلدي

أكثر الأجهـزة والتقنيـة المتطـورة والباهظـة الثمـن دعونـا نكمل الآن الخطوات..

خفف الضغط تدريجيًا. عند تبقي حوالي ٢٠٪ من المحلول أغلق الجهاز واعكس الكانيولا للجانب الآخر من الشريان الذي اخترت حقنه. يُحنط ذلك الجزء الذي كان مغلقًا بالكانيولا سابقًا. احرص على خفض الضغط لأن السائل يجب أن يتدفق لمسافة قصيرة فقط، وأنت في غنىً عن بروز أو التسبب في جحوظ العينين.

في حالة الشريان الفخذي سيؤدي ذلك لتحنيط الرجل السفلى. في حالة الشريان السباتي الأصلي سيؤدي ذلك لتحنيط الجزء الأيمن من الرأس.

أنهِ الأمر. بعد انتهائك من التحنيط للحد المطلوب أو إذا نفد السائل أغلِق الجهاز وأزِل الكانيولا واربط الأوردة والشرايين التي استخدمتها. خيِّط أماكن القطع بالخيوط الجراحية لإغلاقها. استخدم بودرة الإغلاق حتى لا تحدث أي تسريبات.

تحنيط التجاويف:

استخدم مبزلة (نوع من المِصفاة) لشفط محتويات الأعضاء. بما أنك نظفت الشرايين الآن ستحتاج لتنظيف داخل الأعضاء قبل تراكم البكتيريا والغازات وخروج السوائل الزائدة من الفم أو الأنف.

اشفط تجويف الصدر. أدخِل المبزلة ٥ سم لليمين و٥ سم أعلى سرة البطن. نظف الأعضاء المجوفة كالمعدة والبنكرياس والأمعاء الدقيقة.

اشفط التجويف السفلي. أزل المبزلة ولُفها ثم أدخلها بالجزء السفلي من الجسم لشفط محتويات الأمعاء الغليظة والمثانة والرحم في حالة الإناث. أحيانًا يتم ملء المهبل والشرج بالقطن لتجنب التسريب.

احقن سائل التجاويف بالجذع. يتكون سائل التجاويف عادة من ٣٠٪ فورمالدهيد ويتم استخدام طريقة الحقن بالجاذبية لدفع سائل التجويف لداخل الأعضاء المجوفة لتعقيمها وحفظها.

احرص على الوصول لكلٍّ من الأعضاء العليا والسفلى. هذه الخطوة هامة للغاية لمنع الإسهال.

أزِل المبزلة وأغلِق الفتحة بالمسمار الطبي الخاص بها. نظف المبزلة وضعها جانبًا.

وضع الجسم بالنعش:

اشتريت تابوتاً خاصّاً له حيث إن الشقة لم تكن تسمح بأن أجعلهم يتجولون نحتاج إلى منزل أكبر لذا قمت بشراء أرض بباقي المبلغ الذي تبقى من حساب والدي وبدأت ببناء هذا القصر الذي أملكه الآن لكي يتماشى مع معاييري وتصاميمي الخاصة، لنكمل الآن الخطوات النهائية:

اغسل الجسم جيدًا. استخدم المطهر نفسه الذي استخدمته سابقًا لتنظيف الجسم بشكلٍ كامل لإزالة أي دم وكيماويات متروكة خلال عملية التحنيط. اعتنِ بالجسم جيدًا في تلك العملية.

ضع اللمسات الأخيرة على الملامح. يتم وضع مكياج حيوي على الوجه وقص الأظافر وتسريح الشعر والعناية به.

البس الجسم قم بإلباس الجسم ملابس أنيقة تليق به، بالنسبة لأول جثة وهو المتشرد قمت بشراء ملابس له كان يرغب بها عندما رأيته في يوم ما يقف بجانب ذلك المحل للملابس الرجالية وينظر إليها وهي على المانيكان وقال لي إن المانيكان يعيش حياة أفضل منه وهو محق..

وأخيراً أصبح متكاملاً ومثاليّاً وضعته في التابوت الخاص به كان يشع نظافة وجمالاً أكثر من حياته السابقة قمت بطبع بطاقة عليها اسمه وعمره وهوايته والأشياء التي يحبها علقتها في رقبته وقلت بسعادة:

أهلاً بك يا «جوزيف» في عائلتي..

وكان جوزيف أول شخص ينضم إلى عائلتنا كنت أشعر بشعور السعادة والفخر كنت أرى أنني فعلت ما يليق بموهبتي وبعقلي العبقري كنت أرى أنني أبدعت أكثر من ذلك الرجل الذي قام بتحنيط أبي، كان عملي مثاليّاً أكثر أو أن الحصول على جثة وتحنيطها وهي طازجة أفضل ويظهر عملاً مثاليّاً متكاملاً عكس والدي لقد تأخرت عليه كثيراً لكنني لم أكن أعرف هذا الشيء لكن لا بأس لقد أنقذته أن تصل متأخراً خيرٌ من أن لا تصل..

بقيت في تلك الليلة لم أنمْ من شدة السعادة بقيت أتأمل جوزيف بدا وكأنه كالتحفة الفنية تخيلت كيف سيكون المنظر

لـو كانـوا مائـة أو مائتيـن أو ألفـاً أو ألفيـن؟؟ لا أستطيع حتى أن أتخيل المنظر سيكون بالنسبة لي كالجنة..

أصبحـت وشـعرت بأنـني أستطيع التواصـل معهم شعرت بأني شـخص مميـز العالم أجمـع يخـاف من الجثث إلا أنا لماذا نخاف منهـا أصـلاً والبشـر الأحيـاء هـم أكثـر إخافـة مـن الأموات، لماذا لا نعطـي الأمـوات فرصـة؟ بالتأكيد هـم أيضـاً لديهم قصص لديهم أمنيـات لديهـم أشـياء أخـرى أشـياء أكثـر إثـارة للفضـول أشياء لم نرها من قبل!

من بعـد والدي مـن هنا بـدأت العمل علـى مشـروعي وحلمي أن يكون لدي منزل ضخم وبه أكبر عدد من الجثث..

امتـد حلمي مع سـنوات حياتـي ويومـاً بعد يوم تـزداد أكثر وأكثر رغبتـي لامتـلاك جثـث أكثـر كرغبـة الطفـل بامتـلاك عـدد أكثر من الدمـى، لطالمـا عشـت فـي جنـازة ومـن جنـازة لجنـازة لطالما أصبحـت أحفـظ مشـاعر أهالـي الموتـى ومشـاعر الموتـى أنفسهم لطالما عرفت كيف يشـعر الميـت عندما يتم نبـذه وحيداً في الثلاجة ثـم إلـى القبـر أردت أن أحتـوي الموتـى كمـا هـم احتووني من الطفولـة حتـى الآن لذلك أتوقـع أن هذه الجنـازة تدور في رأسي لن تتوقف عن الدوران حتى أفعل هذا الشيء..



«جثة بلا وجه»

إن العالم ليس مثالياً ولا يوجد شيء مثالي في هذا الكوكب وكل شيء على هذه الأرض ليس سوياً وليس معتدلاً إن الأرض بطبيعتها مائلة لكن لا نشعر بها ولكننا نميل معها تدريجياً ننحرف شيئاً فشيئاً بدون أن نشعر ومع اختلال توازننا بسبب الميلان نسقط في الهاوية إلى الأبد..

لا أظن أن حياة البشر مهمة لهذه الدرجة البشر وجدوا لكي يسعوا في الأرض يعمرون فيها لكن كل ما فعلوه هو هدمها فقط، إنهم عابثون في هذه الأرض يخترعون الحروب والأمراض والفساد والقتل كل الأشياء السيئة يفعلها البشر إنهم يفعلون كل ما هو شرير وقبيح وخبيث لذلك لم أخف يوماً من الأموات ولا من الجن والشياطين والأشباح والعفاريت لأن البشر حتى إبليس يتعجب من أفعالهم ومن هو إبليس عند خبث البشر؟

للجميع الذين سيقرؤون هذا الكتاب كتابي هذا لا أعلم متى سيصلكم؟ ولا أعلم متى سيخرج إلى هذا العالم؟ لكن أعلم شيئاً واحداً وهو أنكم ستتعجبون من قصتي من حياتي من الأشياء التي أفعلها، أعلم بأنكم ستتقززون وتنفرون من موهبتي

لكن لا يهمني أبداً بقدر ما يهمني أن هناك أناساً سيعجبون بهذا الفن وسيتشر كثيراً لا أعلم هل سأشاهد ذلك أو لا؟

لا أخاف ولا أشعر بالرعب من فكرة كوني الوحيد المختلف في هذا الكون الخوف هو أنه لا أحد سيتقبل اختلافي هذا أخاف أن تهدم أفكاري كبرج تم بناؤه في سنوات طويلة ويقومون بهدمه في غضون دقائق مثل الأشخاص الذين يتحدثون مع أنفسهم في المرآة أو في الفراغ ويقولون عنهم مجانين إنه جنون وهل تعرفون ما هو الجنون أصلاً؟ وما الشغف والإنجاز والأحلام والنجاح كلها تبدأ من هذا الجنون كلها تبدأ من الحديث مع نفسك مع الخيال المطلق إن حديثك مع نفسك أو مع الفراغ أفضل من حديثك مع بشري تافه لأنه لن يستوعب أفكارك التي ستكون أكبر من حجم تفكيره..

إن الحياة هي بحد ذاتها جنون نحن نعيش على كوكب مجنون ومرعب رغم هذا يتقمصون العقل ويمثلون أنهم عقلاء، لطالما أرغب بأن أهرب من هذا الكوكب إلى كوكب آخر مختلف كوكب يشبهني ويشبه أفكاري إلى كوكب يتقبل جنوني واختلافي لكن المكان الذي لا تستطيع الذهاب إليه قم بصنعه بنفسك اخلقه وهذا ما سأفعله سأصنع كوكباً وعالماً خاصّاً بي كوكباً يكون فيه الاختلاف مسيطراً والجنون متسيداً إن الفن لا يعتبر فناً إذا لم يكنْ مختلفاً الاختلاف هو ملح الوجبة الرئيسة..

كانت الساعة الحادية عشرة صباحاً قمت بتناول وجبة الإفطار أعددت جميع أدوات التحنيط لكي أقوم بتحنيط جثة «الورنس

الذي مات من شدة المرض من منظر جثته أن هذا السرطان نهش جسد المسكين نهشه بدون رحمة، في الوقت نفسه كنت أفكر كثيراً وعقلي مشغول بوصول الشحنة كنت أنتظرها بلهفة وبعد كل خمس دقائق أنظر إلى هاتفي أنتظر اتصال المندوب اللعنة لماذا تأخر لهذه الدرجة؟ هل ذهب لكي يحضرها من أقصى المحيط أم ماذا؟ ما أن انتهيت من تذمري رن الهاتف نبض قلبي التقطته لكي أرى رقم المندوب أرسل لي أنه وصل إلى موقعي وأنه ينتظرني أخبرته بأن يقوم بإنزال الصندوق ويضعه عند مدخل بوابة القصر وأنا سأتكفل بالباقي، وبالفعل قام بإنزاله أراقبه من الكاميرات أرى أن الصندوق طويل وكبير رغم أنه ملفوف بالكراتين، ذهب المندوب ونزلت بسرعة خرجت إلى البوابة أحضرت عربة الخشب ووضعت الصندوق فيها كان ثقيلاً جداً أكثر مما توقعت من الواضح أنه تابوت ازداد حماسي لدرجة بدأت أطرافي بالارتعاش أدخلته أخيراً إلى الاستديو الخاص بي وأنا ألتقط أنفاسي وألهث من ثقل هذا الصندوق! مسكين «لورنس» كان جسده خفيفاً كالريشة المرض امتص كل ثقله وامتص روحه في نهاية الأمر، لكن هذا الجسد لماذا هو ثقيل هكذا؟ هل من المعقول هذا ثقل التابوت كله؟!

رن هاتفي الخاص علمت بأنها ثيا ليس لدي أحد غيرها يتصل بي على هذا الهاتف وخصوصاً أن اليوم إجازة هل أجيب أم أقوم بتجاهلها؟ لأنني مشغول يجب أن أفتح هذا الصندوق حالاً لكن إذا تجاهلتها فأنا أعرف تماماً أنها ستأتي إلى منزلي، حسمت أمري وقمت بالرد:

- مساء الخير يا حبيبتي

- مساء النور «ظلي» لماذا لا تجيب؟

- أعتذر لقد كنت أتناول الغداء مع أبي.

- إذاً تناولت الغداء مبكراً كنت أرغب بأن أتناوله معك بما أن اليوم إجازة أنا قريبة من منزلك لقد اشتريت صندوق المعكرونة بالروبيان التي تحبها لم أظن أنك أكلت

- أوه.. لا بأس إذاً تعالي سآكل من أجلك مئة مرة

- حسناً لقد اقتربت كثيراً أراك بعد قليل..

أغلقت الخط على ما يبدو أفسدت ثيا كالعادة جدولي لكنني لا أستاء أبداً إنها ثيا، خرجت من الاستديو أغلقته بالكامل وخرجت من القسم الثاني للقصر وتوجهت إلى القسم الرئيسي حضرت المشروب الذي تحبه ثيا حضرت طاولة الطعام وبعض المقبلات كالسلطة كذبت على ثيا عندما أخبرتها أنني تناولت وجبة الغداء وأنا لم أفعل طبعاً كنت مشغولاً بالتحنيط من الساعة السادسة صباحاً وحتى الحادية عشرة لم آخذ فترة راحة لأنني كنت متلهفاً ومتحمساً وأيضاً كنت أرغب بالانتهاء منه لكي أتفرغ لهذه الجثة التي وصلتني يا ترى كيف هي؟ هل هي متعفنة؟ لكن أخبرني بأنها بخير وعلى أكمل وجه من المثالية لكن لماذا؟ الجثة تتعفن في أسبوع واحد وتصبح متعفنة من الدرجة الثانية في أسبوعين وتبدأ تتأكل وتصبح مهشمة وتتعفن من الدرجة الأولى في الأسبوع الثالث حتى وصلت إلى هنا أخذت تقريباً

أربعة أيام ومن كم يوماً كان يملكها البائع؟ هل من المعقول أنه خدعني وأن الجثة ستكون مهترئة؟ لن استطيع ترميمها إذا كانت مهترئة من الدرجة الأولى

قاطع تفكيري صوت جرس الباب علمت بأن ثيا وصلت فتحت لها استقبلتني كالعادة بوجهها البشوش الجميل الذي يبدو وكأنه القمر بحد ذاته هبط على منزلي، احتضنتني وهي تحمل أكياس الطعام:

- آسفة هل والدك سيشعر بالاستياء؟؟

سألت لأني دائماً ما أخبرها أن أبي لا يحب أن يقابل الضيوف ولا أي أحد

أجبت وأنا ألتقط الأكياس من يدها:

- ماذا تقولين؟ لا بأس هو أصبح لا يستاء من وجودك هو الآن يأخذ قيلولة وقد أخبرته سابقاً بأنك ستكونين هنا اليوم هيا تعالي دعينا نأكل،،

انتهينا من تناول الطعام وصنعت لي ولثيا كوبي قهوة تحدثنا عن موضوعات كثيرة أغلبها عن العمل حتى الساعة الرابعة عصراً غادرت ثيا لأنها كان لديها رحلة عمل في مدينة أخرى، ما أن ودعتها ورأيتها تغادر عدت أخيراً إلى الاستديو أولاً قمت بوضع جهاز بخار التبريد على جثة «لورنس» لأنه من الضروري بعد التحنيط بأربع أو ثلاث ساعات إدخال خرطوم جهاز بخار التبريد بداخل التابوت حتى تجف السوائل بشكل أسرع ويصبح

متماسكاً أكثر، أخيراً ها أنا أقف مقابلاً لهذا الصندوق أو التابوت المغلق أحضرت مشرطاً لكي أفتح هذا التغليف من شدة التغليف وطريقة ربطه بحزم وقوة وكأن بالداخل قنبلة موقوتة قمت بتقطيع أشرطة اللصق المقوى وإزالة جميع الورق و هنا ظهر لي التابوت اتسعت حدقتا عيني عندما رأيت هذا الشيء!! لم يكن تابوتاً عادياً بل كان أجمل وأغرب تابوت رأيته في حياتي كان التابوت أسود اللون عليه رسومات غريبة وجميلة ومظلمة وليس لها تفسير هناك الكثير من الرموز المكتوبة و الأحرف بلغة غريبة باللون الذهبي والأخرى بالأحمر وكأنه يبدو تابوتاً لجثة ملك من العهد القديم؟!

لم أستطع التعمق في الرسومات أو الأحرف والرموز كنت أرغب برؤية هذه الجثة التي تقبع في داخل تابوت يتمناه جميع الموتى من جماله تحسست مكان الفتح لكن كان مغلقاً بقفل كان القفل أسود وعليه بعض الرموز وقوياً بحثت بجنون عن المفتاح في الكراتين والأوراق المتناثرة لكن لم أجد أي شيء كيف لم يجلب المفتاح؟ هل يلعب معي هذا البائع؟ هذا القفل القوي حتى أشك بأنه سيتحطم لكن لا بأس سأجرب ذهبت وأحضرت مقبضاً حديدياً ضخماً وبدأت بضرب القفل ضربة تتبعها ضربة بدون أي فائدة من قوة الضربات أصبح صوتها يصدح في جميع أرجاء القصر وفوق هذا لم يخدش هذا القفل اللعين خدشة واحدة حتى! أحضرت شيئاً آخر كان كالمنشار المصغر لكنه قوي وحاد بدأت أنشر القفل لمدة ثلاث دقائق بدون أي فائدة بدأت طاقتي تنفد والعرق يتصبب مني

رغم أن الجو في الاستديو هنا بارد جداً نشرت لآخر دقيقة ومن شدة غضبي وعصبيتي وتوتري جرحت أصبعي بالخطأ جرحاً عميقاً جداً صرخت بصمت تألم قلبي لم يكن الجرح هيناً نزف الدم بغزارة في كل مكان على الأرض والتابوت، نهضت بسرعة بعد أن رميت بالمنشار توجهت إلى الحمام وضعت يدي تحت الماء لكن الدم لم يتوقف لذلك توجهت بسرعة إلى صندوق الإسعافات الاولية بدأت بمعالجة نفسي حتى توقف الدم ووضعت ضمادة عليها وقررت أن أهدأ وأتمالك أنفاسي قليلاً، يجب أن أفكر كيف أفتح ذلك التابوت اللعين تناولت مشروبي وقمت بتدخين سيجارة لكي أهدأ قليلاً لا أتذكر متى آخر مرة تشتتت أعصابي هكذا؟ لا أعلم ماذا أصابني قمت بالاستحمام وبدلت ملابسي فأنا أكره رؤية الدماء رغم أنني مشرح وأرى أكثر من الدماء حتى لكن لا أحب للدماء أن تتناثر في منزلي، رأيت أن الساعة أصبحت السابعة مساء إنه وقت عشاء والدي لذلك قمت بتجهيز العشاء له دخلت إلى غرفته وضعت الطبق أمامه:

- هيا يا أبي حان وقت العشاء..

كان أبي يظهر تعابير على ملامحه لأول مرة أشاهدها كان يجتمع الخوف والغضب والحزن والدهشة كل هذه المشاعر على وجهه في وقت واحد!! استغربت وشعرت بالقلق:

- أبي هل أنت بخير ما خطبك هل أنت مريض؟؟

لم يرد أبي

- أبي أرجوك أجبني ما خطبك هل أنت غاضب مني لأنني تناولت الغداء مع ثيا؟

لم يجبْ أيضاً واكتفى بالاستلقاء بحزن وأدار ظهره لي هذه أول مرة أبي يقوم بإدارة ظهره لي يا إلهي ما الذي فعلت كي يغضب أبي مني لهذه الدرجة؟ حتى عندما تبيت ثيا هنا أو إني أذهب معها لا يغضب لهذه الدرجة ما الذي حدث إذاً؟ حسناً..

قلت متنهداً:

- سأترك صينية الطعام هنا أرجوك يا أبي كل ولو قليلاً لن أضغط عليك للتحدث الآن لا بأس إذا تحدثنا غداً صباحاً..

نهضت وسرت متجهاً إلى الباب وحين وصلت وضعت يدي على المقبض:

- «سيأخذك مني»..!

نبض قلبي بشدة عندما سمعت صوت أبي!! حسناً أنا دائماً أسمع صوته داخليّاً أنا أتحدث معه في رأسي وهو كذلك لكن هذه أول مرة أشعر بأنني سمعت صوته ظاهريّاً بهذا الوضوح وكأنه خرج الصوت من فمه! التفت إليه:

- أبي ماذا قلت؟ هل تحدثت للتو؟

لم أسمع أي رد حتى ظننت أنني أتوهم على ما يبدو أن أبي نام الآن، خرجت من الغرفة توجهت إلى غرفتي لكي أرسل بعض الرسائل الإلكترونية التي تخص المحاضرات للجامعة

استغرق الأمر مني عشر دقائق وأنا منغمس بالعمل كانت نافذتي الكبيرة تطل على القسم الثاني من القصر بعد ما جرحت وأنا أحاول أن أفتح التابوت بعد أن عالجت نفسي وخرجت أطفأت جميع أنوار القسم وهذا ما أفعله يوميّاً بالطبع لكن فجأة وأنا أعمل اقتحمت الأضواء غرفتي رفعت رأسي لأرى القسم كله مضاء! في ذلك القسم لا يوجد نظام «أليكسا» ولا أي نظام آخر غير الكاميرات والاستشعارات فقط من المستحيل أن الكاميرات تقوم بتشغيل الأنوار نهضت من على الكرسي ووضعت جهازي المحمول جانباً وعيناي تنظران إلى القسم الثاني من القصر لم يسبق أبداً أن حدث شيء كهذا من قبل أبداً قررت فتح الكاميرات من هاتفي لكي أشاهد إذا كان هناك أحد بالطبع مستحيل أن يدخل أحد من الخارج إلى القصر بسبب كثرة الأنظمة المشددة أيضاً جميع بوابات الدخول والخروج من جهة هذا القسم الرئيس الذي أسكن به وأستقبل فيه أي أحد كمنزل عادي، أما القسم الآخر فلا يوجد به أي بوابة مع سور عالٍ جدّاً ولا يمكن لأي شخص أن يدخل إليه بدون أن يدخل من هنا أولاً ويعبر الجسر، شاهدت الكاميرات لم يكن هناك أي أحد والأضواء فجأة هكذا بدون سابق إنذار أضيئت، وضعت الهاتف وقررت الذهاب إلى هناك مؤكدٌ أنه حدث ذلك عن طريق المصادفة فحسب أو ممكن أنه عطل في الكهرباء لا أعرف، وصلت إلى القسم الثاني من القصر كانت الساعة الثامنة مساء فتحت الباب الرئيس والمدخل الوحيد من الجسر فقط كان مغلقاً ذهبت إلى الشرفات لأنها

عملاقة وتملك أبواباً أيضاً كانت مغلقة رغم ذلك أشعر بشعور غريب في القصر لا أعرف ما هو؟ توجهت إلى غرفة «كيران» و«كيارا» كانا نائمين والجميع نائمين لكنْ هناك هدوء مرعب صامت هدوء لدرجة أني أسمع هذا الهدوء لم أجد أي شيء غريب سمعت فجأة صوت صرير باب؟ اتجهت نحو الصوت كان قادماً من باب الغرفة الأخيرة التي بجانب سلالم الاستديو دخلت إلى الغرفة كانت الغرفة فارغة وبها بعض التحف واللوحات فقط لكن لم يكن بها أي شيء غريب لم أستغرب من فتح الباب لأنني أترك الأبواب هنا مفتوحة، خرجت من الغرفة لكن سمعت صوتاً قوياً قادماً من الأسفل من الاستديو رغم أن الأصوات هناك معزولة تماماً ولا تخرج للقصر وقد صممته بهذا الشكل من أجل العمل وبعض أجهزة النحت والتحنيط التي يكون لها صوت قوي إلا أنني سمعت صوتاً الآن لأول مرة، نزلت عبر السلالم الملتوية حتى وصلت إلى عالمي الكامل الاستديو وغرفة الثلاجات والنحت والرسم والتحنيط، بدأت بالتفتيش لم يكن هناك أي شيء ذهبت إلى الاستديو ورأيت جثة لورنس أيضاً كانت على حالها لا يوجد شيء يوحي بأنه سقط أيضاً، دخلت حتى وصلت إلى ذلك التابوت ما أن رأيته شعرت بالإحباط لأنني إلى الآن لم أستطع فتحه، رأيت دمائي على الأرض قد جفت اللعنة لقد نسيت أمرها ذهبت بسرعة وأحضرت الممسحة وقمت بالتنظيف عندما انتهيت عدت أتأمل هذا التابوت ما أن وضعت يدي عليه لأتحسس تلك الرموز البارزة المنقوشة

وضعت يدي على القفل لاحظت أن دمي أيضاً وصل إلى هنا كنت سأحضر الممسحة وأقوم بتنظيفه لكن هنا تجمدت في مكاني وأصبت بالصدمة عندما رأيت أن القفل أصبح مفتوحاً! وكأن أحدهم فتحه بكل سهولة بمفتاحه الخاص كيف انفتح هكذا من تلقاء نفسه؟ بدأ قلبي بالخفقان وضعت الممسحة جانباً أبعدت القفل ويدي بدأت ترتعش وضعت يديّ على غطاء التابوت أخذت نفساً عميقاً وفتحته!!

كانت الجثة لرجل يرتدي بدلة سوداء كان طويل القامة ضخم البنية وكأنه من عالم العمالقة القدماء الآن أنا عرفت لماذا التابوت كان كبيراً وطويلاً وثقيلاً! الغريب أكثر أن الجثة كانت نظيفة جدّاً لمست كفي يديه لم يكن محنطاً ولا حتى مشمعاً ولا أي شيء كانت طبيعية وما زالت بهذه الصحة والنظافة والقوة!؟ لكن عندما وصلت عيناي عند وجهه أو رأسه كان مغطّىً كان رأسه ملبّساً بكيس مثل كيس الفزاعات هنا شعرت بالتوتر قليلاً لكن يجب أن أزيل الكيس وأكشف عن وجهه، وضعت يديّ على الكيس وانتزعته بسرعة وهنا شهقت مع صرخة فزع وسقطت للخلف بجسدي تراجعت للخلف مبتعداً عن الجثة وأنا أحاول أن ألتقط أنفاسي وأصدق عينيّ ما رأتاه قبل قليل!؟ كانت الجثة بدون ملامح!! نعم بدون ملامح كان وجهاً بدون أي ملامح بدون عينين ولا أنف ولا فم ولا آذان حتى؟ كانت تبدو وكأنها تم محوها بانتظام بدون أي خطأ، عدت وأنا أزحف إلى الجثة وألهث على أمل ضئيل بأنني أتخيل لكن عندما وصلت إليها مرة

أخرى لم أكن أتخيل للأسف كانت هذه الجثة بدون ملامح بالفعل بقيت مصدوماً لمدة عشر دقائق وأنا أنظر إليها أحاول أن أستوعب ما هذا؟ طوال حياتي عشت مع الجثث والأموات في المقبرة في المغسلة في المشرحة في المستشفى لكن لم تصلني أبداً جثة بدون ملامح؟! بعد ما أخذت مني الصدمة عشر دقائق استيقظت منها بدأت بتفحص الجثة لم يكن معها أي شيء كنت أرتعش ولا أتذكر أنني في مرة ارتعشت وخفت من جثة في حياتي، كانت يداه بعضهما فوق بعض كان يملك عشرة أصابع بالطبع كنت أظن أيضاً أن هناك نقصاً في أطرافه مثل ملامحه لكن كانت مكتملة ولله الحمد لقد سمعت وأعرف أن هناك متاجرة بالبشر يسرقون الأعضاء الداخلية الأطراف اليدين الأقدام لكن لم أسمع من قبل بالمتاجرة بالملامح! كان يلبس في أصابعه ثلاثة خواتم غريبة في اليد اليمنى كان يلبس في السبابة خاتماً أسود به غطاء مثل القلادة التي يكون بداخلها صورة أو أي ذكرى أو أي شيء لكنه خاتم من الخارج عليه نقشات باللغة نفسها أيضاً المرصعة في جميع التابوت، الخاتم الثاني في اليد اليسرى في الأصبع الصغيرة والآخر في البنصر بجانب الأصبع الصغيرة كانا أيضاً يملكان شكل الخاتم الأول نفسه لكن بنقوش مختلفة وألوان مختلفة الخاتم في الأصبع الصغرى لونه أحمر والخاتم في الأصبع الأخرى لونه رمادي والثالث أسود! حاولت فتح الأغطية لكي أرى ما بداخلها وأنا كنت أرتعش خوفاً لكنها رفضت أن تنفتح، حاولت أن أنزع الخواتم ولا أعرف لماذا لكن

الغريب رفضت الخروج بدون مبالغة نعم رفضت أن تخرج من أصابعه شعرت بالتوتر واستسلمت، فجأة قفز قلبي من مكانه عندما سمعت صوت إنذار القصر يصدح في الأرجاء بدأ الصوت العالي والضوضاء في كل مكان نهضت بسرعة ركضت خارج الاستديو توجهت إلى غرفة الكاميرات والنظام من المستحيل أن يكون اشتغل عن طريق الخطأ وبالفعل رأيت في فناء القصر الداخلي للقسم الثاني أي هذا القسم يوجد كلب غريب من أين أتى؟ وكيف دخل؟ أنا أسكن هنا منذ أربعة أعوام تقريباً ولم أرَ أي كلب هنا ولا حتى في الغابات خرجت بسرعة بعد أن أغلقت النظام، لم يكن لدي سلاح حتى لكنني أخذت عصاً كانت للجولف لكنها للزينة فقط خرجت إلى الحديقة كان الجو صاعق البرودة وهنا أصبت بالصعقة والخوف والرعب عندما رأيت هذا الكلب يقف بكل ثقة ونظرات حادة باتجاهي بدون أي رمشة لم أخف من هذا بل من شكله أول مرة في حياتي أرى كلباً بهذا الشكل المرعب والمخيف وكبير الحجم لم يكن كلباً بل أشبه بأنه مخلوق مرعب غريب لكن عندما رأيته في الكاميرا قبل قليل لم يكن شكله هكذا أبداً؟

كان الكلب رأسه ضخم لديه ملامح مخيفة وحادة لا يملكها الكلاب جسده الضخم يبدو وكأنه للتو ابتلع شخصين بالغين أقدامه كان يملك أصابع في أقدامه ويديه كأصابع الإنسان أسنانه بارزة ضخمة حادة لعابه يتسايل بحماس لالتهامي ينظر إلي بكل هدوء وأنظر إليه بكل رعب بدأت أتراجع إلى الخلف بخطوات

بطيئة حذرة مرتعشة مع كل خطوة أخطوها للخلف يقوم هذا المخلوق بخطوة نحو الأمام باتجاهي أنفاسي ضاقت جسدي يرتعش العرق يتصبب مني أكره الكلاب لدي فوبيا منها فما بالك بهذا المخلوق المتوحش الشبيه بالكلب؟ عندما قررت أن أركض بغباء لم أشعر إلا وقفز قفزة طويلة مختصراً بها كل الخطوات التي خطوتها، قبض بجثته الثقيلة والضخمة على جسدي الذي يبدو وكأنه فأر صغير أمامه صرخت بكل قوة وضعت عصا الجولف في فمه أحاول أن أصده لكن حتى متى؟ من سينقذني؟ وأنا أحاول أن أصده بكل قوتي كان أقوى مني بمراحل لعابه كان ساخناً وهو يتسايل على أنحاء وجهي شعرت أنني أموت بشكل بطيء شعرت بالقرف أكثر من شعوري بأنني سأموت الآن وهو يلتهمني، نفدت طاقتي تماماً شعرت بالخدر في جسمي أصبحت الرؤية ضبابية وهنا أوقعت العصا وأصبح كل شيء ظلاماً من حولي..



«همس الجدران»

١٩٩١ م.

- لماذا سرق أبي رأس الرجل الجثة؟؟

كان يتراود السؤال في رأسي ذهاباً وإياباً طوال طريق عودتنا إلى المنزل في ذلك اليوم كنت أريد أن أسأله لكنني اخترت الصمت خفت أن يغضب مني يجب ألا أتدخل في شؤون الكبار حتى لو كانت غريبة، وصلنا إلى المنزل بعد ما انتهى دوام أبي في المغسلة كانت الساعة الخامسة عصراً من المفترض أن يبدأ بعمله الثاني وهو دفن الموتى لكن قال إنه لن يذهب اليوم وهناك شخص آخر يحل محله:

- لماذا يا أبي ألن تذهب إلى المقبرة اليوم؟

سألته باستغراب ونحن ندخل المنزل

- لا يا بني لدي عمل خاص اليوم أقوم به هناك صديق لي سيحل محلي في المقبرة..

- وما هو هذا العمل الخاص؟؟

سألته وأنا أخلع الحقيبة من على ظهري وطوال الوقت كانت عيناي على حقيبة أبي التي وضع فيها الرأس:

- عمل خاص فقط سأذهب لمدة ساعتين وأنت ابقَ في المنزل راجع أيضاً بعض الدروس عندما آتي سأحضر معي طعام العشاء وأيضاً سأحضر لك اليوم بعض الحلوى إذا سمعت كلامي..

صراحة لم أكن مثل الأطفال الآخرين كنت مختلفاً ولا تهمني هذه الأمور لذلك قلت ببرود:

- لا أحب الحلوى يا أبي وأنت تعرف ذلك أريد شيئاً آخر!

- ما هو؟ إذا كان لدي المقدرة فسأحضره لك؟

- أريد الكتاب الذي تقرؤه أرغب بقراءة الكثير من الكتب..

أجبت بحماس

- لكن أنت بالفعل لديك قصص كثيرة مصورة إنها تناسب عمرك يا بني لكن هذه الكتب للكبار فقط..

شعرت بالإحباط والحزن، ثم استرسل في حديثه وهو يمسح على شعري:

- حسناً سأعطيك كتاباً واحداً من كتبي وأنا سأختاره لكن الأهم لا تخرج أبداً من المنزل ولا تفتح لأحد كما علمتك حتى أعود..

قلت بحماس وأنا أحتضنه:

- حسناً اتفقنا شكراً لك يا أبي سأنتظرك..

خرج أبي من المنزل وأخذ معه الحقيبة التي بها الرأس كان لدي فضول قاتل فضول يكاد أن يمزقني لكن قررت أن لا أكسر ثقة أبي بي، بقيت في المنزل كان الوقت مبكراً على النوم وأيضاً كنت أنتظر العشاء والكتاب الذي سيحضره لي أبي غير أن التفكير والأسئلة حول الرأس تكاد تفجر عقلي شعرت بالملل كنت متحمساً للذهاب إلى المقبرة لكن للأسف لم يذهب أبي اليوم أتساءل إلى أين ذهب أيضاً وما هو هذا العمل الخاص؟ هل حصل على وظيفة أخرى أيضاً؟ مسكين أبي كم مرة عليه ان يعمل في اليوم؟

- «ظل»..

نبض قلبي عندما سمعت صوت أحدهم ينادي باسمي!! نهضت من مكاني كنت أجلس في صالة المعيشة في منزلنا على الأريكة المتهالكة التي توجد هنا من قبل ولادتي، وقفت أحاول أن أسمع الصوت مرة أخرى توجهت إلى غرفة أبي كانت مغلقة كالعادة ذهبت إلى المطبخ الخاوي من أي شيء ولا يملؤه إلا البرودة والفراغ أيضاً لم يكن هناك شيء، ذهبت إلى الحمام لم يكن هناك أيضاً أي شيء غريب أيضاً بقي فقط غرفتي ذهبت إليها فتحت الباب لم يكن هناك أي شيء كانت غرفتي وغرفة أبي كبيرتين نوعاً ما أيضاً صالة المعيشة كانت كبيرة لكن رغم ذلك المنزل متهالك جداً ومتآكل من شدة قدمه، تلفت يميناً ويساراً لم يكن هناك أي شيء غريب أيضاً في غرفتي ظننت أنني أتوهم قررت أن أستلقي على فراشي

فحسب حتى يمضي الوقت ويأتي أبي استلقيت على الفراش لكن فجأة سمعت صوت خربشة في الحائط كان الصوت قوياً اعتدلت في جلستي ونظرت إلى هذا الحائط الرث الذي يبدو وكأنه سيقع فوق رأسي كان الحائط مبللاً بسبب البرودة معتادون نحن على هذا الأمر في جميع الفصول نعاني لكن أصبح الأمر عادياً بكل بساطة وضعت أذني على الحائط هذه ليست المرة الأولى التي أسمع فيها أصواتاً من الحائط انتظرت تقريباً دقيقة حتى سمعت أصواتاً نعم كانت همسات لكنها غير واضحة؟ ألصقت أذني أكثر وكأنني أرغب في الدخول عبر هذا الحائط أنا واثق بأن هناك أصواتاً قادمة من داخل الحائط أبي يقول إنها مجرد فئران لكن هل الفئران تصدر همساً وتنادي باسمي؟ ماذا إذاً؟ هل الجدران تتحدث هل لها صوت؟!

قفزت من مكاني عندما سمعت صوت كلب ينبح بقوة كان يبدو وكأنه في وسط المنزل سيطر الخوف على روحي خرجت من الغرفة توجهت إلى الصالة وهنا كانت الصدمة!!

كان باب الشارع مفتوحاً على مصراعيه وكان يقف كلب أسود ضخم كان ما زال في الخارج لكنه على عتبة الباب وخلفه ظلام الليل مستحيل من قام بفتح الباب؟ هل الكلب هو من قام بتحطيم قفل الباب المتهالك؟ لا أستبعد فهذا المنزل نفخة واحدة وسيقع كله شعرت بالخوف والرعشة يسريان في أعماق جسدي شعرت من شدة الرعب بأنني

سأتبول في سروالي مثل تلك الليلة ماذا أفعل؟ أنا أقف في مقدمة المدخل وهو يقابلني على عتبة الباب هل أركض إلى الداخل إلى غرفتي؟ ولكنه سريع جداً سيصل إلي بالطبع بسرعة بقفزة واحدة أنفاسي أصبحت متسارعة تارة وتارة بطيئة، يجب أن أتخذ قراراً بسرعة إذاً سأذهب إلى الحمام إنه أقرب من غرفتي وبالفعل بسرعة كبيرة التفت وركضت كنت أسمع صوت خطواته الضخمة يركض خلفي رغم أن الحمام يبعد عني خطوة واحدة شعرت بأنه يبعد عني مسافة قرن وصلت إلى الحمام وبحركة سريعة أغلقت الباب رأيت الباب يهتز بعد أن قفز ذلك الضخم على الباب واصطدم به بدأت بالسعال وأنا ألتقط أنفاسي وأصرخ: أبي أبي ما زلت أسمع صوت الكلب ينبح في الخارج وفجأة سمعت صوت عوائه وتألمه ذلك صوت الصفير الذي يخرج من كل حيوان عندما يتأذى بعدها عمّ الهدوء!..

وضعت رأسي على الباب أحاول أن أسمع وأعرف هل ذهب أم ماذا حدث؟ لكن فجأة دخل سائل أحمر من أسفل باب الحمام تراجعت للخلف ما هذا؟ هل هذا دم لكن دم من؟ فتحت الباب بهدوء إذ أرى الكلب مقطوع الرأس ودماؤه تشكل بحراً في منزلنا وهنا لم أحتمل وفقدت الوعي وسط بحيرة الدماء لذلك أكره الكلاب والدماء..!

***

[illegible]

[illegible]

[illegible]

أكثر [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الأمور لكنه يعني [illegible]

مشاعر تجاه أي أحد لا تجاه المريض ولا تجاه [illegible]

مشاعر تجاهي لكنه يصعب أن يظهر [illegible]

عنه جهزت نفسي [illegible]

الفندق بعدما أحالت [illegible]

«الوسيل» للصحة النفسية [illegible]

مريضة في هذه المدينة [illegible]

غير متهمة بجريمة قتل لكن [illegible]

خمسة أشخاص والغريب أنها [illegible] تفاصيل الجريمة [illegible]

لكن الغريب أن البحث عن أسماء هؤلاء الخمسة في هذه [illegible]

المدينة أسفر عن أنهم غير موجودين ولا حتى في العالم [illegible]

البحث عن أسمائهم كاملة كما قالت ولكن لا يوجد [illegible]

إن كل شيء [illegible]

أين الجثث؟ قالت بأنه [illegible]

الجثث؟ والغريب أكثر أن [illegible]

«ثيا»

استيقظت على صوت المنبه الذي كان يرن باستمرار كنت أشعر بالخمول والتعب من السفر، نهضت بعد أن قرأت جميع الرسائل وينتظرني مؤتمر الصحة النفسية رأيت أن «ظل» كالعادة لم يرسل لي أي رسالة أو حتى اتصال يسأل عني هل وصلت أم ربما الطائرة سقطت بي في المحيط وتقطعت جثتي إلى أجزاء؟ حسناً ما خطبك ثيا هو دائماً هكذا هو لا يستطيع أن يهتم بهذه الأمور لكنه يحبني أنا أعرف ذلك أنا أعرف أن «ظل» ليس لديه مشاعر تجاه أي أحد لا تجاه الحياة ولا تجاه البشر لكنه لديه مشاعر تجاهي لكنه يصعب أن يخرجها أمامي وهذا الشيء رغماً عنه، جهزت نفسي ارتديت ملابسي وقررت أن أفطر في بهو الفندق بعدها أخذت لي كوب قهوة وذهبت إلى مستشفى «لوسيل» للصحة النفسية، لقد قاموا باستدعائي بسبب أن هناك مريضة في هذه المدينة صعبة المراس وحالتها غريبة حيث إنها غير متهمة بجريمة قتل لكن سلمت نفسها وقالت بأنها قتلت خمسة أشخاص والغريب أنها وصفت تفاصيل الجريمة بشكل متقن الغريب أن البحث عن أسماء هؤلاء الخمسة في هذه المدينة أسفر عن أنهم غير موجودين ولا حتى في العالم! تم البحث عن أسمائهم كاملة كما قالت ولكن لا يوجد شيء وقالوا إن كل شيء من وحي عقلها بالتأكيد خصوصاً عندما قالوا لها: أين الجثث؟ قالت بأنه تمت سرقتها ولا تعرف من قام بسرقة الجثث؟ والغريب أكثر أن الفتاة ليست لديها أي هوية وليس لديها

عائلة ومع التحاليل والفحوصات اتضح أنها ربما مهاجرة أجنبية لذلك لا تملك ثبوتيات وهوية رسمية تم وضعها في المصحة النفسية بعد تشخيصها بالذهان وانفصام في الشخصية وأنها عنيفة وخطرة على المجتمع ومهددة لأرواح الآخرين، لكن الغريب أنها قالت بأنها تريدني أنا وقالت إنه لن يصدقها أحد غيري لذلك تم استدعائي من قبل وزارة الصحة وكوادر المستشفى وهذه ليست المرة الأولى لطالما أذهب في رحلات وأقابل مجرمين ومختلين من خارج البلاد أيضاً رغم الذي حدث في الماضي لكنني ما زلت أحتفظ بسمعتي المهنية..

صعدت مع سائق أوبر الذي كان ثرثاراً جدّاً ولم أستطع التركيز مع كلمة واحدة تخرج من فمه حتى وصلت أخيراً، نزلت من السيارة دخلت إلى المستشفى بسرعة كنت أحرص على أن لا أرى أي أحد ولا أريد أن أقابل أي أحد لكن أفشل في كل مرة بالطبع:

- أهلاً دكتورة «ثيا» لم أرَكِ منذ فترة

أتى الصوت من خلفي كانت الأخصائية «سارة مولتن» لقد تخرجنا معاً في الدفعة نفسها كانت صديقتي في بداية الأمر لكن انتهى الأمر بنا بالانفصال وهذا لأنها كانت لديها مشاعر تجاه «ظل» لم تستطع سارة كبح مشاعرها ولذلك قامت بكره صديقتها أنا ظنّاً أنني سرقت منها الرجل الذي تحبه!

- مرحباً دكتورة «سارة»

قلت ببهجة مصطنعة احتضنا بعضنا بعضاً وكل منا تمثل أفضل من الأخرى:

- لقد سمعت أنك ستمسكين حالة مريضة هنا؟

سألت

- أوه نعم لهذا تم استدعائي

- هل تعرفين عنها شيئاً؟؟

- بالطبع بالنسبة لحالتها أو قضيتها الوهمية نعم لدي الملخص لكن سأعرف بالطبع عندما أجلس معها..

- وهل ستبقين هنا طويلاً في «سولدن»؟؟

- لا أعلم على حسب حالة المريضة يجب أن أرى الطبيب الذي مسك حالتها وملفها ثم سأحدد، أيضاً لدي مرضى كثيرون ينتظرونني هناك لا أستطيع أن أتأخر كثيراً

- حسناً أراك لاحقاً هل ستكونين في ملتقى الصحة النفسية؟

سألتني

- بالطبع يجب أن أحضر أراك هناك إذاً

افترقنا أنا وسارة وصلت إلى مكتب الطبيب بعد أن سلمني ملف حالة الفتاة وبعدها توجهت إلى الجناح الخاص بالمرضى دخلت إلى الجناح رأيت أنهم لم يحضروها بعد لذلك تفحصت ملفها كل ما يعرفونه هو اسمها وعمر تقريبي لها بحكم أنها ليس لها هوية، انتظرت في غرفة مقابلة المريض حتى انفتح الباب

ودخلت مع ممرض وحارس كانت فتاة جميلة قصيرة القامة وجهها مدور صغير كانت تبدو كأنها طفلة رغم أن العمر التقريبي الذي أعطوها هو في عقد المراهقة، شعر طويل أسود عينان واسعتان ذواتا لون بني فاتح مثل لون القهوة بالحليب، جلست الفتاة أمامي وكانت طوال الوقت تنظر إلى الأسفل:

- هل تحتاجين إلى شيء أيتها الطبيبة؟؟

سألني الممرض

- لا، شكراً، يمكنكما أن تغادرا لكن لحظة قبل أن تغادرا قوما بفك قيدها

نظر الحارس والممرض بعضهما إلى بعض ثم قال الحارس:

- لكن أعتذر لا أستطيع هذه القوانين أيتها الطبيبة ثم إنها عنيفة بعض الشيء وتعتبر خطيرة وأيضاً هي متهمة..

- متهمة بماذا؟

سألته بامتعاض

- بجريمة قتل بالطبع

أجاب بتردد

- وهل وجدت دليلاً أو ضحايا؟؟

سكت الحارس قليلاً ثم تحدث:

- لا لكن أنا هنا أنفذ قوانين عملي فقط

- حسناً وأنا لم أقل لك قم بتهريبها طلبت منك فقط أن تقوم بفك قيدها حتى تنتهي الجلسة وهذا الشيء على مسؤوليتي.

استسلم الحارس وقم بفتح الأصفاد عن يدها وخرج مع الممرض بقينا وحدنا أنا وهي فتحت الملف الذي كان فارغاً حرفيّاً من أي معلومات وكأن الفتاة أتت من المجهول:

- حسناً بالتأكيد أنتِ تعرفينني بما أنك طلبتِ رؤيتي أليس كذلك؟

نظرت الفتاة أخيراً إلي بهدوء لم تتحدث لكنها فقط أومأت برأسها ببلى..

- حسناً إذاً أنتِ تعرفين اسمي حان الوقت لأعرف اسمك ما هو؟ اعتبريني صديقة لكِ؟

نظرت الفتاة إلي بهدوء وتوتر ثم نطقت:

- «أيلا» اسمي «أيلا»

- أيلا اسم جميل جدّاً هل تعرفين معناه؟ من قام بتسميتك بهذا الاسم؟؟

- لا أعرف معناه لكن أبي من قام بتسميتي..

شعرت أنني بدأت أمسك بطرف خيط لأن الشرطة طوال الوقت كانوا يحاولون أن يعرفوا أين والديها أو أسماءهما لكن لم تكن تتحدث أبداً سوى بأنها ارتكبت جريمة وقتلت خمسة أشخاص لا وجود لهم في الحياة وأحدهم سرق جثتهم منها!

- والدك لديه ذوق رفيع لكن أخبريني هل والدك ميت؟ أين هو؟

- نعم ميت..

أجابت

- آسفة ماذا عن والدتك؟؟

- أيضاً هي ميتة..

- حسناً أين هما أقصد متى ماتا؟ ومع من كنتِ تعيشين؟

- للتو..

- ماذا تقصدين؟ للتو ماذا؟

- للتو ماتا..

- هـل تقصديـن أن والديـك ماتـا هـذه السـنة أو قريبـاً مـن هذه الأيام؟ كيف ماتا إذاً؟

- نعم لقـد ماتـوا قبـل أسـبوعين، أمـي وأبـي وأخي وشـقيقتاي الاثنتان هم الخمسة أنا قتلتهم!

قالـت كلماتهـا ببرود التـي جعلـت أطرافـي تتجمد! إذاً الخمسة الأشـخاص الذين اعترفـت بجريمة قتلهم بعد أن سـلمت نفسـها هم ليسـوا ضحايا غربـاء بل هـم عائلتهـا إذاً لهذا لم يسـتطعِ الشـرطة أن يجدوا أي شـيء عن هـؤلاء الضحايـا إنهـم مجهولون مثلهـا على ما يبدو أنهـم مهاجرون غيـر شـرعيين أتوا إلـى هنـا هروبـاً مـن وطنهم الـذي لا أعلـم ما هـو لكن هـل بالفعـل «أيـلا» هـذه الفتـاة الصغيرة

البريئة الجميلة يمكنها أن تقتل خمسة أشخاص؟ وبدم بارد وليس أي أشخاص هم عائلتها ثم تأتي وتسلم نفسها وتقول بأن جثثهم اختفت؟؟!

- كل الأسئلة التي تدور في رأسك لا بأس أخبريني عنها وسأجيبك لأنني أعرف أنك ستصدقين قصتي لهذا التزمت الصمت طوال الوقت لأنه لن يصدقني أحد غيرك أيتها الطبيبة..

داهمت أيلا أفكاري بهذه الكلمات التي قالتها بعزم لم أرَ في عيني أيلا أنها شخص شيطاني مثل بقية المجرمين بل على العكس كانت أيلا خائفة وتحتاج إلى المساعدة لكن على ما يبدو أن قصتها غريبة ومرعبة للحد الذي لن يصدقها معه أحد لذلك استدعتني بحكم أنني طبيبة نفسية تلتقي بأكثر المجرمين رعباً وغرابة..

- حسناً أيلا لا يوجد وقت لتخبريني بكل ما تريدين الآن لكن أنتِ تقولين بأن الضحايا هم عائلتك أريد فقط سبباً واحداً ما الذي جعلك تقومين بذلك؟؟

سألتها

- الجدران!! إن الجدران كانت تهمس لي طوال الوقت..



«الفصل الرابع عشر»

«المســــــخ»

«هل كان عليك أن تفعلها بهذه الفوضى؟! أمام الطفل؟»

كنت في الخارج
فتحت عينيّ أسمع أبي يقول هذه الكلمات في الخارج كنت
أستلقي على فراش أبي في غرفته أشعر بألم رهيب في رأسي
بعدها تذكرت ذكرى سريعة الشيء المرعب الذي حدث ذلك
الكلب الذي دخل إلى المنزل فجأة قمت بالاختباء منه في الحمام
بعدها خرجت لأجده مقطوع الرأس والدماء في كل مكان وفقدت
الوعي في بحيرة دمه، تفحصت ملابسي ونفسي بالطبع قام أبي
بغسلي وتنظيفي وتغيير ملابسي لكن مع من يتحدث أبي؟؟

نهضت من على الفراش وتوجهت إلى الباب فتحته لأجد
أبي أمام الباب يقف معه صينية طعام وكتاب، الكتاب الذي
وعدني به:

- هل استيقظت يا ظلي؟ تعال حان وقت العشاء..

تناولنا طعام العشاء بعد أن رأيت أن كل شيء أصبح نظيفاً
ولا توجد حتى قطرة دم ثم داهمته بهذا السؤال:

- أبي مع من كنت تتحدث؟؟

نظر إلي باستغراب

- أنا؟ لم أكن أتحدث مع أحد يبدو أنك كنت تهلوس لأنك كنت خائفاً بسبب ما حدث فقط

- إذاً هذا كان حقيقياً؟ أبي لقد وجدت الكلب ميتاً أليس كذلك؟! لا أعلم من فتح له الباب؟ ولا أعرف كيف دخل صدقني أنا لم أفتح الباب يا أبي؟؟

- اهدأ يا عزيزي أنا أعلم بأنك لا تخالف أوامري لا عليك الأهم أنك بخير..

- لكن يا أبي من قتل الكلب؟ هل أنت من قام بفعل ذلك؟

- لا ليس أنا..

أجاب ببرود

- إذاً من قام بذلك؟

سألته باستغراب

- لربما يكون أحد ملائكتك الحراس الذين يقومون بحراستك..

أجاب وهو يمسح على شعري

- ملاك حارس؟؟

- نعم

- وهل لدي واحد؟؟

- بالطبع كل طفل لديه واحد
- وهل أستطيع رؤيته؟
- اممممم هـذا يعتمـد عليـه إذا كان يرغـب بالظهور لك فـي يومٍ ما فربما ستراه..
- ومـاذا عـن الكبـار؟ أليـس لديهـم حـارس؟ إذاً عندمـا أصبح كبيراً سيتركني؟!
- أيضاً هـذا يعتمـد علـى الحـارس إذا كان يريـد أن يبقـى معك إلـى الأبـد أو لا هـذا الشـيء يعـود إليـه،، والآن انظـر كمـا وعدتـك أحضـرت لـك كتابـي المفضـل إنـه يحتـوي علـى صفحات قليلة وسهل المصطلحات..

ناولنـي الكتـاب كان غلافـه يوجـد بـه حشـرة عملاقـة! بعنـوان «المسخ» للكاتب «فرانز كافكا»

- أبي هل هذا الكتاب للكبار؟؟

سألت بحماس وبهجة

- نعم نوعاً ما لكنه مكافأة لك وأنت ذكي تملك عقل الكبار
- ولماذا هذا الكتاب بالذات؟؟ عن ماذا يتحدث؟ هل هذه حشرة؟

أجاب بابتسامة:

- أنـت تسـأل كثيـراً لكـن لا بـأس سـأخبرك هـذه أول روايـة ستقرؤها فـي حياتـك وأنـا أعلـم بأنـك مـن بعدهـا ستقرأ

ملايين الكتب، تتحدث القصة هنا عن شخص نام واستيقظ ووجد نفسه تحول إلى حشرة بغيضة مخيفة..

- واو يبدو أنها قصة مشوقة لكن لماذا تحب هذا الكتاب كثيراً يا أبي؟ أنا أراك دائماً تحمله معك وتقرؤه كثيراً؟

- لأنه يشبهني يا بني..

أجاب

شعرت بالاستياء كثيراً لأنني علمت الآن لماذا يحمل أبي هذا الكتاب دائماً إنه يذكره بنفسه لأن أبي بشع والجميع يتنمرون عليه وينادونه دائماً بالمسخ حتى أمي، شعرت بأن قلبي يتحطم لأجزاء إذاً هذا هو سبب حب أبي لهذا الكتاب..

- لكنك يا أبي لست حشرة ولا مسخاً أنت شخص وبشر طبيعي..

قلت له بحدة محاولاً أن أرفع من معنوياته..

ضحك وهو يربت على رأسي:

- أعلم يا ظلي لا تنزعج من ذلك لكن أنا ما قصدته ليس فقط هذا ليس فقط بشكل الشخصية فالأشكال غير مهمة رغم أن جميع البشر يهتمون بهذه القاعدة لديهم الشكل هو أهم شيء لكن روح الشخصية هو الأهم..

احتضنته بقوة:

- أنت يا أبي أجمل شيء في عيني وفي حياتي وعالمي..

- وأنت الظل الوحيد في حياتي لولاك لكانت الشمس أحرقتني منذ زمن وأصبحت رماداً يا ظلي..

قالها وهو ينظر إلى زاوية صالة المعيشة من خلفي التفت لكن لم يكن هناك أي شيء غير الأريكة..

***

٢٠٢٣ م

فتحت عينيّ وأنا أشعر بأن البرودة اقتحمت عظامي صداع هائل يأكل مقدمة رأسي الرؤية تتضح شيئاً فشيئاً أرى السماء التي تمتلئ بالسحاب القطني والشروق يتسلل منها ببرودة، الأرض من تحتي متجمدة جسدي محطم كالقطع الثلجية ما الذي أفعله على الأرض؟ وما الذي أفعله خارج المنزل؟؟!

مرت الذكرى علي سريعاً عندما رفعت كف يدي ورأيت دماء! هنا عاد النشاط إلى جسدي المحطم جمعت أشلائي ونهضت وأنا مرعوب من الدماء التي كان جسدي يسبح فوقها ما هذه الدماء ومن أين أتت؟؟ سرعان ما وجدت الإجابة عندما رأيت الكلب بدون رأس ورأسه بجانبه على مسافة ليست ببعيدة عنه نبض قلبي بقوة ارتعش جسدي من فعل ذلك؟ هل أنا من قام بقتل الكلب؟ لكنني لا أتذكر نعم أتذكر أنه هاجمني وكان الكلب شكله مختلف كان أقرب إلى حيوان غريب مرعب مفترس لكن الآن أمامي جثة كلب عادي طبيعي ربما كنت أتخيل ذلك الشكل لأنني كنت خائفاً، لكن السؤال

مـن الـذي قتـل الكلـب؟ هـل مـن الممكـن أن حارسـي الملاك ما زال معي؟

عندما كبـرت استنكرت موضوع الحـارس الملاك الـذي أخبرني أبي عنـه عندمـا كنت طفـلاً صدقـت ولكن عندمـا كبـرت كذبت هذا الأمـر، لكن الآن هل سـأعود وأصـدق أن هناك حارسـاً مـلاكاً؟ لكن سـأعرف الآن عبـر الكاميرات نعم سـأرى من قـام بقتـل الكلب لكن أولاً علـي أن أتخلص من جثـة هذا الحيـوان الدخيل الـذي لا أعرف كيف دخـل منزلي، نظفـت كل شـيء وقمت بدفـن الكلب بعيـداً عن المنـزل فـي الغابـة اغتسـلت لمـدة سـاعتين تقريبـاً حتى شعرت بأن بشـرتي ستتقشـر مـن شـدة التدليـك انتهيـت أخيـراً بعدهـا قمت بتجهيـز الفطور كالعـادة لأبي تذكـرت أنـه كان غاضبـاً منـي ليلة أمس ولا أعـرف السـبب؟ لكنني لم أسـأله مـرة أخـرى ولا أعـرف لماذا؟ انتهيت وتوجهـت إلى الكاميـرات ورأيـت عندما دخـل الكلب وكان الكلـب نفسـه الطبيعـي هـذا يعنـي أن الـذي كنـت أراه كان من خيالاتـي فحسـب، سـرعت الفيديـو حتـى أرى عندمـا هجم علي وكنـت أحـاول مقاومتـه كنـت علـى وشـك المـوت كان على وشك أن يلتهمني وفي آخر لحظة...!

وعندمـا رأيـت المشـهد توقـف قلبـي للحظـات تجمـد الـدم في عروقي عندما رأيت أن من قتل الكلب كان أنا!؟

بعـد ما كنـت أرتعش خوفـاً منه بعـد ما كنت قـد استسـلمت تماماً لأسـنانه فجـأة وكأنني تحولـت إلـى وحـش أمسـكت أولاً بفكـه ثم فتحتـه بقـوة علـى مصراعيـه حتـى انخلع سـقط الكلـب أرضـاً وهو

عالم ويعوي من أين حصلت على هذه القوة والجرأة لمواجهة منظر كهذا؟ بعدها نهضت بثقة على قدمي أنظر للكلب وهو يصارع الألم كانت عيناي مظلمتين لم أكن أنا؟ لم أعرف نفسي حتى تساءلت من أنا؟ من هذا الشخص على الكاميرا؟

مشيت لخطوات وأحضرت الفأس وبدأت بضرب الكلب بقوة ضربة خلف ضربة حتى قطعت رأسه سال الدم أسفل قدمي بعدها أسقطت الفأس وسقطت خلفه فاقداً للوعي..

انتهى التسجيل كان قلبي ينبض بقوة في كل مرة أعيد مشاهدة التسجيل أرى نفسي بطريقة مختلفة لكن يا إلهي لماذا لا أتذكر؟ هل أيضاً لدي انفصام في الشخصية؟ أحتاج ثيا أحتاج أن تفسر حالتي حالاً..

لم أتناول الإفطار ولم أتناول أي شيء آخر اليوم بقيت فقط مستلقياً وتلك الصورة لا تفارق ذهني صورتي وأنا أقتل الكلب بوحشية وبشاعة أنا قتلته بتلك الطريقة أنا الذي لا أقتل حشرة حتى عندما كنت طفلاً وتعرضت لموقف مماثل قال أبي إن الملاك الحارس الخاص بي هو من فعل ذلك لكن ماذا عن الآن؟ هل اتضح أنني أنا الملاك الحارس الخاص بي؟!

اعتدلت في جلستي بعد أن وصلتني رسالة على الإيميل قادمة من موقعي الخاص، لكنني قررت تجاهلها بعد أن تذكرت تلك الجثة التي تقبع في الاستديو الخاص بي وليس لديها ملامح، يكاد رأسي أن ينفجر من كثر التفكير في موضوعات كثيرة رن

هاتفي ظهر لي رقم غريب لا أرد على الأرقام الغريبة لذلك تجاهلته لكن سرعان ما وصلت رسالة نصية من هذا الرقم:

- صباح الخير بروفسير ظل أنا المحقق «دولوريس» لقد حصلت على رقمك من مديرك هل نستطيع أن نلتقي اليوم؟ إذا لم يكن لديك مانع بالطبع؟!

غريب لماذا هذا المحقق يرغب برؤيتي؟ لقد عملت مع كثير من المحققين أو حتى ليس عملاً كل ما أفعله أني أساعدهم على حل الجرائم عن طريق تشريح الجثث فقط أنا لا أتذكر حتى أسماءهم مجرد علاقات سطحية إنه أول محقق يطلب رؤيتي بعد أن شرحت له جثته لم يكن لدي مزاج لمقابلة أحد لكنني قررت الذهاب لمقابلته اتفقت معه على الالتقاء في مقهىً في وسط العاصمة وبالفعل وصلت إلى المقهى لأجده ينتظرني بفارغ الصبر بابتسامة ملوحاً لي وكأننا صديقان من عشر سنوات، كان المحقق «دولوريس» شاباً بعمر الثامنة والثلاثين ذا خلفية مميزة يدعونه بالبطل الخارق بسبب حله لأغلب الجرائم المرعبة والغريبة في البلاد، مهووس بعمله لذلك يملك شخصية مظلمة، طويل القامة ليس مفتول العضلات كالأبطال الخارقين إلا أنه يملك جسداً قوياً كعقله تماماً، ذو بشرة سمراء وملامح لاتينية وشعر أسود مبعثر رغم أنه ليس لديه الوقت للاهتمام بمظهره إلا أنه شخص أنيق وجذاب نوعاً ما:

- مرحباً أيها البروفسور من الرائع رؤيتك رغم وقتك الضيق أعتذر لأنني فاجأتك هكذا بدون سابق إنذار..

قال المحقق وهو يمد لي يده

- أهلاً أيها المحقق لا بأس أولاً قم بمناداتي بظل فحسب ثانياً اليوم هو يوم الإجازة لذلك لا بأس لم أكن مشغولاً تفضل بالجلوس..

- ماذا تشرب؟؟

سألني وهو يجلس على مقعده

- لا بأس بالقهوة السوداء

أجبت

وصلت قهوتنا كنت أنتظر بفارغ الصبر وأخمن مئة تخمين عمّا يريده مني؟:

- أولاً أود أن أشكرك على مساعدتنا في حل تلك القضية التي كانت شبيهة بقضية سابقة..

- لا داعي للشكر أيها المحقق هذا عملي..

- نادِني نيكولاس فحسب

قال وهو يرتشف القهوة بعد أن وضع كوب القهوة جانباً استرسل في حديثه:

- حسناً الشيء الذي جعلني أطلب مقابلتك بشكل خاص بعيداً عن العمل هو العمل أيضاً

قالها ضاحكاً

- وما هو هذا العمل الذي سيكون بشكل خاص؟

سألته

- صراحة عندما أخبرت مديرك بالموضوع نصحني أن أتواصل معك شخصياً على حسب ما قاله لي أنه من الصعوبة إقناعك بشيء ما

- على حسب ما هو هذا الشيء؟!

سألت

- حسناً أنت بالطبع تعرف ما هي القضايا الباردة؟

- بالطبع أعرف

- إذاً هذا رائع صراحة منذ عامين كنت أعمل على هذا المشروع أرغب بإعادة فتح قضية باردة وواجهت صعوبة أنا وفريقي لأن هذه القضية من أصعب القضايا وأغربها في العالم غير أنها قديمة جداً هذه القضية لم يستطعْ حلها أحد رغم أنه في وقتها تعاون أشهر المحققين والحكومات لوقف الجرائم أو حلها أو القبض على المتهم أو حتى معرفة عدد الضحايا! لكن فشلوا في جميع النقاط..

- وفي أي عام هذه القضية؟

- عام..! بل قل أعوام أنت يا ظل من مواليد ١٩٨٧؟

سألني

- نعم،، لماذا هل تظنني القاتل؟

سألته بسخرية

- لا تقلق وقتها لم تولد بعد

أجاب ضاحكاً بعدها أكمل حديثه وهو يضع سيجارة في فمه ويقدم لي واحدة

- لا، شكراً، لا أحب التدخين مع أحد

- أنت صريح جداً وهذا ما يعجبني فيك إذاً دعنا نكمل حديثنا، بدأت هذه القضية من عام ١٩٢٠ بشكل تقريبي على الأقل، واختفت أو توقفت في عام ١٩٩٥ بشكل تقريبي أيضاً أو أن القاتل غير أسلوبه لا أحد يعرف..

- أوه هذه أعوام كثيرة جداً..

- بالطبع أغلب القضايا الباردة لا تحل بسبب ضعف الإمكانيات قديماً

- وضعف العقول

أضفت بتهكم

- صحيح معك حق..
- حسناً وما هو دوري في فتح قضية باردة؟ لا تنسَ أيها المحقق أنا بروفسور في جامعة الفنون ومجرد طبيب شرعي ما الذي يمكن أن أقدم في التحقيق في هذه القضية التي حتى بالتأكيد جثثها أصبحت هياكل عظمية!؟
- معك حق لكن دورك مهم جداً صراحة لا أملك جثثاً لكي أعرضها لك وتساعدني لكن لاحظت من مسيرتك المهنية

وأنت في عمر صغير هكذا تملك ذكاء خارقاً علاوة على ذلك لديك نظرة ثاقبة وما سأقدمه لك هو صور ووصف لبعض ضحايا هذا الوحش الملفات القديمة للقضية واجهنا صعوبة في استعادتها وأيضاً قمنا بتوضيح بعض الصور هناك ملايين النقاط تحير في هذه القضية إنها وكأنها تبدو قصة رعب خيالية وليس لها وجود في هذا العالم لكن للأسف أحياناً يكون الواقع أقسى من الخيال..

- وما هو هدفك من إعادة فتح قضية كهذه بعد أن عفا عليها الزمن وهناك قضايا كثيرة تنتظرك هنا في الحاضر؟؟

- الهدف أن والدي مات في هذه القضية..

أجاب ببرود

- أوه أعتذر

- لا عليك ليس وكأن هذا هو الهدف الأساسي فقط، هناك أهداف كثيرة ستعرفها إذا وافقت على التعاون معي لقد عرفت أن لديك أدواراً كبيرة في معرفة هويات القاتلين فقط عن طريق تشريح جثث ضحاياهم لقد ساعدت الكثير من المحققين وسهلت عليهم مهام كثيرة

- بالطبع لأن الجثث لم يعفُ عليها الزمن

قال ضاحكاً:

- لا تقلق لن أحضر لك هيكلاً عظمياً وحتى الهيكل العظمي ليس لدينا واحد في هذه القضية إنها أصعب بكثير كل ما

نملكه صور لعينة غير واضحة وملفات كتبت بخط يد غير مفهوم سأعطيك المزيد من الوقت لتفكر ليس من الضروري أن ترد علي الآن..

- حسناً انتظر ردي..

انتهيت من مقابلة المحقق أثناء عودتي للمنزل كنت أفكر في كلامه لم يكن لدي أي حماس لإضافة عمل إضافي إلى قائمة روتيني أنا مزدحم بما فيه الكفاية، وصلت إلى المنزل وعند دخولي إلى الجراج هنا لمحت شخصاً ما يقف في إحدى نوافذ الغرف في الطابق الثاني في القسم الثاني للقصر!

نبض قلبي بقوة أوقفت السيارة ونزلت بسرعة وعندما رفعت رأسي مرة أخرى كان قد اختفى!! دخلت إلى القسم الثاني من القصر توجهت إلى الغرفة التي رأيت فيها أحداً ما يقف كانت الغرفة فارغة يوجد بها بعض اللوحات فقط عندما فتحتها لم يكن هناك أي أحد هل من المعقول بسبب أنني توقفت عن تناول أدوية الهلوسة؟ هل ستعود لي الهلاوس بشكل أقوى؟ منذ تشخيصي بالذهان قبل أربع سنوات كنت أعاني من الهلوسات السمعية والمرئية وبعد مرور الأيام والأعوام استطعت بمساعدة ثيا التخفيف منها وليس القضاء عليها لذلك لا أشعر بالخوف عندما أرى شيئاً أو أسمع شيئاً ولا أشعر بالغرابة أو الصدمة لكن عندما رأيت من يقف في النافذة شعرت لوهلة بتوتر في قلبي شعرت وكأنه حقيقي!!

كنت مشتت التركيز لذلك تناولت هاتفي واتصلت بها تحدثت معها قليلاً أخبرتني عن يومها بشكل مختصر ومشكلاتها مع محاضريها، بعدها قررت أن آخذ قيلولة ولا أعرف كيف غفوت بهذه السرعة..

***

١٩٩١م

- أيها المسخ عليك أن تكون شكوراً لأنني قمت بتوظيفك هنا! أساساً لا أحد يقبل بك لا أحد سيقوم بتوظيفك في أي مكان بسبب بشاعة وجهك لا أحد سيتحملك سوى الأموات كن شاكراً أنهم أموات ولا يبصرون..

أتت هذه الكلمات القاسية من مدير أبي الحقير في المقبرة بسبب أن أبي تغيب يوماً واحداً فقط لأنني كنت مريضاً غير مبالٍ بتقديم أبي لأعذاره الضرورية نظرت إليه بنظرة ثاقبة ونظرة تملك الكثير من الحقد والكراهية تجاه هؤلاء الأحياء أنا أكرههم كثيراً إنهم يقسون على شخص مثل أبي بحجة أنه لا يناسب معاييرهم الخاصة للجمال وماذا عن معايير الإنسانية؟

نظر إلي المدير بعد أن رمى بكلماته السامة على والدي شعرت بالخوف في عينيه عندما لم أرمش رمشة واحدة حتى وظللت مبحلقاً فيه لمدة دقيقتين، رغم توتره إلا أنه لم يسكت أيضاً وأضاف وهو خارج من المقبرة:

- ابدأ بحفر ثلاثة قبور ولا تنسَ أن تسقي النباتات وخذ ابنك الغريب الأطوار معك صحيح أنه وسيم جدّاً ويملك وجهاً جميلاً لكنّ عينيه يملؤهما الظلام!

ثم أضاف بسخرية وهو يضحك:

- بالتأكيد بسبب أنه ينظر أربعاً وعشرين ساعة إلى هذا الوجه القبيح..

شعرت كالعادة بالنار تشتعل في صدري والغضب يضرب أعماق جمجمتي لكن أبي يوماً بعد يوم أشعر بالغضب منه لأن ردة فعله دائماً باردة أبرد من الثلج رغم التنمر والكلمات القاسية التي يسمعها يوميّاً من هؤلاء البشر إلا أنه يبادلهم بابتسامة والابتسامة لا تفارق وجهه أبداً، أحياناً أكره أن يكون أبي ضعيف الشخصية لهذه الدرجة أحياناً أحب أنه ملاك لكن ما فائدة أن يكون ملاكاً وحوله شياطين؟

سحبت يدي من يد أبي بقوة وقلت له: سأذهب للدراسة في الغرفة ودخلت إلى الغرفة وأغلقت الباب وكان هذا أول تصرف لي وقح مع أبي لأنني فرغت غضبي عليه وبعدها شعرت بتأنيب الضمير..



«إن الفـن جنـون»

الأعمال الفنية التي أنشأها الأشخاص المختلون عقليّاً أو التي ينبهر بشكل خاص الناس بها لأنها تقدم رؤىً فريدة لعالم غير مرئي، فهي تساعدنا على فهم كيف يختبر الأشخاص الذين يعانون من اضطرابات عقلية العالم من حولهم، غالباً ما تكون هذه الأعمال الفنية مزعجة للغاية وتنقل الرعب الكامل لجنونهم بعيداً أفضل من أي عالم نفس في العالم، اخترت اليوم أربعة فنانين إذا أسعفنا وقت المحاضرة تظهر أعمالهم الاضطراب الكابوسي لعقولهم..

كان «ريتشارد داد» رساماً من العصر الفيكتوري، ولد في إنجلترا عام ١٨١٧ م. وتركز الكثير من أعماله على الجنيات! وموضوعات فولكلورية أخرى بالإضافة إلى مشاهد شرقية مستوحاة من خلال أسفاره، يظهر الكم الهائل من التفاصيل في لوحاته بشكل مرعب عقلاً مهووساً يركز على التفاصيل الصغيرة وهي درجة قهرية، خلال رحلته إلى مصر عام ١٨٤٢ م بدأت شخصية «ريتشارد داد» تتغير بشكل جذري وبدأ يعتقد أن عقله كان يتم التحكم فيه من قبل الإله المصري «أوزوريس»! أصبح عنيفاً ومتوهماً معتقداً أنه

يعانـي مـن ضربـة شـمس! فعـاد إلـى إنجلترا واستقبلته عائلته في محاولة للسيطرة على حالته التي ساءت كثيراً، وخلال تلك الفترة أصبح على قناعة بأن والده كان في الواقع شيطاناً متنكراً!!

وفـي أحـد الأيـام أثنـاء سـيره فـي الريـف انقض على والده من الخلـف فذبـح حلقـه مـن اليسـار حتـى اليميـن بشـفرة حلاقـة، ثم طعنـه عـدة طعنـات حتـى توفـي والـده متأثـراً بجراحـه وهرب «ريتشـارد داد» إلى فرنسـا وهـو لا يزال يرتدي ملابسـه التي قتل فيها والده ومـا زالت ملطخـة بالدماء علـى ما يبـدو أن الشـرطة تحقق في دفتـر الرسـم الخـاص بـه، كان الدفتـر مليئـاً بالصـور التي رسمها «ريتشـارد داد» كانـت الرسـومات لأصدقائـه وعائلتـه القتلى!! كل منهـم حنجرتـه مقطوعـة! وفـي فرنسـا كان ريتشـارد يركب عربة حربيـة فسـحب شـفرة الحلاقـة وأول مـن قطـع حنجرتـه راكب عشـوائي لا يـزال يعتقـد أن الشـيطان كان يطـارده، وتم القبض عليه أخيـراً مـن قبـل السـلطات وتـم الحكـم عليـه أنـه مجنون جنائياً، وسـيقضي بقيـة حياتـه فـي مصحـة عقليـة لكنـه استمر في الرسم طـوال فتـرة سـجنه وستسـتمر هـذه اللوحـات فـي اعتبارهـا أفضل أعمالـه حيـث تحمـل معظـم الإطـارات وهـذه اللوحـة المعقدة والمظلمـة التـي عمل على رسـمها لمدة تسـع سـنوات ولم ينتهِ منها أبـداً! حيث تظهـر الكثيـر مـن التفاصيل فـي اللوحـة، حالة ريتشارد العقليـة، يشـير المنظـور السـطحي إلـى عقـل مصـاب بالفصام وهو يمس أهميـة متسـاوية للأحـداث الدنيويـة كما هـو الحال بالنسبة له والأحـداث الفوضويـة التـي تركـز علـى العالـم والهـوس بها وهذا

يظهر عقلاً يحاول رؤية الأنماط المنطقية في ملاحظة عشوائية والمناظر الطبيعية المسطحة متقاطعة مع خطوط سوداء وأشكال دموية، والتمثيل البصري لأفكاره المتقاطعة والمختلطة يتجلى الاضطراب الداخلي في شفرات من العشب وأشجار الكروم وتبرز عيون مخيفة من النباتات ومن مواقع مخيفة تبرز عيون أيضاً مما يعكس الاضطهاد المتخيل لوهمه المصاب بجنون العظمة، لدينا هنا في اللوحة بعض الشخصيات المزعجة هنا هاتان الشخصيتان مثيرتان للاهتمام بشكل خاص، حيث يبدو أن أحدهما يمسك بالآخر من خلفه، وفي المقدمة يمسك بحلقه، لقد تم تقديم ذكرى مقتل والده على أنها خيال، وفي الواقع يبدو أن كل شخصية في اللوحة تقريباً لديها شخصية أخرى خلفها جاهزة للانقضاض على الشخصية الأخرى، ولدينا هنا في وسط اللوحة رجل صغير يجلس في المنتصف يحدق برعب وخوف وحزن والفوضى من حوله بالتأكيد هذا يمثل ريتشارد، وهنا العينان الغريبتان لهذا الرجل يمكن رؤيتهما في العديد من لوحات ريتشارد من الممكن أن يكون الشيطان الذي تنكر بشكل والده، الكثير والكثير من التفاصيل المرعبة في هذه اللوحة غير المنتهية لن تكفيها محاضرة واحدة وهذه اللوحة تحمل عنوان:

"العذاب والجنون والجنون"

"ريتشارد داد"

- بروفسور لقد قلت سابقاً إن الجنون ليس له علاقة بالفن؟ وإن كل فنان أو رسام ليس بمجنون؟

داهمني هذا السؤال من أحد الطلاب

- بالطبع ومـا زلت عنـد رأيـي لكـن إن الفـن بحد ذاتـه جنون والجنـون هنا ما أقصـده ليس ذهـاب العقـل أو العنف أو قتل النـاس الجنـون يختلـف من شـخص لآخر وفـي النهاية حتى لـو لـم يكـن ريتشـارد رسـاماً كان سـيكون مجنونـاً على أي حـال هـذا قـدره والفنـان مهمـا حـاول الهـروب إلى عالم خيالي فإن حقيقة الوضع لا تزال تحيط به..

- ماذا عـن رسـومات الفنـان «ويليـام يوتـاه»؟ إنـه مجنون كليّاً ومتخلف عقلياً

قالها بسخرية وكأنه يريد أن يفرض نظريته عن الفنانين

أمسـكت بجهـاز التحكـم الخـاص بشاشـة البروجكتر وعرضت رسـمات الفنـان «ويليـام يوتـاه» استرسـلت فـي حديثي وأنا أتقدم نحوه بخطوات بطيئة:

- هل أصلاً تعرف ما الذي حدث له؟

سألته بحدة

- امممم.. لا ولا يهمني من المعروف أنه شخص مجنون

قالها بلا مبالاة

- إذاً لمـاذا دخلـت هـذا التخصص إذا كنت ستسمي كل رسام مجنوناً ومختلّاً وتافهاً وغبيّاً؟

شعر بالتوتر تلعثم قائلاً:

- لا أنا لم أقل ذلك أقصد أن...

قاطعته وأنا أستدير عائداً إلى الشاشة:

- تم تشخيص إصابة الفنان ويليام يوتاه في عام ١٩٩٥ م، بمرض الزهايمر والقليل من يعرف ذلك وبدأ بسلسلة من الاختبارات الذاتية صور من أجل توثيق خرابه العقلي، مرض آخر دمر عقله ببطء على مدار خمس سنوات، رسم ويليام نفسه من خلال صورة لنفسه وهو ينظر لنفسه في المرآة تظهر لنا انخفاضاً في تبدد الشخصية حيث يصبح الفنان غير قادر على التعرف على وجهه حتى! تخيل أن تقف أمام المرآة وتقول من هذا؟ تتغير اللوحات من صور شخصية منجزة لأشكال مجردة تتلاشى تشبهها حيث يحول الخرف العالم من حوله إلى ضبابية وخيفة من الشخصيات الغامضة التي يمكن التعرف عليها، الصورة النهائية هي الأكثر مطاردة للعيون الصغيرة الخائفة مثل عيون القوارض المضغوطة في جلد لحمي ضخم، الفك المتدلي إلى الجانب يبدو أن جمجمته المتفخة المشوهة تثقل كاهله وزنٌ ميتٌ عديم الفائدة يتدلى ثقيلاً على رقبته، الخط الداكن على وجهه سواء كان ذلك عن قصد أم لا، يظهر أمامه تشققٌ تحت الضغط وعقلٌ مشقق مثل بيضة تم تحطيمها! عند مقارنتها بصورته التي التقطها في عام ١٩٦٧ م، فإنها توفر نظرة ثاقبة للدمار الذي أحدثه مرض الزهايمر على دماغه، هل عرفت الآن أنه ليس بشخص مجنون؟ لا يمكننا الحكم على الفنانين فقط من أفواه الناس..

قلت كلماتي موجهاً إياها لذلك الطفل المدلل الذي قامت عائلته الثرية بإقحامه في هذا التخصص فقط لأن العائلة جميعها تهتم لهذا المجال، ليس علينا نحن أن نتحمل حلطمته لأنه دخل التخصص مجبَراً، إن الفن لا يجبر عليه هو التخصص الوحيد الذي إذا أجبرت أحداً عليه سيكون جريمة وكأنك قتلته..

- انتهى الوقت سنستكمل السلسلة في المحاضرات الأخرى لا تنسوا حل الواجبات لدينا تطبيق عملي في الاستديو الأسبوع القادم استعدوا..

- ولكن يا بروفسور عن ماذا سيكون الموضوع عن ماذا سنرسم؟؟

سألتني إحدى الطالبات وكان الجميع في صمت ينتظرون الإجابة

- «فن الجثث» عن الجثث..

قلت إجابتي التي سمعت صوت صدمة عقولهم منها وخرجت وتركتهم في حيرة وغرابة من هذا الموضوع لكنني عزمت أنني كما أسست هذا الفن المظلم سأقوم بتأسيس هذا الفن «فن الجثث» والأموات أيضاً لديهم حق في أن نزرع منهم فناً..

كل فنان مجنون؟

بقيت أفكر في هذه الجملة التي لم تفارق عقلي توجهت إلى مكتبي بعد أن أحضرت لي قهوة مثلجة كان الصداع يفتر في رأسي أفكر في مئة موضوع، لكن هل أنا مجنون لأنني فنان؟! لا

أنا لست مجنوناً إن الجنـون الـذي يكمن فـي رأسـي هو بحـد ذاته إبداع وذكاء جنـون مفيد جنـون يثمر جهـوده في هـذا العالـم العديم الفائدة جنون يستطيع أن يحمل العقلاء على أكتافه..

إذاً مـاذا هل أنـا مريض؟ لا أنـا لسـت مريضاً أنا لسـت مختـلّاً أنا مختلف تماماً مختلف عن هـذا العالـم المـزري إن هذا العالـم كتلة مرض أصلاً وأنـا الشـفاء الوحيـد، إذاً هـل أنا وحـش؟ لا أنا لسـت وحشـاً أصلاً مـا هي الوحـوش؟ لا وجـود للوحـوش في هـذا العالم إن الوحـوش فـي أرواح الأحيـاء تبنـي لها منـازل هنـاك إن الوحوش هم البشـر بحد ذاتهـم اخترعـوا كلمة وحش فقط ليشـعروا بـأن هناك قوة مرعبة موحشـة قويـة تجـول في الخـارج وهـم الأبريـاء لكن في الحقيقة حتى لو وجدت الوحـوش سيقوم البشر بالتهامها..!

هل أنا شيطان؟! لا بالطبـع الشـياطين لا تظهر للنـاس ومن يقول غير ذلك فهـو كاذب الشـياطين حتى لا ترى البشـر شـيئاً تراهم حفنة من المخلوقـات التافهـة السـخيفة المثيـرة للشـفقة، أكـره أحيانـاً أن أكـون بشـرياً أكـره كوني مـن البشـر، فلمـاذا سـتكون الشـياطين معنا على العالم نفسه وعلى الأرض نفسها؟

إذاً ماذا أنا؟؟ وماذا أكون؟

هـذا السـؤال يتكـرر فـي رأسـي كالمجنـون! أوه أنـا قلت كالمجنون آسـف لنفسي لكنني لست بمجنون..

توقـف يـا «ظـل» أعلـم بأننـي حتى لـم أفتـح موضـوع تلـك الجثة التـي وصلتنـي بـدون ملامـح لأنـه مـن الجنـون أن تكـون جثة بدون

ملامـح لقـد أصبـت بالصدمة وأنـا أحـاول تجاهـل الموضوع بكل ما أوتيـت من قـوة على أمـل أنه إحـدى هلوسـاتي وأعـود إلى الاستديو وأجـد تلـك الجثـة الغبيـة لديهـا ملامـح وأتنفـس الصعداء، الحياة تستمر يجب أن أكمـل حياتـي لا أريـد أن أفكـر فـي أشياء ليس لها معنـىً لا أريـد أن أفكـر فـي أشـياء مجنونـة ولكننـي أنـا من أحضرت الجنـون إلـى منزلـي، فـي الوقـت نفسـه أشـعر بـأن لـدي جثة مميزة أشـعر بالسـعادة أشـعر بأنني أملـك جائـزة ذهبيـة أو كنـزاً كان الجميع يبحثـون عنـه ومن حسـن حظـي أنـا حصلـت عليـه، يجب أن أبحث فـي موضـوع هـذه الجثـة يجـب أن لا أتجاهـل الأمـر أكثر يجب أن أفتتـح معرضـي فـي الوقـت المحـدد هـذا العـام أرغـب بالانتهاء من لوحاتـي ومنحوتاتي، صحيـح منحوتات يجـب أن أبدأ بنحت الجثث لذلـك أحتاج لجثـث أكثر لكـن كيـف يمكننـي أن أحصل على مواقع أو أشـخاص يبيعـون جثثاً بحالـة جيدة مثل هذا الشـخص الـذي باعني هـذه الجثة؟ لكن فضـلاً أرغب بجثـث لديهـا ملامح بالطبع، لكن كل ما أريـده هـو الوقت فقـط من أيـن أحصل عليـه؟ لـم أنهِ سؤالي حتى وصلتني رسـالة نصيـة مـن «سـتيفان» الطبيـب الشـرعي شريكي يذكرنـي بأن هنـاك جثة اليـوم تنتظرنـي، لكنني لست مستعداً لأي من هـذا يجـب أن أركـز علـى تلـك الجثـة فـي المنزل حسمت أمري وأرسـلت لـه أن يتولـى الأمـر مـع «ألمـا» فـي التشـريح لأنني أشعر بوعكـة صحيـة لذلـك لـن آتـي، أرسـلت لـه رسـالة الاعتذار كانت السـاعة العاشـرة صباحـاً لذلـك قـررت أن أكسـب وقتاً أكثر وأقوم بتأجيـل جميع أشـغالي وأعود للمنـزل وهـذا مـا فعلته ووصلت للمنزل

الساعة الثانية عشرة مساء طبخت الغداء لأبي قررت أن آكل معه اليوم لم نتحدث عن غضبه سابقاً لكنني أشعر بأنه اختلف كليّاً هناك شيء خاطئ في قلبه ولا أعرف لماذا؟

- أبي خمن ماذا حدث اليوم؟

سألته وأنا أضع الأطباق على الطاولة

- لقد تحدثت في محاضرتي عن الفنان «ويليام يوتاه» الذي حكيت عنه لي كثيراً لم يكن أصلاً في المنهج لكنني تحدثت عنه بمحض المصادفة عندما استفزني أحد الطلاب واتهمه بأنه مجنون.. أتعلم يا أبي ما هو الجنون؟ لم أنسَ ما أخبرتني به سابقاً عن هذا المصطلح أن الحياة بحد ذاتها جنون ولكي أعيش يجب أن أكون مجنوناً وأجاريها في جنونها، يجب أن يكون عقلي فوضى لكن فوضى منظمة، أنا أحفظ جميع الدروس التي علمتني إياها يا أبي لا تقلق خمن أيضاً ما الذي سأفعله اليوم؟؟ سأبدأ بصنع عالم جديد كليّاً عالم مختلف سأبدأ بفن الجثث سأصنع جثثي الخاصة سأعيد تكوينها كما يحدث في المصانع لإعادة تدوير الأشياء التي نستخدمها في حياتنا لقد كنت أرغب بتنفيذ هذه الفكرة منذ زمن لكن لم يكن لدي الوقت اللازم وأخيراً آن الوقت لهذا المشروع"

سمعت صوت أبي في رأسي يسألني هذا السؤال:

- كيف خطرت الفكرة في بالك؟

- كيف؟ لا شيء إن الفن جنون يا أبي وأنا فنان لذلك علي أن أكون مجنوناً..

شعرت بأن أبي لم تعجبه الفكرة أبداً أن أستخدم الجثث كفن! هل أنا مخطئ؟ هل أنا أستغل الجثث بعد أن أوصاني أبي بالاعتناء بها؟ لكن أنا لن أوذيها وكل ما أرغب به هو المحافظة عليها وإظهارها للناس بشكل طبيعي فقط أرغب بأن يعيشوا كالأحياء..

- إن الأحياء والأموات لا يستطيعون أن يعيشوا على أرض واحدة يا بني ولا عالم واحد هذا الوطن للأحياء فقط..

سمعت هذه الكلمات من أبي في رأسي كما توقعت هو لم تعجبه الفكرة:

- إذاً لا بأس يا أبي أنا سأصنع وطناً للأموات أؤسس لهم أرضاً خاصة وهذا ليس صعباً علي ابتداء من هذا المنزل وحتى أرض خاصة لهم..

انتهيت من تناول الغداء مع أبي بعدها تركته يرتاح توجهت إلى الاستديو الخاص بي فتحت الباب بهدوء وكأن الجثة التي بدون ملامح ستقف على قدميها، أول مرة رأيتها وآخر مرة من ثلاثة أيام تقريباً كانت الصدمة محفورة في عقلي، استقبلني هذا التابوت الذي كان كالتحفة الفنية وليس تابوت ميت تحسست بيديّ النقوش أحاول أن أفهم أو أعرف هذه الرموز واللغة الغريبة أحضرت المجهر الذي يفحص اللوحات والتحف قربته من تلك النقوش اتضح أنها نقشت بخط اليد وليس بآلة نقش أيضاً هناك

أخطاء أقصد هناك شطب على حروف ناقصة وكأنه يعامل هذا التابوت كالدفتر الخاص به الذي يشخبط عليه ما يريد!؟ لكنْ في الوقت نفسه هذه النقوش منظمة وجميلة بشكل مرعب أتساءل ماذا تكون هذه اللغة؟ حسناً هل أنا مستعد لفتح التابوت للمرة الثانية ورؤية هذه الجثة بلا ملامح؟ أظن ذلك..

***

ثبـا:

انتهت الجلسة الأولى مع «أيلا» بعد أن اعترفت لي بأن الخمسة الأشخاص الذين قتلتهم هم عائلتها، لم تكمل القصة لي فجأة بدأت بالصراخ ودخلت في نوبة هلع لذلك أعطيتها إبرة مهدئة التقيت بصديق قديم وهو محقق وهو من يمسك قضية «أيلا» الآن من حسن حظي أخبرته بأنه يجب أن يبحث عن خلفية الفتاة أكثر وعائلتها لكنني بالطبع لم أخبره عن أن عائلتها هم الأموات أردت أن أتحقق أولاً من صحة قولها لربما تكون زيفت هذا الأمر أيضاً، توجهت بعدها إلى الفندق وبدلت ملابسي استعداداً للمؤتمر النفسي حضرته وانتهيت منه بعدها عدت للفندق وأنا أشعر بالتعب رغم ذلك قررت أن أعمل على ملف أيلا شعرت بأنه بالطبع ستكون مهمتها طويلة لذلك أول شيء قمت به هو طلب بنقل ملفها ونقل الحالة إلى المستشفى الذي أعمل به لأنه من المستحيل أن أسافر مراراً وتكراراً من أجل حالة واحدة وهناك تنتظرني مئة حالة ورغم أن المدير أخبرني بأنه سيحول حالة أيلا إلى طبيب آخر لكنني رفضت أيلا استدعتني أنا فليس من

الاحتراف والذوق والإنسانية أن أتخلى عنها، بحثت عن عدة معلومات تخص أيلا المكان الذي أتت منه اتضح أنها كانت تعيش وحدها في منزل رث متهالك في حي المهاجرين الأجانب الذين لا يملكون أي هويات وجميع العصابات والمجرمين وبائعي المخدرات هناك أيضاً! الغريب عندما ذهب المحققون إلى هناك وسألوهم عن أيلا قالوا نعم يعرفونها وأنها تسكن في هذا المنزل وحدها تقريباً منذ سنة كاملة! لكن لا تملك أي عائلة أو أي أحد حتى؟ أرسلت للمحقق صديقي أنني أرغب بالذهاب معه إلى منزلها لكنه رفض وقال إنه خطر لكن كالعادة سأذهب على أي حال وهو يعرف أنني سأذهب لذلك استسلم وأخبرني أن أستعد غداً والأفضل أن نذهب إلى هناك في الصباح لأنه في الليل يعتبر ذلك الحي كالكابوس كيف عاشت طفلة وحدها في ذلك الحي المليء بالعصابات؟ فجأة وصلني إيميل كان من مساعدي «روبين» أرسل لي بعض التقارير عن حالة ذلك الصبي «كريستيان» الذي قتل والديه، وهنا لدينا «أيلا» التي قتلت عائلتها وكلاهما لا يتعدى عمره الثامنة عشرة إن الشر حقّاً لا يعرف طفلاً أو مراهقاً أو كبيراً بالسن إن الشر يتلبس الإنسان لأسباب هناك البعض لأسباب مثل الصدمات النفسية صدمات الطفولة العنف وغيرها وآخر بدون أي سبب هكذا يولد من بطن أمه ويستقبله الشر..

فتحت الفيديو الذي أرسله لي مساعدي لإحدى جلسات المراهق «كريستيان» كالعادة ظهر في الفيديو بدون أي ردات فعل حتى وهو داخل الغرفة الخاصة به لا يتحرك أبداً!؟ الغريب أنه

يبقى ساعات بالوضعية نفسـها إما يكون جالسـاً لمدة عشر ساعات أو واقفاً لمدة عشر ساعات أو مستلقياً لمـدة عشر ساعات! إنها ساعات طويلة على وضعيـة واحـدة فقـط الإنسـان بطبيعتـه يتعب تلقائياً ولا يتحمـل أن يبقـى بوضعيـة واحـدة بـدون رمشـة حتـى إنه أغرب حالـة تمر علـي قمـت بتسـريع الفيديـو حتـى وصلـت عنـد لقطة كان كريسـتيان فيهـا يقـف مقابـل الحائـط وكان يحـرك شـفتيه وكأنه يتحـدث إلـى أحد مـا؟ بعدهـا التفـت كريسـتيان إلـى الكاميرا ونظر إليهـا بنظرات مرعبـة وتحمـل الكثير من الشـر ثم ابتسـم وكأنه يراني حرفيّـاً رغـم أن المشـهد مسـجل بعدهـا رفع يـده وأشـار إلى خلفي كالعـادة انقبـض قلبي وأمعائـي عندما شـعرت بأن هنـاك أحداً يقف خلفـي وملتصقـاً برقبتـي أشـعر بأنفاسـه تصطدم فـي خصلات شعري أصبحـت أنفاسـي سـريعة جسـدي يرتعـش التفـت بسـرعة أخيراً إلى الخلف لكن بالطبع لم يكن هناك أي أحد..

تنفست الصعـداء وأغلقـت جهـازي المحمـول ضحكـت علـى نفسي هل لهـذه الدرجة يؤثـر علـي ذلـك الصبـي المجنـون؟؟ لا، لا بد أنـي متعبـة فحسـب من كثـرة العمـل، قمـت بمـلء حوض الاستحمام بالمـاء الدافـئ كنـت أحتـاج إلـى الاسـترخاء غطسـت بـه وأنـا أحـاول أن أغـرق كل أفـكاري التـي تـدور فـي رأسـي وللحظة اشـتقت لأخي للحظـة أخرى رأيـت وجـه ذلـك الشـيطان أمامي يبتسـم ذلـك الكابـوس مـن المسـتحيل أن أنسـى وجهـه أو أنسـى الـذي فعله بـي ولـن أكـف أبـداً عـن مطاردته حتـى أقبض عليه من جديد...



«عشاء مع الجثث»

١٩٩١ م..

شعرت بتأنيب الضمير بعد أن تصرفت مع أبي بوقاحة بسبب تلك الحقير الذي يتنمر على أبي كل صباح ومساء، بقيت في الغرفة التي في المقبرة أذاكر دروسي وأبي كان مشغولاً بدفن الموتى، نظرت من النافذة الصغيرة كانت المقبرة مزدحمة بسبب الجنازات أرى دموع وبكاء عائلاتهم أرى الحزن في أعينهم لم أكن أرغب بأن أكون مثلهم أنا أكره الحزن رغم ذلك دائماً ما أكون حزيناً ولا أعرف السبب؟ عدت مرة أخرى إلى دروسي وحين انتهيت أخيراً فتحت الكتاب الذي أعطاني إياه والدي رواية «المسخ» تأملتها قليلاً كنت متحمساً لها كثيراً لكن انطفأ حماسي عندما أدركت أن هذه المسخ الحشرة يشبهون بها والدي! وضعت الكتاب جانباً بملل أخذت أتأمل الغرفة حتى سمعت الهدوء عم في المقبرة أصبحت الساعة السادسة مساء هذا يعني أنه انتهت مهام الدفن على الرغم من أن المقبرة لا تمنع الدفن ليلاً لكن معظم سكان البلدة يرفضون أن يتم دفن أقاربهم وأمواتهم في الليل يقولون بأنه عند الدفن في الليل تقوم الشياطين بسرقة

الجثث أو يقـوم آكل الجثث بأكلهـا وأن الميـت لن يرتاح وسيسقط في الجحيم وأقاويـل كثيرة، لا أصـدق أيّاً من هـذه الأشياء الخرافية غيـر أن مـن الجيـد أنهـم لديهـم خرافـات لكـي يرتـاح أبي ساعات أطول مـن العمـل، انفتـح البـاب ودخـل أبـي وهـو يحمل بعض شطائر الجبنة وعلبة حليب مبتسماً كالعادة:

- هـل انتهيـت مـن الدراسـة؟ لقـد أحضرت لـك بعض شطائر الجبنـة وحليبـاً يمكنـك أن تـأكل واحـداً الآن والآخر إذا شعرت بالجوع..

- آسف يا أبي..

قلت بصوت خافت

- آسف على ماذا لماذا تعتذر؟

سألني وكأنني لم أفعل شيئاً

- بسبب تصرفـي الوقح معـك أنـا أعتذر لقد شعرت بالاستياء فقط من هؤلاء الناس

اقترب مني ممسكاً بيدي بيده التي كان يملؤها غبار وتراب القبور:

- دعني أخبرك بشيء يـا ظلـي ويجب أن تفهمـه: إن البشر سطحيون جـدّاً لدرجـة أنهـم يبقـون طـوال حياتهـم على السطح إنهم لا يتعمقـون فـي الحيـاة ولا ينظرون لا إلى الأسفل ولا إلـى الأعلـى ولا إلـى اليسـار أو اليمين وكل ما ينظرون إليـه هو الأمـام الشـيء الـذي أمامهم فقط متجاهلين

الاتجاهات الأخرى وأنت يجب أن لا يكون تفكيرك محدوداً مثلهم التفكير المحدود يا بني هذا أكبر مخاوفي..

- ولكن يا أبي إن البشر أشرار يجب أن ترد عليهم على الأقل..

قلت بيأس

- الرد.. ما فائدة الرد؟ إن الرد على السفيه مذلة وأنا لا أريد أن أذل نفسي أنا أعلم تماماً بأن الرد لا يغير شيئاً لذلك نفكر في أشياء أخرى أكثر أشياء تكون أكبر من الرد على أمثالهم..

- وما هي هذه الأشياء؟؟

- مثل أن تكون ناجحاً وموهوباً وذكيّاً وقويّاً هذا هو أكبر رد وانتقام لأن الأشخاص المتنمرين يكونون دائماً في بؤرة لا تتحرك في مكانهم طوال سنوات حياتهم..

- وماذا عنك؟ ما هو ردك عليهم يا أبي؟!

شعرت بوقاحة في سؤالي لأن أبي لا هو ناجح ولا غني ولا قوي..

- لكنني ذكي..

انقبض قلبي عندما قالها أبي بابتسامة وكأنه قرأ أفكاري! قلت بتلعثم وخجل:

- لا أقصد شيئاً يا أبي لكن أريد أن أكون مثلك ذكيّاً في ماذا تستخدم ذكاءك؟؟

- في أشياء كثيرة ستعرفها مستقبلاً الآن حان وقت النوم أنا سأذهب إلى العمل

- هل ستغني الآن للموتى؟؟

سألته

- نعم

أجاب

- اريد ان أذهب معك أرجوك يا أبي

- ليس الآن يا بني لنجعلها لاحقاً اتفقنا؟ عمت مساء..

طبع قبلة على جبيني وخرج وتركني بفضولي لم أنم تلك الليلة ولا في أي ليلة أكون فيها في المقبرة أرغب باستكشاف هذا العالم أكثر لكن أبي يخبرني أن أنتظر قليلاً، حتى متى؟! كنت على وشك أن أغرق في النوم لكن فتحت عينيّ عندما سمعت صوت دندنة أبي نهضت بسرعة وتوجهت نحو النافذة أخرجت عيني فقط بخفة حتى لا ينتبه أبي لوجودي أسمع صوته لكنني لا أراه أو أن المقبرة مظلمة جداً كان أبي يغني بصوت رائع لكن فجأة اصبح يغني بلغة غريبة غير مفهومة لا أعرف ما هذه اللغة الغريب ان أبي شخص لم يتعلم صحيح أنه يعرف أن يقرأ ويكتب بمجهود شخصي لكن لم أعرف انه لديه لغة أخرى ويغني بها بكل إتقان ولم اسمعه في حياتي يتحدث بلغة غير مفهومة أو لغة أخرى لغتنا لكن لماذا أبي يغني بهذه اللغة هل هي لغة الأموات؟؟..

***

٢٠٢٣ م..

فتحت التابوت ولم تكن هناك أي مفاجأة كانت الجثة كما هي جثة بلا ملامح أتجنب النظر إليها لأن شكلها غير طبيعي وغير مريح وهناك شيء أكثر غرابة في هذه الجثة أنها غير محنطة ولا يوجد بها أي سائل خارجي ولا أي مادة حرفيّاً لكنها بخير بخير تماماً مثل الأحياء!؟ وضعت يدي على يده رفعت القميص الذي كان يرتديه وكانت هذه المرة الأولى في حياتي أرتعش من جثة، لمست جسده جلده كان بخير تماماً وطبيعيّاً وكان دافئاً بشكل طبيعي وكأن الحياة تنبض في هذه الجثة لكن بشكل خفي بحكم أنني طبيب شرعي أعرف درجة حرارة الميت والحي من اللمس بدون جهاز لكن أردت أن أتحقق أكثر ذهبت وأحضرت الجهاز وقست درجة الحرارة وهنا كانت الصدمة! أظهر الجهاز أن درجة الحرارة سبع وثلاثون إنها درجة الحرارة الطبيعية للإنسان الحي! مستحيل لا يوجد ميت تظهر معه درجة الحرارة هذه؟ وضعت الجهاز جانباً قررت إخراج الجثة ووضعها على طاولة التشريح ماذا سأفعل هل سأشرحها؟ لا سأرى الأعضاء الداخلية كيف ستكون؟ أولاً قمت بجس نبضه كان لا يوجد نبض أبداً لا بالقلب ولا بالعروق لكنْ هناك شيء خاطئ في هذه الجثة قررت أولاً الذهاب إلى جهازي اللوحي فتحت موقعي وتوجهت إلى الرسائل الخاصة أردت أن أسأل صاحب الجثة الذي قام ببيعها لي لكن كما توقعت لقد حذف حسابه بالكامل واختفى تماماً هذا هو القانون هنا في هذه المواقع، حسناً يجب الآن أن أركز

يجب أن أفتتح معرضي الخاص ومشروعي لن تشتت تركيزي هذه الجثة ولن تعيق تفكيري سأبحث عنها أكثر إن الموضوع سيكون ممتعاً بالنسبة لي هو في النهاية ميت وأنا سأعيد ترميمه لكن كل شيء فيه مرمم بدون أي مجهود ما عدا ملامحه من أين يمكن أن أحضر له ملامح؟ مضحك حقّاً لا بأس جدولي لهذا الأسبوع أولاً سيكون هناك عشاء جماعي عائلي فكل شهرين يجب أن أتناول العشاء مع عائلتي لكن في الأشهر الأخيرة انشغلت جدّاً لذلك لم أجلس معهم إلى أي مائدة منذ فترة، ثانياً سأعمل على نحت القطع المتبقية ونحت القطع الجديدة استعداداً للمعرض، ثالثاً يجب أن أبدأ بتنزيل وكتابة مذكراتي في موقعي «بيتشيني» أطمح إلى أن أصنع كل شيء من الجثث تلك الجثث المتهالكة التي من المستحيل ترميمها سأستفيد منها أفضل من حرقها، خرجت من المكتب وبدأت بتجهيز العشاء كانت الساعة السادسة مساء قمت بطبخ أصناف مختلفة وشهية أعلم كل فرد في العائلة ماذا يحب وماذا يفضل، انتهيت من التجهيز حضرت طاولة الطعام العائلية التي تقبع في صالة الطعام الداخلية تحتوي الصالة على تحف زجاجية لوحات فنية الطاولة من السيراميك الأبيض والكراسي كذلك حضرت الأطباق بكل حب ودفء فاليوم هو يوم سعيد للعائلة، انتهيت من إعداد الطاولة ووضع الطعام عليها توجهت للاستحمام وارتديت ملابس أنيقة مناسبة لعشاء عائلي، أخذت أبي بعد أن بدلت له ملابسه ووضعته على كرسيه المتحرك حتى وصلنا إلى طاولة الطعام كان أبي

مكانه على رأس المائدة وأنا في الاتجاه الآخر من رأس المائدة الثاني وقبل أن أجلس قلت:

- أليكسا قومي بنداء الجميع لطاولة العشاء..

- حسناً،،

- «مساء الخير على الجميع السيد «ظل» يدعوكم إلى مائدة العشاء لليوم العائلي السعيد نتمنى من الجميع الحضور حالاً وشكراً..»

- هل أعجبتك المائدة يا أبي؟

قررت أن أتحدث مع أبي حتى يأتي البقية

- بالتأكيد لقد صنعتها بكل حب أيضاً أعتذر لم يكن لدي الكثير من الوقت خلال الفترة الماضية لذلك قررت أن أعوضهم اليوم..

كان أبي سعيداً جدّاً فهو يحب عندما أجلس معهم في المنزل ونحظى بجو عائلي، قال أبي ذات مرة إنه ليس مهمّاً شكل المنزل وأشكال الأشخاص الذين فيه ولا يهم حجم المنزل أو جماله المهم أن يكون منزلاً سعيداً وهذا هو منزلنا السعيد..

انفتحت أبواب الغرف أضيئت أضواء القصر بالكامل اشتغلت الموسيقى الكلاسيكية ليصدح صوتها في أرجاء القصر أسمع خطواتهم أشم رائحتهم كانت السلالم منفصلة لقسمين قسم على اليسار وقسم على اليمين نزلوا من السلالم بابتسامة سعيدة وروح

مبتهجة تتقدم العمة «لورا» بثوبها البني المشجر الذي كانت ترتديه دائماً في أغلب المناسبات العائلية وتسريحتها التي كانت تبدو وكأنها من سيدات العهد القديم، كانت العمة «لورا» كالعادة تمسك بالتوءمين «كيران وكيارا» فهي كانت الأم الروحية لهما وكانت هي من يعتني بهما كانت كيارا ترتدي فستانها الأبيض ذا النقوش الوردية الذي أهديتها إياه في عيد ميلادها السابق وشعرها المنسدل كالحرير الأسود، أما كيران فكان يرتدي الكنزة الصفراء التي صنعتها له العمة لورا فهو يحب اهتمام العمة به لأنه لم يكن لديه يوماً أم أو كان لديه في المنزل نفسه لكنها كانت كالكابوس غير الواقعي، البقية «فرانسيس» الشاب الذي يحب الأكل كثيراً لأنه في حياته السابقة كان محروماً منه فرانسيس شاب شغوف ومرح ومحب للجميع، «إليانا» الشابة التي تحب أن تكون جميلة دائماً ومتألقة كان حلمها أن تصبح عارضة أزياء لكن الأقدار القاسية كانت أقوى منها كانت إليانا تضع الكثير من مساحيق التجميل وتبدل في اليوم ألف مرة لذلك اليوم ارتدت فستاناً أنيقاً اشتريته لها في وقت سابق من ماركتها المفضلة «ديور» مع مجوهرات أنيقة وجميلة وغالية الثمن، «كريستال» التي تحب الكتابة أكثر من أي شيء آخر كان لها الفضل الأول في تشجيعي لبداية كتابة كتابي كانت كريستال آنسة جميلة مثقفة تم قتلها في ظروف غامضة تم اتهام زوجها الذي تزوجته لمدة سنة واحدة فقط ولكن تم إطلاق سراحه لأنه لا يوجد أدلة كافية لكنني أعرف أنه القاتل لأنها أخبرتني بذلك، «روبين» ذلك

أنت الهادئ الذي يحب فقط قراءة الكتب والاستماع إلى الموسيقى بيتي للأسف لا يستطيع التحدث لأن والده قد قطع لسانه [illegible] من التعذيب وقتله والتحرج بسبب لأنني [illegible] أنا تعلمت بعض الكلمات من لغة الإشارة لأجل [illegible] كي إنه صديقي والذي المفضل وهما يحاولان التحدث معاً بدون انقطاع عن أمور كثيرة مثل الشعر والكتب والموسيقى والحياة [illegible] لأن العم كيفن يشبه أبي كثيراً هو أيضاً كان في السلك [illegible] فترة وقضى كل حياته هناك (جوزيف) وهو العزيز في العائلة أول شخص ينضم إلينا إذا كنتم تتذكرونه إنه الشخص الذي [illegible] جانب شقتي عندما كنت طالباً أصبح جوزيف صديقاً [illegible] وأحب أن أحكي له عن أسراري وأقصص له كل شيء [illegible] بالمثل (لويس) كان السيد لويس تاجراً ثرياً حين [illegible] بمثابة أبي عائلة لأسرار هو يعرفها لدرجة أنه عندما [illegible] في ظروف غامضة بقي في الثلاجة أسبوعاً ولم يسأل [illegible] الآن أنا أعرف أهمية العائلة جيداً لكن لويس [illegible] كان عصبي في بعض الأحيان خصوصاً عندما [illegible] الخاصة.

هؤلاء العشرة هم المقربون الأكثر إلى قلبي رغم أكثر من [illegible] لا أستطيع أن آخذ وأعطي مع مثلي شخص في [illegible] في التوابيت في الاستديو وأخرى في [illegible] في السرداب السفلي وهو قبو تحت الأرض [illegible] الكتابة لكنني بدأت الآن بتوسعة [illegible]

حتى القصـر يكفي لذلـك فكرت بهـذا القـرار علي بنـاء عالـم كامل لهم لأن الغـرف هنـا والصـالات لـم تعد تكفـي وأنـا أريـد أن أصل إلى ألـف جثـة كيـف سـيكفيهم القصـر؟ السـراديب تحـت الأرض هي الحل الأمثل.. جلس الجميع حول مائدة العشاء بحماس:

- هل أعجبتكم المفاجأة؟؟

سألتهم

- إنهـا أكثر مـن رائعة هنـاك كعكـة الشـكولاتة أيضاً التـي أحبها شكراً للعم «ظل» إنه العم المفضل في العالم..

قفز «كيران» بحماس وسعادة كالعادة

- أليس ممنوعاً أكل الحلى اليوم بسبب أسنانك؟

سألته «كيارا» لتقوم باستفزازه كالعادة

- يجب عليك أن لا تتدخلي في شؤوني

- توقفـا الآن لا تبدأا بالشـجار دعانـا نأكل أليس يجب أن نشكر السيد «ظل» لأنه اعتنى بنا جميعاً؟؟

قالت العمة «لورا»

- ما هذا؟؟ جميع اللحوم هنا! أنا لا أتحمل هذا المنظر أين طعامي؟

قالـت «إليانـا» بتذمـر لأنهـا نباتيـة طـوال الوقـت وتحاول أن تحافظ على جمالها..

أجابت «كريستال»

- يجب أن تفتحي عينيك جيداً انظري إن طبقك الذي لونه أخضر مشع أمامك بالكامل أتساءل ألا تشعرين بالملل من هذه النباتات؟؟

- نباتات؟!

- حسناً هذا يكفي دعونا الآن نبدأ بالأكل أرجوكم هل علينا أن نسكت الأطفال والكبار أيضاً؟؟!

قال فرانسيس بتذمر، قررت أن أقاطع جدالهم لأنه لن ينتهي:

- حسناً فرانسيس محق دعونا نبدأ بالأكل الآن حتى لا يبرد أولاً دعونا نقوم بتمني أمنيات وندعو الله أن يحفظ لنا هذه السعادة وهذا التجمع..

لقد تمنيت بداخلي أن يجمعني الله مع ثيا تحت سقف هذا المنزل وتكون راضية بي وبعائلتي بشكل طبيعي..

انتهى اليوم الطويل عاد كلٌّ منهم إلى غرفته أصبحت الساعة العاشرة مساء بحكم أنني قليل النوم بعد أن بدلت ملابسي عدت إلى الاستديو ما زال التابوت مفتوحاً وما زالت الجثة بلا ملامح بداخله بالطبع أين ستذهب؟ لقد قررت أن أفتح جسده لكي أرى أعضاءه هل هي ميتة أو لا؟ لكن لوهلة تراجعت عن قراري لا أرغب بتشويه الجسد المثالي الذي حتى بدون أي شمع أو سائل تحنيط ما زال خالياً من التعفن لماذا أفسده أنا؟ لكن هل علي أن

أخرجه من التابوت؟ أين أضعه؟ إنه بدون ملامح أخشى أن يخيف الآخرين كما أخافني بالطبع، لا بأس اليوم سأبقيه في التابوت وغداً سأرى ماذا أفعل بشأنه، أغلقت التابوت عليه وخرجت من الاستديو عدت إلى القسم الرئيس للقصر دخلت غرفتي وقمت باستكمال كتابة كتابي بعدها لم أشعر بالوقت عندما رفعت رأسي رأيت أن الساعة أصبحت الواحدة بعد منتصف الليل لذلك قررت التوجه إلى السرير رفعت هاتفي وأنا مستلقٍ على السرير رأيت أن ثيا لم تتصل بي اليوم لا بأس لا بد أنها مشغولة بهؤلاء المجانين خاصتها لذلك أغلقت الهاتف وأغمضت عينيّ..

«أنفاسي ضيقة أشعر بالاختناق الرهيب! الحرارة تأكل جسدي هناك رائحة غريبة ليست كريهة لكنها مزعجة جدّاً، الهواء معدوم والأكسجين لا يعرف هذا المكان لكن ما هذا المكان؟ وأين أنا؟ فتحت عينيّ لأجد نفسي في مكان وكأنه خندق ضيق مظلم نوعاً ما العرق يتصبب مني كالشلال علمت بأن هذا كابوس لكن لماذا أشعر بأنه واقعي لهذه الدرجة؟ تقدمت بخطوات متعبة ونفس يكاد أن ينتهي في أي وقت لا أعلم أين أذهب لكنني سمعت فجأة أصواتاً عديدة للناس يتحدثون أو لا، هم يقومون بغناء وكأنها تهويدة وبلغة غريبة لا أفهمها وصلت إلى المكان الذي تخرج منه الأصوات كان هناك مجموعة من الناس يرتدون الأسود وأغطية على رؤوسهم كانوا مجتمعين حول شيء ما أو حول شخص كان هذا الشخص مستلقياً على بطنه وكان لا يرتدي

إلا بنطالاً كان هناك اثنان يرسمان أشياء على جسده مثل الوشم فجأة بدؤوا بالصراخ والنياح وضرب أنفسهم وكأنهم جماعة دينية استمروا بضرب أنفسهم بشكل مروع وهم يصرخون حتى سالت الدماء من أجسادهم!! وأخيراً بعد أن انتهوا قاموا بحمل شفرات حادة وفي منظر بشع قاموا بقص أصابعهم والآخرون قاموا بإخراج أعينهم سالت الدماء في كل مكان حتى سقطوا أرضاً واحداً تلو الآخر وعمّ الهدوء! بقي فقط ذلك الرجل المستلقي على بطنه وما زال الاثنان الواشمان يضعان له الوشم حتى توقفا عن الرسم وقاما بالتقاط بعض الدماء والأصابع والأعين ووضعها في وعاء حديدي كنت أعلم بأنهما سيقدمانها لذلك الرجل لكنني لا أستطيع رؤية وجهه وعندما كنت مرعوباً ومدهوشاً ومصدوماً ومنسجماً في هذا المشهد الذي وكأنه من فيلم رعب توقف الاثنان ونظرا إلي بطريقة مرعبة يا إلهي هل يريانني؟ أليس هذا كابوساً؟ نبض قلبي بشدة تراجعت للخلف بهدوء ورعب وهما ما زالا ينظران إلي مباشرة وذلك الرجل ما زال مستلقياً ثم اصطدمت بشيء ما وأنا أعود للخلف التفت بهدوء ورعب إذ أراه هذا الرجل إنه الجثة بلا ملامح أمسك برقبتي وعلقني ورفع جسدي عالياً وأنا أنازع حتى قبل موتي بثانية شهقت واستيقظت أخيراً من أطول كابوس أراه بحياتي..

كان السرير يكاد يغرق من العرق جسدي يرتعش بأكمله أنفاسي تحتضر، يا إلهي ما هذا الكابوس الغريب؟ طوال حياتي وأنا أهتم بالجثث والموتى وأعيش معهم لكن لم أرَ أي كابوس

مخيف ومروع بهذا الشكل كابوس كاد أن يقتلني وأنا نائم لقد عانيت من أمراض نفسية وهلوسات طوال حياتي لكن لم يسبق لي أن أرى كابوساً بهذه الواقعية؟

هل لهذه الدرجة تلك الجثة بلا ملامح أثرت فيَّ؟ حسناً هذا من الممكن لأنني أفكر بها كثيراً سأحاول أن أهدأ سأهدأ بالطبع بعد أن أتناول أدويتي، التقطت علبة الأدوية وابتلعت ما يقارب ست حبات من الأدوية المختلفة كان قد سبق وتوقفت عنها عندما تحسنت لكن الآن على ما يبدو سأعود إليها، شربت قارورتي ماء كاملتين وكأنني كنت في صحراء لمدة خمس ساعات كان الجو حاراً جداً في الغرفة هل انتقلت الحرارة من الكابوس إلى هنا معي؟

- أليكسا قومي بتشغيل التكييف

- حسناً يا سيد

قامت أليكسا بتشغيل التكييف شعرت بأن روحي عادت إلي وتنفست أخيراً بشكل طبيعي، لكن هل أستطيع العودة إلى النوم؟ لم أنهِ تساؤلي حتى فجأة انفتح باب الغرفة!! نهضت مفزوعاً واعتدلت في جلستي نظرت إلى الباب لم يكن هناك أي أحد كان الباب مغلقاً بإحكام ولم ينفتح أبداً ولو مرة واحدة لكن الآن انفتح وحده كيف؟

- أبي؟؟ هل هذا أنت؟

سألت بتردد

لم أجد أي رد لذلك قررت سؤال أليكسا

- اليكسا هل هناك أحد خارج غرفتي؟؟

- لا يا سيد..

ارتحت قليلاً وضحكت على نفسي فهذه أول مرة في حياتي تخيفني جثة كيف يمكن أن أخاف من جثة وأنا الأب الروحي لهم؟ نهضت من مكاني وأغلقت الباب وعدت للسرير وهنا بدأ مفعول الأدوية بقوة بدأت أشعر بالنعاس الشديد والغثيان وأشعر بأن جسدي يحلق في الهواء الرؤية ضبابية طبعاً هذا مفعول الأدوية النفسية وأنا معتاد عليها بالطبع لكن الشيء الذي لست معتاداً عليه هو أنني قبل أن أغلق عينيّ رأيت في عكس المرآة أحداً ما يقف في زاوية الغرفة المظلمة لم يكن هناك وقت لكي ينبض قلبي لم يكن هناك وقت للفزع لأن النعاس سيطر على عينيّ وغرقت في نوم عميق شكراً للنوم لأنه أنقذني من هذا الفزع..



«الضيـــف»

ثيـــا..

لا يوجد شيء أسوأ من عيش حياتك وأنت ميت! ميت على قيد الحياة هذا ما كنت أشعر به طوال الوقت خصوصاً بعد أن مات أخي بتلك الطريقة البشعة بسببي شعرت من بعدها أن عجلة الحياة توقفت عن الدوران وأن لدي هدفاً واحداً لأجل الاستمرار في هذه الحياة والعيش من أجله وهو القبض على «الكابوس»..

ارتديت ملابس عملية خفيفة مع معطف أسود قمت بربط شعري إلى الأعلى يحب ظل أن يكون شعري دائماً منسدلاً لكن لا بأس أنا ذاهبة الآن إلى مغامرة صغيرة لكي أبحث عن الحياة الحقيقية لإحدى مرضاي لو علم ظل بذلك فسيغضب ولن يسمح لي بالذهاب، رن هاتفي وكان صديقي المحقق «هاري»:

- هل أنت بالأسفل؟

- نعم ثيا لقد وصلت

- حسناً أنا قادمة الآن..

خرجـت مـن الفنـدق متوجهـة إلـى منـزل الفتـاة «أيـلا» منزلها الـذي كان يقـع فـي حـي يعتبر مـن أخطـر الأحيـاء فـي هـذه المدينة لكن جميع المهاجرين مضطرون لعيش حياة كهذه،

- كم يبعد المكان؟؟

سألته

أجاب وهو يستعين بفتح قوقل ماب:

- امم يظهـر هنا تقريبـاً ثلاثون دقيقـة ليس بعيـداً بما فيـه الكفاية إذا لم يكن هناك ازدحام، هل ترغبين بقهوة؟؟

- حسناً لا بأس دعنا نتوقف عند أقرب مقهىً..

- حسناً..

- كيف حال «ظل»؟؟

سألني وهو يناولني كوب القهوة

- إنه بخير يقضي معظم أوقاته بين عوالمه الخاصة

- تهانينا وبلغيه تحياتي ومباركتي بمناسبة نيله درجة الدكتوراه

- شكراً، بالتأكيد سأخبره تحياتك

وصلنـا أخيراً إلـى ذلك الحي ومـا أن دخلنـا كان حقّاً وكأنه عالم آخر أو عالـم موجود لكـن أنـا والكثيـر لا نعرفه عالـم الفقر.. الفقر عالـم مرعـب لنكـن صريحين أيضـاً مثلمـا الغنـى عالم مرعـب أيضاً كل عالم لـه جوانبه المرعبـة الفرق أن الفقـراء لا يوجد لهـم خيارات

او اختيارات عديدة فهم يلجؤون لأي شيء ليكسبوا لقمة العيش وهذا بالطبع ليس مبرراً إلا أنه حقيقة لا فرار منها، كل شيء سيئ نجده هنا علناً حتى الشرطة تخاف أن تدخل إلى أحياء مثل هذه كل شيء ممنوع متوفر وكل شيء غير مرغوب يصبح مرغوباً، ونحن نسير على الطريق بهدوء بسبب انتشار الناس على الأرصفة والشوارع كان الجميع ينظرون إلى سيارتنا وكأنها أجمل وأحدث وأنظف سيارة دخلت إلى الحي أو أنهم ينظرون إلينا لأننا غريبان بالنسبة لهم، بالطبع هاري لم يجلب سيارة الشرطة لأننا سنموت فور دخولنا طرف الحي، وصلنا أخيراً إلى الموقع كان المنزل يقع في زقاق ضيق متعفن يملؤه الكثير من القمامة في كل جانب نزلت من السيارة وأنا أنظر يميناً ويساراً الجدران متهالكة الأرضية متسخة لم نكن نعرف أي منزل بالضبط بسبب التصاق المنازل بعضها في بعض، لذلك اضطررنا إلى السؤال رغم أننا كنا متوقعين أننا لن نحصل على أي مساعدة من هؤلاء الناس لكن بعد أن شاهدنا امرأة عجوزاً تحمل بعض الخضار في يدها خارجة من أحد المنازل قلنا من الممكن أن تساعدنا لذلك اتجه هاري بهدوء وبشكل طبيعي إليها:

- مرحباً يا عمتي كيف حالك؟؟

نظرت إليه السيدة العجوز من الأعلى حتى الأسفل ثم نقلت نظرها نحوي وتفحصتني بالطريقة نفسها بالطبع تعرف أننا لسنا من هذا الحي ثم قالت بحدة:

- أنا لست عمة أحد ماذا تريد؟ قل ما لديك بسرعة..

- أوه حسناً أعتذر أيتها السيدة، لكن أرغب بسؤالك عن هذه الفتاة تدعى «أيلا» أريد أن أعرف أين منزلها؟؟ أي واحد هو من بين هذه المنازل؟!

سأل هاري وهو يريها صورة أيلا، تفحصت العجوز الصورة ثم ارتعشت فجاءة وعبست ملامحها أكثر:

- أنا.. أنا لا أعرفها ابتعد عن وجهي..

قالت بتلعثم كاذب وهي تسير مبتعدة بسرعة لكن هاري لحق بها ووقف في طريقها:

- أرجوك يا سيدة تعاوني معنا أخبرينا فقط أين هو منزلها ولا أرغب بأي معلومات أخرى؟؟

- أخبرتك لا أعرف هذه الفتاة ابتعد فوراً عن وجهي واخرج من هذا الحي قبل أن تهلك..

كانت ستسير مبتعدة لكنني قررت أنه حان وقتي في التدخل رغم أن هاري أخبرني أن لا أتدخل في شيء لكن من المستحيل أن أتركها تذهب بدون أن تخبرنا أين المنزل وقفت في وجهها بابتسامة:

- أعلم بأنه لا يهمك اسمي لكن أنا «ثيا» وأنا أخصائية نفسية أتيت إلى هنا لكي نعرف حقيقة تلك الفتاة لأنه إذا لم تكن هي القاتلة سيكون القاتل طليقاً ولا يزال بالطبع هنا لقد قتل خمسة أشخاص في دقائق معدودة وأخفى جثثهم

باحترافية أتعرفين؟ أنتِ جارتها بالتأكيد من الممكن أن يكون دورك في أي وقت علاوة على ذلك تعرفين جيداً أن القاتلين يأخذون راحتهم في هذه الأحياء لأنه ببساطة الجرائم هنا كثيرة والسكان لا يساعدون الشرطة،، ثم ألقيت نظرة على منزلها واسترسلت في حديثي:

- أرى أيضاً أنك لا تعيشين وحدك ألا تخافين على الأشخاص الذين تحبينهم؟؟

رأيت التوتر في ملامحها رغم أنها كانت تحاول أن تخفيه:

- ومن يهتم؟؟

سألت

- ماذا؟؟

- أقصد ومن يهتم بنا إن تم قتلنا هنا في هذه الحاوية؟ لا أحد يهتم أيتها الآنسة الجميلة لذلك سواء ساعدنا الشرطة أو لم نساعد لا أحد يهتم أنتِ لا تعلمين كم شخصاً يموت في هذا الحي في اليوم الواحد! نحن نعيش على هذه القاعدة ننام ونستيقظ ونحن متوقعون أننا سنموت اليوم وهكذا، لذلك لا تمثلي أنك مهتمة بنا لكن على كل حال لست خائفة لأن القاتل طليق لأنني أعرف جيداً أنه ليس طليقاً أو ربما.. سكتت قليلاً وكأنها كانت خائفة من شيء!!

- أو ربما ماذا؟؟

سألتها باهتمام

- لا أعرف شيئاً لكن حسناً ذلك المنزل الأخير على اليسار ذو الباب الأرجواني هو منزل تلك الفتاة الملعونة هي وعائلتها..

- لحظة لماذا قلتِ ذلك؟ هذا يعني أن أيلا كانت تعيش مع عائلة أليس كذلك؟ هل رأيتهم كم عددهم؟؟

- هذا يكفي لقد ساعدتكما بما فيه الكفاية أنا لدي عمل وداعاً

غادرت العجوز وتركتنا حائرين تركت أسئلتنا بدون أجوبة:

- من الجيد أنها أخبرتنا عن المنزل كيف يمكنك أن تتوقعي أن تجيب عن أسئلة أخرى؟

قال هاري وهو يصب نظره على منزل أيلا

- هذا يعني أنها كانت محقة لدى أيلا عائلة

- نعم وأنتِ لم تخبريني بذلك

قال هاري بغضب لأنني أخفيت عليه هذه المعلومة:

- أرجوك لا تغضب لم أكن أريد أن أخبرك بشيء لست متيقنة منه أيلا مشوشة جداً وكانت تقول مليون معلومة ثم إنها هي وعائلتها غير مسجلين في النظام القانوني ولا في أي مكان آخر وكأن ليس لهم وجود لذلك لم أخبرك بهذا،،

- حسناً إذا دعينا ندخل إلى المنزل لنرى هل سنحصل على أجوبة أو المزيد من الأسئلة..؟

وصلنا إلى باب المنزل كان المنزل يبدو وكأنه صندوق صغير يكفي لشخصين بالكثير ولكن كان يعيش فيه حوالي ستة أشخاص فتح هاري الباب لم يأخذ مجهوداً لأنه متهالك فاحت روائح غريبة وكريهة أخرج هاري مسدسه احتياطاً ورغم أنه أشار لي بالبقاء بالخارج حتى يؤمن المكان إلا أن فضولي لا يستمع أبداً ودخلت ملتصقة في ظهره، كان المدخل عبارة عن ممر ضيق مظلم من الجيد أن نور الشمس يصل إلى داخل المنزل سرنا في الممر الصغير وصلنا لأول باب وعلى ما يبدو أنها غرفة فتح هاري الباب بهدوء وهو يوجه مسدسه بإحكام وتركيز إلى الأمام انفتح الباب وأصدر صريراً مزعجاً، كانت غرفة صغيرة يوجد بها خزانة متهالكة الجدران متهالكة ومتسخة كانت هناك بقع دم في كل مكان شقوق الجدران الغريبة التي تمتد من السقف وحتى الأرضية، يوجد فراشان رثان مفروشان على الأرض وكان هناك صندوق أطفال ممتلئ بالألعاب! دخل هاري وهو يتفحص الغرفة بعينه ثم قال:

- لا تلمسي شيئاً على ما يبدو أننا سنضطر لإحضار الشرطة هنا والطب الشرعي..

أما أنا فكنت وكأنني منومة مغناطيسياً أسير بهدوء في الغرفة أراقب وأتفحص هذه الجدران الغريبة نظرت إلى صندوق الألعاب هل كان لديهم أطفال؟ أشقاء أيلا أصغر منها ألهذا

استطاعت أن تقتلهم بسـهولة؟ هـذا بالطبـع أحد التوقعـات توجهت إلـى الخزانـة كانـت خزانـة ملابـس وضعت يـدي علـى الباب لكن قبل أن أفتحها مسك هاري يدي:

- هل أنتِ مجنونة؟ أخبرتك ألا تلمسي شيئاً..

- يجب أن نفتحها

قلت بحزم وعدم مبالاة

- حسناً أنا من سيقوم بفتحها تراجعي قليلاً

فتح هـاري باب الخزانـة بهدوء لكـن كانـت فارغة ويوجـد بها بعض الملابـس التـي وكأنـه مضـى عليهـا زمـن طويـل لـم نلمـس شيئاً حتى نحـاول أن نحافـظ على الأدلـة رغـم ذلـك أردت حقّـاً أن أتفحصها لكن لن أستطيع بسـبب وجـود هـاري، خرجنا مـن الغرفـة الأولى وجدنا باباً آخـر وكان البـاب الثانـي والأخيـر لأن المنزل فقـط ممر صغيـر وغرفتان ومطبـخ صغير جـدّاً أمـام أعيننـا وحمـام بجانبه، فتح هـاري بـاب الغرفة الثانيـة أصـدر صريـراً مرعبـاً هبت منهـا رائحـة قويـة جعلتنا نضع أيدينا علـى وجهينـا كانـت الغرفة علـى عكـس الغرفـة الأولـى كبيرة ومظلمة جدّاً كان هناك نافذة لكنها كانت مغطاة بورق على ما يبدو!

- لحظة دعيني أبحث عن مفتاح الإضاءة أظن أنه هناك..

قـال هـاري وهـو يتوجـه بهـدوء للمفتـاح مستعيناً بضـوء فلاش هاتفـه كبـس هـاري علـى مفتـاح الإضـاءة لكـي تنيـر الغرفـة وهنا كانت المفاجأة!!

كل جدران الغرفة عبارة عن فن كتابي ورسم كانت الجدران بشكل مزدحم ومبالغ فيه بكتابات ورموز ورسومات غريبة. الكتابات كانت بلغة غريبة أغلبها بالخط الأسود والأخرى بالواضح أنه ليس لوناً أحمر إنما بالدم! الكتابات والرسومات تمتد من الجدران وحتى السقف ويبدون مبالغة حتى الأرضية لا يوجد مربع صغير فارغ ولا مساحة بحجم النقطة حتى فارغة. الكتابات والرسومات مزدحمة لدرجة الاشتباك بعضها ببعض لكن في الوقت نفسه منظمة وكأنها في دفتر أو كراسة رسم كانت ليست فارغة ولا يوجد بها أي شيء أبداً هناك نافذة لكنها مغطاة أيضاً مكتوب عليه الرموز والرسومات أنفسها:

- هذا أغرب شيء أراه في حياتي

قالها بفم مفتوح وعينين جاحظتين وملامح مصدومة

- حقاً؟

قالت ببرود وأنا أتقدم نحو أحد الجدران

- لماذا؟ أعلم بأنك تقضين معظم حياتك مع هؤلاء المختلين لذلك أنتِ معتادة على الأشياء الغريبة لكن ليس بهذه الدرجة أليس كذلك؟؟

- لأكون صريحة معاك بالطبع هذا الشيء الذي أمامنا غريب جداً ومرعب أتساءل من كتب كل هذه الأشياء ورسمها؟ علاوة على ذلك إذا قلنا إن أيلا وعائلتها سكنوا في هذا المنزل منذ شهر واحد فقط فهل استطاع من فعل ذلك

كتابة ورسم كل هذا في شهر؟ أشعر بأنه يأخذ وقتاً طويلاً أكثر من شهر بكثير..

- أنتِ محقة لكن كل شيء غريب هنا هل تعرفين ما هذه اللغة؟؟

سألني هاري وهو يخرج هاتفه يحاول أن يستعين بمترجم قوقل إذا وجد أصلاً فيه هذه اللغة..

- لا أتوقع يا سيد هاري أنك ستجد لغة هكذا في المترجم خاصتك وفر جهودك..

- إذاً يجب علينا الآن أن نحضر محلل لغة ورسومات لكن صعب جداً أصلاً أن تدخل الشرطة إلى هذا الحي ولا أظن أنهم سيتعاونون معنا..

قال بيأس

- ألهذه الدرجة الشرطة جبانة؟؟

قلت بسخرية

- ليسوا فقط جبناء وأيضاً هنا حدود وقانون على هذه الأحياء يفرضها ذوو السلطة مثل العصابات الكبيرة لتجار المخدرات أو تجار أعضاء البشر حتى هؤلاء الناس سلطتهم أقوى من سلطة الحكومة للأسف لذلك هم يرفضون دخول أي أحد إلى مملكتهم الخاصة..

- إذاً سأقوم بتصوير هذه الجدران كلها..

- هذه خطة جيدة

نمت بتصوير جميع الجدران والأرضية والسقف وحتى الأوراق على النافذة بعد أن انتهينا شعرنا أن هناك أحداً يراقبنا:

- هل سمعت ذلك؟؟

سألت هاري

- نعم إنهم من الحي بالطبع انظري الساعة الآن الثانية مساء يجب أن نخرج قبل أن يحل الليل وإلا فلن نستطيع الخروج من هنا..

- حسناً هيا بنا

ونحن في طريقنا للخروج لفت نظري الحائط الذي يقع فيه الباب رأيت أن هناك شقاً كبيراً جداً رغم أن الرسومات والكتابة تملأ الحائط لكن الشق كان واضحاً جداً من كبره وضعت يدي عليه تحسست الحائط حتى لمست يدي شيئاً كان هناك خيط نحيل جداً وغير مرئي:

- انظر هاري

قلت لهاري وأنا ممسكة بالخيط النحيل:

- يبدو أن هناك فتحة سرية!! لكن انتظري

لم أترك هاري يكمل تحذيره وجملته إلا وسحبت الخيط ليسقط مربع من الطوب ثم مربع ثانٍ ثم مربع ثالث كشفت عن حفرة في الحائط صغيرة وكأنها خزنة نقود لكن كان يوجد بها صندوق صغير لونه أسود وبه رسومات تبدو طفولية أي إنه صندوق أطفال سحبت الصندوق الذي كان به بعض الغبار

وهاري يراقبني لم نستطع فتحه بعد أن سمعنا صوتاً قادماً من الخارج، وضعت الصندوق في حقيبتي وخرجنا مسرعين بعد أن وصلنا إلى الشارع رأينا رجلين عملاقين وجوههما مليئة بالندبات يقفان بجانب سيارة هاري ويتفحصانها:

- من أنتما؟؟

سأل واحد منهما بحدة وهو يلوك بفمه ذلك العود المصفر بين أسنانه

- أوه نعم نحن من منظمة هيئة حقوق الأطفال بسبب ما حدث مع الفتاة أيلا بالتأكيد تعرفانها أتينا للبحث عن كيف كانت تعيش مع عائلتها لأن الفتاة ما زالت لا تتحدث

كذب هاري بالطبع لأنهم لا يحبون الشرطة وما الذي سيفعله شرطي وحده ضد ألف شخص وأكثر يعيشون هنا؟..

- امم أرى ذلك تلك الفتاة وعائلتها لقد أتوا إلى هنا من شهر فقط لا أظن أنهم صنعوا ذكريات كثيرة لكي تستطيعا معرفتها ابحثا عن مكان حياتهم السابق ولا تعودا إلى هنا مرة أخرى

- حسناً هل من الممكن أن تبتعد قليلاً عن السيارة؟..!

قال هاري بتوجس

تراجع الاثنان إلى الخلف دخل هاري إلى السيارة أما أنا فكان فضولي يتمكن مني كالعادة:

- هل من الممكن أن تجيبني على سؤال واحد؟

قلت بثقة للرجل المخيف رغم أنه لم يرد علي لا هو ولا صديقه واكتفيا بالتحديق فيَّ بريبة لكنني كنت ثابتة لأنني بالطبع معتادة على تحديقات المختلين والمجرمين لم تعد تخيفني:

- كيف كانت أيلا وعائلتها أقصد كيف كانوا يتصرفون؟ هل كانوا طبيعيين أم لا؟!

سألت غير مبالية بهتافات هاري لي من نافذة السيارة

أجاب وهو ينظر إلى صديقه الذي كان مكتفياً بالصمت طوال الوقت:

- حسناً لأكون صريحاً ولكي لا تعودي إلى هنا مرة أخرى أيتها الجميلة ألا تعرفين أن الجميل هنا لا يعيش وأن البشعين هم من يعيشون؟ على ما أظن لذلك ماتت عائلة أيلا

قالها وهو يضحك، ثم استرسل في حديثه:

- لا نعرف أي شيء أخبرناك أنهم أتوا إلى هنا من شهر لذلك لم يكن هناك فرصة لنعرفهم ولم نقابلهم إلا عندما أتوا إلى هذا الحي يبحثون عن منزل لذلك قمنا بإرشادهم إلى هذا المنزل الفارغ بعد أن أخذنا بالطبع نفقة المنزل كانوا مهاجرين بالطبع لا أعرف من أي بلاد ولكن نحن هنا نؤوي المهاجرين لأننا طيبون..

- طيبون؟ أم أنكم تقومون باستغلالهم بشكل وحشي؟

سألته بشجاعة

أجاب ضاحكاً:

- أوه أنتِ صريحة جداً وشجاعة يجب أن تكوني ممتنة لي على الأقل لأنني تحدثت معك وأخذتِ من وقتي والآن خذي صديقك واخرجا من هنا لأنه إن غابت الشمس هنا فلن تستطيعا رؤية المخرج..

قال بخبث

- ثيا هذا يكفي هيا دعينا نذهب

فتح هاري النافذة وهو يهتف لي لم يكن لدي خيار آخر صعدت إلى السيارة وأغلقت الباب لكن قبل أن نتحرك طرق الرجل على النافذة رغم أن هاري أخبرني أن لا أنزلها لكنني أنزلتها:

- ماذا هناك ماذا تريد؟

- أريد أن أقدم لكِ معلومة أخرى لأنك جريئة تستحقين المساعدة

- وما هي؟

- والد تلك الفتاة هو الوحيد الذي كان يخرج من المنزل كثيراً وكان يقوم بتجميع أشياء غريبة أقصد مثل الأوراق وبعض الأحيان أقلام وحبر أيضاً بعض الحجارة التي لا أعرف في ماذا يستخدمها؟ وشيء غريب آخر الجميع هنا فقراء وعلى وشك الموت جوعاً من شدة الفقر والشيء الطبيعي البدَهي أن جميع المهاجرين الذين يأتون هنا أول

شيء يبحثون عنه هو العمل رب الأسرة وحتى الأمهات وحتى الأطفال الجميع يرغبون بالعمل لكي يسدوا جوعهم ومعيشتهم لكن ذلك الرجل عندما أتى لم يعمل لا هو ولا زوجته وعندما سأله أحد الأصدقاء إذا كان يرغب في العمل قال له إنه لا يريد أي عمل وهو وعائلته غير محتاجين لدرجة أننا قمنا بالشك أنه يملك كنزاً وكان بعض اللصوص يترددون إلى المنزل لسرقته لكن في آخر يوم خرجت الفتاة وكان كل جسدها مغطّىً بالدماء وكانت هذه المرة الأولى التي يراها فيها أغلب سكان الحي لأنه منذ قدومهم لم يرَهم أي أحد وكان الأب فقط هو من يخرج من المنزل وحتى عددهم لا نعرفه إذا كان لديه أربعة أطفال أو عشرة ولا أنصحك بالبحث عن المؤجر الذي أعطاهم المنزل لأنه هو الوحيد الذي رأى العائلة كاملة وقبض المال..

- لماذا أين هو؟؟

سألته

- إنه في الجحيم

قال ساخراً

- أقصد لقد مات، قتل في ظروف غامضة ونحن لا نستغرب من القتل هنا لأنه مثل شرب الماء وأي أحد سيموت بالقتل على كل حال

- وعندما خرجت أيلا من المنزل هل دخلتم بعدها؟؟

- أسئلتك كثيرة لكن سأجيبك كي لا تعودا إلى هنا مرة أخرى نعم دخلنا بسرعة لنرى ما الذي حدث لكن لم نجد أي شيء ولا أي أثر حتى لأشخاص آخرين وكان كل ما تردده تلك الفتاة المجنونة: سرق جثث عائلتي سرق جثث عائلتي! بعدها فقدت الوعي واتصلنا بالشرطة وأخذوها وهنا انتهت القصة رجاء لا تعودي مرة أخرى إلى هنا رغم أن كذبة صديقك كانت غبية وأنا أعرف أنكما من الشرطة لكن سأسامحكما..

كنا طوال الطريق ونحن في السيارة نسأل بعضنا بعضاً أنا وهاري مليون سؤال لكن بدون إجابة قام هاري بإيصالي إلى الفندق وقبل أن أنزل أوقفني:

- الصندوق..

- ماذا عنه؟

- يجب أن تسلميني إياه يا ثيا إنه دليل مهم للشرطة

- أرجوك يا هاري هل تظن أن الشرطة ستهتم أو تبحث عن الموضوع أصلاً؟

- نعم أعترف لكن هذا مخالف للقانون وإذا عرف رئيسي أننا ذهبنا إلى هناك بدون إذن منه أو مذكرة تفتيش وأخذنا بعض الأدلة سيكون عقابي الإيقاف..

- لم يكن ... ماذا سيعرف؟ لن يخبره أحد لا تقلق أعدك
... تفعل شيئاً مجنوناً وأي شيء أصل له سأخبرك ثق
... أحرك..

... بتردد

- ... لا أستطيع أبداً أن أفوز عليك منذ أيام الدراسة أنا
أستسلم

... ضاحكة بعد أن احتضنته:

- شكراً لك أراك غداً إذاً في المستشفى وداعاً..

... من السيارة ودخلت بسرعة إلى غرفتي كنت أشعر أنني
... جداً وأن رائحتي دماء مختلطة مع رائحة الموت تحممت
... طويلة بعدها خرجت شعرت بالارتياح سمعت صوت
... نبض قلبي ظننت أنه ظل لكن لم يكن وكانت أمي..

... من الحديث مع أمي كنت متعبة جداً لكنني لم أحتمل
... تجاه الصندوق أخرجته من حقيبتي وفتحته بكل سهولة
... مغلقاً أبداً، كان بداخل الصندوق دفتر صغير بني اللون
... وكانت هناك إسورة توحي بأنها إسورة خاصة للفتيات
... من الممكن أن تكون لأيلا أو إحدى شقيقاتها وضعت
الإسورة والصندوق جانباً فتحت الدفتر كان من الواضح أنه دفتر
... شخصية أول صفحة كتب فيها اسم «أيلا» مع رسومات
... صغيرة باللون الوردي فتحت الصفحة الثانية كتب فيها:

«سأكتب من اليوم ذكرياتـي لا أسـتطيع صنع ذكريات خاصة لي وجميلة مـع عائلتي بسـبب أن حياتنـا ليسـت جميلة ولا جيـدة نحن غير مسـتقرين ننتقـل مـن مدينة إلـى مدينـة مـن دولـة إلى دولـة من أرض إلـى أرض مـن بحر إلـى بحر مـن وطن إلـى وطن من القاسي أن لا يملـك الإنسـان وطنـاً وهـذا مـا نحـن عليـه، هربنا من وطننا الـذي كان لنـا مثـل الكابـوس حـروب أهليـة عصابـات فقر جوع تعذيـب أخذنـا والـدي لأننـا فتيـات والفتيـات لا يعشـن في ذلك الوطـن إمـا يتـم قتلهـن أو اغتصابهـن أو خطفهـن والمتاجـرة بهن، أحياناً أشـعر أن أبـي وأمي يشـعران بالنـدم لأنهمـا رزقا بفتيات فقط لكن لا، أمـي وأبـي أخرجانـا من ذلـك المـكان لكـي يحميانـا عبرنا الصحـراء والبحـار والأراضـي والجبـال لقـد كان معنا نـاس كثيرون في الهجـرة ومـات أكثرهـم لـم يتحمل البقيـة اختفـوا كنا ننام ونحن عددنـا عشـرون ونسـتيقظ نجـد عددنا عشـرة كان أبـي حريصـاً أن لا نختلـط مـع أي أحـد خوفـاً علينـا، عندمـا أخيـراً وصلنـا إلى هنا كنا سعداء شـعرنا بـأن كل شـيء سيتحسـن لكن لـم يكـن كذلك أبداً، قبـل دخولنـا إلـى هـذا البلـد وعلـى الحـدود كنـا وحدنـا حرفيّاً لم يصمـد أي أحـد لكـن عندمـا غرقنـا فـي النـوم واسـتيقظنا وجدنا شخصاً غريبـاً يقـف علـى رؤوسـنا فزعنـا جميعـاً وقـف أبـي وكان يحمل مسدساً وجهه نحو الرجل الغريب:

- من أنت؟

- لا تقلق أنا ضيف..

قال الرجل بهدوء

- ضيف؟ ضيف ماذا؟

سأله أبي

- اعتبروني ضيفكم

- ضيفنا؟ نحن حتى لا نملك منزلاً كيف تكون ضيفنا؟!

- لا بأس المنزل سيكون مني هدية..

قال الرجل

- منك! ومن أين؟

- تفضل

ناول الرجل أبي حقيبة سوداء فتحها أبي ليجد فيها رزماً من المال وورقة كتب فيها عنوان الحي ورقم المنزل والرجل الذي سنأخذ منه المنزل، بعد أن رفعنا رؤوسنا في لحظة كان الرجل قد اختفى تماماً، خافت أمي كثيراً من حقيبة المال وقالت لأبي إنه يجب أن نتخلص منها فحسب لكن أبي رفض وقال: كيف سنعيش هنا بدون مال ولا منزل ولا نملك أي شيء؟! لم يكن لدينا خيار آخر سوى أننا نأخذ المال والمنزل ونسكن فيه كنا نظن أن كل شيء سيكون عاديّاً وطبيعيّاً وحتى لو كان شيئاً خطراً توقعنا أن يكون رئيس عصابة أو تاجر غسيل أموال خصوصاً بعد أن سكنا في هذا الحي كان أبي مستعداً أن تداهم الشرطة منزلنا ويأخذوه إلى السجن لكن لم نكن نعلم أن ذلك الضيف كان أكثر بكثير من هذه الأمور وكان قد سحبنا إلى الجحيم..

قفز قلبي من مكانه عندما رن هاتفي وقاطع قراءتي للمذكرات كان المدير يتصل بي شعرت بالتوتر هل من الممكن أنه عرف عن شيء مما فعلته اليوم؟ لا بالطبع كيف علم بهذه السرعة؟ عندما أجبت اتضح أنه أراد إخباري بأن وزارة الصحة وافقت على نقل أيلا إلى العاصمة مدينتي وإلى المستشفى الذي أعمل به لذلك شعرت بالارتياح والسعادة أستطيع الآن أن آخذ أيلا إلى العاصمة وأستطيع أن أكثف لها الجلسات حتى أعرف قصتها كاملة لكن من هذا الضيف الذي ذكرته أيلا في المذكرات والذي منحهم كل شيء؟

وضعت المذكرة جانباً وفتحت الصور التي التقطتها والفيديوهات من منزل أيلا تعمقت بها لكن لم أفهم ما هذه اللغة ولم أفهم الرموز والرسومات البشعة المتقنة ضربت الفكرة في بالي نعم كيف يمكن أن أنسى أنا لدي خبير هذه الرسومات المظلمة «ظل» بالطبع يستطيع أن يفك شفرات هذه الرسومات غداً سأغادر مع أيلا وأعود للعاصمة وسأجعل ظل يرى كل هذه الصور واللغة أيضاً لربما يستطيع مساعدتي وبعدها أستطيع أن أجد أي خيوط عن حياة أيلا وعمّا حدث معهم لكن شعرت بالضيق والاختناق عندما تذكرت أن هناك شيطاناً آخر ينتظرني ذلك المراهق «كريستيان»..

«ما زلنا في بداية الطريق!

أي طريق؟؟

الطريق إلى الحلم، أو إلى الهاوية».



«الفصل الثامن عشر»

«ماريانـــــا»

«طوال حياتي أشعر بأنني أراقب العالم الخارجي من نافذة ولا أعرف كيف أخرج إليهم؟!..»

١٩٩٢ م..

- أبي هل هذا حجم القبر الحقيقي؟ أشعر وكأنه أصبح بئراً أنت من ساعة تحفر وعادة لا تأخذ كل هذا الوقت في حفر القبور؟

سألت أبي وأنا ممسك بقارورة المياه التي طلبها مني كانت الساعة الثالثة مساء كنت قبل قليل قد خرجت من المدرسة ولم نذهب إلى المنزل أحضرني أبي إلى المقبرة بسرعة، ليلة البارحة نمت في المقبرة بعد أن سمعت أبي يدندن ويغني للأموات بلغة غير مفهومة لكنني لم أرَه! واليوم أحضرني من المدرسة للمقبرة قال لأنه لا يملك وقتاً اليوم لديه عمل كثير أحضر لي ملابس وبدلت ملابس المدرسة رغم أنه قال لي أن آخذ قيلولة إلا أنني لم أستطع في كل مرة آتي فيها إلى المقبرة أرغب باكتشافها ولا أريد أن أفوت فرصة واحدة، منذ عودتنا من المدرسة وأبي يحفر

في هـذا القبر الضخـم استغربت لأنه عـادة في حفـر القبـور لا يأخذ كل هـذا الوقـت غيـر أن القبر عمقـه أصبح كالبئـر واكتشـفت أنه كان يحفـر فيـه مـن ثلاثـة أيـام ولـم ينتـهِ بعـدا! التقـط أبـي منـي قـارورة المياه بعد أن تسـلق هـذا القبـر العميق وخـرج منه وهـو متعـب كليّاً شرب قارورتين من المياه وهو يتجاهل سؤالي قال وهو يلهث:

- لماذا لا ترتاح قليلاً يا بني لكي تذاكر دروسك في ما بعد؟
- لا بـأس أنـا بخيـر ولا أشـعر بالنعـاس لكن مـاذا عنـك؟ أنت من يجب أن يرتاح انظر لنفسك تبدو متعباً جدّاً..
- أنا بخير لا تقلق هذا عملي وأنا معتاد
- لكن يا أبي هل هذا قبر؟؟

كررت السؤال مرة أخرى

أجـاب وهو ينـزل إلـى قـاع هـذا القبـر الـذي كان أعمق قبر أراه في حياتي:

- نعم إنه قبر وهو قبر مختلف..
- قبر مختلف!؟ لماذا يا أبي هل سيتم دفن شخص عملاق هنا؟؟

رد وهو يضحك:

- ربما، لكن لا ليس كذلك هذا هو طلب عائلة الميت..
- غريب لماذا يريدون أن يدفنوا قريبهم في قبر كهذا؟؟

أجاب ببرود وهو مستمر بالحفر:

- ربما يخافون أن يخرج منه لذلك قرروا أن يدفنوه في قبر عميق..

أصبت بقشعريرة تسري في جسدي عندما سمعت كلمات أبي هذه كنت أعلم بأن أبي قليل المزاح إنه لا يمزح أبداً لذلك دائماً ما يقول كلماته بشكل جدي:

- يخرج!؟ لكنه ميت والأموات لا يخرجون من القبور..

توقف عن الحفر ورفع رأسه ونظر إلي بتعابير غريبة لربما تكون مرعبة لكنني لا أخاف من أبي لأنه لا يخيفني أبداً ولا يريد أن يفعل ذلك ثم قال:

- غداً عيد ميلادك يا ظلي ستصبح بعمر سبعة أعوام لهذا سنبدأ بتعليمك بعض الدروس..

- دروس؟ دروس ماذا؟؟

سألته بتعجب

- ألست طوال الوقت تطلب مني المساعدة في الحفر للميت ودفنه وغسله؟ ليس هذا فقط سنغني أيضاً للأموات معاً وكلما كبرت أكثر سنعلمك عن هذه الأمور أكثر..

شعرت بسعادة في قلبي فبدأت بالقفز وأنا أردد:

- أحبك أبي أحبك، كان أبي مستمراً بالحفر ويضحك وفجأة وأنا أقفز وأرقص فردت قدمي وسقطت في القبر! رمى أبي بالمجراف وركض نحوي:

- يا إلهي هل أنت بخير؟ أخبرتك ألا تقترب لكنك لا تستمع إلي أبداً

لم أصبْ بأذىً، فقط بعض الخدوش في يدي وقدميّ، كانت تؤلمني لكنني لم أبكِ لأن أبي أخبرني ذات مرة أن الصبيان لا يكون، كنت أريد أن أثبت له أنني أستطيع تحمل هذا العالم:

- أنا بخير يا أبي لا تقلق..

- حسناً دعني أرَ، بدأ أبي بتفحص جسدي وأنا نسيت الألم وكنت منشغلاً بالتأمل في هذه الحفرة المظلمة رفعت رأسي إلى الأعلى أقيس طول وعمق الحفرة كانت الشمس بعيدة وعلى وشك الغروب علمت بأن هذه الحفرة عميقة جدّاً ولم يتوقف أبي أيضاً عن الحفر:

- حسناً لا بأس أنت بخير الآن دعني أحملك سنخرج وأضع لك بعض مطهر الجروح يجب أن تغتسل من جديد وبعدها ستذاكر دروسك اتفقنا؟..

يتحدث أبي وأنا بدوت وكأنني منوم مغناطيسيّاً أتأمل هذا المكان ثم سألته:

- أبي متى ستتوقف عن الحفر؟ ألا يكفي هذا العمق؟

أجاب وهو يحملني على ظهره:

- طلبوا مني أن أحفر حتى يصل بعمق ماريانا

- ماذا؟ ما هذه ماريانا؟

ضحك وهو يقول:

- لن تعرفه الآن إنه عالم عميق وهو أعمق نقطة على هذا الكوكب ستعرفه إذا كبرت..

[illegible]

[illegible]

***

[illegible]

[illegible]

- ولماذا إذا كبرتِ؟ للتو أخبرتني أنك ستبدأ بتعليمي كل شيء؟
- نعم للتو لكن لم تأتِ حتى الساعة الثانية عشرة وتدخل في عمر جديد أنت متعجل جداً لا تسمح للعجلة بأن تعيقك لأن الإنسان العجول لا يفلح في أي شيء في حياته والآن اذهب واغتسل لكي أعالج خدوشك بعدها ذاكر دروسك مبكراً حتى نستعد لليوم الجديد وهو يوم ميلادك ومن تلك الليلة سنعلمك على كل شيء..

إلى الآن لم أعرف ولم أركز وقتها لماذا أبي كان يتحدث عن نفسه بصيغة الجماعة؟

***

٢٠٢٣ م

فتحت عينيّ أشعر بأن رأسي على وشك السقوط أشعة الشمس تتسلل إلى أعماق الغرفة جسدي ثقيل لم أستطع أن أتحرك لا يميناً ولا يساراً روحي بحد ذاتها مثقلة هل هذا الجاثوم؟ لا أعتقد فأنا أعرف الجاثوم حق المعرفة أنا وهو عشرة عمر بيننا لذلك أعرفه تماماً هذا فقط يبدو أنني سأمرض هل هذا كله تأثير ذلك الكابوس المزعج الذي رأيته بالأمس؟ عندما تذكرت الأمس سقط قلبي من مكانه نظرت إلى زاوية الغرفة عندما تذكرت أنني أمس قبل أن يغشاني النوم لمحت شخصاً ما يقف في الزاوية لكن الآن لا يوجد أي أحد بالطبع ما خطبي هل وصلت للهلوسة؟ الآن أنا أعرف لماذا جسدي يبدو مريضاً من

- ولماذا إذا كبرت؟ للتو أخبرتني أنك ستبدأ بتعليمي كل شيء؟

- نعم للتو لكن لم تأتِ حتى الساعة الثانية عشرة وتدخل في عمر جديد أنت متعجل جداً لا تسمح للعجلة بأن تعيقك لأن الإنسان العجول لا يفلح في أي شيء في حياته والآن اذهب واغتسل لكي أعالج خدوشك بعدها ذاكر دروسك مبكراً حتى نستعد لليوم الجديد وهو يوم ميلادك ومن تلك الليلة سنعلمك على كل شيء..

إلى الآن لم أعرف ولم أركز وقتها لماذا أبي كان يتحدث عن نفسه بصيغة الجماعة؟

***

٢٠٢٣ م

فتحت عينيّ أشعر بأن رأسي على وشك السقوط أشعة الشمس تتسلل إلى أعماق الغرفة جسدي ثقيل لم أستطع أن أتحرك لا يميناً ولا يساراً روحي بحد ذاتها مثقلة هل هذا الجاثوم؟ لا أعتقد فأنا أعرف الجاثوم حق المعرفة أنا وهو عشرة عمر بيننا لذلك أعرفه تماماً هذا فقط يبدو أنني سأمرض هل هذا كله تأثير ذلك الكابوس المزعج الذي رأيته بالأمس؟ عندما تذكرت الأمس سقط قلبي من مكانه نظرت إلى زاوية الغرفة عندما تذكرت أنني أمس قبل أن يغشاني النوم لمحت شخصاً ما يقف في الزاوية لكن الآن لا يوجد أي أحد بالطبع ما خطبي هل عدت للهلوسة؟ الآن أنا أعرف لماذا جسدي يبدو مريضاً من

كمية الحبوب التي ابتلعتها ليلة البارحة نهضت بثقل مريب أشعر بأن هناك شخصاً ما معلق على ظهري اعتدلت في جلستي جسدي يتعرق بسبب الأدوية نظرت إلى الساعة صعقت تماماً كانت الساعة الثانية عشرة ظهراً! أنا لا أنام كل هذا الوقت وكل هذه الساعات مستحيل طوال السنتين الأخيرتين كنت أعاني من أرق مزمن ورغم جهود ثيا وطبيبي الآخر إلا أنه بدون فائدة لم يستطيعا أن يمحوا هذا الأرق خلال سنتين وأنا أنام فقط في اليوم الواحد أربع ساعات لا غير وأغلب الأيام بدون نوم حرفيّاً، والآن نمت من الساعة الحادية عشرة مساء حتى الساعة الواحدة ظهراً!؟ هل هذا تعويض عن عامين من الأرق؟

شربت بعض الماء مع فوار بنكهة الليمون لكي أستعيد وعيي تدريجيّاً حتى أخيراً بعد جهد وصلت إلى الحمام وغطست في حوض الاستحمام لمدة ساعة كاملة، بعد أن شعرت بأنني بخير كليّاً ارتديت روب الحمام وخرجت لأجد مئة رسالة من إدارة الجامعة لأنني لم أقدم عذراً بسبب غيابي علاوة على ذلك كان اليوم يوجد أحد سفراء الفنون والثقافة في البلاد لكن لست مهتمّاً ويبدو حتى جسدي غير مهتم لذلك قرر أن يريحني اليوم، كتبت خطاب عذر سريعاً وأرسلته رميت بالهاتف على السرير وتوجهت إلى خزانة الملابس لا أعتقد أنني في وضع يساعد كي أخرج اليوم لن أذهب إلى أي مكان ارتديت قميصاً أبيض خفيفاً وبنطالاً قطنيّاً حتى سمعت صوت أليكسا:

- حسناً اظن انه قد أتت السيدة نوري للتنظيف إنها تقف عند منزلنا..

- حسناً أدخليها..

- حاضر

خرجت من الغرفة ونزلت إلى الأسفل لتستقبلني السيدة نوري فاليوم هو يوم التنظيف إنها تأتي مرتين في الأسبوع وهي بالطبع تقوم بتنظيف هذا القسم من القصر فقط:

- مساء الخير سيد ظل كنت أظن أنك لست موجوداً؟

قالت وهي تخلع معطفها

- مساء النور أوه نعم لقد أخذت إجازة لأنني كنت متعباً قليلاً

- حقاً هل أنت بخير؟

سألت باهتمام

- نعم بخير لا تقلقي ابدئي بالعمل لكن قبل ذلك قومي بتجهيز وجبة لأبي عندما تنتهين ضعيها له عند باب غرفته كالعادة

- حسناً بالتأكيد

السيدة نوري معتادة على هذا القانون منذ أربعة أعوام فهي حتى لو شاهدت شبحاً يطير في المنزل لا تتحدث أبداً وهذا ما

يجعلني أحبها إنها محترفة وغير فضولية ولا تحب أن تتدخل في شؤون الآخرين تعمل عملها وتخرج فقط، أما أنا فكنت متعجلاً أرغب برؤية وفحص هذه الجثة هذا يكفي فأنا لن أسمح لها بأن تسبب لي هلوسات وكوابيس لن أسمح لأي جثة بأن تتمرد علي جميع الجثث أنا من يملكها أنا المتحكم هنا وليس هم..

بعد أن صنعت لي كوب قهوة وشطيرة سريعة توجهت إلى الاستديو نزلت عبر السلالم الملتوية وخلال نزولي سمعت صوتاً! أسمع صوت شخص يتحدث أو يهمس لكن بشكل غير واضح! الصوت كان قادماً من الاستديو سرعت خطواتي حتى وصلت عند الباب فتحت باب الاستديو بهدوء وهنا صعقت مما رأيت من الجيد أنني تمالكت نفسي ولم أسقط كوب قهوتي ولا صحن الشطيرة كان التابوت واقفاً بشكل عمودي منذ وصول الجثة لم أقمْ بإيقافه أبداً وأنا واثق من هذا الشيء كالثقة من وجودي على هذه الحياة، كان التابوت في المنتصف وكأنه يقف بشموخ في منتصف الاستديو الدائري وكأنه يعلن سيطرته على عالمي! وضعت كوب القهوة وصحن شطيرتي على الطاولة تقدمت بهدوء نحو التابوت وقلبي ينبض بشدة هل قرر أن يستيقظ هذا الميت فجأة أم ماذا؟ مددت يدي وهي ترتعش نحو باب التابوت أمسكت بالباب فتحته أصدر صوتاً خفيفاً وهنا تنفست الصعداء عندما وجدت الجثة على حالها وما زالت نفسها بدون ملامح بالطبع لم يحن وقت الهروب على ما يبدو:

- ما مشكلتك معي؟

قت سخرية محدثاً تلك الجثة تأملته وهو واقف بدا لي
جسد وصحاً أكثر طولاً وكأنه من زمن العمالقة ضخم البنية
عريض المنكبين أتساءل ماذا كانت وظيفته وهو حي؟ مصارع!

- حسناً إذا كنت تحاول أن تخيفني فلن تنجح في ذلك

قلته وأنا أسحب الكرسي بجانب الطاولة جلست لكي
تكون الشطيرة وأحتسي قهوتي مقابلاً للجثة أنظر إليه أحاول أن
أفسر الأمور الغريبة التي حدثت لي منذ وصوله انتهيت من
تناول شطيرتي نفضت يدي ومسحتها بمنديل معقم والآن سنرى
ما مشكلته؟؟

أخذت نفساً عميقاً وأنزلت الجثة من التابوت حملته على
كتفي كان ثقيلاً جداً وضعته على طاولة التشريح لكن لن أعبث
بأي شيء، أخيراً وضعته وأنا ألهث جثة ثقيلة بدون وجه هذا
لم أكن أتوقعه أردت فقط أن أرى وأتحقق أكثر إذا كان غير
محنط أو إن تم وضع سائل خفي سحري له يقوم بحفظ الجثة
لا أعرفه. أمسكت بالجاكيت أولاً الذي كان يرتديه نزعته ثم
القميص الأبيض يجب أن أحتفظ بملابسه حتى أعرف مقاسه
كما أشتري له ملابس أخرى كالباقين وعندما نزعت قميصه
تفاجأت أنه يرتدي أيضاً تيشرت قطنياً أبيض داخلياً ما هذه
القطع كلها؟ من يحافظ على عورة شخص ميت؟ على أي حال
لن يراه أحد إذا وصل للقبر، نزعت له التيشيرت الداخلي ولله
الحمد كانت آخر قطعة ملابس بعد أن ظهر جسده أخيراً هنا
أصابتني صدمة مما رأيته!!

كان جسـد الرجل كلـه غارقـاً بالوشـم تمامـاً لدرجة أنـه لا توجد حتى مسـاحة صغيـرة فارغة كانـت الوشـوم تملأ جسـد هـذا الرجل مـن كتابات ورمـوز غريبـة مثـل التابـوت وباللغـة نفسـها رسـومات مخيفـة وبشـعة ومظلمـة، كانـت الوشـوم حرفيّـاً مـن كثرهـا تبـدو وكأنهـا رداء كامـل على جسـده وكأنـه يرتدي بدلـة سـوداء!.. قفزت مـن مكانـي عندمـا رن هاتفـي فجـأة شـعرت وكأن روحـي كادت أن تغـادر جسـدي تركـت الجثـة وتوجهـت إلـى الهاتـف عندمـا رأيت المتصل ثيا، كنتِ ستخرجين روحي يا ثيا:

- مرحباً يا عزيزتي

أجبت

- أهلاً ظل كيف حالك؟

- بخير ماذا عنكِ؟

- أنا أيضاً بخير بمجرد أنني سمعت صوتك

- آسف لأنني لم أتصل بك ليلة أمس

- لا تقلـق أساسـاً لقد كنـت مشـغولة جـدّاً أوه اتصلـت لأخبرك بأنني قادمة طائرتي بعد عشر دقائق..

- أخيراً لقد اشتقت لكِ كثيراً

- وأنا أيضاً

- ماذا عن الفتاة التي تعالجينها؟ هل نقلتِها لطبيب آخر؟؟

- لا.. سيتم نقلها إلى مستشفى العاصمة وستكمل العلاج والتحقيق هنا..

- هذا جيد إذاً أنتظر قدومك اليوم

- حسناً أراك في المساء وداعاً..

أغلقت الهاتف واحتسيت آخر رشفة في كوب قهوتي عدت مرة أخرى إلى هذه الجثة التي ستصبح شغلي الشاغل من اليوم أحضرت المجهر لأنه كانت هناك كتابات ورسومات صغيرة جداً أتساءل كم استغرقت معه هذه التحفة لكي يضعها على جسده هل هو ساحر؟ رغم أنني رميت بالسؤال ساخراً إلا أنني توقفت لوهلة ونبض قلبي عندما تذكرت الكابوس نعم لحظة ذلك الكابوس رأيت فيه شخصاً يقومون بوضع الوشوم له هل من المعقول أن يكون هذا الرجل نفسه؟ هنا أدركت وتأكد لي أن هذه الجثة ليست عادية ولا طبيعية هل من المعقول أيضاً أن هذه الوشوم هي من تساعده على حفظ جسده الميت لهذا السبب لا يتعفن؟! سؤال يتبعه سؤال بدون أي إجابات، بدأت بتفحص الوشوم كم وشماً يملك؟ ألفاً؟ أم أكثر؟ لفتت نظري كلمة كانت مكتوبة بلغة عامية أخيراً وأظن أنها الوحيدة كتبت بلغة طبيعية كانت الكلمة تقع أسفل رقبته وهي تعتبر بداية الوشوم لأن رقبته وكفيه ومدعس أقدامه الأعضاء الوحيدة الخالية من الوشوم تعتبر الأعضاء الظاهرة فقط للعلن لذلك لم يقمْ بوشمها بالطبع وجسده تغطيه الملابس كانت الكلمة مكتوبة بشكل مقلوب إذا رغبتُ في قراءتها يجب أن أقف بشكل عمودي باتجاه رأسه، نهضت من على

الكرسي ووقفت بشكل عمودي عند رأسه وهنا شعرت بأن الأرض تهوي بي عندما قرأت الكلمة كانت كلمة «ماريانا»!!!

مرت الذكرى السريعة عندما قال لي أبي هذا الاسم وحتى اليوم لم أنسَه ولم يخبرني أبي أيضاً عنه مرة أخرى لأنني نسيت أن أسأله عن هذه الكلمة وهو لم يخبرني عنها مجدداً عندما قال أبي كان أقارب الميت يريدون أن يكون عمق القبر كعمق ماريانا من تكون ماريانا هل هو اسم أصلاً؟ أو شيء ما؟ ما الذي كان يقصده أبي عندما قال كعمق ماريانا؟

أمسكت جهازي المحمول وكتبت في قوقل ماريانا ظهر لي بالطبع أسماء فتيات لكن بعد بحث قصير ظهر لي شيء مختلف: «خندق ماريانا»! خندق ماريانا ، أعمق نقطة في سطح الكرة الأرضية وتقع في غرب المحيط الهادي إلى الشرق من جزر ماريانا الشمالية. يبلغ طول الخندق حوالي ٢٥٥٠ كيلومتراً ويبلغ عرضه ٧٠ كيلومتراً وهو هلالي الشكل. يصل عمق أبعد نقطة في خندق ماريانا إلى حوالي ١١,٠٣ كيلومتراً تحت سطح البحر، يعد خندق ماريانا أحد أنظمة خنادق المحيط الهادئ الغربية. يتزامن النظام مع مناطق الاندساس أو مناطق التقاء صفيحتين تكتونيتين متجاورتين. يمتد الخندق على شكل هلال على طول خط العرض حوالي ١٥٧٨,٣ ميلاً (٢٥٤٠ كم). من المعروف أن تشالنجر ديب هو أعمق جزء من خندق ماريانا. تشالنجر ديب هو منخفض شديد الانحدار يشبه الوادي يقع على الخندق الرئيس، ويقع في الاتجاه الجنوبي الغربي لجزيرة غوام إن عمق

خندق ماريانا يزيد على ارتفاع جبل إفرست؟ لدينا بعض الحقائق الأكثر إثارة للاهتمام حول أعمق نقطة على وجه الأرض. بعد أن تقرأ هذه الحقائق، تحقق أيضًا من حقائق الحياة في خندق ماريانا والمحيط الهادئ.

شكل الخندق هلالي أو نصف دائري. يزيد ضغط الماء في خندق ماريانا بمقدار ١٠٠٠ مرة عن الضغط الجوي الطبيعي عند مستوى سطح البحر.

تشالنجر ديب هو أعمق جزء من خندق ماريانا. حصلت تشالنجر ديب على اسمها من سفينة HMS Challenger II التي تم أخذ سفينتها واستخدامها لاستكشاف وقياس خندق ماريانا. وفقًا للمسبار الياباني الذي قام بقياس تشالنجر ديب في عام ١٩٩٥، يبلغ عمقه أكثر من ٣٥٧٩٠ قدمًا (١٠٩٠٨,٨ أمتار).

هناك حقيقة أخرى مثيرة للاهتمام وهي وجود فتحات للمياه الساخنة في قاع المحيط بالخندق. تطلق هذه الفتحات معادن مختلفة مثل كبريتيد الهيدروجين الذي يعتبر غذاءً للبكتيريا المحبة للباروفيليك. تتغذى هذه البكتيريا عن طريق الميكروبات وتبتلع أسماك المحيط الميكروبات.

وكان الشخص الثالث الذي وصل إلى قاع خندق ماريانا هو مخرج الفيلم التاريخي تيتانيك، جيمس كاميرون. توغل مخرج الفيلم في أعماق خندق ماريانا في عام ٢٠١٢. وعاد ببيانات وصور وعينات علمية مختلفة.

حقيقة مثيرة للاهتمام حول العمق الكبير لخندق ماريانا هي أنه عميق بما يكفي ليكون خاليًا من رواسب الأنهار القريبة.

ووفقاً لفرق بحثية مختلفة، يعتقد أن عمر خندق ماريانا يزيد على ١٨٠ مليون سنة. ويعتقد أيضًا أن الخندق يعد من أقدم قيعان البحر في العالم.

يعتبر خندق ماريانا أيضًا أحد أبرد الأماكن في العالم. من المتوقع أن تكون مياه خندق ماريانا شديدة البرودة لأنه من المستحيل أن يصل ضوء الشمس إلى هذا العمق. درجة حرارة معظم المياه في خندق ماريانا أقل من ١ درجة مئوية (٨ , ٣٣ فهرنهايت).

يقال إن قاع المحيط في خندق ماريانا أصفر اللون قليلاً بسبب رواسب النباتات والحيوانات المتحللة، بالإضافة إلى الأصداف والهياكل العظمية للحيوانات.

في عام ٢٠١١، اكتشف علماء معهد سكريبس لعلوم المحيطات الأميبا العملاقة في خندق ماريانا. يبلغ قطر هذه المخلوقات حوالي ٤ بوصات (٢ , ١٠ سم).

الجزء المخيف هو أن هناك العديد من الأنواع الجديدة الخطيرة في خندق ماريانا. كما أن ضغطها الهائل يمكن أن يشكل تهديدًا لحياة الإنسان. ولذلك، فإن البحث البشري في خندق ماريانا هو أقرب إلى المستحيل.

الضغط الطبيعي الذي يشعر به الرجل عندما يكون على الأرض هو ١ ضغط جوي (٧٦٠ ملم) من الزئبق. يتم تداول دم

الإنسان بشكل صحيح تحت هذا الضغط الكبير. عندما نتعمق داخل البحر أو المحيط، نحتاج إلى ارتداء بدلة للتعويض عن الضغط الثقيل تحت البحر. ومع زيادة عمق سطح البحر، يزداد الضغط، ويلزم ارتداء بدلة أكثر سمكًا.

والحقيقة الخطيرة الأخرى هي أن خندق ماريانا هو موطن لأخطر الأنواع التي تعيش على وجه الأرض. على عمق أكثر من ٣٥،٧٩٠ قدمًا (١٠،٩٠٨,٨ أمتارٍ) تحت مياه المحيط، يوجد موطن لمخلوقات مختلفة غير معروفة؛ إن البقاء على قيد الحياة في ظل هذه الظروف الرهيبة والقاسية أمر نادر بالفعل.

حدث تكوين خندق ماريانا بسبب تحول وحركة القشرة الأرضية والتي بدورها شكلت تشكيل قاع المحيط.

إذا تمكنا من وضع أعلى جبل في العالم، جبل إيفرست، في أعمق نقطة في خندق ماريانا، تشالنجر ديب، فإن قمة جبل إيفرست ستظل على بعد حوالي ١,٢ ميل (٢ كم) تحت سطح البحر. الآن يمكنك أن تتخيل مدى عمق خندق ماريانا!

درجة حرارة خندق ماريانا إما شديدة الحرارة أو شديدة البرودة. عندما تكون درجة الحرارة باردة، تكون درجة الحرارة ١ درجة مئوية (٣٣,٨ فهرنهايت). ولكن الحقيقة المدهشة هي أن المياه يمكن أن تصبح ساخنة للغاية أيضًا بسبب الفتحات الحرارية المائية الموجودة في جميع أنحاء خندق ماريانا.

على الرغم من الظلام المروع، ودرجات الحرارة الشديدة الحرارة والبرودة، والوضع الحمضي في خندق ماريانا، فهو موطن لأكثر من ٢٠٠ كائن حي مجهري مجهول ومخلوقات صغيرة مثل مزدوجات الأرجل والقشريات.

يقع خندق ماريانا في غرب المحيط الهادئ، وهو أعمق جزء من المسطحات المحيطية على الأرض.

ودون والش، ملازم في البحرية الأمريكية؛ وأصبح جاك بيكارد، وهو مهندس من سويسرا، أول فريق بحث يغوص بعمق ٧ أميال (١١,٣ كم) في الخندق ويصل إلى هذا الجزء السفلي من المحيط. يقع خندق ماريانا باتجاه شرق وجنوب جزر ماريانا.

يعد خندق ماريانا أحد أنظمة خنادق المحيط الهادئ الغربية. يتزامن النظام مع مناطق الاندساس أو مناطق التقاء صفيحتين تكتونيتين متجاورتين. يمتد الخندق على شكل هلال على طول خط العرض حوالي ١٥٧٨,٣ ميلاً (٢٥٤٠ كم). من المعروف أن تشالنجر ديب هو أعمق جزء من خندق ماريانا. تشالنجر ديب هو منخفض شديد الانحدار يشبه الوادي يقع على الخندق الرئيس، ويقع في الاتجاه الجنوبي الغربي لجزيرة غوام. يقع خندق ماريانا تحت سيطرة الولايات المتحدة. وفي عام ٢٠٠٩، تم تصنيفه كنصب تذكاري وطني للولايات المتحدة.

هل تعلم أن عمق خندق ماريانا يزيد على ارتفاع جبل إفرست؟ لدينا بعض الحقائق الأكثر إثارة للاهتمام حول أعمق

نقطة على وجه الأرض. بعد أن تقرأ هذه الحقائق، تحقق أيضًا من حقائق الحياة في خندق ماريانا والمحيط الهادئ.

حقيقة مثيرة للاهتمام حول العمق الكبير لخندق ماريانا هي أنه عميق بما يكفي ليكون خاليًا من رواسب الأنهار القريبة.

حقائق مخيفة عن خندق ماريانا

ووفقاً لفرق بحثية مختلفة، يعتقد أن عمر خندق ماريانا يزيد على ١٨٠ مليون سنة. ويعتقد أيضًا أن الخندق يعد من أقدم نيعان البحر في العالم.

يعتبر خندق ماريانا أيضًا أحد أبرد الأماكن في العالم. من المتوقع أن تكون مياه خندق ماريانا شديدة البرودة لأنه من المستحيل أن يصل ضوء الشمس إلى هذا العمق. درجة حرارة معظم المياه في خندق ماريانا أقل من ١ درجة مئوية (٣٣,٨ فهرنهايت).

يقال إن قاع المحيط في خندق ماريانا أصفر اللون قليلاً بسبب رواسب النباتات والحيوانات المتحللة، بالإضافة إلى الأصداف والهياكل العظمية للحيوانات.

في عام ٢٠١١، اكتشف علماء معهد سكريبس لعلوم المحيطات الأميبا العملاقة في خندق ماريانا. يبلغ قطر هذه المخلوقات حوالي ٤ بوصات (٢, ١٠ سم).

الجزء المخيف هو أن هناك العديد من الأنواع الجديدة الخطيرة في خندق ماريانا. كما أن ضغطها الهائل يمكن أن يشكل

تهديدًا لحياة الإنسان. ولذلك، فإن البحث البشري في خندق ماريانا هو أقرب إلى المستحيل.

الضغط الطبيعي الذي يشعر به الرجل عندما يكون على الأرض هو ١ ضغط جوي (٧٦٠ ملم) من الزئبق. يتم تداول دم الإنسان بشكل صحيح تحت هذا الضغط الكبير. عندما نتعمق داخل البحر أو المحيط، نحتاج إلى ارتداء بدلة للتعويض عن الضغط الثقيل تحت البحر. ومع زيادة عمق سطح البحر، يزداد الضغط، ويلزم ارتداء بدلة أكثر سمكًا.

والحقيقة الخطيرة الأخرى هي أن خندق ماريانا هو موطن لأخطر الأنواع التي تعيش على وجه الأرض. على عمق أكثر من ٣٥،٧٩٠ قدمًا (١٠،٩٠٨,٨ أمتارٍ) تحت مياه المحيط، يوجد موطن لمخلوقات مختلفة غير معروفة؛ إن البقاء على قيد الحياة في ظل هذه الظروف الرهيبة والقاسية أمر نادر بالفعل.

حقائق غريبة عن خندق ماريانا

حدث تكوين خندق ماريانا بسبب تحول وحركة القشرة الأرضية والتي بدورها شكلت تشكيل قاع المحيط.

إذا تمكنا من وضع أعلى جبل في العالم، جبل إيفرست، في أعمق نقطة في خندق ماريانا، تشالنجر ديب، فإن قمة جبل إيفرست ستظل على بعد حوالي ٢,١ ميل (٢ كم) تحت سطح البحر. الآن يمكنك أن تتخيل مدى عمق خندق ماريانا!

درجة حرارة خندق ماريانا إما شديدة الحرارة أو شديدة البرودة. عندما تكون درجة الحرارة باردة، تكون درجة الحرارة ١ درجة مئوية (٣٣,٨ فهرنهايت). ولكن الحقيقة المدهشة هي أن المياه يمكن أن تصبح ساخنة للغاية أيضًا بسبب الفتحات الحرارية المائية الموجودة في جميع أنحاء خندق ماريانا.

في عام ٢٠٠٩، أطلق الرئيس جورج دبليو بوش على خندق ماريانا اسم النصب التذكاري الوطني للولايات المتحدة.

على الرغم من الظلام المروع، ودرجات الحرارة الشديدة الحرارة والبرودة، والوضع الحمضي في خندق ماريانا، فهو موطن لأكثر من ٢٠٠ كائن حي مجهري مجهول ومخلوقات صغيرة مثل مزدوجات الأرجل والقشريات.

حقائق عن الرحلات الاستكشافية إلى خندق ماريانا

على الرغم من أن البشر موجودون على هذا الكوكب منذ قرون عديدة، إلا أن أعمق أجزاء خندق ماريانا لم يتم استكشافها إلا من قبل ثلاثة أشخاص فقط.

في عام ١٩٦٠، اكتملت الرحلة الاستكشافية الأولى إلى تشالنجر ديب بنجاح من قبل المهندس جاك بيكارد والملازم البحري دون والش اللذين ذهبا داخل مياه المحيط في غواصة تابعة للبحرية الأمريكية. وبسبب ظروف الضغط الشديد، تمكن الرجلان من البقاء في الداخل لمدة ٢٠ دقيقة فقط. ولم يتمكنا

من التقاط أي صور حيث كان هناك ظلام دامس، وعندما هبطت الغواصة، أدى الغبار من قاع البحر إلى ضبابية الرؤية.

بعد أكثر من ٥٠ عامًا، وبعد التقدم في العلوم والتكنولوجيا، تمت زيارة تشالنجر ديب مرة أخرى لاستكشاف المحيط في عام ٢٠١٢ عندما قرر المخرج جيمس كاميرون استكشاف الخندق بمفرده باستخدام غواصة صممها بنفسه. لقد التقط الصور لكن بطاريات أجهزته نفدت.

انتهيت من قراءة هذا المقال وقرأت أكثر من معلومة ومقال عن هذا الخندق حسناً إذاً هو أعمق نقطة في الكرة الأرضية لهذا أبي قام بتشبيه القبر بهذا الخندق لكن لماذا هو مكتوب على صدر هذه الجثة؟ وهل يقصد بكلمة ماريانا هذا الخندق أو أنه يستخدم الكلمة كتشبيه كما فعل أبي؟ لكن تشبيه لماذا؟ ومن يكون هذا الرجل؟ أنا حتى لا أعرف وجهه لأنه بدون ملامح كيف سأتعرف عليه؟

أعددت لي كوب قهوة آخر بعد أن انتهت العاملة نوري من التنظيف أخبرتني أليكسا أنها غادرت كان الأمر معقداً يجب أن أعرف من يكون هذا الرجل وماذا تعني هذه الكلمة؟ وما هي هذه اللغة والرموز والرسومات؟ ولماذا أراه في أحلامي؟ تذكرت أن لدي أستاذ لغات في الجامعة لقد علمني أشياء كثيرة بحكم خبرته وعمره الكبير فكرت أن أرسل له صوراً مقربة من الرموز والأحرف التي على التابوت بدون أن يعرف بالطبع أن هذا تابوت لكنني كنت متردداً وفي نهاية الأمر حسمت أمري وأرسلت له

وحتى أنتظر رده قررت أن أكمل تفحص بعض الصور المقربة، إن الغريب تقريباً أن الكلمة الوحيدة التي كتبت بلغة طبيعية جسده هي كلمة «ماريانا»! خطرت فكرة في بالي فتحت موقعي قررت أن أترك سؤالاً أو رسالة في الموقع وكتبت:

من يعرف ماذا يكون «ماريانا» غير المحيط بالطبع وغير أن يكون أسماء فتيات؟ تركت السؤال وبقيت منتظراً أي أحد يتواصل معي كانت المشاهدات ترتفع شيئاً فشيئاً حتى وصلت تقريباً إلى ثلاثة آلاف مشاهدة لكن لم يتواصل معي ولا أي أحد علمت بأن لا أحد يعرف ومن الممكن أن يكون اسماً فحسب رسمه أو هذا الخندق، قررت أن أحذف السؤال بعد أن أكمل ساعة تماماً وحذفته بالفعل كنت أشعر بالخمول العجيب والتعب نظرت إلى ساعة هاتفي كانت الساعة الرابعة عصراً ولا أعرف كيف حدث هذا وغفوت في نوم عميق على المكتب في الاستديو بجانب الجثة..

فتحت عينيّ أرى نفسي أقف على شاطئ رمله أسود الجو بارد جداً أمواج البحر أمامي تندفع بقوة حتى تصل إلى أقدامي وتتجاوزها أنظر إلى أقدامي أرى أنني غير منتعل حذاء أمسح عيني المكان أنا بالفعل وحدي هنا لا يوجد أي مخلوق آخر غيري إذاً هذا كابوس آخر أو حلم؟ لا أعرف أسمع صوتاً غريباً من خلفي التفت لأرى مدخل كهف مفتوح في جبل أسود أتقدم بخطوات هادئة حتى أصل إلى مدخل الكهف الذي كان يسيطر عليه الظلام لم أرد أن أدخل لكنني تقدمت بضع خطوات للداخل

بعض الصور المقربة، وحتى أنتظر رده قررت أن أكمل تفحص جسده إن الغريب تقريباً أن الكلمة الوحيدة التي كتبت بلغة طبيعية هي كلمة «ماريانا»! خطرت فكرة في بالي فتحت موقعي قررت أن اترك سؤالاً أو رسالة في الموقع وكتبت:

من يعرف ماذا يكون «ماريانا « غير المحيط بالطبع وغير أن يكون أسماء فتيات؟ تركت السؤال وبقيت منتظراً أي أحد يتواصل معي كانت المشاهدات ترتفع شيئاً فشيئاً حتى وصلت تقريباً إلى ثلاثة آلاف مشاهدة لكن لم يتواصل معي ولا أي أحد علمت بأن لا أحد يعرف ومن الممكن أن يكون اسماً فحسب وشمه أو هذا الخندق، قررت أن أحذف السؤال بعد أن أكمل ساعة تماماً وحذفته بالفعل كنت أشعر بالخمول العجيب والتعب نظرت إلى ساعة هاتفي كانت الساعة الرابعة عصراً ولا أعرف كيف حدث هذا وغفوت في نوم عميق على المكتب في الاستديو بجانب الجثة..

فتحت عينيّ أرى نفسي أقف على شاطئ رمله أسود الجو بارد جداً أمواج البحر أمامي تندفع بقوة حتى تصل إلى أقدامي وتتجاوزها أنظر إلى أقدامي أرى أنني غير منتعل حذاء أمسح بعينيّ المكان أنا بالفعل وحدي هنا لا يوجد أي مخلوق آخر غيري إذاً هذا كابوس آخر أو حلم؟ لا أعرف أسمع صوتاً غريباً من خلفي ألتفت لأرى مدخل كهف مفتوح في جبل أسود أتقدم بخطوات هادئة حتى أصل إلى مدخل الكهف الذي كان يسيطر عليه الظلام لم أرد أن أدخل لكنني تقدمت بضع خطوات للداخل

لفت نظري بعض الرسومات والرموز الغريبة أيضاً في جدران مدخل الكهف تحسست النقوش بيديّ الباردتين حتى وصلت إلى رسمة كانت الرسمة عبارة عن رجل يجلس متربعاً يظهر رجل آخر من خلفه وهو يغطي على أذني الرجل الآخر! يوجد حولهما فراشات لكن فراشات لها وجه مرعب ثم في أعلى الرسمة هنا نبض قلبي عندما قرأت كلمة «ماريانا» أيضاً مرة أخرى كتب تحتها حروف شبيهة بالرموز وضعت يدي على الرسمة والرموز ثم سمعت صوتاً قادماً من الخارج خرجت بسرعة نحو الشاطئ وهذا ما رأيت!

رأيت شخصاً يقف في وسط الماء كان يقف وكأنه يقف على أرضية معتدلة وليس على ماء كان يرتدي ملابس سوداء لا أستطيع تمييزها ولا أستطيع تمييز شكله لأنه كان بعيداً لكنني واثق بأنه رجل يقف على الماء وأنا متسمرٌ ومبحلق فيه شعرت بشيء يلمس قدمي شتت انتباهي أنزلت عينيّ للأسفل إذ أرى سلطعوناً ضخماً أسود يسير على قدمي لم أستطع الحراك أردت أن أقوم برفسه أو نفضه من على قدمي لكنني لم أستطع وكأنني أصبت بالشلل أشعر به وهو يسير متسلقاً على جسدي أشعر بالقرف والاشمئزاز جسدي يقشعر وكأن هذا السلطعون قام بتخديري كليّاً وصل إلى بطني ثم صدري ثم رقبتي وأخيراً على وجهي شعرت بأن أنفاسي تختنق روحي تتعذب ما زال هذا السلطعون رابضاً على وجهي بكل أريحية حتى أدخل أصابعه في عينيّ وهنا صرخت وسقطت من على كرسي المكتب

واستيقظت وأنا أضرب وجهي كالمجنون ظنّاً أني نقلت السلطعون معي إلى الواقع..

تداركت أنفاسي وروحي أخيراً ونهضت بعد أن كنت على الأرض رفعت معصمي لأرى الساعة أصبحت السادسة مساء حتى الشمس اختفت هذا يعني أنني نمت ساعة كاملة على المكتب كيف حدث ذلك فجأة؟ يكفي أني في يومي كله نمت طويلاً ما خطبي؟ هل بعد متلازمة الأرق أصبت بمتلازمة النوم؟ أو أن هذه الجثة هي السبب؟ نظرت إليه وما زال على حاله مستلقياً على الطاولة كالميت ولا أظن أنه ميت ما خطبي وما خطب عقلي هل من الممكن أن يكون كل هذا هلوسات؟ لا أعرف لكن...

لم أكمل حواري مع نفسي حتى وصلني تنبيه عبر الساعة في معصمي بأن هناك اختراقاً لأجهزتي وموقعي! اتسعت حدقتا عينيّ تركت كل شيء في يدي وخرجت أركض من الاستديو توجهت إلى القسم الثاني وهو المكتب وعندما دخلت هنا رأيت الشاشة والجهاز كله يعمل رغم أنه كان مطفأً اقتربت من المكتب كان الجهاز يتحرك من تلقاء نفسه أقصد أنه يقوم بفتح صفحات والكتابة وكأنه مهكَّر! حاولت أن أقوم بإيقافه وإطفائه لكنه رفض تماماً وهنا أبعدت يديّ عندما تم إدخال بعض الشفرات والرموز فتح متصفح جديد لأول مرة أراه في حياتي كان غريباً جداً يحتوي على الكثير من الرموز والشفرات غير المفهومة فتح مرة أخرى صفحة جديدة وهنا كانت واجهة المتصفح تماماً مثل الدارك ويب الذي أعمل عليه الآن لكن كان له اسم مختلف وعندما

رأيت الاسم هنا تأكد لي أن كل شيء حقيقي وليست هلوسات كان اسم الشبكة التي كتبت في واجهة الصفحة بخط عريض «ماريانا ويب»!!..

عاد الخفقان إلى قلبي عندما رأيت الاسم على الشاشة ثم مددت يدي المرتعشة نحو زر الإنتر وكبسته تبدلت الصفحة إلى صفحة أخرى وهنا لم يكن يتطلب مني الدخول مثل الدارك ويب بل كنت وكأنني قد سبق وقمت بالدخول قبل ذلك، لم يطلب مني إدخال شفرة أو رمز أو إيميل أو رقم وعندما قمت بالضغط على زر الإدخال مرة أخرى هنا كانت الصدمة الأكبر كتب بخط عريض:

«مرحباً بعودتك أيها المؤسس ظل أليكسياريس»..

لحظة!! مؤسس ماذا؟ ما الذي يقصده هذا الشيء؟ وماذا يكون هذا الشيء أصلاً؟ كل ما أقوم به هو الضغط على زر الانتقال وصلت إلى صفحة كتب فيها: إذا كنت «ظل» نرجو وضع وجهك في الكاميرا!! بدون تردد وضعت وجهي على الكاميرا شعرت بأنني غبي لأول مرة لكن لا بأس لم تعد تفرق معي عندما وضعت وجهي انفتحت نافذة جديدة كتب فيها:

«ماريانا يرحب بمؤسسه السيد أليكسياريس»

ثم انفتحت صفحة أخرى كتب فيها:

«أهلاً بك في أعمق نقطة للجحيم بالنسبة لهم وبالنسبة لك ستكون جنتك»

بعدها انفتحت أيضاً صفحة أخرى وهنا عرفت أنه تم ربط موقعي «بيتشيني» تلقائيّاً بهذا المتصفح:

«عن أسطورة Marianas web أعمق مكان في Dark web والذي لا يصل إليه حتى النخبة من الهاكر!

إن أعمق نقطة موجودة في السفح الجليدي داك، أي أعمق مستوىً والذي غالباً ما يرمز له بالمستوى LEVEL 5 هو ما يسمى بمارينا ويب، ويبدو أن أسطورة الويب ماريانا حصلت على اسمها من أعمق جزء من المحيط، خندق ماريانا في أنها من المفترض أن تكون أعمق جزء من شبكة الإنترنت، وهو مكان ممنوع ومحظور.

عن المارينا ويب، فإنك تجد فيها «أسرار الإنسانية وتاريخها»، والمكان السري لمدينة أتلانتيس المفقودة و«محفوظات سرية الفاتيكان»، السحر الأسود الفنون المظلمة الكتب المحرمة والمحظورة إن مارينا سجل فيه أحداث لم ترَها البشرية من قبل من الماضي والمستقبل أو قواعد بيانات غاية في السرية تعود إلى أقوى وكالات الاستخبارات على الأرض. إن ماريانا هي موطن لجميع قوى الأرض من الداخل والخارج، إن ماريانا تسحب الشخص إلى أسفل قاع الجحيم ولن تستطيع الخروج منه إنه أعمق وأخطر من كل شيء آخر على هذه الأرض، وإنه من المستحيل من الناحية الفنية الوصول إليها إلا من خلال أجهزة الكمبيوتر الكم، التي كانت لا توجد إلا في الخيال العلمي أو لربما توجد في الجانب العسكري ونحن لا ندري عنها شيئاً.

أو أنها لا توجد أصلاً على هذا العالم ولا أحد يستطيع الوصول إليها إلا أشخاص معينون فقط أما أنت فيمكنك الوصول إليها في أي وقت وأي زمان ومن هنا لأنك الابن الروحاني لماريانا

استمررت في الدخول أكثر حتى وصلت إلى صفحة كتب فيها:

«إن ماريانا مصنوع ومؤسس بلغة مختلفة لغة لا يجيدها أحد أبداً من الممكن أنك لا تعرف أيضاً هذه اللغة لكن ستتعلمها معاً..!»

دخلت أيضاً صفحة أخرى ولا أعلم متى ستنتهي هذه الصفحات لكن من الواضح أنها الصفحة الأخيرة قبل الدخول إلى الموقع:

«إن شبكة ماريانا لا تستخدم اللغات المعروفة أو اللغات المتحضرة إنها تستخدم لغة واحدة فقط وهي لغة الشيطان! أهلاً بك»..

بعد أن انتهيت من قراءة هذه الكلمات انفتحت نافذة جديدة من دون أن أفعل أي شيء ظهر على الصفحة خلفية سوداء نقوش غريبة ورموز ورسومات من مثل طابع التابوت والوشوم التي يمتلكها الجثة ما لفت نظري الاسم:

«ماريانا ويب عالم عميق»

مرحباً بك بيتشيني في عالمك الخاص..

هل يقصدونني أنا؟ لم ينادِني باسمي بل كتب بيتشيني وهذا اسم موقعي الخاص الذي ارتبط مع هذه الشبكة ثم فجأة وقبل

لن أصفح تحولت لغة الشبكة من العامية إلى هـذه اللغـة الغريبة!!
حتى الاسم والجملة التي قرأتها للتو كل شيء أصبح مكتوباً بهذه
اللغة الغريبة حاولت كالغبي أن أستخدم المترجم لكن المترجم
لم يتعرف على هذه اللغة وأصلاً غير مدرجة بقاموسه كيف
يمكنني أن أكتشف هذا العالم وهو بلغة مختلفة؟ لكن أنا أعلم
جيداً بأن هذا المكان سينقلني نقلة كبيرة نحو أحلامي لا أعرف
من المسؤول عن هذا ولماذا صنع هذا؟ لكن ما أعرفه أن هذه
الشبكة صنعت لأجلي أنا وأن هذه الجثة بالتأكيد تعرفني جيداً
لكن من يكون وماذا يريد مني؟

رن هاتفي رفعته إذ أرى أن ثيا وصلت وعلى ما يبدو هي تقف
الآن خارج القصر دائماً ما تقاطع أعمالي لكن لا بأس يجب أن آخذ
نفساً وراحة بعد هذا الشيء الذي حدث سأترك الجهاز مفتوحاً
لا أعرف هل سأعود وأجده كما هو أو أخاف أن يختفي فجأة؟!



«عزيـزي القـارئ كيـف حالـك إلـى الآن؟ بخيـر بالتأكيـد، لكن بعـد هـذه الجزئية مـن الرواية لـن تكـون بخير أبداً ما هـذه إلا مقدمـة لسلسـلة تحمـل الجنون تحمل الرعـب والقسـوة والخـوف والغرابـة والصدمة، إن الرعب ليس لـه حـدود كمـا أن عالـم هذه السلسـة ليس لـه حـدود رجـاء حافـظ علـى أنفاسـك لكـي لا تفقدهـا لا أرغـب بتسـجيل حالـة وفـاة ولا حالـة جنون ولا حالـة اختفـاء! أنـا لسـت مسـؤولة إذا قمـت بالبحث عـن أي شـيء كتـب هنـا لا تجعلـوا فضولكم يأكلكـم لأنكم فـي نهاية الأمـر سيتم أكلكم، أنـا متعبة بقـدر مـا تـم سحبي إلـى الأسـفل بعـد كتابـة هـذه السلسلة لكن ليس لدي حل آخر غير الكتابة»

ماريـــا..



«ضللنا الطريق فما عسانا فاعلين

الشيطان يجرنا هنا وهناك

ويديرنا إلى كل الجهات

***

ما عددهم، وإلى أين يسيرون مسرعين؟

ماذا تعني أغنيات الحداد هذه التي يرددونها

أهم يدفنون أحداً من أهلهم؟

أم هم يزوجون ساحرة؟»

بوشكيـــن..

من رواية الشياطين لدوستويفسكي..



«لغـة الشيطـان»

١٩٩٢ م

- ما هو الشيطان يا أبي؟ هل هو حقيقي؟!

- وأين سمعت عنه؟

- هنا..

قمت بالإشارة على رأسي! تعجب أبي ثم سألني:

- ماذا تقصد؟

- أقصد عندما كنت نائماً سمعت أحدهم يهمس لي عن الشيطان وعندما ذهبت إلى المدرسة أخبرت المعلم وأخبرني أن الشياطين حقيقية لكن لم يخبرني الكثير عنها لكن أغلب زملائي قالوا إن الشياطين مخيفة وشكلها مخيف ومن يراها يموت فوراً.

ابتسم أبي ومسح على شعره بيده:

- الشيطان حقيقي بالفعل وهو موجود لكنه ليس لديه شكل مخيف أو وحشي أو بشع، ليس رجلاً أحمر ولديه قرون

وذيـل وعيـون حمـراء هـذا ليـس صحيحـاً، قيـل إنـه من الممكـن كان جميلاً ووسـيماً كان ملاكاً سـابقاً وقيـل إنه اعتاد أن يكـون المفضل لـدى اللـه وعندما علـم أن الله فضـل أحداً آخر شـعر بالغضـب وهـذا الغضـب جعلـه بشـعاً ليس فقط شـكلاً إنمـا روحـاً كانـت بشـاعة الشـيطان فـي نفسـه من الداخل وليس من الخارج..

- مثلي أنا..!

قلت بحماس

استغرب أبي ثم قال:

- لكنك لست شيطاناً يا ظلي لربما تكون ملاكاً

- ولمـاذا النـاس يفضلـون الملائكـة؟ لا أريـد أن أكـون مثلهم أريـد أن أكـون مختلفاً لكـن ماذا فعـل بعد ذلـك يا أبـي عندما غضب؟ ومن فضل الله عليه؟

- فضـل اللـه عليـه أول بشـري علـى وجـه الأرض وهـو شعر بالغيـرة منـه لقـد أقسـم أن يـوزع نفسـه البشـعة على أرواح البشـر ليأخذهـم في صفـه ويعبثـوا في العالـم: يـؤذون يقتلون يكذبـون يفتنـون يسـرقون يذبحـون يضحـون يفعلـون أسوأ وأبشع وأقسى الأفعال..

- وماذا عنا؟؟

- ماذا عنا؟!

- نحن في أي صف يا أبي؟
- وأنت ماذا تريد؟
- أنا أريد أن أكون معك..

ابتسم وقام بمعانقتي ثم همس في أذني:

- لكن لم تخبرني من الذي كان يهمس في أذنك وأخبرك عن الشيطان؟
- لا أعرف يا أبي أنا أسمع صوتاً من الحائط في غرفتي وأظن أنه هو من قام بالهمس في أذني عن الشيطان أيضاً..

تغيرت ملامح أبي إلى الغضب والتجهم والخوف ولا أعرف لماذا بعدها أخبرني أن أستمر في مذاكرة الدروس وخرج مسرعاً..!

***

٢٠٢٣ م.

ما أن رأيتها نسيت كل التشتت والخوف والصدمات والكوابيس التي مررت بها خلال هذين اليومين، أراها فأنسى كل الشياطين التي في رأسي وأنسى أنني كنت أعاني ابتسامتها رائحتها صوتها كل شيء فيها يشعرني بأن هذا العالم بخير وخالٍ من الشياطين..

- اشتقت إليك كثيراً يا ظلي..

قالت ثيا وهيا تعانقني..

- وأنا أيضاً..

- أخبريني كيف كانت رحلتك تعالي أولاً دعينا نجلس..

أمسكت بيدها وجلسنا في صالة المعيشة المطلة على الحديقة:

- أخبريني أولاً ماذا تريدين أن تشربي؟

- لا شيء لقد شربت الكثير من القهوة وأنا في الطائرة لا أظن أن معدتي ستحتمل كوباً آخر، أخبرني أنت كيف حالك؟

- حالي أصبح بخير بعد رؤيتك

كنت أرغب بإخبار ثيا عن الأشياء التي أراها وعن تقلب نومي اليوم بحكم أنها طبيبتي لكنني تراجعت بعد أن بدأت أقتنع بأن هذا ليس له علاقة بأمراضي النفسية وأن هذه الأشياء تفوق قدرة ثيا، بعد أن تحدثنا طويلاً عن كل شيء تناولنا العشاء معاً بعدها أخبرتني عن حالة الفتاة الغريبة الجديدة وأخبرتني كل قصتها الغامضة:

- إذاً هل صدقتِها بأن الأشخاص الذين قتلتهم هم عائلتها؟ لربما كانت تكذب أو مشوشة؟!

- لا أنا واثقة أنهم عائلتها لا يمكن أن يختفوا هكذا فجاءة ويتركوها علاوة على ذلك هذه المذكرات بخطها والدها ووالدتها لم يتخليا عنها ولا عن إخوتها..

- إذاً ما هو الطلب الذي تريدينه مني؟

سألتها وأنا أضع كوب الشاي على الطاولة:

أجابت وهي تخرج هاتفها وتمده نحوي:

- انظر هذه هي الرسـومات والرمـوز التـي وجدناها فـي منزلها حتى إن هذه اللغة غريبة وأول مرة أراها في حياتي..

تناولت الهاتـف مـن يد ثيـا وهنـا صعقـت تمامـاً اتسـعت حدقتا عيني عندمـا رأيـت جميـع الرسـومات والرمـوز والكلمـات هـي مشابهة أو نفسـها لتلـك اللغـة والرسـوم فـي الجثـة وشـبكة ماريانـا والكابوس الذي رأيته مستحيل!!

- ظل،، ظل،، هل تسمعني ما خطبك؟

سمعت صـوت ثيـا أيقظنـي مـن الصدمـة لثـوانٍ ثـم حاولـت أن أتدارك الوضع سريعاً:

- أوه نعم أنـا بخيـر لكـن لا بـأس بالنسـبة للغـة لـدي صديـق سأرسـل لـه هـذه الصـور وبالتأكيـد سـيعرف إذا كان يعرفهـا لأنـه لديه خبـرة في هذه الأشـياء أمـا الرسـومات فهـي بالطبع رسومات مظلمـة جـدّاً لكـن سـيأخذ الموضـوع وقتـاً حتـى أستنتج ما معناها..

- حسناً لا بأس سأنتظر ردك

ما أن انتهـت ثيـا مـن حديثهـا حتـى رأيـت وجههـا بـدأ بالذوبان بدون أي مقدمـات وما زالـت تنظر إلـي وهـي مبتسـمة بشـكل مخيف عيناها سقطتا أنفهـا فمهـا كل ملامحهـا أزيلـت فجـأة!! يـا ألله ما الذي يحدث معي؟ هـل أنا في كابـوس مجـدداً؟ لكنني مسـتيقظ لم أنم حتى! أردت أن أتماسـك أن أقـاوم هـذه الهلوسـات أغمضت عيني أسمع صوت ثيـا كالصـدى البعيد تناديني بريبة، أنفض رأسي

أحاول السيطرة على أفكاري على أنفاسي على مشاعري على روحي جسدي تعرق قلبي يخفق بشدة وهنا سقطت مغشيّاً علي..

***

ثيـــا:

فتح ظل عينيه أخيراً كنت أشعر منذ رؤيته بأنه ليس على ما يرام كان وجهه شاحباً ويبدو أنه متعب وكأنه مجهد ويعمل لوقت طويل، علمت بأنها أعراض تناول أقراص الأدوية بشكل مفرط شعرت بالخوف كثيراً عليه لأنه من فترة طويلة تقريباً تصل إلى العامين لم يفعل هذا الشيء كان قد بدأ يتحسن ولا أعرف لماذا فجأة قرر تناول الأقراص هكذا بشكل مفرط:

- لا بأس كما تحدثنا سابقاً يجب أن يرتاح كثيراً وأيضاً يستخدم المهدئات ابتداء من الأسبوع القادم سيكون أفضل بكثير..

- شكراً لك دكتور «لويس» أعتذر لاتصالي بك في هذه الساعة المتأخرة..

ماذا تقصدين باعتذارك؟ هذا عملي، ومرة أخرى أتمنى له الشفاء وإذا حدث أي شيء فاتصلي بي..

- حسناً تفضل..

أوصلت الطبيب لويس إلى الباب وغادر عدت إلى غرفة ظل بعد أن فقد الوعي بشكل مفاجئ ونحن نتحدث اتصلت بالطبيب وأتى بشكل سريع ولله الحمد نقلناه إلى غرفته، في هذه الأثناء

كنت متعجبة ومترددة ومستغربة ومشتتة أول مرة يفقد ظل الوعي في منزله أمامي الغريب ليس هنا الغريب أنني كنت أنادي على ظل وأصرخ لكن لم يخرج والده من غرفته أعلم أنه لا يمشي مثلما قال لي ظل سابقاً لكن لم يبدِ أي ردة فعل لم أسمع له نفساً حتى؟ لم يخرج أو ينادِ ما الذي يحدث؟ قررت تجاهل الأمر رغم أني طوال الوقت كنت أنتظره أن يأتي ويطمئن على ابنه لكن لم يأتِ:

- كيف تشعر؟؟

سألت ظل بعد أن رأيته استيقظ

- لا بأس أنا بخير

رد بوهن وتعب

- حسناً ارتحْ سأحضر لك بعض الطعام والماء

- لا لا تفعلي..!

صرخ ظل بشكل مبالغ فيه! لا أعلم لماذا تصرف هكذا ثم حاول أن يتدارك الوضع:

- أقصد أنا آسف أنا أشعر بالشبع هل نسيتِ؟ للتو تناولنا العشاء..

- حسناً لا بأس استرخِ إذاً سأعطيك هذه الحبة ستساعدك على النوم وتقلل من الغثيان..

- حسناً..

في تلك الليلة نمت مع ظل لطالما عندما يكون مريضاً أبقى معه أعلم بأنه وحيد لا يوجد أي أحد معه سوى والده المريض، ورغم أنني لم أرَه في حياتي أقول لنفسي لربما مثلما قال ظل أنه لا يحب أن يقابل الغرباء لكن لم أعرف أنه لهذه الدرجة، لم أستطع النوم جيداً في تلك الليلة بينما كان ظل يغرق في النوم بسبب المسكن الذي أعطيته نظرت إلى الساعة في هاتفي كانت الساعة الثالثة فجراً بعد أن أرسلت لأبي أنني لن أعود اليوم إلى المنزل وسأبقى مع ظل، قمت بتصفح جميع مواقع التواصل الاجتماعي على أمل أن أشعر بالنعاس لكن فشلت فجأة سمعت صوت باب الغرفة يفتح!! رفعت رأسي اعتدلت في جلستي التفت إلى ظل ما زال نائماً في سلام الباب ما زال مفتوحاً ثم رأيت ظل شخص مر؟ لم أتوتر لتلك الدرجة لكن قلت على ما يبدو أنه والده يريد الاطمئنان عليه لذلك شعرت بالخجل وسلمت أمري نهضت سرت باتجاه الباب خرجت إلى الممر لم يكن مظلماً لتلك الدرجة لكنه كان مرعباً بشكل غريب كان بارداً جداً هنا لمحت ضوءاً قادماً من غرفة والد ظل لذلك تيقنت أكثر بأنه هو من أتى إلى هنا، عزمت أمري وقلت لنفسي يجب أن أتحدث معه يجب أن أقترب منه وأكسر الحواجز أنا بنفسي عشر سنوات وأنا لم أقابل والد الرجل الذي أحبه يجب أن يرضى بي مهما كانت النتيجة، التفت مرة أخرى نحو ظل كان لا يزال نائماً كالملاك متعباً لذا أخذت نفساً وقررت الذهاب إلى غرفة والده لربما ظل سيغضب لكن لا بأس سرت بخطوات بطيئة وقلبي

يرتعش من شدة التوتر حتى وصلت إلى باب الغرفة كان مفتوحاً بشكل جزئي، طرقت الباب بشكل خفيف:

- سيد غريفوس؟ هذه أنا ثيا من المؤكد أنك تعرفني بالطبع هل تسمح لي بالدخول؟

قلت بخجل وتوتر لكن لم يكن هناك رد، ثم طرقت الباب مرة أخرى:

- ظل شعر بالتعب قليلاً لكنه بخير كان فقط مجرد إعياء وجهد من العمل أعلم بأنك كنت ترغب برؤيته والاطمئنان عليه لكن يبدو أنك تراجعت لأنني كنت معه أليس كذلك؟ إذاً هل تسمح لي بالدخول؟

كنت على وشك أن أستسلم وأستدير وأعود إلى غرفة ظل لكن سمعت صوتاً مبحوحاً لرجل عجوز:

- ادخلي يا ابنتي..

هنا شعرت بأن قلبي يرقص من السعادة خصوصا عندما ناداني بابنته فتحت الباب بهدوء كانت الغرفة تملك إضاءة صفراء توحي بطابع كلاسيكي قديم مختلف عن القصر المصمم بشكل حديث يبدو أن ظل صمم غرفة والده بهذه التفاصيل القديمة المناسبة لكبار السن، مكتبة صغيرة خشبية مليئة بالكتب أرضية خشبية يوجد عليها سجادة مشجرة بطابع قديم الستائر بيضاء طاولة على جانب السرير عليها بعض الماء والأدوية وكتاب رواية «الشياطين» لدوستوفسكي، يبدو أن الابن مثل والده

أنا الآن أعرف لماذا ظل مولع بالكتب والفن والشعر والفلسفة، سريره الأبيض بمفارش صفراء مشرقة وعلى اليمين أخيراً من السرير كان والد ظل يجلس على الكرسي المتحرك مديراً ظهره لي كان شعره مائلاً إلى اللون البني قليلاً عائداً إلى الخلف يبدو جسمه ضامراً بالطبع رجل كبير بالسن ويعاني من الأمراض طبيعي أن يكون جسده هزيلاً لاحظت أنه يرتدي الكثير من الملابس أيضاً طبيعي لأنه كبير في السن من المؤكد أنه يشعر بالبرد طوال الوقت:

- مرحباً يا سيدي سعيدة أنني التقيت بك أخيراً..

قلت بصوت خافت وهو ما زال يدير ظهره لي كنت أنتظره بكل حماس أن يلتفت لي:

- ادخلي يا ابنتي..

قال وهو ما زال يدير ظهره شعرت بقليل من الغرابة لكوني أصبحت في الداخل على ما يبدو لم يستوعب أنني دخلت:

- أنا بالداخل بالفعل يا سيدي

أجبت

- ادخلي يا ابنتي..

أيضاً كرر الجملة نفسها للمرة الثالثة!

- تقصد أن أتقدم إليك؟

- ادخلي يا ابنتي..!

ما بدأ قلبي بالخفقان شعرت بالتوتر كان يكرر الجملة وكأنه

رجل آلي؟

- سيدي هل أنت بخير؟

سألته

- ادخلي يا ابنتي..

تقدمت نحوه وأنا أرتعش لكنني قررت أن أتقدم إليه قلت في نفسي لربما يعاني من أمراض الخرف أو الزهايمر أو غيرها إنه في النهاية كبير بالسن لذلك كان ظل يمنعني من مقابلته بقيت خطوة واحدة على رؤية وجهه وفجاءة أحدٌ ما أمسك بكتفي شهقت مفزوعة!! التفت لأرى ظل يقف بملامح غاضبة ووجه شاحب ومتعرق من شدة المرض أمسك بيدي بدون أن يقول أي شيء يسحبني لخارج الغرفة وأغلق باب غرفة والده:

- ما الذي تفعلينه يا ثيا؟؟

سألني والغضب يتطاير من عينيه

- أعتذر لكن هو من أتى إلى غرفتك وبعدها سمح لي بالدخول أنت تعرف أنه من المستحيل أن أدخل بدون أن يسمح لي..

- ماذا؟؟

رأيت التعجب والاستغراب في ملامح ظل:

- نعم لا أكذب لقد قال لي تفضلي يا ابنتي، أعلم بأن والدك بالتأكيد يحبني إنه يحب الفتاة التي ابنه يحبها..

قلت بسعادة ناسية الشيء الغريب الذي حدث وناسية تصرفات ظل الغريبة:

- حسناً هو يعاني من الخرف لذلك لربما فجأة سيدخل في نوبة غضب منك ويبدأ بالصراخ وتحطيم الأشياء كان من الممكن أن تخافي لذلك غضبت فقط..

- لا بأس بالطبع لن أخاف منه أنا أجلس مع المجانين والقاتلين كيف يمكنني أن أخاف من شخص كبير في السن لطيف وطيب..؟

- حسناً أنتِ عودي إلى الغرفة لربما يحتاج إلى شيء وأنا سأراه لأنه ليس من عادته أن يبقى مستيقظاً إلى الآن..

- من الممكن أنه أراد الاطمئنان عليك وأنا بالنسبة له كالحاجز!

- ما الذي تقولينه؟ أنتِ لست حاجزاً بيننا أبداً هو يعلم بأنك ستكونين سيدة هذا المنزل وهذه العائلة..

خفق قلبي بسعادة هذه أول مرة يقولها ظل لي بشكل صريح هذا يعني أنه لن يتخلى عني وأن مشاعره لا تغيب عني أبداً هذا يعني أن ظل سيكون زوجي وسأكون أنا زوجته..

بعد أن ابتسمت مليون مرة أنزلت رأسي إلى الأسفل شاعرة بالخجل:

- حسناً سأذهب إلى الغرفة وأنت تحدث معه سأتركما وحدكما..

ظـــل:

عادت ثيا إلى الغرفة بقيت أنا متسمراً في مكاني مقابل غرفة والدي كيف حدث هذا؟ كيف يمكن لأبي أن يتحدث مع ثيا؟ حسناً أنا وهو نتواصل عن طريق الأفكار وأنا وجميع الجثث هنا لكن ثيا لا تستطيع أن تتحدث معهم بالطبع كيف يمكن لأبي أنه تحدث معها وأكثر من مرة وناداها بابنتي! دفعت باب الغرفة بهدوء وهنا ارتعش جسدي أبي كان بالفعل يجلس على الكرسي المتحرك! هو لا يستطيع أبداً ولم يفعلها أبداً أن يجلس وحده دون مساعدتي كان أبي نائماً كان مستلقياً على السرير قبل أن تأتي ثيا كيف وصل إلى مقعده المتحرك؟ تقدمت نحوه حتى وصلت إليه جلست مقابلاً له على الأرض أمسكت بيديه وقبلتهما:

- أبي ما الذي تفعله هنا كيف وصلت إلى الكرسي وحدك؟؟

سألته لكنه لم يرد علي:

- أبي هل أنت غاضب لأن ثيا أتت إلى هنا؟ هل تحدثت معها حقاً؟

هز أبي رأسه بالنفي ماذا هل ثيا تكذب؟ أو أنها تتخيل؟ لأن من المستحيل أن يكذب أبي علي بينما الأفكار تأكل مخي حدث ما لم يكن في الحسبان هنا شعرت لوهلة هل أنا مجنون؟ أم كنت مجنوناً وأصبحت عاقلاً؟ أو أن الحقيقة أمامي لكنني لا أرغب في رؤيتها حقيقة ما هم إلا أموات ولا يتحركون لكن عقلي الباطني يجعلني أراهم يتحركون وعندما يتحركون بشكل

حقيقي خارج عقلي الباطني أصاب بالقشعريرة والخوف وهذا ما حدث عندما فجأة رفع أبي يده مشيراً بأصبعه إلى الزاوية التي خلفي لا أعرف لكنني شعرت بالخوف لأول مرة! التفت بسرعة إلى الخلف إلى المكان الذي يشير إليه أبي لكن لم يكن هناك أحد وعندما أعدت نظري إلى أبي شهقت جزعاً عندما رأيت وجهه ملتصقاً بوجهي أمسك برأسي وقال بكل وضوح:

- إنه هو،، هو من تحدث معها ولست أنا يجب أن تخرجه من المنزل يا ظل..

وبعدها تركني وعاد إلى حالة الخمول والانطفاء وكأن شيئاً لم يكن!! أعدت أبي إلى السرير وأطفأت الأنوار:

- ارتحِ الآن يا أبي ستتحدث لاحقاً..

عدت إلى ثيا وأنا أفكر في كذبة أكذبها عليها لكنني وجدتها نائمة لذلك طبعت قبلة على جبينها وتركتها ذهبت إلى المكتب أتفحص هاتفي بحثت في كل مكان عن هذه الشبكة التي تسمى بماريانا ويب لكنني لم أجد عنها أي شيء وكل ما وجدته كالعادة عن الدارك ويب والديب ويب فقط ثم قاطع بحثي اتصال من البروفسور صديقي الذي أرسلت له صور الرموز واللغة استغربت أنه اتصل بي في هذا الوقت كانت الساعة الرابعة فجراً:

- صباح الخير أيها البروفسور

- صباح النور يا ظل أولاً أعتذر لاتصالي في هذا الوقت

- لا بأس كنت مستيقظاً أصلاً

- ثانياً تهانينا على نيل درجة الدكتوراه ولأنك الآن أصبحت انت أيضاً بروفسور أعتذر لأنني لم أهنئك سابقاً كنت مشغولاً..

- لا عليك ولكن الآن أخبرني ما الأمر؟؟

سألته وأنا أحاول أن أختصر موضوع مجاملاته

- نعم صراحة الموضوع لم يكن يحتمل التأجيل كنت أعمل على الصور التي أرسلتها لي وأخذ العمل مني تقريباً سبع ساعات لكنني أصلاً عرفتها ولكن أردت أن أتثبت صراحة،،

سكت قليلاً:

- ما الأمر لماذا سكت؟

سألته

- حسناً أولاً من أين أحضرت هذه الرموز والرسوم يا ظل؟؟

سكت قليلاً كنت متوقعاً بالطبع هذا السؤال ثم تذكرت ثيا وحاولت أن أستغل الموضوع:

- أوه نعم ثيا تعرف مجال عملها المرعب هذه الرموز ظهرت في إحدى غرف الضحايا وتريد ثيا أن تعرف لأن الضحية شبه مجنونة ومصدومة لا يعرف الشرطة إذا كانت ضحية أو مذنبة..

- حسناً صراحة إن الأمر مخيف ويجب أن تنصحها بأن تبتعد عن هذه القضية أو أنها تقوم بتحويل المريضة إلى طبيب آخر وتترك هذا الأمر للشرطة..

شعرت بالتوتر عندما سمعت كلماته التوتر على ثيا بالطبع هل من المعقول أنها تواجه الشيء نفسه الذي أواجهه؟:

- ماذا تقصد وضح لي أكثر؟

- هذه الرموز تعود إلى لغة قديمة ومنقرضة حتى تم استخدامها من أوائل البشر تم استخدامها بكثرة في أمور مروعة مثل السحر الأسود والشعوذة وتأليف الكتب التي تخص هذه الأمور وتحضير الأرواح وطرد الأرواح واستدعاء القرين وقتله وكل هذه الأمور وأكثر يا بني إنها تلقب بلغة الشيطان قديماً وهي مختلطة باللغة العبرية ولغة أخرى أيضاً لها اسم آخر لكنني نسيته مع البحث سأخبرك عنه لكن هذه اللغة أساساً تعود للغة العبرية أيضاً هناك رموز مشفرة لم أستطع حلها أو لأكون صريحاً لم أقمْ بقراءة أي شيء خوفاً على نفسي، وبالنسبة للرسومات هي رسومات مظلمة تعود إلى السحر الأسود قديماً ولا أعرف أيضاً إلى ماذا ترمز بعض الرسومات من الصعب تحليل هذه الأشياء صدقني لأنها خطرة جدّاً..

- حسناً شكراً لك أيها البروفسور وأي سؤال لدي لن أتردد بالاستفسار منك

- العفو أنا أيضاً سأكون موجوداً في أي وقت لمساعدتك..

أغلقت الهاتف وأنا بصراحة لست مصدوماً لأنني كنت أعلم من الوهلة الأولى بأن تلك الجثة تعود إلى ساحر من الكوابيس التي أراها وجثته ليست متعفنة بالطبع لأن حوله طلاسم وجسده مليء بالطلاسم كل هذا لا بأس لنقل إنها جثة ساحر لكن كيف يعرفني؟ كيف صنع لي هذا العالم شبكة ماريانا ويجعلني أنا المؤسس؟! كيف يمكن أن يتصادف الاسم مع كلام أبي في ذلك الوقت؟ أيضا أبي تحدث عن خندق ماريانا!

والأهم ما الذي أفعله الآن؟ طبعاً من المستحيل أن أتخلص من الجثة لربما هذه الجثة ستقدم لي كنوز الأرض ستكون السبب لتحقيق أحلامي لقد أعطتني مفتاحاً لهذه الشبكة التي بالتأكيد سأجد فيها كل أسرار العالم، والأهم ربما يرغب بمساعدتي لشراء الجثث بدون أي مشكلات أو خوف لربما يريد تعليمي علماً جديداً علماً آخر لربما يعلم بأنني مختلف وأبحث عن الاختلاف لكن لماذا أبي لا يرغب به في المنزل؟ لم يعترض أبي أبداً على أي جثة أحضرتها بالتأكيد أن أبي يعرف أن هذه الجثة ليست طبيعية ولا يريدني أن أتأذى لكن هل من المعقول أن تلك الجثة يراها أبي تتجول وأنا لا أرى ذلك؟؟!..



«الفصل العشرون»

«الشياطيـــــــن»

١٩٩٢ م..

أريد التعبير عـن أفكاري بـكل قوة وحماسـة. سـيصرخون وينبحون ضدي: مـن يظنـون أنفسـهم مثالييـن وعقـلاء، وسـيقولون إنـي مختل إني مجرم إني وحـش، ولكـن، ليأخذهم الشـيطان! فسـأعلن جميع أفكاري.

سـمعت صوت أبـي يقول هـذه الكلمـات بحماس فـي حين كنت أرتاح وأشرب بعض حليـب الفراولـة بعـد أن وقعت في ذلـك القبر العميق، فـي بدايـة الأمـر ظننـت أن أبـي يتحـدث مع أحـد الحرس المناوبين فـي المقبـرة لكـن مـا الـذي يقصـده أبـي بكلامـه هـذا؟ نهضت من على السـرير تقدمـت نحو النافذة أتجسـس كالعـادة على أبي كنت أرغـب أن أرى الشـخص الذي يتحـدث معه لكـن وجدت أبي وحده يقف مقابـلاً الهـواء والفـراغ لم يكـن هناك أي أحـد غيره هو والأموات..!

غفوت قليلاً فجأة سمعت صوت أبي يقوم بإيقاظي من النوم:

- انهض يا بني هيا يا ظلي حان الوقت للاحتفال بعيد ميلادك..

فتحت عينيّ الناعستين بكسل وخمول:

- الآن يا أبي؟

سألت بتعجب بعد أن رأيت من النافذة أن الوقت ما زال ليلاً دائماً في كل عيد ميلاد يحتفل بي أبي في الصباح بشكل طبيعي لماذا هذه المرة مختلفة؟

- نعم الآن لا تنس هذا اليوم مهم لك ستصبح بعد نصف ساعة في عمر السابعة وهذا العمر مهم جداً كنا ننتظر بشدة ليأتي هذا اليوم هيا انهض وقم بغسل وجهك..

أجاب بحماس وهو يساعدني على النهوض لم أكن مستوعباً لأن النوم كان يأكل خلايا عقلي بعد أن غسلت وجهي أدركت أن الساعة كانت الحادية عشرة وخمسين دقيقة مساء..

- هيا تبقى عشر دقائق فقط..

سحبني من يدي بعد أن ألبسني معطفاً خرجنا وما زلنا بالطبع في المقبرة فنحن نسكن فيها أغلب الوقت لم أكن خائفاً أبداً من وظائف أبي وتصرفاته التي كنت أراها طبيعية لكن هذه المرة شعرت بأن الخوف بدأ ينهش قلبي لأنه كأب طبيعي يحب ابنه من المستحيل أن يحتفل بعيد ميلاد ابنه في مقبرة وسط الأموات لكن أبي فعل! أعياد ميلادي الستة احتفلت بها في المنزل كان حتى عندما يكون في العمل يعود إلى المنزل مسرعاً لكي يحتفل بي لكن لماذا هذا العام مختلف؟ لماذا سيحتفل بي في المقبرة؟

مشيت مع أبي وهو ممسك بيدي مشينا عبر ممرات المقابر كنت أشعر بالبرد الشديد حتى وصلنا تقريبا إلى وسط المقبرة كان هناك منصة أو حجرة كبيرة شبيهة بنافورة قديمة مهجورة كانت مليئة بالشموع حول الدائرة وكان بالمنتصف كعكة كانت كبيرة جداً مما أثار حماسي وإعجابي وسعادتي ونسيت كل ما يحدث هنا غريب بالطبع لأنني مجرد طفل، سحبت يدي من يد أبي وركضت وصعدت على تلك المنصة وأنا أقفز فرحاً لأول مرة في حياتي أحصل على كعكة وليست أي كعكة كانت الكعكة دائرية كبيرة بيضاء وبها نقوش أو كلمة لكنها كانت بحروف أول مرة أراها في حياتي تلاشت الابتسامة وأنا أحاول أن أقرأ ما كتب:

- أبي ما هذا؟؟

أجاب وهو يلحق بي بابتسامة:

- هل أعجبتك المفاجأة يا ظلي؟
- نعم كثيراً لكن ما المكتوب هنا؟
- كتب على الكعكة ميلاد سعيد لأصغر بيتشيني بيننا..
- ماذا؟ من هو بيتشيني؟!
- نحن..
- ومن نحن أقصد من أنتم؟

نزل على ركبتيه لكي يصل إلى مستوى طولي أخرج أعواد الكبريت وأشعل ثلاث شموع ثم أضاف الرابعة وأشعلها:

- ستعرف كل شيء في الوقت المناسب يا ظلي والآن قم بإطفاء الشموع..

- لكن يا أبي عمري سبعة لماذا وضعت أربع شموع؟

- لا بأس هنا رقم عمرك مكتوب سبعة أعوام أما الشموع الأربع فكنا ثلاثة وأصبحنا معك أربعة..

نظرت إلى أبي وهو ما زال مبتسماً بسعادة ولست فاهماً عن ماذا يتحدث وعمّن يتحدث؟ قررت أن أطفئ الشمع وأستمتع بهذه الكعكة الله وحده يعلم متى سآكل كعكة مثلها:

- حسناً هيا يا أبي دعنا نطفئ الشموع معاً..

قال بسعادة:

- حسناً هيا بنا دعونا نطفئ الشمع معاً..

وعندما انتهى من كلماته أحسست بأشخاص حولي ينفخون الشمع معي حتى أن نفخاتي الصغيرة لم تلحق أن تطفئ الشموع بينما نفخاتهم هي التي أطفأت الشموع وكادت أن تطيرني من مكاني! التفت خلفي بسرعة وحولي لم يكن هناك سوى الصمت والظلام نظر أبي إلي وكأنه لا يوجد شيء يحدث:

- هيا بنا دعنا نقطع الكعكة

أخرج السكين ووضعه في يدي وبدأنا بقطع الكعكة كنت متحمساً كثيراً لتذوقها ما أن مددت يدي لأخذ قطعة أوقفني أبي:

- انتظر يا ظل،،

- لماذا يا أبي؟ أرغب بتذوق الكعكة..

- لا تقلق الكعكة كلها لك لكنْ هناك شيء يجب أن نفعله قبل الأكل

- ما هو؟

- أغمض عينيك..

أغمضت عينيّ بدون تردد بحماس ظنّاً أن أبي سيخرج لي لعبة الرجل الآلي الذي لطالما حلمت به لكن لم يفعل:

- أبي هل أفتح؟؟

- ليس بعد

سمعت صوت أبي وبدا لي وكأنه أصبح بعيداً ولم يعد يقف بجانبي:

- أبي إلى أين أنت ذاهب؟

سألته وعيناي ما زالتا مغلقتين لكن لم أجد أي رد منه هذه المرة، بدأ الرعب يدب في قلبي كان الهدوء مرعباً في الأرجاء وما زالت عيناي مغلقتين فضلت ظلام عينيّ على ظلام المقبرة لذلك لم أفتحهما كنت أسمع أصواتاً أحاول التركيز أصوات من هذه؟ هل هم من يتحدث أبي معهم؟ لكن من هم؟

- أبي أين أنت؟؟

أحسست بيدين ضخمتين وضعتا على أكتافي من الخلف!

كانت اليدان ساخنتين جداً ليستا دافئتين حتى كانت هناك رائحة

غريبة تفوح من الشخص صاحب اليدين كنت أعرف جيداً أنه ليس أبي لأنني أعرف أبي جيداً حتى لو كنت مغمضاً عينيّ بدأت أنفاسي تتسارع وقلبي يدق كان هو ساكتاً وأنا ساكت ينتظر أحدنا أن يبدأ لكنني وكأنني ابتلعت لساني كان جسدي يرتعش أردت أن أنادي أبي لكنني لم أستطع ثم فجأة بدأ يمسح على شعري بهدوء بعدها أمسك بيدي اليمنى وأنا ما زلت على حركتي وكأنني صنم وعيناي أغمضهما بقوة رفع يدي ووضع في باطنها صندوقاً أمسكت بالصندوق الصغير ثم رحل..

هنا تنفست الصعداء فتحت عينيّ لأجد أبي يقف بجانبي بابتسامة:

- أبي..

قلت بصوت ورجفة وغرابة على كل ما يحدث في يوم ميلادي:

- نعم أنا هنا هيا افتح هديتك..

- لكن هل أنت من وضعها في يدي؟!

- لا

أجاب بكل برود

- إذاً من؟؟

- إنه صديق أراد أن يكون معنا في هذا اليوم لقد أحضر لك شيئاً ثميناً هيا افتحها

نظرت إلى الصندوق كان منقوشاً عليه اسمي «ظل» فتحته بهدوء لأجد فيه قلادة كتب فيها: «ظل سيكون دائماً ظلاً

للأموات» أزحت القلادة جانباً ثم وجدت كتاباً كان للمؤلف نفسه الذي أعطاني إياه أبي لكنه كتاب آخر أكثر ضخامة ذو غلاف أحمر عليه أربعة أشخاص كالظل بعنوان «الشياطين» وضعت الكتاب جانباً، والتقطت الغرض الثالث كان عبارة عن قناع كان قناعاً غريباً وكأنه يبدو لشخص حقيقي أو وجه حقيقي! وضعت القناع جانباً وكان هناك غرض رابع كان عبارة عن سن،، سن حقيقي قلبته بين يديّ ثم نظرت إلى الصندوق كان فارغاً شعرت بإحباط لأنني لم أجد الرجل الآلي:

- هل أعجبتك الهدايا؟

سأل أبي بابتسامة

لم أكن أريد أن أعترض لكن بما أنها ليست من أبي قررت الاعتراض:

- لكن يا أبي لا يوجد رجل آلي

قلت بحزن

تقدم أبي نحوي وعانقني قائلاً:

- هذه الأشياء ليست لأمثالك أنت اليوم انضممت لعالم أروع بكثير من الرجل الآلي عالم سيجعلك تحصل على كل ما تريد وتحصل على كل الأحلام

- ما هو هذا العالم؟

- عالم «البيتشيني»

- أخبرني عنه؟

- حسناً بالطبع سأخبرك عنه لكن أولاً دعنا نأكل الكعكة

- أوه صحيح لقد نسيت

التفت بحماس نحو الكعكة وكانت تنقصها قطعة تعجبت سائلاً أبي:

- هل أكلت قطعة يا أبي وأنا مغلق عينيّ؟

- لا لم أفعل تعرف أنني سأنتظرك لكن قمت بضيافة صديقي الذي أحضر لك الهدايا فالواجب ضيافة الضيف أليس كذلك؟..

***

٢٠٢٣م

في ساعة مبكرة من صباح ٢٣ أبريل ١٨٤٩م وبأمر شخصي من القيصر نيقولا الأول ألقت الشرطة القبض على دوستويفسكي وأودع في قلعة بتروبافلوفسكي ومعه مجموعة كبيرة من أعضاء حلقة بتروشيفسكي، إذ قام أحد أعضائها بالوشاية وبينهم دوستويفسكي الذي أمضى تسعة أشهر في زنزانة منفردة في قلعة بطرس وبولس في مدينة بطرسبرج. حكم على الكاتب بالإعدام، واقتيد مع أعضاء الحلقة إلى ساحة الإعدام المطوَّقة بالقوات المسلحة وألبسوا قمصاناً طويلة بيضاء على قرع الطبول وقرئ عليهم الحكم بالإعدام رمياً بالرصاص، وأوثق ثلاثة منهم إلى

أعمدة خشبية مغروزة في الأرض. كان الروائي ينتظر دوره في مجموعة الثلاثية الثانية. وقف أمام كلّ منهم مجموعة من الجنود شاهرين بنادقهم المحشوة بالرصاص، وظل المحكومون ينتظرون تنفيذ الحكم مدة نصف ساعة في صقيع بلغ عشر درجات تحت الصفر ثم جاءت عربة وقرئ على المحكومين قرار القيصر بتخفيف الحكم من حكم بالإعدام إلى حكم بالأعمال الشاقة، وكانت هذه العملية تمثيلية مدبرة من القيصر نفسه لكي يفقدهم عقولهم، ويظهر بالوقت ذاته بمظهر الرحيم الغفور ولقد فقد أحدهم عقله بالفعل وطلب أحدهم في أثناء انتظار إطلاق النار لأن انتظار الموت أصعب من الموت نفسه، وشعر دوستويفسكي بعد استبدال القرار بالفرح وكأنّ حياة جديدة وهبت له وكأنه ولد من جديد. رؤية دوستويفسكي للفكر الاشتراكي وإمكانية التغيير بقوة اليد بعد أن خرج من السجن تغيرت وحدث تطور نوعي في فكره. يرى دوستويفسكي أن الاشتراكيين يريدون إعادة خلق الإنسان وتحريره وتصوره دون إله ودون نسب، وهم على قناعة بأن تغيير واقع الإنسان الاقتصادي هدف لا يمكن تحقيقه إلا بالقوة. هل يمكن الخلاص في ذلك؟ هل يمكن الوصول إلى كل هذا باستخدام السلاح- إن المسألة بهذه الصورة مقامرة بالإنسانية كلها.!

التقطت أنفاسي بانفعال بعد أن قلت كلماتي هذه لثيا، كان وقت الغداء كانت ثيا ما زالت معي منذ الأمس بسبب مرضي فجأة سألتني ثيا كالعادة عن رواية «الشياطين» وبدأنا بمناقشتها معاً:

- إذاً أنـا لا أفهـم هـذا الرجـل لطالمـا كانـت لديـه أفـكار غريبة غيـر مفهومة وأظـن القراء الذيـن يقرؤون لـه مثلك هـم أذكياء لكـن أحياناً أفكـر أشـعر بأنه يريـد أن يغسـل عقول أشـخاص معينين بكتابته..

قالت ثيا وهي تشرب عصير البرتقال:

- كان يريـد تغييـر العالـم فحسـب أقصـد مجتمعـه كانـوا يرون أفكاره أفـكاراً متمـردة على السـلطة والشـعب لكن هـذا ليس صحيحاً أبداً..

قالت ثيا وهي تقلب صفحات الرواية:

- ضللنا الطريق فما عسانا فاعلين
- الشيطان يجرنا هنا وهناك
- ويديرنا إلى كل الجهات

***

- ما عددهم، وإلى أين يسيرون مسرعين؟
- ماذا تعني أغنيات الحداد هذه التي يرددونها؟
- أهم يدفنون أحداً من أهلهم؟
- أم هم يزوجون ساحرة؟
- ماذا يقصد بهذه الأبيات؟؟

أجبت بحماس وأنا أزيح الكوب جانباً:

يبدأ دوستويفسكي الرواية بأبيات من بوشكين: السلاح الأول الذي سيرفعه في مواجهة الشياطين. الأبيات الأولى تتضمن تحليلاً لسيكولوجية الأبطال ويظهر الصراع الحاد بين العقل الذي يريد الثورة بكل دمويتها، وبين النفس التي تهوى الأرض والحرية. وهي إلى ذلك تصف حالة الأبطال الشياطين الميئوس منها في فترة متقدمة من الرواية. حين تتقدم الرواية سيتساءل القارئ: ماذا بعد؟ إلى أين سيذهبون؟ وأين ستذهب بهم هذه الأفكار الشيطانية؟ هم يعترفون بأن أفكارهم غير طبيعية، ولكن لا يؤمنون بذلك ولا يصرحون، لأنهم لا يؤمنون. الجزئية الثانية من القصيدة تصف حال المجتمع – والقارئ كذلك – وتقبلهم لهذه الآراء. بين لحظة وأخرى يظهر لك شخص غامض، ومن أفكاره وأحاديثه يظهر الولاء لأفكار الشياطين. أعدادهم غير محددة، قد يكونون من الأشباح وغير موجودين، لكنهم موجودون في أرض الحدث بكل قوة. أفعالهم في أحد فصول الرواية – الحفلة- تفسر بقية الأبيات، ما يفعلونه مخالف للعقل والمنطق، حب الألم لأجل التجربة، عدم الإيمان بالله، اللامبالاة تجاه المجتمع والأخلاق، كل هذا غير طبيعي ولكنه موجود. وإن كانت هذه القصيدة تعطي لمحات من أفكارهم ورؤية الشياطين، إلا أنها كذلك كانت مقدمة لهجوم دوستويفسكي تجاه الأفكار الجديدة. دوستويفسكي أراد لبوشكين أن يكون في

هـذا العمـل هـو البدايـة، أن يكـون هـو السـلاح الـذي يقتص منهـم، الشـياطين لا يؤمنـون بروسـيا يجسـدها بوشـكين، دوستويفسـكي يؤمـن ببوشـكين كمثـال وعبقـري للإنسان الروسي ويجب أن يسيروا على نهجه.

- إذاً هـم يعترفون بـأن أفكارهـم غيـر مقبولة وغيـر طبيعية وربما تكون مؤذية للآخرين لماذا يصرون عليها؟؟

سألت ثيا

أجبت وأنا أسحب الكتاب من يدها وأفتح على صفحات:

- انظري في البداية الثانية يقول:

وكان هنـاك قطيـع كبير مـن الخنازيـر يرعى فـي الجبـل، فتضرعت الشياطين إلى يسـوع أن تدخل فـي الخنازير، فـأذن لهـا، فخرجت من ذلـك الإنسـان ودخلـت فـي الخنازيـر، فاندفـع القطيع مـن أعلى الجـرف إلـى البحيـرة وغـرق فيهـا، فلمـا رأى رعـاة القطيع مـا حدث هربـوا ونشـروا النبأ فـي المدينة وفـي القـرى، فخـرج الناس ليروا ما جرى، فلمـا وصلـوا إلـى قـرب يسـوع وجـدوا الإنسـان الـذي كانت الشـياطين قـد خرجت منـه، وجدوه لابسـاً ثيابـه، مالـكاً عقله، جالساً عند قدمي يسوع، وروى لهم شهود الحادث كيف خلص المجنون.

- ثم؟؟ ماذا يقصد؟

- المقدمة الثانيـة للرواية كذلك لافتـة للنظر. تصـدرت الرواية بعـد قصيـدة بوشـكين بضعـة سـطور مـن إنجيـل لوقـا. هذه

المقدمة الثانية أراد لها دوستويفسكي أن توضح حال الشياطين حين تخرج من كائن بشري وتدخل في الخنازير. حالة الخنازير حين تدخل الشياطين فيها مثيرة للسخرية، إذ تسقط بكل ما فيها من أعلى الجرف إلى البحيرة وتغرق فيها. بين ثنايا النص وصف لحالة إنسان تخلص من أفكار الشياطين وتحكمهم به، بمجرد خروج الشياطين من هذا الإنسان ملك عقله وأصبح إنساناً سوياً وجلس عند قدمي المسيح يشكره جزاء خدمته. اقتباس نص من الإنجيل لم يكن لوصف حالة أبطال الرواية فقط، بل يتضمن كذلك السلاح الثاني الذي سيستخدمه دوستويفسكي لمهاجمة الشياطين، السلاح هو الإنجيل، ذلك الكتاب الذي ينكره الشياطين، هؤلاء الشياطين الذين يخرجون من المريض ليدخلوا في الخنازير هم جميع الجراح والقاذورات الصغيرة والكبيرة التي تراكمت خلال قرون في روسيا المريضة. الآن مقدمة الرواية تتضمن مقدمتين هما مفتاح الهجوم ضد الشياطين وتعريتهم أمام الملأ: بوشكين، الأب الروحي للآداب الروسية، والإنجيل.

انتهيت من كلامي بينما كانت ثيا تنظر إلي بابتسامة:

- تعجبني عندما تتحدث كثيراً لأنك عادة لا تتحدث

- أراهن أنك سمعتِ شيئاً من حديثي؟

ضحكت قائلة:

- لا تخفْ لقد سمعته كله لكن لماذا تحب هذه الرواية بالذات على ما يبدو لي أنك تحفظها مثل اسمك؟

- لربما لأنها تشبه أبي وأصدقاءه..

همست بصوت غير مسموع

- ماذا؟؟

- لا، لا شيء إن أبي يحب دوستويفسكي كثيراً وأنا مثله لقد أهداني أول كتاب في حياتي وكان لدوستويفسكي وأنت تعرفين ذلك..

قاطع حوارنا صوت رنين هاتف ثيا علمت بأنها والدتها لذلك قررت المغادرة بعد أن عانقتني وأعطتني محاضرة كاملة عن الراحة والانتباه إلى النفس وغادرت، أما أنا فأخذت إجازة مرضية لمدة ثلاثة أيام لأكون صادقاً كنت أشعر بأنني بخير تماماً لكنني قررت استغلال الفرصة لكي أركز في هذه الشبكة المرعبة وهذه الجثة، توجهت إلى غرفتي وفتحت خزانتي التي يحتفظ فيها الناس بأموال وأوراق مهمة ومجوهرات أما أنا فكنت أحتفظ بداخلها بكل شيء مريب وعجيب أخرجت الصندوق الأسود أول هدية أتلقاها من صديق أبي كما قال في عيد ميلادي السابع ما زلت حائراً حتى هذه اللحظة ماذا تعني هذه الهدية؟ شيء واحد عرفته وهو القلادة لربما كان هذا الرجل يعرف موهبتي المستقبلية فمن هنا ومن ذلك الوقت بعد أن لبست القلادة التي كتب فيها:

الظل ستكون ظلّاً للأموات» تغيرت وجهة نظري للحياة فأصبحت أرى كل شيء مملّاً سخيفاً وأن الأحياء وحوش بشرية من هنا أردت أن أعتني بالأموات مثلما كان يفعل أبي وأكثر أيضاً لربما كان صديق أبي يعلم حقّاً ما يدور في نفسي حتى لو كان في المستقبل البعيد، بعد ذلك اليوم تلاشى الخوف من قلبي الخوف من الأموات والجثث بل أصبحت أنجذب إليهم وأعطف عليهم، لكن إلى الآن لم أعرف ما الذي تعنيه السن والقناع؟ أما بالنسبة للكتاب رواية الشياطين فلربما كانت تحكي قصة والدي وأصدقائه لكن بشكل آخر كان أبي يقول دائماً: أرغب بتغيير العالم أرغب بإظهار أفكاري ولا يهم ما يقولونه عنّا لكن ما هي هذه الأفكار؟ هل من الممكن أن يكون كان يريد أن يحتفظ بالجثث في منزله مثلي؟ لكن لا أظن ذلك لأنه كانت وقتها هذه المهمة سهلة جدّاً أسهل بكثير من الآن لأنه لا أحد يهتم ببساطة ثانياً لا يوجد حكومة لا يوجد كاميرات لا يوجد أسئلة وتحقيق وعلاوة على ذلك كنا نعيش في قرية غريبة لو تموت على قارعة الطريق فسيمشي من فوقك لأشهر عديدة بدون مبالاة إذاً ماذا كان يريد أبي؟ ما هي الأفكار التي كانوا يرغبون بإخراجها للعالم هو وأصدقاؤه والأغرب لماذا لم يجعلني يوماً أرى أصدقاءه أو أقابلهم حتى؟! رغم أنه قال في تلك المرة أصبحت واحداً منهم لكن كم عددهم ومن يكونون «البيتشيني»؟ لدي معلومة واحدة عنهم فقط وهم كانوا جماعة يقومون بتجميع الجثث بسبب كثرتها في أيام الطاعون الأسود فقط هذا ما أعرفه ومهما بحثت

عنهم لا أجد أي شيء لكن أعجبني كثيراً الاسم والمهنة لذلك أخبرت أبي بأني أريد أن يسميني بهذا الاسم لكنه رفض وفي يوم من الأيام عندما انتقلنا إلى المدينة بعد تخرجي من الابتدائية وجدت مكتوباً في حائط غرفتي: «ظل البيتشيني» عندما سألت أبي بدا عليه الخوف والرعشة وظل يمسح الحائط يومين متتاليين لم أسأله وقتها عن خوفه وغضبه لكن عندما انتقلنا من القرية عاد أبي بشكل تدريجي للتصرفات الطبيعية وشعرت بأنه كأنه يقوم بتهريبي من أحد ولا أعرف من؟

«الفصل الحادي والعشرون»

«أمي عادت من الهاوية»

١٩٩٠ م

لا أعلم إلى متى سأنتظر؟ لقد مللت العيش في هذا الجحيم لقد فعلت كل ما تريدونه!

قالت أمي صارخة في وجه أبي كالعادة كنت وقتها لم أبلغ السادسة بعد استيقظت من نومي في منتصف الليل بسبب أصواتهما العالية تقدمت نحو الباب أولجت رأسي بهدوء لكي أرى أن أمي وأبي كانا في صالة المعيشة وأصلاً لم أرَ أمي في يوم واحد تنام في الغرفة نفسها التي ينام فيها أبي كانت أمي أغلب الأيام تنام معي أو في صالة المعيشة وكأن أبي مجرد فيروس تحاول أن تتجنبه بقدر الإمكان كي لا تصاب بعدوى:

- لقد فعلتِ هذا من أجله بالطبع وليس من أجلنا أنا وظل..

قال أبي ببرود كالعادة

- ولماذا أنت تنتظر أن أفعل شيئاً من أجلكما؟ أخبرني؟ على كل الأحوال أخبره حالاً بأنني أريد مقابلته وفوراً..

قالت بحزم

- لكن أنتِ تعرفين أنه لا يقابل أي أحد..

- ماذا؟ أصبحت الآن أي أحد؟

قالت بصدمة

- بالطبع يا «كاثرين» أنتِ تعرفين أنه لا يعتبرك أي أحد ولا يعتبر أي أحد في العالم لديه شخص واحد يهتم لأمره فقط وكلانا نعرف ذلك إذاً هذا لا يغير شيئاً لأنك فقط في تلك الليلة نمتِ معه لا تظنني أنه سيجعل منك شيئاً أنت لا شيء بالنسبة له..

قالت بعد أن ضحكت ضحكة مدوية:

- إذاً أنت تعرف بذلك حقّاً؟ أنت تعرف أنني قمت بخيانتك؟ ورغم هذا ما زلت تحتفظ بي أليس كذلك! حسناً أنا لا شيء بالنسبة له على الأقل أفضل من أن أكون خادماً له تصدق أنني أشفق عليك أنت مجرد وحش بشع نكرة لا أحد يحبك الجميع يتقززون وينفرون منك ماذا تتوقع؟ ليس لديك شكل ولا شخصية ولا حتى أخلاق ما أنت إلا علة على هذا الكوكب وتحاول أن تصنع لك شيئاً من تقربك من ذلك الخبيث ما أنتم جميعكم إلا على تشكيلة واحدة خبيثون وشياطين، سيأتي اليوم الذي أخرج فيه من هنا وأفضحكم جميعاً..

قالت أمي كلماتها القاسية كالعادة لأبي ولم يحرك ساكناً واكتفى بقراءة الكتاب الذي كان يمسكه بين يديه وشرب بعض

الشاي أما أنا فشعرت بنار تحترق في صدري لماذا أبي لا يفعل شيئاً؟ لماذا لا يدافع عن نفسه؟ لماذا لا يهجرها فحسب؟! الأدهى أنها قامت بخيانته أيضاً وهو يعرف لكن يبدو كالصنم الذي بدون مشاعر..

***

٢٠٢٣ م..

هناك مليون سؤال في رأسي؟ لطالما كنت أحمل هذه الأسئلة معي طوال حياتي وتزداد يوماً بعد يوم أسبوعاً بعد أسبوع شهراً بعد شهر سنة بعد سنةَ من دون أن أجد لها أجوبة، بعد أن غادرت ثيا قررت أن لا أدخل الاستديو ولا أدخل ذلك الموقع ولا أذهب أصلاً إلى القسم الثاني من القصر أردت أن أجمع شتات أفكاري وأقضي يومي بشكل عادي وهادئ انتهيت من تناول الغداء حضرت لي كوب قهوة بدأت بتحضير أسئلة الاختبار النهائي لطلابي وصلت شحنات عديدة لي من لوحات وتحف اقتنيتها مؤخراً لكن لم أفتحها إلى الآن، أشعلت سيجارتي الأولى لهذا اليوم رن هاتفي وعاتبت نفسي كان من الأفضل أن أجعله في وضع الصامت رفعت الهاتف إذ أراه رقم المحقق «نيكولاس» أوه تباً لقد نسيت أمره تماماً نسيت أنه عرض علي ذلك المشروع منذ ما يقارب أسبوعاً وقلت بأنني سأفكر وأنا نسيت أصلاً لم يكن لدي خيار آخر لذلك قمت بالرد عليه:

- مساء الخير أيها المحقق..

- مساء النور يا ظل مـا الخطب؟ لقـد اتفقنـا أن ننادي بأسمائنا الأولى

- أوه نعم مساء الخير يا نيكولاس

قال ضاحكاً:

- أنـا الآن راضٍ دعنـا ندخل فـي الموضـوع وأنت تعرفـه لم ترد علي بشأنه هل أنت موافق لتتعاون معي أو لا؟!

سكت لثوانٍ ثم استرسل في حديثه وبدا مصرّاً:

- صدقني يجب أن تقول نعم

- ولماذا يجب أن أقول نعم؟

سألت بهدوء

- ستسـأل الآن لمـاذا قمـت باختيـارك أنت بالـذات بينمـا هناك ملاييـن المحققيـن والأطبـاء الشـرعيين والجنائييـن وسـتقول أنـت مجـرد بروفسـور فـي الجامعـة صغيـر بالسـن وطبيب جنائـي مـاذا سـتفعل مـع قضايـا بـاردة لـم تحـل والجثث أصبحت رماداً وهياكل عظمية أليس كذلك؟!

- بالطبع هذه الأسئلة التي دارت في رأسي‹‹

- حسناً سأخبرك: لأنني كنت أراقبك منذ زمن..

- تراقبني؟؟

سألته بدهشة

- نعم منذ قضية الكابوس أنت الوحيد في ذلك الوقت الذي أثرت إعجابي وإعجاب الجميع بذكائك لقد جعلتنا نصل إلى سفاح كنا نطارده ونراه كالشبح منذ خمس عشرة سنة تقريباً صحيح أنه في نهاية الأمر هرب لكن لم أنسَ بذكائك وتشريح الجثة الوحيدة التي أظهرها لنا الكابوس من جثة واحدة وكانت خاطئة استطعت أن تعرف من القاتل لهذا أرغب بعقلك أكثر من تشريحك..

- لماذا هل الذين حولك أغبياء؟

سألت بسخرية

أجاب ضاحكاً:

- صراحة ليس لدي إجابة لهذا السؤال احتراماً للعشرة التي بيننا

ضحكت وكانت أول مرة يضحكني شخص غريب وليس صديقاً لي على الرغم من أنه ليس لدي أصدقاء سوا ثيا علمت لربما سيكون صديقاً لي إنه يحمل شخصية مشابهة لشخصيتي لربما لديه جانب غريب مثلي لذلك وافقت:

- حسناً أنا موافق..

سمعت الحماس في صوته:

- أوه شكراً لك يا ظل سآخذ الموافقة من مدير المنطقة على هذه القضية ثم سنلتقي وأخبرك بجميع التفاصيل..

- حسناً أنتظرك وداعاً..

أغلقت الخط وعدت إلى وضعية الاسترخاء وأنا أسحب آخر نفس من السيجارة، رغم أنني أحاول أن أجمع شتات أفكاري وأحصل على بعض الهدوء والراحة إلا أنني أكذب على نفسي هناك رغبة شديدة تخبرني أن أنهض وأذهب إلى الاستديو لأن وأدخل إلى تلك الشبكة التي باسمي وهي بلغة غير معروفة حتى وتسمى لغة الشيطان! صحيح يجب أن أبحث عن هذه اللغة بما أنني عرفت ما هي بشكل جزئي لكن استوقفني صوت رنين هاتفي يا إلهي لماذا أنسى في كل مرة أن أضعه على وضع الصامت؟ رفعت الهاتف إذ أراه رقماً غريباً يعود إلى هاتف عام لم استغرب لأن الكثير يتصلون بي من جميع المؤسسات والمعارض والجامعات وغيرها كنت أرغب بتجاهله وبالفعل تجاهلته لكن عاود الاتصال مرة ومرتين وثلاثاً كان المتصل مصراً جداً لهذا عزمت أمري وأجبت:

- مرحباً من معي؟

- مرحباً سيد «أليكساريس»؟

نعم تفضلي..

- معك إدارة مستشفى الأمل للصحة النفسية بمدينة «لوبران»

- أهلاً تفضلي ما الخطب؟

سألت بتعجب لأن هذه أول مرة أتلقى مكالمة من المصحة النفسية وأيضاً تقع في مدينة خارج العاصمة، علاوة على ذلك ليس لدي أي عمل في أماكن كهذه لماذا قاموا بالاتصال علي؟:

- حسناً لدينـا هنـا مريضة سـيتم إطـلاق سـراحها بعـد الغـد وبما أننا حريصـون على عنايـة المريـض وحتى عند الخـروج نحرص على أن نسـلمه إلـى عائلتـه أو أي أحـد مـن معارفـه وأقاربـه، طـوال الوقـت كنـا نظـن أنـه ليـس لديهـا أي أحـد لكـن مؤخـراً كانت تردد اسمك وترغب برؤيتك حتى توصلنا إليك..

- لحظـة!! عمّـن تتحدثيـن يـا سـيدتي؟ لربمـا أنـك مخطئـة أنا لا أملك أي أحد في الصحة النفسية؟؟!

أجابت بجدية:

- لا يا سيد «أليكسـاريس» نحـن لسـنا مخطئين أنـا أتحدث عن والدتك السيدة «كاثرين سبستيان» أليست هذه والدتك؟؟

أتت كلماتهـا علي مثـل الصاعقـة التـي ضربـت دماغي لـم أعد أسمع شيئاً من حولي سـوى صوت طنيـن يصم أذنـيّ، دقـات قلبي أصبحت متسـارعة سـرت الرعشـة فـي جميـع أجـزاء جسـدي مـن الداخل والخـارج لدرجة شـعرت حتـى أعضائـي الداخليـة ترتعش، كنت أسمع صـوت المـرأة تناديني مـن خلـف السـماعة لكنني لا أستطيع الـرد عليهـا أسـمع صوتهـا وكأنـه قـادم مـن داخـل بئـر عميقة وكأن لساني أصبـح ثقيـلاً وأصيـب بالشـلل مسـتحيل!! أمي التي لم أرهـا ولم أسـمع عنهـا أي شـيء منـذ أن كان عمري خمسـة أعوام وحتـى الآن خمـس وثلاثـون سـنة!! أمـي التـي غـادرت بعـد أن قالت لـي كلماتهـا القاسـية التي لـم أنسـها طـوال حياتي، أمـي التي هجرتنا بسـبب أنها ترغب بـأن تكـون عارضـة أزيـاء مشـهورة جميلة

العالم يتحدث عنها وعن جمالها لكنه لم يحدث ذلك، أمي التي لم تكن أمي أصلاً وكانت أمّاً بالاسم لم أشعر يوماً بأنها أمي بقدر ما شعرت بأنها أم أصلاً..!

- سيد ظل هل تسمعني؟؟

- نعم.. كان الصوت يقطع فقط..

قلت متداركاً صدمتي ململماً شتاتي بعد أن تناثر أحاول أن أخفي رجفة صوتي وخنقتي التي تكاد تخنقني:

- نعم هذا ما ظننت لذا السيدة كاثرين مؤخراً أعطتنا اسمك وقالت بأنك ابنها صراحة لا أعلم ما الذي بينكما وكيف علاقتكما بعضكما ببعض لكن يجب أن نتحدث معاً هل من الممكن أن تأتي إلى هنا؟

عمّ صمت لمدة دقيقة كنت مشتتاً ضائعاً تائهاً لا أعرف ما الذي أقوله أرغب بأن تنتهي هذه المكالمة فحسب لذلك أجبت:

- أوه نعم حسناً سآتي غداً..

- شكراً لتفهمك يا سيد، سعيدة بأنك وافقت أنتظرك إذاً..

أغلقت الخط وأنا ما زلت متسمراً أضع الهاتف على أذني غير مستوعب شيئاً غير مدرك على أمل أن هذا كابوساً من كوابيسي كالعادة وضعت الهاتف على الطاولة بصمت بقيت جالساً في مكاني حتى غربت الشمس حرفياً من الساعة الواحدة ظهراً وحتى السادسة مساء جالس هكذا فقط أحدق بالحائط

توقعت كل شيء توقعت أن تلك الجثة في الاستديو ستنهض ونسير لكن لم أتوقع أن أمي ستعود إلى حياتي! لم يوقظني من سباتي إلا صوت قادم من الممر كان الصوت قوياً وكأن أحدهم بركض ومر من جانب غرفتي!! استيقظت أخيراً من صدمتي ونظرت نحو الباب كان مغلقاً نظرت إلى القهوة التي تجمدت من البرودة السيجارة التي تحولت إلى رماد لأنني تركتها جهازي اللوحي الذي بدأ يعطيني تنبيهاً بأن الشحن انتهى نظرت إلى الساعة ورأيتها السادسة تماماً، يا إلهي كيف لم أشعر بكل هذا الوقت مر وأنا جالسٌ هكذا وكأنني كنت نائماً لكنني لست نائماً؟ نهضت من على الكرسي وضعت الجهاز اللوحي في الشاحن وهاتفي كذلك التقطت كوب القهوة في يدي وخرجت من الغرفة، كان الظلام قد سيطر على المنزل بالكامل كله:

- أليكسا أضيئي المنزل..

- حسناً يا سيد

أضيء المنزل بالكامل كنت أقف عند حافة السور المطل على صالة المعيشة وعندما أضيء المنزل هنا لمحت ظلّاً ما يقف ثم تحرك بسرعة كبيرة ودخل أسفل السور من الجانب الآخر، اكتفيت من الصدمات اليوم لذلك كنت أقول لنفسي لربما الهلوسات ستعود إلي وأيضاً بسبب نفسيتي المدمرة بسبب الصدمة التي تلقيتها قبل ساعات، تجاهلت الأمر تماماً نزلت إلى المطبخ وضعت الكوب كان كل ما أريد فعله أن أذهب إلى أبي وأخبره لكنني كنت متردداً أحتاج إلى أحد لكي أخبره أريد أن

أخرج ما بداخلي هل أخبر ثيا؟ لا أحب أن يشفق علي أحد لا أحب أن أخبر أي أحد عن بؤسي في الماضي وكيف تركتني أمي وكيف كانت حياتي أخبرت ثيا سابقاً أن أمي وأبي تطلقا فحسب وكذبت عليها بأن أمي بين الحين والآخر تتحدث معي لذلك لن أخبر ثيا ولا حتى أبي سيشعر بالاستياء والحزن ولربما سيمرض أحب أبي أمي كثيراً لكن في المقابل على ماذا حصل منها؟ لا شيء سوى الإهانات والخيانة والهجر، لم أكن أرغب بفعل أي شيء ولا أستطيع فعل ذلك أصلاً كل تفكيري كان في رحلة الغد إلى تلك المصحة لكي أقابل أمي التي هجرتني منذ ثلاثين عاماً لا أعرف كيف أقابلها هل ستتعرف علي؟ هل سأتعرف عليها؟ تلك المرأة الجميلة التي من جمالها كان الجميع في القرية يتهمون أبي بالسحر وأنه قام بسحرها لذلك تزوجته لأنه لا يوجد امرأة عاقلة تتزوج رجلاً أكبر منها وفقيراً ويملك أقبح وجه في العالم! لم أنم في تلك الليلة حرفيّاً كنت مفصولاً عن الواقع هاتفي يرن لربما ثيا وأصدقاء العمل يرغبون بالاطمئنان علي لكنني بالطبع لم أرد على أحد، استلقيت على السرير وأنا غير مبالٍ ولا مهتم حتى بالأصوات التي أسمعها لم أعد أدرك أين الحقيقة وأين الخيال وقبل أن أغفو أخيراً رأيت في زاوية غرفتي كلباً أسود كالعادة هو نفسه ذلك الكلب المخيف الذي قتلته في حديقة منزلي قبل أيام والذي قتله الملاك الحارس قبل سنوات وأنا طفل في منزل أبي لكن اليوم إذا أراد الهجوم ونهش لحمي فانا لن أمانع ولن أقاوم مات الشغف للقتال والنجاة..

أرى وجوه المـارة جميعهـا بعضهـا مثل بعـض هل أصبت أيضاً بعمى الوجوه؟ أم أنهـا حالة مؤقتـه فقط؟ جسـدي لا يكف عن التعرق أحـاول أن أخفي رعشـتي وتوتـري وصلت إلى تلـك المدينة التي لا تبعد عـن العاصمة إلا سـاعة واحـدة بالطيـارة كانـت المدينة تعتبر صغيـرة جـداً ومتواضعة أيضـاً تعتبر شـعبية حيث أغلـب الناس الذين يعيشـون بهـا يملكـون منازلهـم الخاصـة كانـت مدينـة ريفيـة بمواصفات القـرى لكنهـا مدينـة متحضـرة نوعـاً مـا، توجهـت مـع سائق خاص لأنني أعلـم جيـداً أني لـن أسـتطيع أن أقـود وأنـا بهذه الحالة في كل خطوة أخطوهـا يزداد توتـري وهلعي أكثـر وصلنا إلى المستشفى بسـرعة لكننـي شـعرت أنـه كالمـوت البطـيء بعـد أن انتهيت من إجـراءات الدخـول دخلت كنـت أسـير في الممـر وأرى أنه يزداد طولاً يرفض أن ينتهي حتى وصلت إلى مكتب المديرة:

- مرحباً سيد أليكساريس تسعدني رؤيتك..

مدت يدهـا كنـت أدعـو اللـه أن تكـون يـدي جفـت مـن التعرق قلت وأنا أصافحهـا محـاولاً أن أكون شـخصاً طبيعيّـاً رغـم أنني لم أكن يوماً طبيعيّاً:

- أهلاً شكراً لك آمل أنني لم أتأخر..

- على العكس أتيـت مبكـراً وهذا لـم نتوقعـه أصلاً ولـم نتوقع أنك ستأتي لأكون صريحة

- ولماذا؟

سألتها

- هكذا أغلب الأبناء خصوصاً إذا كانوا منقطعين عن أحد والديهم وعندما يكون أحد الوالدين هنا نتصل بهم لا يردون علينا وإذا قاموا بالرد يماطلون بالمجيء والبعض يقول بأنه لن يأتي ولن يهتم والآخر يقوم بالجحود والإنكار أن هذا والده أو والدته وهكذا، لكن أنت مختلف جداً حقاً أنت شخص متعلم ومثقف وتفكيرك رائع لا أرغب بالتدخل في علاقتكما لكن كوني أخصائية نفسية لقد صدمت عندما اعترفت كاثرين أخيراً بأن لديها ابناً وصدمت أكثر عندما قالت إنك أنت ابنها لكونك شخصاً ناجحاً جداً في المجتمع وخارجه ومشهوراً في البداية لم نصدقها ولكن عندما أخرجت صك وثيقة طلاقها من زوجها الذي كان اسمه ولقبه هو لقبك علمنا بأنها تقول الحقيقة..

سكتت قليلاً ثم أكملت حديثها:

- كنت أرغب بلومك لكن علمت مؤخراً بعد أن أخبرتنا كاثرين بأنها هي التي هجرتك أنت ووالدك لذلك لم تكن تتوقع أصلاً أن تبحث عنها لربما لأنك تكرهها بشدة على ما فعلته أخبرتني بأن لا أتعب نفسي وأتواصل معك لن تأتي لكنني قررت التواصل معك وأنت أتيت بسرعة حقاً إنك ابن رائع..

لم تكن لدي حقاً الكلمات المناسبة لقولها لم أستطع أن أعبر وأظهر مشاعري ما زال صوت الطنين يضرب في رأسي لم

...ستطيع الآن أن أنهي هـذا الحـوار المطول لأنني أرغـب بالانتهاء من ...ا الكابوس:

- أين هي؟ ومنذ متى وهي هنا؟

كنت أتوقع أنها دخلت مؤخراً لربما كانت مدمنة لربما كانت ...بها جميع الأمراض النفسية لربما كانت مشهورة وعارضة أزياء ...انتهى بها المطاف مثل أغلب المشاهير بالإدمان والاكتئاب بعد أن ...كبرت في السن لكن لم يكن أي من هذا عندما قالت المديرة بحزن:

- السيدة كاثرين كانت هنا منذ ما يقارب تسعة وعشرين عاماً..!

...هاوية أخرى ابتلعتني اتسعت حدقتا عينيّ تسارعت نبضات ...قلبي بعد أن هدأت قليلاً للتو شعرت بقشعريرة تسري في أجزاء جسدي تسعة وعشرون عاماً!! تسعة وعشرون عاماً وأمي هنا في المصحة النفسية؟ مستحيل هذا يعني أنه من اللحظة التي خرجت فيها من منزل أبي لم يستقبلها العالم الذي كانت تنتظره لم تستقبلها الشهرة لم يستقبلها المال والنفوذ والجمال والسلطة لم يستقبلها عالم الأحلام الذي كانت تحلم به وكل ما استقبلها هو المصحة النفسية! المصحة النفسية الوحيدة التي أخذت أمي بين الأحضان منذ تسعة وعشرين عاماً..

- ماذا؟؟ ماذا تقولين؟

قلت برجفة وصدمة

- أعلـم بـأن الخبـر كان مفاجئاً لـك وصادمـاً لكن للأسـف هذه الحقيقـة كاثريـن في هذا المستشـفى عاصرت الكثيـر والكثير في حقيقـة الأمـر كاثريـن فـي البدايـة دخلت السـجن بسـبب تهجمهـا علـى شـخص كان قـد حكـم عليهـا أشـهراً فقـط وتخـرج لكـن للأسـف فـي السـجن كاثريـن فجـأة أصبحـت عدوانيـة وقتلـت امـرأة معها كانـت في السـجن وعـلاوة على ذلـك أخرجت عينيهـا والتهمتهـا لهذا وطـوال فتـرة المحاكمة لـم نسـتفد شـيئاً مـن أجوبتهـا كانـت تهلـوس وتكتـب علـى الحائـط كانت طـوال الوقت تقـول بأن هنـاك شـياطين هم من قامـوا بتوريطها في هـذا الأمر وهـم مـن قادوها إلـى الجنون، حكـم القاضـي عليهـا بـأن تقضـي حكمهـا فـي المصحـة النفسـية وهـا هي بعـد أن حصلـت علـى تخفيف حكـم أنهت محكوميتها وستخرج..

يا إلهـي كل هـذا حدث لهـا إذاً أمـي لم تكـن تعيـش حيـاة الرفاهية التي كنت أتخيلها لربما أنا كنت أعيش حياة رفاهية بالنسبة لحياتها:

- حسناً إذاً متى يمكنني أن آخذها؟؟

سألت وأنـا أحـاول أن أجعـل المديـرة تنهـي حوارهـا وتسـكت ولا تخبرني بمصيبـة أخرى ثـم ابتسـمت وقدمت لـي أوراقـاً وقعت عليها وأنـا أحـاول أن أخفـي رعشـة يـدي، أخبرتنـي بأنهـم سيحضرونها بعـد دقائق فقـط علـي الانتظار هنـا وجهـت رأسـي إلى باب الغرفـة أنتظـر دخولهـا كان قلبي ينبـض بقـوة لدرجة أشـعر بأن المديـرة بالفعـل تسـتطيع سـماعه لم أعـد قـادراً علـى التنفـس أفكر

بالهروب فحسب أفكر بالنهوض والركض كالأطفال وأفتح الباب وأغادر هذا المستشفى والمدينة بكبرها وأعود لحياتي أفكر وأفكر وأفكر ندمت على عدد حبات شعر رأسي لعنت نفسي مائة مرة لماذا أتيت؟ لماذا لم أتجاهل فحسب مثل الأبناء الآخرين؟ لكن فات الأوان على الندم عندما سمعت صوت صرير الباب يفتح كالموت البطيء فتح الباب دخلت الممرضة إذا هي تمسك في يدها شخصاً يشبه كل شيء إلا أمي كاثرين تلك المرأة الجميلة التي كان عمرها ٢٨ عاماً جسدها النحيل الطويل قوامها المشوق هيئتها التي كانت تبدو كعارضات الأزياء غزارة شعرها الأسود الطويل ملامحها التي كانت تبدو أجمل امرأة على هذا الكوكب، كاثرين تلك المرأة التي كانت تموت جوعاً لكنها تصرف نقودها التي تحصل عليها من بعد معاناة تصرفها في أدوات التجميل والملابس بدل أن تشتري لها طعاماً أو لابنها كاثرين التي كان جميع الرجال يرغبون بها وكانت كالحلم البعيد بالنسبة لهم! هذا كله كانت فقط ما ظهر الآن أمامي كاثرين بالاسم فقط الاسم الوحيد الذي احتفظت به وكل شيء اختفى وأصبح هباء منثوراً، ظهرت أمامي امرأة طاعنة في السن وكأن عمرها مئة عام وليس في نهاية الخمسينيات، بشرتها التي كانت متشققة وشاحبة البثور التي تملأ وجهها وأياديها التي كانت تبدو ممزقة وكأن كلباً ما كان ينهش منها كل يوم، شعرها الذي أصبح بضع خصلات فقط بعد أن كان غزيراً بغزارة شعر الفرو، جسدها النحيل الذي بدأت العظام تبرز من جلده عيناها الغائرتان وجهها

الـذي أصبـح كالشـبح أو الجثـة الميتـة حتـى الجثـث التـي عنـدي حالهـا أفضـل بكثير مـن حال هـذه المـرأة كانـت باختصار كالمسخ كما كانت تلقب أبي وتسخر منه..

- ظل...!

قالت بصوت واهن متعب مهلك

- نعم.. نعم هذا أنا..

أجبت بتلعثم وأنا أحاول تجاهل النظر إلى عينيها..

- نعم يا سيدة كاثرين إنه ابنك تفضلي بالجلوس..

قالت المديرة وعلى ما يبدو هي السعيدة الوحيدة هنا بهذا اللقاء:

- لقـد وقـع السـيد ظـل للتـو علـى أوراق خروجـك تهانينـا يـا كاثرين سنشتاق لك وأتمنى لك حياة هادئة وزاهية..

- زاهية؟

قالـت بصـوت خانـق وخافـت وكأنهـا تقـول أي زهو سـيتنظرها بعد هذه السنوات ثم التفت نحوي وقالت:

- لم أكن أتوقع أن تأتي.. لماذا أتيت؟

اكتفيـت فقـط بالصمـت ولـم أرد عليهـا لأنـني بالفعـل لا أعرف مـاذا أقـول وكان الصمـت هـو سـيد الموقـف التفـت إلـى المديرة وقلت:

- هل انتهى الأمر الآن؟ سنغادر؟

- أوه بالطبع انتهى كل شيء السيدة كاثرين لديها فقط هذه الحقيبة خذها معك سأظل أتواصل معك بشأن العلاجات والجلسات التي تحتاجها هناك ولربما من الأفضل بالطبع إذا كنت ترغب بأخذها إلى العاصمة سأقوم بتحويل ملفها..

- حسناً سأتواصل معك عندما نصل إلى هناك

- شكراً وداعاً

قام الأطباء والممرضات بتوديع كاثرين بحب يبدو أنهم أصبحوا معتادين على وجودها وفي المقابل كانت كاثرين حزينة جداً وكانت تبكي كنت متعجباً من أن أمي أصبحت تبكي تلك المرأة القاسية الآن لديها مشاعر وتبكي لقد كسرتها الحياة بقوة والحياة عندما تكسر إنساناً مستحيل أن يصلح هذا الكسر..

أخذت أمي وصعدنا إلى السيارة ثم إلى الطيارة وحرفيّاً طوال الساعات كان الصمت هو الحاضر فقط لم أتحدث إليها ولم تتحدث إلي لم أنظر حتى في وجهها ولم تنظر إلي عندما وصلنا إلى العاصمة وصعدنا إلى السيارة كنت متردداً في قلبي هل آخذ هذه المرأة الغريبة إلى منزلي؟ إنها حية والأحياء لا وجود لهم في منزلي، ثم نطقت أخيراً بصوت باهت:

- لا أرغب في الذهاب إلى منزلك ليس لأنه منزلك بل لأن ذلك الشيطان القبيح بالتأكيد ما زال يعيش معك..

أتت كلماتها كالصفعة على وجهي إذاً هي لم تتغير أبداً ما زالت تلك المرأة المتعجرفة ما زالت تتنمر على أبي وتكرهه

وتكره أن تكون معه تحت سقف واحد، إذاً أمي لا تعرف حتى أن أبي مات أو صحيح أبي ليس ميتاً:

- أنتِ ما زلت كما أنتِ لم تتغيري..

أجبتها

- المرء لا يتغير إلا إذا اضطر إلى ذلك أنا تغيرت في كل شيء أو الجحيم الذي عشته غيرني كنت طوال الوقت أفكر ما الذي فعلته في حياتي لكي أستحق كل ذلك؟

إذاً هي لا ترى نفسها أنها أذنبت لا ترى نفسها أنها فعلت شيئاً خطأً عندما قامت بالهروب وترك ابنها ذي الخمسة الأعوام خلفها لا ترى أن هذا ذنب:

- حسناً هناك شقة كنت أعيش فيها سابقاً وهي أحد ممتلكاتي سأنزلك فيها وأعطيك المفتاح..

- أنت حقّاً لقد كبرت وأصبحت شابّاً وسيماً أجمل بكثير وفوق هذا ذكي وناجح وثري أتساءل كيف أصبحت هكذا وأنت تربيت مع شخص نكرة وغبي وعديم شخصية؟

- توقفي الآن!!

صرخت في وجهها

- لن أسمح لك بتجاوز حدودك مع أبي الشخص الوحيد الذي جعلني أصل إلى ما أنا عليه الآن الشخص الوحيد الذي علمني كل شيء في هذه الحياة الشخص الوحيد

الذي كان كظل لي الشخص الوحيد الذي لم يتخلَّ عني أبداً على عكسك أنتِ وما الذي استفدتِ من تخليك عني؟؟ لا شيء غير الجحيم الذي ابتلعك..

ضحكت ضحكة مستفزة ثم سكتت هنا عرفت أن أمي كاثرين ما زالت كما هي ولم تتغير التزمنا الصمت حتى وصلنا إلى الشقة وقمت بإخبار الحارس أن يهتم بكل شيء ويساعدها في التنظيف وأي شيء تريده يحضره لها وقبل أن أغادر بالسيارة طرقت نافذة السيارة قمت بإنزالها ثم قالت بابتسامة:

- شكراً لك لأنك ما زلت تهتم بوالدتك لكن لا أظن أن هذا الاهتمام سيدوم لفترة طويلة لأنهم لا أظن أنهم سيتركونني في حالي بما أنني معك الآن أظن سيجن جنونهم والضربة هذه المرة ستكون أقوى تصبح على خير يا ظل..

ذهبت ودخلت إلى المبنى وأنا أراقبها ما الذي تقصده بكلامها؟ وعمّن تتحدث؟ تذكرت كلام الطبيبة على ما يبدو أن الجنون تمكن منها ولديها أوهام خاصة بأن أحداً ما يطاردها رائع إذاً الأم مجنونة والأب مجنون والابن مجنون عائلة من الجنون..

وبينما أنا في الطريق كان هاتفي يرن باستمرار وكانت ثيا اليوم لم أتحدث معها إطلاقاً بالتأكيد ترغب بالاطمئنان علي إذا كنت بخير أو لا؟ بالطبع أنا بخير جسدياً لكن نفسياً مدمر كلياً حياتي التي استقرت أخيراً وحققت جميع أحلامي الآن أمي تظهر من العدم وتسحب كل شيء لن أسمح لها بالتدخل والتوغل في

حياتي لم أعد طفلاً إنها امرأة أنانية وأنا أعرف ذلك جيداً هي حتى لم تعتذر مني على ما فعلته هي حتى لم تمسك يديّ هي حتى لم تحتضنّي وتقمْ بشم رائحتي مثل بقية الأمهات هي لم تفعل أي شيء حتى عيناها لم أرَ فيهما ذلك الاشتياق لي والحب لا شيء عيناها كانتا فراغاً كفراغ مشاعرها تماماً..

أرسلت لثيا رسالة نصية لكي ترتاح وحتى لا تأتي إلى المنزل لأنني لا أرغب بأن أقابل أي مخلوق على وجه الأرض أخبرتها بأنني بخير وأنني أقضي وقتي مع أبي أرسلت لي كالعادة بأنها تحبني على عكسي كالعادة أتحدث معها مثل موظفي الاتصالات الآليين، أرغب بأن أقول بأنني أحبها بشدة وأنها الشيء الوحيد الجميل في حياتي لكنني لا أستطيع لا تخرج الكلمات مني لها أرغب بأن أقول لها بأنني غارق في عينيها لكن لا أستطيع لأنني غارق في العدم في الهاوية في البؤس أرغب بأن أقول لها أنقذيني ساعديني لكن لا أستطيع أرغب بأن أجدف بقاربي باتجاهها لكن أخاف أخاف جدّاً أن تغرق معي وأفقدها، ماذا أفعل؟ إلى من أذهب؟ وإلى أين أذهب؟ لا أعتقد حتى أن أمواتي يتحملون كل هذا البؤس الذي أحمله في صدري لم أعد أطيق حياة الاكتئاب والبؤس لكن لربما هذا هو قدري لربما سأغرق في البؤس حتى آخر يوم في حياتي أتساءل وهل جثتي أيضاً ستكون غارقة في البؤس؟ من الذي سيهتم بي كما فعلت أنا مع هؤلاء الجثث؟ لا يوجد إلا بطل خارق واحد ينقذ الأموات وهو أنا لكن إذا مت فمن الذي سينقذني؟..



«أحاصر شبحاً يحاصرني؟!»

«ليا»

طوال الوقت أشعر بأن هناك من يراقبني؟ أصبحت مؤخراً ألتفت يميناً ويساراً وخلفي مئة مرة لا أعرف لماذا هذا الشعور يعتريني لم أشعر به من قبل حتى وأنا أطارد الكابوس، هل تعرف شعور أنك تسمع أصوات خطوات من خلفك وأنت تسير لكن عندما تلتف لا ترى أحداً؟ هل تعرف شعور أن تشعر بأن أحدهم ملتصق بك حتى وأنت مستلقٍ تشعر بأن أحدهم يتنفس في رقبتك وثانية واحدة فقط ويقوم باحتضانك تشعر بحرارته وتسمع أيضاً صوت دقات قلبه من شدة الالتصاق بك لكن في كل مرة ألتفت لا أجد أحداً! ذلك الشعور غير المريح عندما أكون أعمل على جهازي وألمح بطرف عيني أحداً ما يقف لا أعرف من هذا الأحد وكيف يكون ومن يكون لكن الأهم أنني مدركة أن هناك أحداً، هذا ما أصبحت أشعر به مؤخراً منذ أن أصبحت طبيبة ذلك الفتى المراهق الذي قام بقتل والديه بدم بارد، كان اليوم لدي جلسة بعد المغادرة من منزل ظل توجهت فوراً إلى المنزل تحممت سريعاً بدلت ملابسي قبل أن تراني أمي لكي لا تفتح معي تحقيقاً كاملاً

تجهزت سريعاً وخرجت، وصلت إلى المستشفى كانوا لم ينهوا بعد إجراءات النقل للمريضة «أيلا» لذلك وقعت على بعض الأوراق وتوجهت إلى العيادة عادة لا أحضر مرضاي المحكوم عليهم أو يتم محاكمتهم في عيادتي الخاصة ودائماً ما تكون جلساتهم في المستشفى والجناح الخاص بهم لكن اليوم أخبرت المدير أن يسمح لي بإحضار ذلك المراهق إلى هنا رغم أنه رفض في البداية لكن أقنعته بأنه بالطبع سيكون معه حارس شرطي وممرض وسيكون مقيداً بالطبع، دخل الشاب مع الشرطي والممرض إلى عيادتي بدأ يتأملها بابتسامة وينظر إلى كل زاوية ثم أمره الحارس بالجلوس على المقعد المخصص له:

- شكراً لك لأنك أخرجتني من تلك الغرفة البيضاء

قال لي بابتسامة مستفزة

- العفو لكن يجب أن يكون هناك مقابل لكل شيء أليس كذلك؟

- سأفعل كل ما بوسعي..

بعد أن غادر الحارس والممرض بالطبع يقفان خارج الباب، بدأت بتقليب أوراق ملفه ونتائج جلساته الماضية:

- لا أرى أنك تقدم أي نتائج جيدة أو أنك لا تريد ذلك أظن أنك ترغب بأن تمثل دور المجنون لكي يتم الحكم عليك بالبراءة تحت المراقبة مجنون وشاب لم يكمل الثماني عشرة سنة أليس كذلك؟

- أنتِ ذكية جداً أيتها الطبيبة يبهرني ذكاؤك صحيح ما قلتِه لكن أنا أنتظر الأوامر فحسب..

أجاب ببرود

- أوامر من؟

سألته

- الضيف..

هنا نبض قلبي بشدة طوال الوقت كنت أجاري كريستيان في جنونه كنت أظن أنه مريض نفسي وهو بالفعل مريض لكنني لم أكن أتوقع ولا واحداً بالمائة أن يكون لديه السبب نفسه الذي يكون سبب «أيلا»! تلك الفتاة التي تبعد عن «كريستيان» ملايين ومئات المترات أيلا مهاجرة أجنبية وكريستيان مواطن ويسكن هنا كيف يمكنهما أن يتحدثا عن شخص واحد «الضيف» ويقولا إنه السبب في قتل عائلتيهما؟ تداركت الموضوع حاولت أن أخفي توتري قمت بالتمثيل وكأنني لأول مرة أسمع به:

- الضيف؟؟! ومن يكون هذا؟

سألته

أجاب بابتسامة كالعادة وهو يسرح في الفراغ:

- لقد اختارني من بين ملايين الأطفال قال لي بأنه يرى فيَّ ابنه الوحيد لقد شجعني على الخلاص والحرية لقد حولني من لا شيء إلى شيء..

- وهل سبق وقابلته؟

- إنـه يظهـر لـي لكننـي لا أسـتطيع رؤيتـه أنـا أسـمع صوتـه في رأسي فقط يقول بأننا سنتواصل عبر الأفكار..

- إذاً أنت لم ترَ وجهه أبداً؟

- أي وجـه؟؟ لديـه الكثيـر مـن الأوجـه ولديـه الكثيـر مـن الأسـماء لكنـه يأتي كالضيـف الذي يرغـب في الارتيـاح قليلاً مـن مجهـود السـفر وأنـتِ يجـب عليـك أن تقومـي بالواجب وتعطيه كل الضيافة..

- وهل والداك كانا يعرفانه؟

- لا بالطبـع هـو يعرفنـي أنـا فقـط وقـال لـي إن الوالديـن ليسـا مهميـن فـي هـذه الحيـاة وإنهمـا لا يفعـلان أي شـيء سـوى أنهما يقومان بسرقة حقوق الأولاد..

- وهل أخبرك بأنه سيقوم بزيارتك مجدداً؟

بدأ ينظر يميناً ويساراً بابتسامة حماس ثم قال:

- لربما هو هنا معنا..

حاولـت أن أخفـي توتـري وخوفـي فأنا أعلـم جيـداً بأنـه يحاول إخافتي في كل مرة ليس أول مريـض يتصـرف بهـذا التصـرف أنـا معتادة لكن لا أعلم لماذا شعرت بالخوف أجبت بابتسامة كاذبة:

- إذاً رائـع أتمنـى أن يكـون مرتـاحاً فـي عيادتـي فهـو فـي النهاية ضيف..

انتهت الجلسة التي شعرت بأنها ثقيلة جداً لم أكن أرغب في عمل أي أنشطة أخرى استأذنت وعدت إلى المنزل كي أرتاح رأيت مذكرات أيلا أمامي كنت أرغب بفتحها لكنني استسلمت للنوم..

***

«ظـــل»

هل أنا

حقاً أنا؟/

ويقول جنديٌّ:

أنا أيضاً. أنا لا شيءَ يُعْجبُني. أُحاصِرُ دائماً شَبَحاً

يُحاصِرُني!

يحب أبي هذه القصيدة للشاعر العربي محمود درويش، ودائماً يردد هذا البيت خصوصاً أتساءل هل أبي يقصد بالجندي نفسه؟ ومن يكون الشبح الذي يحاصره على الدوام؟ هل للشبح وجود أم أنني أشعر طوال الوقت كأن أبي يهرب من نفسه؟ أغلقت كتاب قصائد محمود درويش بعد أن قرأتها لأبي كالعادة للمرة المئة أعطيته أدويته كنت متردداً جداً هل أخبره أن أمي عادت؟ هل أخبره بأن تلك المرأة التي تكرهه كثيراً وتخلت عنه عادت الآن وهي نفسها لم تتغير وكل ما تغير هو شكلها فقط، لم تعد أمي جميلة يا أبي لم تعد تلك المرأة التي أحببت

شكلها لكن لا أعتقد أنك أحببت روحها رغم هذا كنت تتحملها كل يوم وكل ساعة وكل دقيقة وكل ثانية كانت كلماتها كالموت البطيء لك ولا أعلم لماذا لم تتخلَّ عنها أنت؟ هل أخبرك يا أبي أن تلك المرأة لم تقضِ حياتها كما توقعنا أن تلك المرأة كانت حياتها كالجحيم لقد كانت تقول دائماً بأن حياتها معنا جحيم لكن الجحيم الحقيقي احتضنها عندما خرجت من منزلنا، هل ستكون سعيداً وتشمت بها إذا أخبرتك أنها قضت سنوات حياتها كلها بين جدران السجن وجدران المصحة النفسية؟ حتى أنا كنت أريد أن أشمت بها لكن لم أستطع ولم أسعد لأنها كانت في الجحيم لربما أصلاً هذا لأنني لا أملك مشاعر لكن ماذا عنك؟:

- هل تحبها؟

دخل صوت أبي إلى عقلي لم يتحدث معي أبي منذ فترة والآن سألني هذا السؤال:

- تقصد المرأة التي تدعى أمي؟

- نعم..

سكت قليلاً لثوانٍ معدودة:

- لا أعرف،، أنا لا أعرف حقّاً يا أبي لم أشعر حتى مع وجودها بأنني كنت أمتلك أمّاً أنت تعرف أنا أحبك في حياتي فقط أنت وعائلتنا وثيا..

سكت قليلاً ثم قال:

- هل يجب أن تكون مثلي لكي تحبها؟ لربما ستكون أمّاً حقيقية وقتها، تصبح على خير يا ظلي..

خرجت من غرفة أبي بعد أن تركته ينام لكن الجملة الأخيرة التي قالها ما الذي كان يقصد بها أبي؟ هل يقصد إذا كانت أمي جثة سأحبها وستكون أمّاً حقيقية؟ هل من المعقول أن أبي يلمح لي إلى أنه يريد أن تنضم أمي إلى عائلتنا؟ لكن أمي ما زالت حية..!

ذهبت إلى دورة المياه قمت بالاغتسال كنت ما زلت أشعر بأن هذا اليوم كان كابوساً لكن يرفض الانتهاء وقفت أمام المرآة أرى نفسي لكنني لست نفسي صورتي في المرآة كنت أنا لكنني لست أنا هناك شيء مختلف ولا أعرف ما هو؟ أول مرة أرى نفسي وكأنني لست نفسي ما الذي يحدث معي؟ لربما تراكمت علي الصدمات ولكن من الطفولة وهي تتراكم حتى ستكون جبلاً أو ناطحة سحاب مكونة من صدماتي ستخترق السماء وتمتد إلى الفضاء وأنا في القاع:

- من أنت؟

سألت بغباء عكسي الذي في المرآة لم أجد رداً بالطبع ثم عاودت السؤال:

- أخبرني من تكون أنت؟؟

- أنا ظلك..!

أتى الصوت من عكسي القادم من داخل المرآة فزعت وشهقت وتراجعت إلى الخلف بسرعة حتى اصطدمت بجسدي في الحائط حاولت أن أتمالك نفسي وأكرر أنها هلاوس كالعادة أنا أتخيل فقط لم أنتهِ من تجميع شتات أنفاسي إلا وسمعت صوت طرقات على باب الحمام!! هنا أمسكت قلبي لكي لا يقع كتمت أنفاسي من يطرق على باب حمامي وأنا أعيش وحيداً؟ وبدون كثرة أسئلةَ وبدون تردد فتحت الباب بسرعة ولم يكن هناك أي أحد:

- أليكسا هل هناك أحد في غرفتي؟؟

سألت أليكسا كالعادة وأتى الجواب الصاعق منها:

- نعم يا سيد..

أجابت ببرود بالطبع تمنيت أن أكون بدلها جهازاً آليّاً معلقاً في السقف ليس لديه أي مخاوف ولا هموم:

- أليكسا أنتِ مخطئة ربما تحققي من الكاميرات والنظام هل هناك أحد في غرفتي؟..

- نعم يا سيدي وأنا لست مخطئة..

بدأ قلبي بالخفقان بسرعة هل أهرب من الغرفة؟ لا أنا لست جباناً هل هو لص؟ أتمنى ذلك صراحة، أوه لربما كانت كيارا فهي في بعض الأحيان تأتي إلى هذا القسم من القصر أتمنى ذلك أيضاً:

- أليكسا أين هو؟

سألتها بصوت يرتعش:

- إنه أسفل السرير..

أجابت..

أخذت نفساً عميقاً وتقدمت بخطوات حذرة نحو السرير وفي يدي عصا البيسبول وصلت أخيراً وأمسكت طرف المفرش وبحركة سريعة رفعته وأنزلت جسدي إلى الأسفل لكن لم يكن هناك أي أحد! تنفست بقوة واتكأت بظهري على الطاولة التي بجانب السرير حسناً إنها مجرد جهاز لعين وبالطبع يخطئ مئة مرة هذا طبيعي يجب أن أهدأ يجب أن أركز تراكمت علي الأحداث الكثيرة هل أتناول مهدئات؟ لكن الطبيب منعني منها إذاً ماذا أفعل؟ كان اليوم طويلاً جدّاً وأثقل يوم في حياتي سأختار النوم فحسب النوم مهرب للجميع لكن أنا حتى النوم يهرب مني لكن لا أعرف كيف غفت عيني وكيف حتى وصلت إلى السرير بعد أن كنت جالساً على الأرض..

أرى أحداً ما أو شخصاً ما يمسك بيدي ويقودني إلى مكان لا أعرف ما هو الغريب أنني أرى نفسي وأنا ما زلت طفلاً ولست بهذا العمر، أسير معه في مكان بارد ومظلم والرؤية شبه معدومة من شدة الضباب نسير ونسير معاً بدون توقف الغريب أنني لا أستطيع رؤية وجه ذلك الرجل الذي أسير معه كان طويلاً طويلاً جدّاً لدرجة أني عندما أنظر إلى الأعلى لكي أرى رأسه لا أستطيع ورأسه غارق في الضباب وكأنني أسير مع جسد فقط بدون رأس! ما زلنا نسير حتى وصلنا إلى مكان أو اتضحت الرؤية وانقشع الضباب فجأة رفعت عينيّ لأرى أمامي مقبرة

عملاقة ضخمة وكأنها مدينة كاملة بدون مبالغة كان هناك مئات القبور أو ملايين حتى كانت تبدو وكأنها مملكة كاملة للأموات، تقدمنا نحو باب المقبرة الضخم الحديدي ذي النقوش العجيبة أخرج الرجل مفتاحاً من جيبه وفتح الأقفال ودخلنا كنا نسير بين المقابر وأنا مبهور تماماً كانت المقابر فوقها بعض المجسمات والمنحوتات بعضها كنت أعرفها والآخر أول مرة أراه في حياتي، حتى وصلنا إلى قبر أو لا ليس كذلك كانت منصة دائرية وكأنها نفسها المنصة التي أقمنا عليها حفل عيد ميلادي السابع أنا وأبي ولكن تبدو أكبر كان في منتصفها كرسي من حجر وكان فوقها منحوتة أنا أعرفها جيداً كانت عملاقة وضخمة كان رجل ذو وجه وملامح شديدة القوة والعصبية والغضب يمسك بشعر امرأة كانت تحته تحاول الهرب وهو يثبتها بقدمه وفي يده الأخرى سيف عملاق يحاول أن يذبحها!! فجأة تحول المشهد أمامي بشكل مرعب إلى حقيقي صرخت المرأة بقوة تحاول أن تفلت وتهرب من الرجل تمد يديها محاولة أن تستنجد بأحد لكنها تنظر إلي تنظر نحوي! أرفع عينيّ لأرى شعرها يتحول إلى ثعابين سوداء مخيفة تتحرك يميناً ويساراً تحاول أن تنقض على يد الرجل الذي يمسك بها! قلبي أصبحت دقاته سريعة جسدي يرتعش من صوت المرأة المستمرة بالصراخ والشتم صوت الأفاعي التي في رأسها كنت أرتجف بشدة فجأة ضغط الرجل على يدي قائلاً بصوته الضخم:

- لا تنظر إليها لا تدع عينيك تلتقيان بعينيها..

لم أستطع أيضاً رؤيـة وجهه ولـم أنظر إليـه أصلاً كل نظـري كان مثبتاً على مشهد الصراع الذي أمامي ثم سألته بصوت خائف:

- لماذا؟؟

- لأنك ستتحول إلى حجر..

أجاب،، وبعـد إجابتـه أطلقـت المـرأة صرخـة مدويـة متألمـة للدرجة شعرت بأنني سـأفقد طبلـة أذنـي أغمضت عينـيّ بقـوة ولم أفتحهما إلا بعـد أن عـمّ الهـدوء وعندمـا فتحتهمـا رأيـت الرجـل يبتسم ابتسـامة نصـر بعـد أن كان يمسـك بـرأس المـرأة فـي يـده ثم قال وهو يمد الرأس نحوي:

- تفضل «يا ظل» هذه هدية بسيطة منّا إليك..

نظرت إلى الرأس وأنا مرعوب بأعين خائفة ثم قلت بصوت خافت:

- هدية منكم من تكونون أنتم؟

- نحن «البيتشيني» وأنت قائدنا المستقبلي..

- ومن قائدكم الحالي؟؟

نظر إلـى الأعلـى إلـى الرجـل الـذي كان يمسـك بيـدي ثـم قال بابتسامة وكأنه رأى للتو الإله الخاص به:

- هو إنه والدنا «زيل»

- زيل؟؟!

رفعت رأسي ونظـرت إلـى رأس الرجـل وهنـا اتسـعت حدقتـا عينيّ وشـهقت ورغم أنني كنـت أحاول أن أسـحب يدي مـن يده إلا

أنه ضغط على يداي الصغيرة بقوة لدرجة سمعت صوت تحطم أصابع يداي، كان نفسه ذلك الرجل أو الجثة بلا ملامح هي نفسها التي تسللت في الاستديو الخاص بي خصوصاً عندما نظرت إلى يديه الضخمتين، وكان يلبس الخواتم الغريبة التي يلبسها الآن وأخيراً أفقت من نومي وغادرت أغرب وأطول كابوس أراه بحياتي الغريب التي فتحت عيني بهدوء وبدون أن أشهق أو أصرخ بدون أي ردة فعل على ما يحدث أصبحت معتاداً على جولة الكوابيس التي تأتي من هذه الجثة..

حتى جسدي لم يكن متعرقاً كالعادة نبضات قلبي منتظمة وطبيعية لا يوجد رجفة لا يوجد رعشة لا داخلية ولا خارجية اعتدلت في جلستي نظرت إلى النافذة أراقب شروق الشمس لتعلن عن يوم جديد أشعر بمشاعر غريبة لا أعرف ما هي؟ لكنني أشعر بأنني مختلف كثيراً أشعر بأن روحي أصبحت أقوى وكأنني لم أكن في كابوس وكأنني انتهيت من معركة منتصراً وكأنني تمكنت من كل الأعداء وقتلت جميعهم بدون رحمة وكأنني قتلت نفسي القديمة حتى أشعر بجنون عظمة وأنا جالس فقط على سريري في غرفتي ولا أعلم ما السبب؟ في إحدى فترات حياتي أصبت بهذا المرض جنون العظمة لا أتعجب من أنه الآن عاد مرة أخرى وبشكل أقوى لكن ما السبب؟ بالطبع لأنني مختلف وسأكون أكثر وأكثر اختلافاً في الأيام القادمة وعلى ذكرى المعركة تذكرت هذا الكابوس ذلك الرجل الجثة بدون ملامح مرة أخرى هو من يجعلني أرى هذه الكوابيس

بالتأكيد لكن كل كابـوس خلفـه معنىً ودروس تعلمني لكـن ما هو هذا الدرس؟؟

أنا أعرف جيـداً عـن هـذا الكابـوس الـذي رأيتـه كان ذلـك المجسم يعود إلـى قصـة ميدوسـا فـي الفـن اليونانـي القديـم! مـا العلاقة عندما جعلني أشاهد هذا الشيء وكأنه حقيقي؟

وصلتني رسـالة نصية قاطعـت تفكيري مـن مدير المتحـف الذي كنت سأشارك به بعد شهر:

- صباح الخيـر بروفيسـور أليكسـاريس كنـت أرغـب بتذكيـرك بتقديـم تحفك الفنيـة الرائعـة التي ينتظـر الجميـع ظهورها في المعـرض أتمنـى أن لا تنشـغل كثيـراً حتـى يكـون لنا الشـرف بوجودك أنت وتحفك هنا معنا وشكراً..

نعم صحيح تذكـرت أننـي لـم أصنـع التحف التـي كنـت أرغب بصنعها صحيـح لـدي تحـف كثيـرة لكـن كنـت أرغـب أن أظهـر بمظهر جديد مختلـف كليّاً أنا أشـعر بـأن هـذا الكابوس كان رسـالة لي لكي أواصل إبداعـي بـدون توقـف، نهضـت مـن على السرير توجهت إلـى الحمـام أخـذت حمامـاً سـريعاً ارتديـت ملابسـي وضعت العطـر الذي تحبه ثيا سـرحت شـعري قطرت بعـض قطرات العين لتصفية الرؤيـة وتنظيف عينـيّ لربمـا أحتاجها كثيراً هـذه الأيام خرجت ذهبت إلـى المطبـخ صنعـت فطـوراً خفيفـاً لأبـي وصنعت لنفسي فرانـش التوسـت لا آكله كثيـراً لكن اليوم شـعرت بأنني أريد صنعت كـوب قهوتـي السـوداء فتحت جميـع النوافذ لدرجة شـعرت

بأن الشمس أصبحت جالسة رسمياً في القصر أحب هذا الشعور
أخبرت أليكسا أن تشغل لي بعض الموسيقى الصباحية فإن
شعوري اليوم مختلف رغم أن ثيا شخصتني سابقا بأنني لا أملك
مشاعر تجاه أي شيء، بعد أن تناول أبي إفطاره وقرأت له كتابه
توجهت إلى الاستديو عندما دخلت رأيت الجثة ما زالت على
حالها منذ يومين مستلقية على طاولة التشريح إنها حقّاً تتحرك
في الوقت الذي تريده لم أقترب منها وتوجهت إلى الحاسوب
فتحته وبدون أي مجهود فتح لي الشبكة نفسها شبكة «ماريانا»
أولاً شيكت على موقعي بيتشيني كانت هناك مئات الرسائل
أغلبها أسئلة ما إذا كنت أبيع أعضاء الجثث؟ مضحكون حقّاً هذا
همهم الوحيد خرجت من موقع بيتشيني توجهت إلى الشبكة
الجديدة ماريانا هم حقّاً جادون وكل شيء هنا بهذه اللغة لغة
الشيطان حسناً كيف يمكنني أن أتعامل مع الشبكة وأنا لا أعرف
هذه اللغة؟ هل يريدونني أن آخذ كورس في هذه اللغة؟ مستحيل
أنا لا أملك الوقت قلت ساخراً وأنا أضع في فمي سيجارة
وأشعلها حتى رأيت كالعادة الشاشة تتحرك من تلقاء نفسها وكأن
هناك هكر طوال الوقت يتحكم بها لم أعد أتفاجأ ولم أعد أُصدم
ككل مرة، بل على العكس انتظرتها حتى تنتهي من عرض
الصفحة التي تريدها وهنا عندما عُرضت الصفحة استقمت في
جلستي بتركيز كانت صورة لرأس بشع مشوه بالكامل مليء
بالندبات والدماء كانت امرأة والرأس كان حوله أفاع شكلها
مرعب وغريب أيضاً هذا يوحي إلى الكابوس نفسه الذي رأيته!

ثم قمت بالكبس على زر الإدخال انتقلت إلى صفحة أخرى وكانت كلها كتابة لكن بتلك اللغة الغريبة رائع كيف سأعرف ما هذا وعن ماذا يتحدث؟ لم أستطع أن أكمل البحث والتعمق حتى وصلت رسالة نصية أفسدت مزاجي تماماً:

- مرحباً يا ظل هذه أنا والدتك لقد أخذت رقمك من الحارس هل من الممكن أن نلتقي؟ أرغب بزيارة منزلك قم بتصريف والدك إلى أي مكان أريد أن أخبرك بشيء مهم..

وضعت الهاتف وأنا أضحك هي تريدني أن أقوم بتصريف أبي من منزله إلى أي مكان لكي تأتي هي حسناً لا بأس لن أهرب بعد الآن سأواجهها وسأرى ما الذي ستقوله ما الذي لديها غير شتم وإهانة أبي؟ سنرى..

«اصنع ميدوسا الخاصة بك»

ترجمت هذه الكلمات فجأة على الشاشة يبدو أنهم تعبوا مني لكي أتعلم لغتهم الخاصة لكن ما مشكلتهم مع ميدوسا؟ ولماذا هي مهمة لديهم كل ما أعرفه أنها أسطورة يونانية خيالية حسناً سأعرف الآن من تكون ميدوسا ولماذا يريدونني أن أصنعها؟؟..

«أين السبيل إلى الجنون دلني؟!»

المحقق: نيكولاس دولوريس..



«لا مفر من الجنون إذا كنت أنت الجنون»

نيكولاس..

لطالما كان هذا شعار حياتي منذ أن خلقت على هذه الأرض الجنون فقط هو من يحتويني من فوقي جنون ومن تحتي جنون عن يميني جنون وعلى يساري جنون أتنفس بالجنون أنام لأشاهد الجنون في كوابيسي أستيقظ على واقع مجنون كل من حولي مجانين جنون مجانين جنون فقط!

أمي التي دخلت في المصحة النفسية فجاءة وأنا بعمر الحادية عشرة فقط وانتحرت بعد شهر من مكوثها هناك كتبت رسالة لي وقالت إنها لم تعد تتحمل هذا الجنون الذي يأكل رأسها، شقيقتي الكبرى التي أطلقت النار على رأسها فجأة حتى تناثر دماغها ودمها في أرجاء غرفتها وسقطت ميتة كان عمرها عشرين عاماً فقط، لا يوجد شيء أكثر جنوناً من بعد أن انتحرت شقيقتك لا يوجد أحد غيرك في المنزل سوى شقيقتك الصغرى والدتك سبقت ابنتها الكبرى في ماراثون الانتحار تريد أن تخفف عن مصيبة والدك حتى لا يدخل في الماراثون معهما شقيقتك الصغرى ما زالت طفلة لا تستطيع تنظيف بقايا دماغ شقيقتها

الكبـرى إذاً أنـت الوحيـد الـذي يجـب أن تتـدارك الموقـف تدخـل إلـى غرفتهـا تنظـف الفوضـى بعـد انتحارهـا تلتقـط قطـع اللحـم المتناثـرة تمسـح الدمـاء التي تيبسـت تنظف لمدة عشـر سـاعات ثـم تكـون البقع مـا زال لهـا أثـر أدركت أنـه مـن المسـتحيل أن تختفي، تنتقـل من منزلك مـع والدك وشـقيقتك الوحيـدة على أمـل أن يدعنا الجنـون وشـأننا قال أبـي لربما هـذا المنـزل مشـؤوم لربما مسكون بالجنـون لربمـا المدينـة بكبرها مجنونـة لذلـك خرجنا منهـا تاركين الذكريـات السـيئة بجنونهـا خلفنـا، أسسـنا حيـاة جديدة نحـاول أن نتناسـى ما حـدث وحتـى بعـد سـنوات وبعـد انتهائـي مـن الجامعة عـاد الجنون إلـى حياتنا حيـث مات أبـي بطريقة بشـعة جـدّاً من قبل سـفاح مجنـون أبي الـذي حـاول أن يهـرب بنا مـن الجنون اكتشـف أن الجنـون لا مهـرب منه وأنـه يسـيطر على هـذا العالم لـم يكن أبي فـي يـوم واحـد حتـى أو فـي لحظـة واحـدة سـيئاً كان أبـي أطيـب مخلـوق علـى وجـه الأرض ورغـم الجنـون الـذي حـدث فـي الماضي إلا أنـه كان متماسـكاً واعتنـى بنـا أنا وشـقيقتي والآن خطفه الجنون منا..

لا أستطيع أن أكتب الكثير عـن حياتي البائسـة المجنونـة لأنني يا سـادة كما تعلمـون فأنـا لسـت الشـخصية الرئيسـة فـي هـذا الكتاب فالشـخصية الرئيسـة أشـد جنوناً لكننـي لا أعـرف بعد، حسـناً بعد أن مات أبـي بتلـك الطريقة البشـعة عزمت على نفسـي أن أمسـك بذلك القاتـل المجنـون دخلـت فـي كليـة الحقـوق والشـرطة لكـي أصبح محققـاً أخفقـت مئـة مرة لأنـه لم يكـن أحـد يعطينـي فرصـة لـم يكن

أحد يؤمن بأفكاري ويعتبرونها مجنونة وخيالية لم أهتم درست تاريخ وتحليل سلوك المجرمين أصبحت محققاً ومحللاً جنائياً كنت أسابق الزمن حتى لا يقوموا بإغلاق القضية فهم مجرد مجموعة كسالى فاشلين يستسلمون بسرعة إذا لم يجدوا القاتل وينسون الموضوع بينما أهالي الضحايا يعانون ولا ينسون حتى بعد وفاتهم، أصبحت أتربص للقاتلين المتسلسلين الذين هم من فئة A ومعنى هذه الفئة هم القاتلون الأشد قسوة على ضحاياهم وأذكى مخلوقات الأرض أغلبهم وكأنهم يحملون في رؤوسهم خمسة عقول وليس عقلاً واحداً من شدة ذكائهم لا أعرف لماذا ميزهم الله بهذه الكمية من الذكاء رغم أننا ندعوهم بالمجانين! تتعب وتهلك نفسياً وأنت تحاول أن تجاري عقولهم وذكاءهم المخيف رغم هذا كنت أحاول أن لا أنخرط إلى عقولهم لأنه لو ابتلعك عقل مجرم ذكي صدقني ستغرق تماماً ولن تنجو أبداً سعيت طوال هذه السنوات قبضت على الكثير قتلت الكثير كنت حتى المجرم الذي لا يكون مسلحاً ويسلم نفسه أقوم بقتله لأن ابتسامتهم تستفزني جداً يفضلون أن يذهبوا إلى السجن لماذا؟ لأنه بالطبع قانونٌ رحيم بهم البعض يمثل الجنون فيتم تحويله إلى المصحة النفسية ثم بعد سنوات يقومون بإخراجه وكأنه لم يقتل عشرة أشخاص! والبعض يبقى بالسجن بدون إعدام لأن قانوننا لا يعترف بالإعدام إلا نادراً والبعض يهرب والبعض يحصل على واسطة خصوصاً إذا كان ثرياً ويخرج ببساطة لذلك أفضل قتلهم في أرض المعركة..

قصتي الفعلية أدركت أنها لم تبدأ مع قتل أبي لكن بدأت قبل خمسة أشهر عندما وجدت مجموعة أشرطة فيديو غريبة ومرعبة وغير مفهومة طوال الخمسة الأشهر وأنا أحاول أن أفك أو أفهم شفرات فيديو واحد فقط باقي التسجيلات لم أشاهدها شاهدت ثلاثة فقط ومن بعد الثالث أصبحت الكوابيس المفجعة لا تفارقني رغم أن حياتي كانت مليئة بالجنون لكن لم أرَ هذا القدر من الكوابيس المفجعة الكوابيس التي تنتقل معك من المنام إلى الواقع بدأت بمتابعة حالتي مع طبيب نفسي أخبرني لربما هذا كله بالتأكيد من طبيعة عملي لكن أنا أعمل في هذا المجال منذ ما يقارب ثمانية وعشرين عاماً صحيح أنني أتأثر في مرات لكن ليس بهذا القدر حيث إنني معتاد على كل أنواع الجنون، شاهدت فقط ثلاثة تسجيلات من أصل تسعين تسجيلاً! نعم عدد كبير جداً هناك بالفعل تسعون شريط فيديو سأخبركم كيف وجدتها وأين وجميع التفاصيل لكن يجب أن أخبركم أولاً لماذا أردت أن يساعدني البروفسور ظل في هذه المهمة؟ أولاً لم أخبر أحداً بعد عن الأشرطة لا أصدقائي ولا فريقي في العمل ولا مديري ولا أي أحد آخر لأنني ببساطة لم أرتحْ لها خصوصاً بعد أن أصبحت أشاهد كوابيس ونفسيتي وصحتي في تدهور لا أرغب لأي أحد أن يتعرض إلى خطر ما ستقولون لماذا؟ هل هي طلاسم وسحر؟ إنها مجرد أشرطة فيديو! لا إنها ليست كذلك أبداً سأقنعكم لاحقاً لكن الأهم أنه في الشريط الثالث الذي شاهدته اكتشفت أن الأشرطة مرقمة بترتيب وأرقام ومن المفترض أن تكون تسعة

وتسعين شريطاً لكن ما أملك أنا تسعون شريطاً فقط هذا يعني أنه ينقصني تسعة! حسناً عندما شاهدت الشريط رقم ثلاثة سأخبركم لاحقاً بالتفصيل ما الشيء المفجع في مشاهدة هذه التسجيلات لكن عندما شاهدت الثالث في مشهد ما مزعج شاهدت اسم «ظل» كان مكتوباً على الحائط حسناً لربما هناك الكثير يملكون هذا الاسم رغم أنني أول مرة أسمع به وهو اسم نادر لكن كان هناك لوحة معلقة كانت رسمة متقنة لشاب وهذا الشاب هو ظل بعينه! عندما رأيته كنت قد حضرت له محاضرة واحدة تتحدث عن القاتلين المتسلسلين الرسامين لذلك كان أغلب الحضور من هذه الفئة المحققين والشرطة والأطباء النفسيين من وقتها لم أنسَه علاوة على ذلك كانت صوره في كل مكان كالطبيب الشرعي المتفوق في البلد أصبت بالصدمة والصعقة ظننت أنني أتخيل ظللت أعيد المشهد مئة مرة وكان بالفعل الشاب الذي في اللوحة أو الرسمة هو ظل الأمر المفجع الذي أفجعني ليس هنا الصدمة كانت أن هذه الأشرطة تعود لزمن قديم وكل شريط مسجل عليه السنة هذا الشريط كان مسجلاً في عام ١٧٥٧ م.. حسناً ما الذي يفعله ظل هنا؟ أراهن أن والديه ما زالا طفلين أو حتى لم يولدا؟ حسناً الصدمة الأكبر أنه تم اختراع أشرطة الفيديو أو الأجهزة في عام ١٩٥١!! هذا يعني في التسعينيات وهذا الشريط والذي قبله في السبعينيات هناك فرق مرعب مستحيل من أين لهم في ذلك الوقت بكاميرا فيديو؟؟ حاولت أن أوهم نفسي أن التاريخ مزيف نعم يجب أن يكون مزيفاً ركزت

على رسمة ظل والتقطت لها صورة بهاتفي وفي كل مرة أراه أقارنه بالصورة من المستحيل أن يكون الشبه لهذه الدرجة إلا إذا كان قد ولد مرتين! أضحك على نفسي وأعود إلى الجنون مرة أخرى، في ذلك الوقت توقفت عن مشاهدة الأشرطة وشاهدت ثلاثة منها فقط فقررت أن أتقرب من ظل لذلك عندما وقعت تلك الجريمة كانت الضحية من حسن حظي شبيهة لضحية تعود للسفاح كابوس كان آخر ضحية له شقيق تلك الأخصائية وهي خطيبة ظل وعلمت بأن ظل أيضاً من قام بتشريحها لذلك انتهزت الفرصة وأخبرت مديري بأنه يجب أن نذهب بالجثة إلى ظل وهو من يجب أن يشرحها رغم أنه لدينا هنا فريق تشريح خاص بالمركز لكنني أردت أن أتقرب منه ونجحت بالفعل من جهة أعرف أنه ذكي جداً وماهر وموهوب لم أكذب في أي كلمة مدح أخبرته بها كنت صادقاً وبالفعل شعرت أنه يستطيع مساعدتي ومن جهة أخرى لم أمسك بعد بقاتل أبي وهذه النقطة السوداء في حياتي رغم أنني أمسكت بأخطر المجرمين وأمرضهم وأكثرهم جنوناً لكن الحظ السيئ دائماً ما يكون بصمة على حياتي، مع مرور السنوات اعتبروا أن القضية باردة بالطبع وتم إغلاقها للأسف فقدت الأمل في لحظات ولحظات أخرى لعنت نفسي مئة مرة وأخبرت نفسي بأنني فاشل وعندما أريد أن أتناسى فحسب لا أستطيع أرى أبي بشكله الذي رأيته في ثلاجة الموتى هل ترغبون بمعرفة ما الذي أخذه القاتل كذكرى من والدي؟ إنه أغرب ذكرى تمر علي في حياتي عندما أحضرتني الشرطة لكي

أتعرف على والدي كانوا قد تعرفوا عليه من قبل من الحمض النووي لكن أخبروني أنه ليس من الجيد رؤيته لكنني أصررت وعندما دخلت هنا رأيت جسد أبي الشاحب كان جثة هامدة كان جسمه سليماً حتى وصلت إلى رأسه وهنا كانت الصدمة!!

كان أبي بدون وجه! نعم بدون وجه كل ما رأيته أمامي لحمة حمراء اقتربت أكثر وأنا أرتعش من هذا المنظر الذي رأيته كان حقيقيّاً حقيقياً لدرجة أن اللحم بدأ يتعفن، لم أستطع أن أسأل؟ لم أستطع أن أعلق شعرت بأنني ابتلعت لساني:

- لقد انتزع القاتل وجه والدك لقد تم سلخ جلدة الوجه بالملامح الخارجية بدون رحمة

قال الطبيب وكأنه يريد أن يؤكد لي أن هذا حقيقي وليس كابوساً

لم أرد عليه واكتفيت بالنظر إلى وجه والدي الذي بدون وجه رأيت غشاء على عينيّ ثم فقدت الوعي..

لم أنسَ ولا ثانية في حياتي كيف حرمني ذلك القاتل من أبي ومن وجهه كل شخص يتمنى في آخر لحظة أن يرى وجه قريبه الميت لكن أنا لم أستطع لأن وجه أبي سرق من رأسه..

طوال السنوات وأنا أبحث كالمجنون عن طرف خيط دليل أي شيء يوصلني بذلك القاتل لكن للأسف لا شيء حرفيّاً الغريب أنه لم تكن هناك جرائم مشابهة قبل موت أبي وبعد موته أيضاً لم يكن هناك أي شيء وكأن القاتل خرج من العدم وقتل أبي وسرق وجهه وابتلعته الأرض! لم تعتبر القضية حتى قضايا قاتل

متسلسل لأنه كان الوحيد فقط يموت بهذه الطريقة لذلك تم إغلاق القضية بسرعة..

حسناً بعد كل هذه السنوات التي فقدت فيها الأمل في أن أجد طرف خيط لقاتل أبي لدرجة أني ظننت أن من قتله شبح، في هذا الفيديو أيضاً شاهدت مشهداً كان لعشر ثوانٍ فقط يعود المشهد لرجل وكأنه معاق لا أهتم لكنه غير طبيعي وكل شيء غير طبيعي في هذه الأشرطة كان الرجل يعلق أقنعة وعندما استوعبت أنها ليست أقنعة كانت أوجهاً بشرية!! نعم مجموعة وجوه بشرية أو جلدة الوجه مثل الذي حدث مع أبي، لقد انتفض قلبي شعرت بتشنج في روحي الخيط الذي كنت أبحث عنه رأيته في تصوير شريط فيديو يعود إلى زمن أبيض وأسود! لا أعلم حقّاً هل هذا سيساعدني لكي أمسك بالقاتل؟ لا أعرف لكنني رأيت شيئاً مشابهاً لجريمة قاتل أبي ولن أترك الأمر يفلت مني هذه المرة الأمور معقدة وكل شيء حولي وكأنه كابوس الجنون يدور حول حياتي التجأت لظل لأنني رأيت صورته موجودة في ذلك الشريط واسمه أيضاً وأردته أن يساعدني في قضية أبي غير أنه طبيب شرعي وذكي أيضاً محلل رسومات مظلمة كانت الفيديوهات الثلاثة تحتوي على الكثير من الرسومات لذلك أريده أن يساعدني لكن كيف أفتح معه موضوع أنني رأيت صورته واسمه في أحد هذه الأشرطة؟؟..

***

نيـــا..
قررت أخذ إجازة لأن ما حدث معي في الأيام الماضية كان نرق طاقتي النفسية من جهة ذلك الشاب كريستيان ومن جهة تلك الفتاة أيلا بعد أن أخبرني ظل بأني يجب أن أبتعد عن قضية أيلا وأخبرني بأن كل ما كتب في منزلها يعود إلى لغة شيطانية وأن الأغلب أن كل هذه طقوس سحرية! كان ظل ينتظر مني وعداً أن أبتعد عن حالة هذه الفتاة وأحولها إلى طبيب آخر أخبرته أن يعطيني فرصة لأفكر بالموضوع لا أحب أن أتخلى عن مرضاي مهما كان السبب، كنت أجلس في غرفتي أفكر ومن شدة التفكير داهمني صداع شديد تناولت مسكناً لألم الرأس بعدها لمحت مذكرات أيلا ما زلت أضعها بجانب الصندوق أيلا لم تصل بعد إلى العاصمة وستصل غداً هي بالذات لا أريد أن أخيب ظنها أشعر بأنها تحتاج إلى المساعدة على عكس كريستيان فهو شاب ينبع الخبث والشر من عينيه، التقطت المذكرات وعدت على السرير فتحت الصفحة الثالثة كتب فيها:

«ما زلنا أنا وأخواتي لم ندخل المدرسة هنا أعلم بأن حالتنا الحياتية صعبة لكننا حصلنا على الكثير من الأموال من ذلك الرجل الذي يقول عن نفسه إنه ضيف لكن لم ندخل بعد إلى المدرسة ولم تتحسن أحوالنا حيث سكنا في هذا الحي المتهالك والمنزل الذي يبدو وكأنه سيقع على رؤوسنا لا بأس نحن معتادون على الفقر لكن الشيء الذي لسنا معتادين عليه ولا نرغب به هو هذا الضيف! نعم ذلك الرجل بعد أن أعطانا الأموال

ومعلومات عن الرجل الذي سيعطينا السكن لحق بنا وأصبح يبقى معنا كثيراً في المنزل أصبح صديق أبي المقرب أصبح أبي يهتم لأمره أكثر من اهتمامه لنا وعندما تغضب أمي منه وتقول له اطرده من منزلنا يرفض ويغضب من أمي حتى إنه ليلة أمس قام بضرب أمي وهذه أول مرة في حياتنا نشاهد أبي يتصرف بهذه الطريقة العنيفة مع أمي، كنت طوال الليل لا أنام كان أبي والرجل أو الضيف يبقيان في تلك الغرفة الكبيرة ونحن في الغرفة الصغيرة جميعنا مع أمي يبقيان عازلين أنفسهما ساعات طويلة والغريب أكثر لا يطلب أبي الماء أو الطعام أو الشاي أو القهوة حرفياً لا شيء ساعات طويلة لا يشربان ولا يأكلان في مرة من المرات قررت أن أسترق السمع لذلك كانت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل وجعلت أمي وأخواتي ينمن نهضت بهدوء فتحت باب غرفتنا لم يكن هناك أي مسافة أو فاصل بيننا فقط الممر النحيف الذي عرضه تقريباً مثل طول ذراعي كان باب الغرفة الأخرى التي يبقى فيها أبي والضيف يقابل غرفتنا تماماً وهما الغرفتان الوحيدتان في المنزل تقدمت بخطوات خفيفة جداً كنت أسير على أصابعي حتى لا يشعر بي أحد وصلت عند الباب وألصقت أذني به لم يكن هناك أي صوت أي نفس حتى لا أستطيع أن أسمع سوى الهدوء المرعب قررت أن أنتظر قليلاً رغم أنني أصبحت أسمع صوت دقات قلبي من شدة الهدوء لكن فجأة ظهر صوت! كان هناك صوت غريب يبدو وكأنه طقطقة لعظام ما كان الصوت قوياً لدرجة أني أحسست أن ذلك الغريب يفعل شيئاً سيئاً لأبي ولكن قبل أن آخذ أي قرار انطفأت الأضواء كلها! كنت

أسمع صوت هطول المطر من الخارج وصوت البرق والرعد
عو د يبدو أنها عاصفة لا بأس أيضاً هذه ليست أول مرة تنقطع
فيها ضوء الحي بالكامل فنحن معتادون لكن الغريب أنه عند
حدوث ذلك الجميع يستيقظون وهذا الطبيعي لكن الآن عدت إلى
غرفتي وأخواتي جميعهن ما زلن نائمات بدون أي حركة لا
بأس ليس من الضروري أن يستيقظن قررت أن أتوقف عن
استراق السمع وأعود إلى فراشي أغلقت باب غرفتنا وعندما
كنت أستلقي سمعت صوت باب غرفة أبي تفتح ثم بعدها خرج الآن
الكهرباء انقطعت نهضت بسرعة وتقدمت نحو فتحة الباب
وتبعت عيني كنت أرغب بأن أرى ذلك الرجل الذي لم أر وجهه
من قبل بشكل واضح لكن عندما وضعت عيني لم أر أي أحد
لا الرجل ولا أبي لكن الباب كان مفتوحاً تنفست بقوة وأمسكت
نفسي وفتحت الباب بهدوء أخرجت رأسي أولاً نظرت إلى
اليمين واليسار لم يكن هناك أحد نظرت إلى الغرفة كانت
مفتوحة هل من المعقول أنهما خرجا إلى الشارع؟ لأنهما إذا كانا
في صالة المعيشة أو المطبخ بالتأكيد سأسمع أصواتهما من شدة
صغر منزلنا لكن الهدوء يعم المكان لا بد أنه غادر وخرج
أبي برفقته سأدخل الغرفة بسرعة دخلت إلى الغرفة كانت مظلمة
لدرجة أنني لا أستطيع أن أرى كف يدي كانت تنبثق منها رائحة
غريبة جداً ومزعجة وضعت يدي على أنفي ولا أعرف ما الذي
أبحث عنه في هذا الظلام وما زلت أتحسس المكان
بدون أي فائدة أغلق باب الغرفة فجأة وبقوة هنا وقع قلبي
وركضت بسرعة إلى الباب أحاول أن أفتحه لكن رغم

أن يفتح! بدأت بالصراخ وأنا أنادي: أمي أبي افتحا لي الباب! قمت بمناداة أخواتي لكن بدون فائدة ضربت بيدي على الباب بكل قوة حتى أصبت بالخدوش لكن لم أشعر بالألم وكل همي أن أخرج من هذا الظلام وفجاءة التزمت الصمت ووضعت يدي على فمي أحاول أن أكتم صوت أنفاسي اللاهثة الخائفة المرعوبة بعد أن سمعت صوتاً من إحدى زوايا الغرفة كان الصوت الذي سمعته هو نفسه صوت طقطقة أسمع الصوت يزداد وضوحاً وكأن هناك أحداً يقوم بطقطقة أصابعه أو عظامه حتى وضعت يديّ على أذنيّ أغمضت عينيّ وأنا أساساً لا أحتاج لفعل ذلك تمنيت أن يكون هذا كابوساً وسأستيقظ منه لكن للأسف أشعر بأحد ما من خلف الظلام يقترب مني أسمع صوت أنفاسه أشعر بها أشعر بحرارة جسده لا أرغب بفتح عينيّ لن أفتحهما أبداً حتى لو مت لكن الفضول كان أقوى لا أعرف لـمَ الإنسان لديه مرض الفضول وهنا فتحت عينيّ وليتني لم أفعل وكل شيء من بعدها أصبح في نظري جحيماً لقد سحبوني إلى الهاوية و..!

اعتدلت في جلستي أغلقت المذكرات ووضعتها جانباً بعد أن سمعت صوتاً غريباً!

- أمي؟ هل هذه أنتِ؟

كنت أعلم أن أمي وأبي خرجا إلى عشاء إحدى قريباتهما ظننت أنهما عادا إلى المنزل، وبالفعل لقد عادا بعد أن سمعت صوت أمي:

- نعم يا عزيزتي ثيا لقد عدنا..

لقد عـادا مبكـراً غريبة رغـم أن السـاعة مـا زالت السابعة مساء هل تناولا العشـاء؟ سـأخرج لأسـألهما لكن قبـل أن أخرج سـمعت صوت رنيـن هاتفي رفعـت الهاتـف لأرى الرقـم «أمي»!! لمـاذا أمي تتصل وهي كانـت أمام غرفتـي قبل ثـوانٍ؟ لا بـأس لربمـا نزلت إلى الطابق السفلي وتتكاسل كالعادة أن تصعد إلى هنا مرة أخرى:

- أمي أنا قادمة الآن..

- قادمة أين؟ سألت أمي باستغراب ثم أكملت حديثها على عجل:

- اسـمعي اتصلـت بك لأخبـرك بـأن هنـاك طعامـاً فـي الثلاجة قومـي بتسـخينه وتناولي العشـاء أنـا ووالـدك للتـو وصلنا إلى منزل العمة سـارة وهنـاك الكثير مـن الأصدقاء لذلك سـنتأخر وأنتِ نامي جيداً حسناً؟..

أغلقـت أمـي الخـط وأنا مـا زلـت أضـع السـماعة على أذنـي من شدة الصدمة مرعوبـة مصدومـة مذهولة ما الذي سـمعته قبـل قليل؟ أمي وأبي مـا زالا خارجـاً وللتو وصـلا إلى منـزل قريبتنـا إذاً من التي تحدثـت وسـمعت صوتهـا قبل قليـل؟ بـدأت أنفاسـي تتسـارع لكن أحاول أن أشـجع نفسـي وأهـدأ وأفتـح بـاب الغرفـة وأخـرج وآخذ جولة على المنـزل لأقنع نفسـي بأنني كنـت أتوهـم فقط لكـن هل لدي الشـجاعة الكافية؟ لطالمـا واجهت وكنـت في غرفـة واحدة مع أخطر المجرمين والسـفاحين لكنـي لم أشـعر بالخوف الشـديد مثل الآن الخـوف مـن المجهـول هـو أشـد خـوف، تقدمـت بهـدوء نحو باب الغرفـة وفتحتـه بسـرعة خرجـت إلـى الممـر لـم يكـن المنزل

مظلماً لذلك شعرت ببعض الارتياح لم يكن هناك أي شيء غريب وكل شيء واضح لكن مهلاً!!

كانت غرفة أخي مفتوحة شعرت بضيق في صدري وأمعائي من قام بفتحها؟ كانت أمي بين الحين والآخر تقوم بتنظيفها لكنها تغلقها هل من المعقول أنها نسيت؟ ذهبت إلى الغرفة منذ وفاة أخي لا أحب ان أدخلها لذلك أمسكت بمقبض الباب وأغلقتها بسرعة بدون أن أنظر بداخلها حتى لكن فجأة توقفت بعد أن سمعت صوتاً قادماً من الغرفة عدت بخطوات خلفية نحو الباب وضعت أذني على الباب لم أرغب بفتح الغرفة مرة أخرى ثم سمعت صوتاً أرعبني لقد سمعت صوت طقطقة قادماً من داخل الغرفة! حاولت أن أغمض عينيّ وأفتحهما أحرك رأسي يميناً ويساراً لربما أحتاج إلى كوب قهوة فاليوم لم أحظَ بواحد لربما أحتاج إلى النوم جيداً أحتاج للراحة ولتصفية ذهني لربما أحتاج إلى جلسة يوغا من فترة لم أحظَ بهذه التمارين أنا واثقة بأنني أهلوس ابتعدت عن الغرفة لكن انفتح الباب بقوة وهنا أدركت أن شيئاً ما يحدث؟ عدت إلى الغرفة اقتربت ببطء وأقدامي ترتعش وقلبي يكاد أن يتفجر من شدة النبض أسمع صوت الطقطقة بقوة أقترب شيئاً فشيئاً من الغرفة حتى وصلت وهنا رأيت هذا المشهد أمامي:

كان أخي الميت يقف في منتصف الغرفة كان يقف وهو موجه وجهه على الحائط وكل ما أراه هو ظهره لكنني بالطبع عرفت أنه أخي، بدأ جسده بالاهتزاز بشكل مرعب وغير طبيعي وأنا أشاهد

متجمدة في مكاني ثم بدأت يداه تعوجّان بعضهما على بعض بشكل مرعب مما أدى إلى إخراج صوت طقطقة من عظامه قام ورفع يديه إلى الأعلى مال بجسده وظهره إلى الخلف بشكل مقلوب ببطء شديد وعظامه لا تكف عن إصدار صوت الطقطقة حتى انحنى بالكامل ونظر إلي وهو مقلوب كانت عيناه غائرتين إلى الداخل سوداوين وجهه شاحب عروق سوداء تخرج من جلده! وعندما بدأ يسير نحوي بجسده المقلوب هنا أخيراً أطلقت صرخة مدوية ركضت بسرعة إلى غرفتي دخلت وأغلقت الباب وانهرت باكية وأنا أردد: هذا غير حقيقي هذا غير حقيقي! حتى فقدت الوعي..

«قرأت ذات مرة أن أكثر القاتلين والمختلين كانت جريمتهم الأولى عندما قتلوا ذبابة كانت تطير حول رؤوسهم..»

بيتشيني..



«رأس ميدوســـــا»

كانت ميدوسا فتاة عذراء شديدة الجمال لدرجة الجنون كان كل من رآها يقع في حبها من شدة جمالها إلى أن جاء اليوم الذي اعتدى فيه «بوسيدون» على «ميدوسا» في معبد الالهة «أثينا»، ولكن الصادم في الموضوع هو عندما علمت الالهة أثينا وهي الالهة الحكمة والحرب والعدل وحامية المدينة بأمر الاعتداء على ميدوسا لم تقم بمحاسبة الجاني على فعلته بل حاسبت وعاقبت ميدوسا بقولها إنها لطخت المعبد بالعار!! وهذا حقيقته أن أثينا تغار جداً من جمال ميدوسا لذلك قامت بالشيء الشنيع الذي بقي يطارد ميدوسا طوال حياتها، قامت أثينا بإلقاء لعنة على ميدوسا لتحولها من امرأة جميلة ونقية إلى امرأة كالوحش بشعة ومخيفة وجهها أصبح رمادياً عيونها سوداء شعرها الجميل الكثيف تحول إلى أفاعٍ مرعبة! وذلك بسبب فعل لم ترتكبه ميدوسا بل كانت هي ضحية ذلك الفعل، وبعد ذلك اليوم أصبحت ميدوسا ربة الحكمة والثعابين التي حولت كل من ينظر إليها إلى حجر لم يكن أحد يستطيع أن يضع عينيه في عينيها إلا ويتحول إلى حجر كانت مرعبة ويهابها الجميع لا أحد يستطيع

الاقتراب منها حتى إن أثينا حاولت أكثر من مرة أن ترسل أحداً ليقتلها ولكن بمجرد أن ينظروا إليها يتحولون إلى حجر، بعدها أرسلت الملك «بيرسيوس» ليقطع رأس ميدوسا فذهب واستشار الغراياي وهم «إلاهات البحر اللاتي كنّ يعشن بعين واحدة وسن واحدة ويحمين الغورغون» فأخذ العين والسن فأخبرتاه عن مكان الحوريات اللاتي حصل منهن على الحذاء المجنح الذي يطير وحقيبة وخوذة هاديس التي جعلته غير مرئي وأعطاه هيرمس سيفاً معقوفاً ليقتل ميدوسا، فاستطاع بالفعل ونجح «بيرسيوس» بقتل ميدوسا بتلك الخطة والحيلة الخبيثة فقام بقطع رأسها وقدمه للآلهة أثينا لتتيقن من أنها تخلصت من ميدوسا، ثم قامت أثينا الخبيثة بوضع رأس ميدوسا على درعها المسمى بالأيجيس فبقي رأس ميدوسا محتفظاً بقدرته على تحويل كل من ينظر إليه إلى حجر..

أسمع صوتها الرنان المزعج الزانّ بشكل جنوني يقتحم أذني ليصل إلى خلايا دماغي يزن ويزن، ويزن، ويزن بشكل جنوني لا أستطيع التحرك أنفاسي متقطعة عرقي يتصبب مني كالشلال الجو خانق رؤيتي واضحة بشكل غير اعتيادي أستطيع حتى أن أرى وجه الذبابة القبيح وهي تدور بشكل جنوني حول وجهي تارة تقف عل جبهتي وتارة تقف على أنفي وأخرى على فمي تستهلك طاقتي في الصبر أعلم بأنني لا أستطيع التحرك لأنني أمر بنوبة من شلل النوم وهي تستغل هذه الفرصة أستطيع أن أتحمل الشكل المخيف لشلل النوم كيفما ظهر وكيفما كان لكن لم أعد

تحمل إزعاج هذه الذبابة اللعينة أو هل من المعقول أن شلل النوم ظهر هذه المرة على شكل ذبابة؟ أخيراً ها أنا أشعر بأن الحركة تعود إلي شيئاً فشيئاً أخيراً استعدت روحي بعد أن كان شلل النوم يربض فوقها شهقت وقبل أن أعتدل بجلستي وبحركة سريعة أطبقت بيديّ على جسد الذبابة وهنا شعرت حقّاً بأن روحي ردت إلي..

نظرت إلى جثة الذبابة ممزقة بين يدي نهضت بسرعة إلى الحمام غسلت يدي بالماء والصابون والمعقم لكن ما زلت أشعر بأن دم الضحية في يدي، خلعت ملابسي وتحممت بالكامل حتى أقطع الشك باليقين انتهيت من حمامي كانت الساعة الثامنة صباحاً تذكرت أنه ليلة أمس قالت تلك المرأة أو ما تسمى أمي إنها ستأتي إلى منزلي وتقول يجب أن أصرف أبي من المنزل لأنها لا ترغب برؤية وجهه! إنها ما زالت كما هي ومن المستحيل أن تتغير، انتهيت من الإفطار قررت استقبال أمي رغم أنني كنت متردداً كثيراً لكن قالت بأنها ترغب بإخباري بشيء مهم وأظن أنه موضوع آخر غير شتم أبي لذلك سأنتظرها وأرى ماذا لديها تجهزت لمقابلة أمي انتظرتها في صالة المعيشة لم أكن متوتراً ولم أكن أحمل أي مشاعر أصلاً أرسلت لثيا أنني اليوم مشغول وأنا خارج المنزل لأنني أعرف انها تأتي في كل الأوقات وبدون أن تخبرني استغربت أنها اليوم لم تتصل بي أو ترسل لي بعض يومياتها كما تفعل دائماً لربما كانت ترتاح لأنها للتو أتت من رحلة متعبة قضيت وقتي في الكتابة في صالة

المعيشـة حتـى أصبحت السـاعة الثانيـة عشـرة ظهراً سـمعت صوت رنيـن جـرس القصـر أغلقـت جهـاز المحمـول وضعتـه جانبـاً وتوجهت إلى الباب وفتحته..

كانـت ترتـدي بنطـالاً أسـود شـاحباً وقميصاً أبيـض قامـت بربط شـعرها إلـى الخلـف تحـاول أن تظهـر بمظهـر السـيدة الأنيقـة لكن كانـت أفضـل حـالاً منهـا عندمـا رأيتهـا فـي المستشـفى تفـوح منهـا رائحة مرطب الجسم بنكهة التوت:

- مرحباً يا ظل..

- أهلاً تفضلي

دخلنـا معـاً متجاوزيـن الحديقـة الضخمة حيـث كانـت تتفحصها بعينيها مبهورة دخلنا إلى القصر حتى وصلنا إلى صالة المعيشة:

- تفضلي بالجلوس

قلت لها

لكنهـا لـم تجلـس بقيـت واقفـة لبعـض الوقـت تتفحـص وتتأمل القصـر بأعين متسـعة لمـدة دقيقـة تقريبـاً ثم قالـت وهي تلتـف حول الطاولة الزجاجية التي تقع في المنتصف:

- لقـد رأيـت قبـل عاميـن كانـت الصحافـة تتحـدث عـن قصـر جامع الفنـون والطبيب الشـرعي ظل ظننـت أنهـم يبالغون في وصفـه لكن هـم حقـاً لـم يبالغـوا إنه قصـر شـاهق تمامـاً كما قالوا وأكثر إنه حقاً كالحلم..

ثم أكملت حديثها بعد أن جلست:

- لطالما عندما كنت أعيش في ذلـك المستنقع الـذي وكأنه حقل فئران حتى حقل الفئـران أكبـر منـه كنـت أتخيـل وأحلم بمنزل مثل هـذا ولكـن تحقق الحلـم معـك أنـت ووالدك إن الحيـاة حقّـاً غيـر عادلة كيـف لذلك المسـخ أن يعيش فـي قصـر كهـذا وأنـا أعيـش بيـن جدران السـجون والمصحات النفسية؟؟!

سألت بسخرية..

- إنه الصبر لقـد كان صبـوراً ووثق بـي وعلمني حتـى أصل إلى هـذه المرحلة مـن النجـاح وأقـوم بتعويضـه على عكسـك لم تكونـي صبـوراً والآن أخبرينـي مـا هـو الشـيء المهـم الـذي أتيت إلى هنا لكي تخبريني به؟

أجابت وهي تضع رجلاً على رجل:

- لماذا أنـت متعجـل هـل ترغـب بطـردي مـن قصـرك بهـذه السرعة؟ أتساءل أليس لديك خدم؟

- أخبريني ماذا تريدين أنا سأحضره لك؟

سألتها متنهداً

- حسناً يبـدو أنـك لا تثـق بالخـدم لا بـأس هـل لديـك قهوة؟ أريد قهوة بالحليب وملعقة سكر..

- حسناً..

ذهبت وحضرت لهـا القهـوة وكنـت طـوال الوقـت غيـر مرتاح أبـداً لوجودهـا هنـا لكنني قـررت أن أكـون صبـوراً لكـي أسـمع ما لديهـا أحضرت لهـا القهـوة والمـاء وبعـض الكعـك حتـى لا تطلب شيئاً آخر وضعتها أمامها:

- تفضلي..

التقطت كوب القهوة:

- أوه يـا طفلـي أنـت حقّـاً مـا زلـت أنيقـاً ومهذبـاً كمـا كنـت دائماً..
- لا تناديني بهـذا اللقـب وأخبريني الآن مـاذا لديـك؟ مـا هـو الشيء المهم الذي ترغبين بقوله لي؟
- لهذه الدرجة أنت متعجل على موتي؟؟

أجابت بسخرية

- ماذا تقصدين؟؟
- لقـد أتيـت إلـى هنـا وأنـا أعلـم بأننـي إذا أخبرتك بكل شيء اليوم فيومان فقط بالكثير وسيقوم بقتلي ذلك المسخ..
- أنـا لا أفهـم مـا الـذي تقولينـه ثـم الآن حـان الوقـت لتتوقفي عن مناداة أبي بهذه الألقاب لن أسمح لك أبداً
- أوه يـا طفلي المسـكين لقـد أصبحـت ناضجـاً وإلـى الآن أنت أعمى وما زلت تظن أن ذلك الوحش هو ملاك!

قالت ببرود وهي تأخذ رشفة من قهوتها

- لـن تنجحي بالتلاعـب بأفـكاري أبـداً لا يمكنـك أن تختفـي طـوال هـذه السـنوات بعـد أن هربـتِ وتركتِني خلفـك والآن تظهرين بـكل بسـاطة وتحاولين أن تفسـدي حياتـي وحياة أبي بمصطلحاتك التافهة..

- هل لديك سيجارة؟؟

سألت ببرود متجاهلة غضبي..

- لا ليـس لـدي أي شـيء ولعلمـك فقـط أنـا إنسـان مشـغول يجب أن تقولي ما لديك بوضوح وتغادري..

- حسناً ألا تريد أن تسألني لماذا كنت في المصحة النفسية؟؟

- لا.. لقد أخبرتني المديرة بالفعل ما الذي ارتكبته من جرم شنيع.

قالت ضاحكة:

- نعم ارتكبـت جرمـاً لكـن هـل تعـرف مـن السـبب؟ ذلـك الوحـش وأصدقـاؤه كانـوا طـوال الوقـت فـي رأسـي لقـد سيطروا على خلايـا دماغي لأنني هربـت وتركتهم ولـم أنفذ ما يريدون قرروا الانتقام مني أو لا..!

سكتت ثـم بـدأت تنظـر مـن حولهـا يمينـاً ويسـاراً فـوق وتحت بشكل غريب أيقنـت أننـي مـاذا أتوقـع لقـد خرجـت قبـل أيـام من المصحة النفسية بالتأكيـد هـذه هـي تصرفاتهـا ثـم أكملـت وهـي تهمس وكأن أحداً سيسمعها:

- لـن يسـمحوا لأي أحـد بالخـروج مـن الدائـرة لهـذا عندمـا خرجت منها جعلوني أعيش في جحيم..

قلت متنهداً:

- أمي أنتِ ما زلت بحاجة إلى المساعدة يجب أن تستمري بتناول أدويتك لفترة على الأقل..

أطلقت ضحكة مدوية:

- أنت الآن ستعاملني كالمجنونة أليس كذلك؟ أين والدك المسخ؟ لماذا لم يخبرك إلى الآن عن حقيقته؟ لماذا لم يخبرك بأنه شيطان على هيئة ملاك؟ لماذا لم يخبرك بأنه وحش مجرد وحش يتغذى على عقول ودماء الناس! هل تعرف يا ظل لماذا لم أصبر؟ هل ترغب بمعرفة لماذا هربت وتركتك ما الشيء الذي تتوقعه مني؟ لقد كنت أعيش في قمامة مصغرة حسناً لا بأس كان من الممكن أن أتجاهل الأمر لكن كنا أيضاً مملكة الفقر أيضاً لا بأس سأتجاهل الأمر كنت أيضاً أعيش مع شخص قبيح شكلياً لا بأس سأتجاهل الأمر كنت أيضاً أعيش معه وهو عجوز أكبر مني بسنوات ضوئية لا بأس أيضاً سأتجاهل الأمر لكن فوق هذا كله يكون وحشاً ليس فقط من الخارج حتى من الداخل هل تريدني أن أبقى؟؟

- هذا يكفي اصمتي!! اخرجي فوراً من منزلي لقد اكتفيت..

صرخت في وجهها

بينما ابتسمت ببرود وهي ترتشف آخر قطرة من فنجان قهوتها:

- الآن أنا تيقنت من أنك ما زلت أعمى يا طفلي الصغير أنت على ما يبدو لم تكتشف أي شيء بعد أخبرني الآن ما الذي تريد معرفته وسأخبرك بكل شيء..

- لماذا تفعلين ذلك؟ لماذا تزوجتِه من الأساس؟ لماذا قمتِ بإنجابي حتى؟ لقد كنتِ تعاملين أبي طوال الوقت كحيوان لكن لا بأس، لكن من شدة كرهك لأبي كرهتني أنا أيضاً بدون أي ذنب! لم أستطع أن أنسى الجملة الأخيرة التي أخبرتني بها وغادرتِ بكل قسوة وجفاف لم أستطع أن أنسى كيف ظللت أبكي وقتها بحرقة طوال الليل لم أستطع أن أنسى كيف عندما يسألني أحد أين هي والدتك؟ وأنا لا أستطيع الإجابة لأنني لا أعرف ميتة حية تائهة هاربة لا أعرف حقّاً! لم أستطع أن أنسى كيف كان يتنمر علي الأطفال في المدرسة ويقولون بأنك هربتِ وتركتِني خلفك لأنني ابن ذلك البشع لم أستطع أن أنسى عندما أخبرنا المدرس أن نرسم وجوه أمهاتنا وقام جميع الطلاب بالرسم إلا أنا لم أستطع لأنني نسيت حتى كيف هي ملامحك! لم تكوني يوماً أمّاً ولم أشعر بأنك أمي أصلاً كنت طوال حياتي أرغب بإجابات منك والآن سأحصل عليها..

تنهدت واعتدلت في جلستها بعد أن وضعت الكوب على الطاولة وهي ترتعش بدأت تتصرف بغرابة كالعادة تنظر يميناً ويساراً ملامحها كانت كلها رعباً وجهها أصبح شاحباً:

- حسناً هل تريد أن تعرف لماذا تزوجته؟ كنت أرغب دائماً بإخبارك لكن أعلم بأنك لن تصدقني والآن حتى لو لم تصدقني لن أهتم، أنا فتاة يتيمة ليس لدي أي أحد في هذا العالم ترعرعت في ميتم لعين كباقي الميتام يقومون بسرقة حقوق الطفل وكرامته وصحته النفسية والجسدية لذلك

كان حلمي مثل حلم جميع الأطفال في الميتم الخروج منه بأي طريقة عندما أصبحت في السن الثامنة عشرة أخيراً هربت من الميتم قبل أن يتم حبسي فيه للأبد مثل أغلب الفتيات بحجة أنه يجب أن نصبح راهبات وكان هذا أسوأ من الميتم كالجحيم تماماً لذلك هربت وعندما هربت كنت أنام في الشوارع حتى التقيت به كالبطل المنقذ الملاك الحارس لقد تعلقت به كثيراً أحببته أكثر من أي شيء في هذه الدنيا لم أكن أعرف أحداً غيره كنت مستعدة أن أقدم له كل شيء وكل ما أملك..

قاطعتها:

- لحظة عمّن تتحدثين؟؟

- ليس والدك أتحدث عن الشخص الذي عرفني على والدك! لا ليس شخصاً لا أعرف ما هو؟ لا أعرف كنت أظن أنني أعرفه لكن لم أكن أعرفه بعد أن كنت معه لسنتين من شدة تعلقي به كنت مستعدة أن أفعل أي شيء من أجله لذلك في يومٍ ما أحضرني إلى والدك وقال لي بكل برود: هذا صديقي ويجب أن تتزوجيه لتعيشي حياة طبيعية لكن لا شيء طبيعي في حياتهم علاوة على ذلك حاولت أن أرفض لكنه كان يسيطر علي على رأسي على عقلي وقلبي لقد دفع أيضاً أموالاً طائلة وقال إنه سيستمر الزواج لكن ليس للأبد فقط فترة من الوقت أو أنه سيقوم بتسليمي إلى الكنيسة والكاهن لأنني هربت منهم!

سكتت قليلاً ثم بدأت الدموع تنهمر من عينيها وهذه كانت ثاني مرة في حياتي أرى أمي تبكي استرسلت في حديثها بصوت يرتعش:

- لم يكن لدي خيار آخر لم أكن أعرف ما الذي أفعله كنت صغيرة لم أفهم ما الذي يفعله هؤلاء الناس وما الذي يريدونه؟ لذلك وافقت تزوجنا بسرعة لم أستطع يوماً أن أنظر في وجهه كنت أخاف منه بشدة لكن كان يتصرف بهدوء تام كان يتصرف بلطف لكنني لم أستطع أن أحبه يوماً لكن بعد مرور سنة وهو يعاملني بكل طيب بدأت تتغير نظرتي إليه بالشفقة قررت أن أعامله أيضاً بقليل من الرقة لكن تغير ذلك بسرعة عندما عرفت من يكون والدك وعرفت من يكون أصدقاؤه كانوا جماعة لعينة لديهم أسرار مخيفة ومرعبة كان طوال الوقت يخرج من المنزل ولا يعود إلا في اليوم التالي كان يقول بأنه يعمل وأنت تظن أنني أنفر منه فقط لأنه كان يعمل في المقبرة؟ لا ليس كذلك والدك مجرد وحش فقط..

- إذاً لماذا استمررت معه ولماذا أنجبتني؟؟ ثم إنني لا أفهم أي شيء من حديثك وعمّن تتحدثين آها الآن أنا فهمت ذلك الرجل حبيبك السابق الذي قام برميك إلى والدي كالبضاعة! هو من قمتِ بخيانة أبي معه أليس كذلك؟

أطلقت ضحكة جنونية حتى سعلت بقوة:

- خيانة!! كنت طوال الوقت معه ولم أكن مع والدك إلا فقط كالديكور هل تعرف ذلك؟ أعترف بأن ذلك الشخص هو

رئيسهم وهو منبع الشر لكنني أحببته كثيراً لقد أحببته منذ أن كان عمري ثمانية عشر عاماً كان أول حب في حياتي وآخر حب على قدر ما كنت أحبه على قدر ما كان يخيفني وأنا حتى الآن أخاف منه ومن أعوانه إنهم مجرد شياطين يقومون بالتضحية بالناس وقتلهم أيضاً..

- تقصدين حبيبك، والدي ليس له أي علاقة حتى لو كان يعرف ذلك الشيطان أنا واثق بأنه لم يشترك معهم في أي شيء ثم لحظة هل تظنين أنني سأصدق قصتك البائسة الغريبة هذه؟ أنا حتى لا أعرفك كيف تتوقعين مني أن أقوم بتصديقك وأنتِ تقومين بإلقاء التهم الشنيعة عليه!؟ لقد خرجتِ من المصحة النفسية من يومين فقط أنا واثق بأن كل هذه القصص اخترعتها من رأسك فقط لأنك تكرهين أبي..

تنهدت وهي تسند ظهرها إلى الخلف وتشرب بعض الماء:

- كنت أعلم بأنك لن تصدقني كما غسل ذلك الشيطان عقلي قام والدك أيضاً بغسل دماغك هم ماهرون في ذلك صدقني ولكن قبل أن أرحل هناك قصة أخيراً يجب أن أخبرك بها قصة كانت لا تجعلني أنام من ثلاثين عاماً هل ترغب بسماعها؟

- هاتي ما لديك وبعدها يجب أن تغادري فوراً..

قالت وهي تمسك يدي سحبتها على الفور لأن هذه أول مرة تحدث ملامسة بين أم وابنها بدأت دموعها مرة أخرى بالانهمار:

- لقد كنت خائفة خائفة بشدة عندما تعرفت على صديقتي التي شجعتني أن نذهب إلى المدينة ونحقق أحلامنا ونرى العالم الخارجي كيف يعيش قررت أن أترك كل شيء خلفي حتى الشخص الذي أحبه كنت خائفة أن أنغمس أكثر في أعمالهم الغريبة والمجنونة لذلك هربت بسرعة معها هل تعرف لماذا لم آخذك معي؟؟ لأنني أيضاً كنت خائفة أن يلحق بي كنت أعلم جيداً والشيء الوحيد الواثقة منه أنا هو أني إذا أخذتك سيلحقون بي لن يتركوني حتى أخطو بك خارج القرية لذلك الفرصة الوحيدة فضلت أن أذهب وأتركك نعم كنت أنانية ولكنني كنت خائفة هم حتى إذا أمسكوا بي لن يقتلوني بل سيجعلونني أتمنى الموت! لذلك تركتك على أمل أن أعيش بشكل طبيعي لكن لم يحدث ذلك حتى وأنا هربت من دونك قاموا باللحاق بي قاموا بتوريطي في تلك الجريمة جعلوني أقضي حياتي بين طيات الجنون كانوا في رأسي طوال الوقت والدك مجرد وحش تابع لقطيع من الوحوش لا تعرف أنه قتل مئات الأشخاص بأبشع الطرق والدك المسخ الذي تظن أنه ملاك ما هو إلا شيطان..

- توقفي أرجوك هذا يكفي..

صرخت في وجهها وأنا أقف أمسكتها من يدها وسحبتها لكي أخرجها من المنزل لأنني لم أعد أحتمل كل هذه المعلومات التي لا أعرف هل هي من خيالها أو لا؟ سحبت يدها من يدي وتوقفت:

- كنت تريد أن تعرف أيضاً الحقيقة الأخيرة وهذا الشيء الوحيد الذي ستصدقني به ويوجد دليل على ذلك..

قلت وأنا أتمالك أنفاسي وتركيزي بدأت أسمع صوت ذبابة في رأسي لكن لا أرى أي ذباب حولي:

- بسرعة فقط كلمة واحدة وبعدها اخرجي من هنا قبل أن أستدعي الحرس يقومون برميك للخارج..

عادت للتأمل في المنزل وبدأت تضحك كالمجانين إنها حقّاً مجنونة ندمت أنني استجبت لإدارة المستشفى وقمت بإخراجها ندمت لأنني ذهبت إليها وسمحت لها بالدخول إلى حياتي ثم قالت:

- أوه يا طفلي الصغير هل كنت تعلم بأنك في عمر السنة كنت تحب هذه الأغنية؟ لكن والدك كان يرفض أن تسمع أغاني الأطفال المملة وقال لي بكل صراحة لا تقومي بالتعلق به يجب أن تكرهيه لأنه لن يصبح مثلك وسيصبح مثلي أنا لكن الآن أنا أراك شخصاً طبيعيّاً أنت لست مثله أبداً أنت لست مثلهم الغريب أن والدك لم يبحث عنك إلى الآن أو أنه يراقبك من بعيد وهذا مؤكد!!

شعرت بالاستغراب لماذا تقول هكذا؟ وهي تعرف أن والدي يعيش معي!؟

- ماذا تقصدين؟ أبي معي؟

قالت وهي تضع يدها على شعري:

- لا تكذب علي أعلم بأن ذلك المسخ مات منذ سنوات لقد وصلتني معلوماته وأعلم أيضاً بأنه عندما تخرجت من الابتدائية أخذك وخرجتما من تلك القرية البائسة هذا أصلاً المتوقع ذلك المسخ يبدو أنه خان العهد الذي بينه وبين صديقه وأخذ شيئاً ليس له وهرب..

شعرت بأن أنفاسي بدأت تضيق أشعر باختناق رهيب سألتها:

- أبي ليس ميتاً أولاً ثانياً ماذا تقصدين بأنه أخذ شيئاً ليس له؟

قالت وهي تقترب مني:

- عزيزي أعلم بأنك ما زلت تمر بصدمة بسبب أنك مررت بكل هذا وحدك حسناً لا بأس هو حي كما تقول لكن الحقيقة التي تريد معرفتها والشيء الذي سرقه ذلك المسخ من حبيبي السابق هو أنت..!

ضحكت بشكل هستيري لم أفهم ما الذي تقوله هذه المجنونة أصبحت أضحك مثلها:

- أنتِ تحاولين بكلامك غير الواضح أن تجعليني أكره أبي أليس كذلك؟

قالت ببرود:

- كرهته أو أحببته هو ليس والدك يا ظل ذلك المسخ ليس والدك الحقيقي..

عـمّ هدوء مخيف في رأسـي اختفى كل شـيء من حولي أرى نفسي أقـف فـي مـكان معتـم ظـلام أشـعر بجسـدي طائـراً فـي الفـراغ وكأن روحـي انفصلـت عـن جسـدي للحظات! لـم أعـد أدرك أيـن أنـا؟ وأين أكـون؟ ومن أكـون؟ لـم أعـد أرى شـيئاً ولم أعـد أسـمع شيئاً إلا صوتاً واحداً وهـو صوت تلـك الذبابـة! الذبابة التـي قتلتها في الصبـاح الآن ما زلـت أسـمع صوتهـا لكـن لا أراها إنهـا تزن وبشـدة أشـعر بأنهـا دخلت في أذنـي ووصلـت إلـى خلايـا عقلـي ولـم تعـد تسـتطيع الخـروج إنها تشـعر بالضيـاع لا تعرف أيـن الطريق وأيـن السـبيل للخروج مثلي تماماً فجأة تحـول الظلام إلـى ضوء وشـهقت وكأننـي خرجت من بحـر مظلم بحـر غيـر مرئـي عـدت إلى المشـهد فـي منزلـي ومـا زالـت أمـي تقف أمامـي وتصـرخ وتتحـدث لكننـي لا أسـتطيع سـماعها حتـى، حتى أمسكت بيديها على رأسي وبدأت بهزه هنا عاد لي الإدراك والسمع:

- ظل هل تسمعني؟ ذلك المسخ ليس والدك

مـا زالـت تـردد هـذه الكلمـات وأنـا أحـاول أن أسـتوعب أنني عدت للواقع خرجت عن صمتي وقلت لها أخيراً بصوت واهن:

- لا.. أنتِ تكذبين أنتِ كاذبة..!

قالت وهي تضع يدها على رأسها:

- أوه بالتأكيد لن تصدقني لكن تفضل

أخرجت ورقـة من حقيبتهـا وعلمت فـوراً بأنهـا تحليـل للدي إن إي وفتحتهـا أمامـي وكان لا يوجـد أي تطابـق!! أمسـكت بالورقة وقمت بتمزيقها ورميتها في وجهها مردداً:

- أنتِ كاذبة، كاذبة سأسأل أبي بنفسي وسأعرف منه الحقيقة

رأيت ملامحها تحولت إلى التعجب والرعب والاستغراب ما الذي يقوله هذا المجنون؟:

- يا إلهي أنت لا تصدق أن والدك ميت؟؟

قالت باستنكار وسخرية أمسكتها من يدها وسحبتها للأعلى صعدنا السلالم وهي تصرخ طالبة مني أن أتركها وأنا أردد ستشاهدين والدي حي أبي ليس ميتاً وسيخبرني بالحقيقة سرنا عبر الممر وهي تصرخ حتى وصلنا إلى باب غرفة أبي أصبحت أسمع صوت نبضات قلبها جسدها كله يرتعش عرقها أغرق المنزل من شدة الخوف أرى الرعب في عينيها لم أكن أعرف أنها لهذه الدرجة تخشى أبي لكن لم تكن هكذا سابقاً نظرت في عينيها ونظرت في عينيّ ثم قلت بإصرار:

- الآن سنعرف الحقيقة الآن سترين أن أبي ليس ميتاً..

فتحت الباب ودخلت ورميت بها عند أقدام أبي وهو جالس على كرسيه المتحرك ثم قلت:

- أبي إنها المرأة التي هربت وتركتنا منذ ثلاثين عاماً هي هنا لقد عادت اعتذري من أبي الآن..

رفعت رأسها بهدوء وما أن التقت عيناها به أطلقت صرخة مدوية وتراجعت للخلف وهي تصرخ: أيها المجنون أنت تحتفظ بجثة أنت تحتفظ بجثة متعفنة!! استمرت بالصراخ كان صراخها مزعجاً وكأنه طنين الذبابة أمسكتها من شعرها وألصقت وجهها بوجه والدي وهي تحاول الهرب:

- انظـري إليـه لطالما كنـت ترفضيـن النظـر إليـه طـوال حياتك لـم تنظـري إليه لمـرة واحـدة إنـه أمامـك أبي حـي أخبرهـا يا أبـي بأنـك حـي أخبرهـا بالحقيقـة أخبرها بأنـك أنـت والدي الحقيقـي إنهـا تكـذب علـي وتقـول بأنـك لسـت والـدي أرجوك أخبرها..
- اتركنـي أيهـا المجنـون كنـت أظـن أنـك مختلـف كنـت أظن أنك شخص طبيعي لكن أنت مثلهم تماماً مجنون مسخ..

قالـت بعـد أن دفعتنـي بقـوة اسـتطاعت أن تحـرر نفسـها مني وهربت لحقت بها وأنا أصرخ:

- أنا لست مجنوناً أنتِ هي المجنونة وأبي ما زال حيّاً توقفي!!

لحقت بهـا وهي مـا زالت تركض فـي تلـك السـلالم الطويلة وما أن وضعـت يـدي عليهـا أحـاول أن أمسـكها تعثـرت قدماهـا وتدحرجـت عبـر السـلالم درجـة درجـة سـمعت صـوت عظامهـا تتحطم حتى وصلت للأسفل وعمّ الهدوء..

نزلـت بهـدوء وأقدامي ترتعـش وقلبـي يرتعش درجـة درجة حتى رأيتها رأيت جسـدها الـذي تحطم يدهـا اليمنـى التي اعوجّـت كاليد البلاسـتيكية الرجـل اليسـرى التـي كان معظمهـا تحتهـا الدمـاء مـن رأسـها تسيل ببطء لكـي تمـلأ بعـض أرضيـة صالـة المعيشـة كنت متجمـداً فـي مكاني حتـى سـمعت صـوت أنفاسـها الأخيـرة علمت بأنهـا ما زالـت حيـة تقدمـت إليها أمسـكت بجسـدها وأنا أحـاول أن أتجاهل الدماء الحمراء أكره أن يتسخ منزلي فما بالك بدم أيضاً؟:

- أمي..!!

قلت بصوت راجف، حاولت أن تتحدث تحاول أن تخرج كلماتها الأخيرة كنت على أمل كنت أتمنى أنها ستقول لي آسفة لأنها تركتني كنت أتمنى أن تعتذر كنت أتمنى أن تقول لي أحبك يا بني لكن ما قالته مجرد كلام سام مثل اللحظة الأخيرة بيننا التي حدثت قبل سنوات قبل أن تخرج والآن أيضاً في لحظتها الأخيرة قالت وهي تنازع:

- أنت..! أنت وحش،، أنت مجرد وحش مثلهم..

سمعت صوت الذبابة هذه المرة بشكل أقوى تباً لهذه الذبابة المزعجة هي حتى لم تجعلني أعيش لحظاتي الأخيرة مع أمي لكن أمي لا تريد ذلك لا تريد أي لحظات جميلة بيننا كنت أرغب بمساعدتها لكن هي لا تريد ذلك كانت ما زالت حية وأنا أجلس بجانبها وكانت ما زالت الذبابة تزن في رأسي وما زال الهدوء يطبق على تلك الليلة، نهضت بهدوء سرت نحو تمثال مصغر حجمه كحجم طفل رضيع كان المجسد قد نحته قبل سنوات وكان من المجسمات المفضلة لدي التي تزين المنزل حملته بين ذراعي أسير خطوة خطوة نحو أمي التي ما زالت تحتضر أسير وأسمع صوت الذبابة في رأسي تزن بإصرار حتى وصلت إلى أمي وهي ما زالت مستلقية بجسدها المحطم فتحت عينيها عندما شعرت أنني أقف فوقها عيناها اللتان امتلأتا بالدموع والدم والحقد والخوف والندم والكراهية والغضب رفعت المجسم الذي بين يدي إلى الأعلى اتسعت حدقتا عينيها

يبدو أنها عرفت الخطوة القادمة رفعت أكثر بدني وما زالت الذبابة تزن في رأسي ثم أنزلت المجسم بكل قوتي على رأس أمي وقبل ذلك قلت:

- ما كان يجب أن تعودي إلى حياتي..!

استمررت بضرب رأسها بالمجسم ضربة خلف ضربة تتبع ضربة والذبابة ما زالت تزن وتزن وأنا أضرب وأكرر: ما كان يجب أن تعودي إلى حياتي ما كان يجب أن تعودي أسمع صوت عظام رأسها يتحطم دماغها يتهشم الدماء تتناثر الشعر يلتصق بالمجسم عيناها دخلتا إلى الداخل أنفها تهشم واختفى أسنانها تحطمت وخرجت والبعض دخل إلى حنجرتها وعندما توقفت أخيراً وأنا ألتقط أنفاسي وألهث نزلت دموعي:

- أخيراً لقد اختفى صوت الذبابة..

الدماء في كل مكان بحيرة في صالة المعيشة جمجمة أمي المهشمة بقاياها تتناثر على أسطح السلالم بقيت جالساً أمام الجثة لمدة ساعة تقريباً لا أعرف ما هي مشاعري سعيد تعيس مصدوم مرعوب نادم غير نادم خائف غير خائف لكن كل ما أعرفه أنني لا أشعر بشيء وكل ما أشعر به هو الهدوء فقط الهدوء في داخلي لم أعد أشعر بالضجة والفوضى اللتين كنت أشعر بهما طوال حياتي، سمعت صوت عجلات كرسي أبي رفعت رأسي رأيته ينظر إلي من مقدمة السلالم يبتسم ويخبرني

بأنني فعلت الشيء الصحيح وهو فخور بي شعرت بطاقة جسدي تجددت وعادت إلي نهضت بسرعة أردت أن أنظف كل شيء وقفت ولا أعرف كيف أبدأ أنا لست بقاتل أنا لم أقتل أحداً من قبل لكنني قتلت أمي الآن! لم أكن أتوقع أن أول جريمة لي هي أمي!؟ لا أول جريمة لي كانت الذبابة أعتذر، لا تذكرت بل كانت الكلب، الكلب ثم الذبابة ثم أمي! لكن الذبابة جسدها صغير تخلصت منها بسرعة فائقة وكذلك الكلب، أمسكت بيدها وبدأت بسحبها وأثناء سحب الجثة كانت الدماء تشكل خيطاً وأثراً لا نهائيّاً أشعر بالضيق بسبب هذه الفوضى، مستمر بسحبها ولا أعرف أين أذهب بها أصبح المنزل كله خيط الدم الذي أحدثته الجثة وأنا أسحبها وصلت إلى ممر المرايا كان ممرّاً كبيراً جدرانه جهة تحتوي على لوحاتي وتحفي والأخرى تحتوي على مرايا ضخمة وعندما مررت من ممر المرايا شاهدت نفسي وأنا أسير وأسحب جثة أمي خلفي وكأنها أضحية سأقدمها صدقة للفقراء رأيت نفسي ملطخاً بالدماء أو لا ليس ملطخاً بل تكاد الدماء تغرقني أبدو مختلفاً شكلي مختلف وجهي مختلف إنه أنا لكن ليس أنا وكأنني شخص آخر! وهنا رأيتهم رأيت عائلتي تقف كانوا جميعهم يقفون ويدعمونني يصفقون لي أيضاً مبتسمين بفخر وسعادة جميعهم عائلتي يدعمونني ويشجعونني «العمة لورا، كبران وكيارا، فرانسيس، إليانا، كريستال، روبين، العم كيفن،

جوزيـف، ولويـس» والجميـع أيضـاً خرجـوا لدعمـي بـكل حـب في هذا اليـوم ليس فقـط العشـرة رأيت الجميـع يقفـون ويصفقون لـي ويدعمونـي وكأنـه يـوم تخرجـي أيـام تخرجـي التـي كنـت أحتفـل فيهـا وحـدي ولـم يكـن لـدي أي أحـد والآن لـدي عائلة متكاملة نظـرت إليهم وابتسـمت ودموعي تسـيل لا أعـرف هل أنا حزين أو أنا سعيد لكن كل ما أعرفه أنني أمتلك منزلاً سعيداً..



«الفصل الخامس والعشرون»

«منـــزل سعيـــد»

تيك تـوك.. الحيـاة لا تتوقف سيكون هنـاك دائماً استمرار لكن بالنسبة لـك ستسـخر أيضـاً مـن اللحظـات المتتاليـة السـريعة مـن واحدة إلـى أخرى، إنهـا سـباق لا نهاية لـه تواكـب القلـوب للدقات الصامتة، كل علامـة بدايـة جديـدة فرصـة للتغييـر إن العيـش قطعـة أحجية مفقـودة أعتـرف بذلـك ربمـا رنين في رأسـي يستمر أسـئلة الحياة التي ليسـت لهـا أي إجابـة مثـل: من أنـا؟ ومـاذا أكـون؟ وما الذي أريـده؟ ومـا الـذي أسـعى إليـه؟ نبحـث عـن المعنـى فـي الاندفاع والهـدوء النـاس يجـدون الجمـال فـي النضـال والسـلام ووسط الشـغب، لكن أنـا لا أسـتطيع أن أعرف أيـن هو الجمـال وما هو السلام؟

تيك تـوك.. الحقيقـة لا تتوقـف إنهـا فقط تقـرع الحقيقـة المعارك الرغبات الفوضى التـي تـأكل عقولنـا وأرواحنـا وفجأة كنـت تعيش في مفارقـة ولكـن لا يمكننـا رؤيتهـا لا يمكننا الشـعور بهـا إن الزمن يتحكم بنا إنـه يشـكلنا علـى هـواه كيـف نسـير كيـف نقرر وكيـف نتحدث! يمكـن أن يجعلنـا نعيـش أو يمكـن أن يجعلنـا نتعفـن فـي هذه الحياة..

تيك تـوك.. الوقت يمر ببطء شديد سبع ساعات مرت بعد أن قتلت أمي استغرقني الأمر سبع ساعات وأنا أنظف فقط المنزل من الدماء نظفته على أكمل وجه أخيراً انتهيت الغريب لم أكن أشعر لا بتعب ولا خمول هذا لأنني معتاد على التحنيط أيضاً والنحت والرسم والتشريح وكل هذه الأمور تأخذ ساعات من وقتي وجهدي بعد أن انتهيت من التنظيف تخلصت من ملابسي التي كانت غارقة بالدماء وضعت المنحوتة التي هشمت بها رأس أمي في حمض النيكروتيز هذا الحمض يتم استخدامه في أمور كثيرة مثل التخلص من آثار البصمات يزيل البقع التي في المجسم أو أي غرض حتى لو كانت ملتصقة منذ أعوام لأنني بكل بساطة لن أتخلص من منحوتتي المفضلة بسبب بعض الدماء وقليل من اللحم وقليل من الشعر والجلد والدماغ، ملأت حوض الاستحمام وغطست فيه لمدة ساعتين كاملتين بدون مبالغة أردت تنظيف كل بقعة في جسدي أردت تبديل جلدي لجلد آخر أردت أن أعرف ما حدث هل هو صحيح أو أنه مجرد كابوس؟ غطست إلى داخل الماء برأسي بقيت دقيقة كاملة لكن فجأة سمعت صوتاً! خرجت من الماء بهدوء ظناً أنني أتوهم كالعادة لكن الصوت كان لا يزال يصدح خرجت من الحوض ارتديت روب الاستحمام بسرعة وما زال جسدي وشعري يقطران ماء فتحت باب الحمام كانت غرفتي هادئة لا يوجد فيها أي شيء خارج عن المألوف كان التوتر سيتلاشى لكن ازداد عندما سمعت الصوت عاد بحدة وبقوة من خارج الغرفة اقتربت من الباب

لكنني لم أفتحه وضعت أذني عليه وكان الصوت يعلو أكثر وأكثر
كان صوت همسات لمجموعة من الناس!! بدأ قلبي ينبض بشدة
رغم ذلك اعتبرتها أحد أوهامي لذلك يجب أن أفتح الباب
وبالفعل فتحته وعندما خرجت تمنيت لو أنني لم أحصل على
الشجاعة السخيفة وكان المشهد الغريب والمرعب أمامي تماماً:

كان على طول الممر والدور كاملاً والجدران كلها مليئة
مجموعة من النساء يبكين ويصرخن كنّ يبكين بألم الغريب أنهن
يتألمن ولا أعرف من ماذا؟ يبدون وكأن الألم بداخلهن كانت
أصواتهن ونحيبهن مزعجة ومرعبة لم تعد قدماي قادرتين على
فعل أي شيء نظرت إلى الباب أردت أن أعود إلى الغرفة لكن
اختفى الباب! أصبحت أسير بدون وعي أسير بين حشود النساء
الباكيات أسير في وسطهن وهن يقمن بلمسي بأيديهن كانت
أياديهن ساخنة أشعر بالحرارة ستذيب جسدي وهذا ما حدث
بالفعل بدأ النساء يصرخن ويقشرن جلودهن بأيديهن شعرت بأن
هذا كثير جداً على عينيّ وعلى عقلي قلبي بدأت نبضاته تصبح
أسرع سرت وأنا لا أعلم إلى أين أسير حتى سمعت صوت عجوز
تبكي وتصرخ كانت تقف بالمنتصف ومجموعة من النساء من
حولها وعندما رأتني توقفت فجأة بعدها وقفت على قدميها
ونظرت إلي مباشرة ثم بدأت تصرخ وتردد وهي تبكي:

«أرواحهن.. لقد خدعن ذهني أصواتهن صرخاتهن تتصاعد
بجنون في رأسي إنه جحيم يستهلكني من الداخل!! ثم وضعت
يديها على أذنيها وبدأت تضرب نفسها وقالت: اصمتن!! اجعلهن

يتوقفن أرجوك اتركنني حررني من هذا العذاب، إنني أغرق في بكائهن ونحيبهن المتواصلين دورات آلامهن تتدفق نحو عروقي مثل الثعابين السامة، ربما لقد حان الوقت للسماح لهن باستهلاكي نعم اندمجن معي نحن كلنا واحد في هذه الهاوية.. دع الظلام يلتهمنا ويبيد كل ما عرفناه ذات يوم دع الشمس تحرقنا.. ثم نظرت إلي بنظرة حادة وقالت: فلا وجود للظل اليوم..! ثم صرخن معاً صرخات مدوية ومزعجة ذابت جلودهن وأجسامهن انصهرت أمامي في مشهد مروع وضعت يديّ على أذني لأنني شعرت بأني لو لم أفعل ذلك فسأفقد السمع من قوة صرخاتهن سقطت أرضاً وأنا أشعر بأن أنفاسي سُحبت من روحي أشعر بالاختناق أنا لا أغرق لأنه لا وجود للماء لكنني أشعر بأنني أغرق بدون ماء شعرت بأنها النهاية لم أعد قادراً على التنفس وحتى آخر لحظة شعرت بيد تمسك بيدي وتسحبني وهنا خرجت من حوض الاستحمام وأنا أشهق بقوة وأسعل أحاول أن أجمع أنفاسي يا إلهي هذا كان كابوساً كيف؟ أنا لم أكن نائماً كنت أستحم فقط؟؟ خرجت بسرعة من حوض الاستحمام جففت شعري ونفسي خرجت إلى الغرفة وفوراً فتحت الباب لكن يظهر كل شيء بخير إنه منزلي الطبيعي ولا يوجد أحد غيري..

كانت الساعة السادسة مساء سبع ساعات وأنا أنظف انتهيت من ارتداء ملابسي كنت أشعر بالجوع والغثيان في آن واحد لم أستطع أن آكل لذلك شربت بعض القهوة لكي تسد جوعي، بعد

أن نقلت جثة أمي إلى القسم الثاني كنت أتساءل ماذا أفعل بها؟ لم أتخلص من جثة من قبل أنا مهمتي ليست التخلص من الجثث بل الاحتفاظ بها أشعر بتأنيب ضمير قاتل يتخلص من جثة بإهمال لا، الجثث تستحق الاهتمام أعلم بأن أمي لم تكن جيدة من قبل معي ومع أبي أعلم أنها إنسانة أنانية ومعقدة ومجنونة لكن عندما تكون جثة لربما ستتغير ربما..

حملتها إلى الاستديو وضعتها على السطح الآخر للتشريح لأن الأول ما زالت جثة الرجل بلا وجه مستلقية عليه منذ أربعة أيام وأنا أقوم بدراسة وشومه، كان الدم لا يزال مستمرّاً بالنزيف من رأسها سأقوم بعمل خياطة له لكن ماذا أخيط؟ لا بأس سأقوم بعمل التدبيس أفضل من الخياطة سيختصر علي الكثير من الوقت كنت أرغب بتحنيط جسدها كله كالباقي لكن رأيت أنها لا تستحق أن تبقى هنا أنا أعلم بأنها لن تتغير ماذا لو استمرت في نبذ أبي والتنمر عليه؟ لقد كان مرتاحاً طوال هذه السنوات من لسانها نعم لسانها الطويل البذيء وأول شيء فعلته التقطت المشرط وقمت بقطع لسانها!! وصرخت في وجهها معلناً انتصاري على لسانها السليط طوال هذه السنوات شعرت بسعادة لكن هل سأتخلص من جثتها؟ لا طبعاً يجب أن أستفيد منها لدي معرض قريب وتستحق أمي أن تكون واجهة هذا المعرض نظرت إلى شاشة الحاسوب وما زال الموقع مفتوحاً على صفحة رأس ميدوسا والحلم أيضاً الذي شاهدته «لا تنظر إلى عينيها ستقوم بتحويلك إلى حجر» أنا أعرف الآن أنهم كانوا يقصدون أمي لقد

قاموا بتشبيه أمي بأسطورة ميدوسا جمالها وأفعالها إن أمي تملك قلباً كالحجر وستؤثر على أي أحد بكلماتها القاسية وأفعالها هذا ما كانوا يقصدون بأنها ستحول كل من حولها إلى حجر، الآن أنا أفهم سأجعل أمي ميدوسا..

لا أحتاج إلى جسدها سأستفيد منه في أعمال أخرى أحتاج فقط إلى رأسها المهشم سيكون ترميمه تحفة فنية بالفعل بدون أي تردد قطعت رأسها وفصلته عن جسدها قمت بتجفيف الجسد أولاً التجفيف يحافظ على الجثة لساعات فقط وليس لأيام لكن فعلت ذلك حتى أنتهي من تحنيط الرأس، بدأت بعملية التحنيط هذه المرة الأولى في حياتي أقوم بتحنيط رأس فقط أولاً قمت بترميم الخدوش والضربات التي في الوجه والكسور بعدة عمليات حتى انتهيت سكبت سائل التحنيط وأضفت الشمع لأول مرة بعدها جعلته يجف لمدة أربع ساعات توجهت إلى الجسد وأخرجته من ثلاجة الموتى قمت بتنظيفه وغسله وبدأت بتحنيطه هو الآخر قمت بسكب سائل الشمع الساخن مع الطين على فتحة الرقبة حتى تختفي تماماً كونها رقبة بشرية، وضعت سائل التحنيط في الجسد وتركته يجف عدت مرة أخرى إلى الرأس وهنا بدأ العمل على اللحظة المفضلة لدي قمت بنحت الرأس والوجه أولاً قمت بطلاء الوجه وتغطيته بالطين ثم فتحت فمها أكثر وكأنها تصرخ وهي بالفعل كانت تصرخ قمت بتغطية عينيها حتى لا يفسدهما الطين وبدأت بتكوين ونحت الطين على أشكال ثعابين كثيرة قمت بحلاقة شعرها الذي كانت تتباهى به دائماً

ألصقت الثعابين في رأسها وكانت الثعابين هي الشيء الوحيد المزيف أما الباقي فكله حقيقي أزلت الغطاء عن عينيها أحضرت لها بعض الإكسسوارات التي تحبها فهي تحب الزينة والجمال ووضعت في أذنيها قرطين قد صنعتهما بيدي من عيني إحدى الجثث التي أتلفت ووضعت في فمها وشفتيها التي تصرخ أحمر شفاه أزلت الغطاء عن عينيها ووضعت لها بعض الرموش حتى تكون منحوتة أكثر من أن تكون حقيقية وهنا كان أمامي رأس كاثرين على طريقة ميدوسا..! هذه المرأة كانت تريد تدمير هذا المنزل السعيد الذي بنيته لسنوات وأنا لن أسمح لها أبداً، أوه أحتاج لبعض الموسيقى:

- أليكسا قومي بتشغيل أغنية مناسبة..

- حسناً سيد ظل..

بدأت الأغنية تصدح في جميع أنحاء القصر وكانت أغنية حقّاً مناسبة إنه حتى أليكسا تفهمني وهي مجرد جهاز إلكتروني تفهمني أكثر من أمي وغنت الأغنية وكنت أشرب وأعمل بشغف ونارة أرقص أنا والجثث التي في الاستديو:

Yeah، yeah

Been on another level since you came، no more pain

You look into my eyes، you can't recognize my face

You're in my world now، you can stay، you can stay

But you belong to me، ooh، you belong to me

If it hurts to breathe، open a window

Oh، your mind wants to leave، but you can't go

Oh، this is a happy house (a happy house)

We're happy here (we're happy here)

In a happy house

Oh، this is fun، fun، fun، fun

Fun، fun، fun، fun

Fun، fun، fun، fun

Music got you lost

Nights pass so much quicker than the days did

Same clothes، you ain't ready for your day shift

This place will burn you up

But، baby، it's okay، them my niggas next door

And they working in the trap، so get naughty if you want

So don't blame it on me that you didn't call your home

So don't blame it on me، girl، 'cause you wanted to have fun

If it hurts to breathe

Open a window (yeah، yeah، yeah)

Oh، your mind wants to leave but you can't go

This is a happy house

We're happy here in a happy house

Oh، this is fun، fun، fun، fun (this is fun)

أنا أحب هـذه الأغنيـة حقّـاً إنهـا أغنيـة House Of Balloons للمغني The Weeknd أنـا أهديها لـك يا أمي أنـتِ تتمنيـن لأبي وهو ينتمي إليك سواء أردت ذلك أو لا.. ولن تهدمي منزلنا السعيد

وضعـت آخـر لمسـاتي ورفعـت يـديّ وانتهيـت أخيـراً أعجبت بالعمـل انبهـرت من نفسـي ومـن موهبتـي ومن أفـكاري كنـت طائراً من السعادة إن هـذا الرأس الجميع سـيظنون أنـه منحوتـة عادية لكن لا أحـد يعـرف أن داخله دماغـاً حقيقيّـاً ورأسـاً حقيقيّـاً، توجهت إلى الجسـد أردت أن أصنـع ميدوسـا علـى طريقتـي انتهيـت مـن آخـر لمسـة فـي تحنيـط الجسـد قمـت بإلباسـها فسـتاناً أسـود ذا دانتيـل شـفاف بطابـع كلاسـيكي قديـم كانـوا يرتدونـه فـي العـزاء قديمـاً وضعـت الجسـد بعـد أن زينتـه على الكرسـي فـي وضعيـة الجلوس ألبستها كعباً أسـود وحملت الـرأس ووضعتـه بين يديها في حجرها وهنـا اكتملـت أول تحفـة فنية لـي كانـت مثالية بشـكل مرعـب حتى إنني بقيت أتأملهـا لثلاث سـاعات متواصلـة، الخطوات التي فعلتها كلهـا بالطبـع لا تسـتغرق سـاعات بـل أيامـاً وأخـذت مني ثلاثـة أيام حتى اكتمل المشـروع لكـن أنـا اختصرتها لكـم، المرعـب والغريب أنني لـم أشـعر بنفسـي ثلاثـة أيـام وأنـا أعمل على جثـة أمي ثلاثة أيام وكأنني كنت فـي اللاوعـي ثلاثة أيـام لـم آكل ولم أشـرب حتى ولم أنـمْ ثلاثـة أيام كنـت في الاسـتديو فـي القسـم الثاني مـن القصر ثلاثـة أيام حتـى لو احتـرق العالـم لم أكـن أشـعر بـأي شـيء وبعد أن بقيت أتأمل المجسم غرقت في نوم عميق من شدة الإعياء..

ثيــــا..

منذ ما حدث معي في ليلة أمس كان أشبه بالكابوس الواقعي لم أستطع أن أفسره إلا بأنه كابوس خصوصاً أن أمي وأبي عادا إلى المنزل ووجداني فاقدة الوعي على الأرض في غرفتي، أخبرني الطبيب أنه مجرد إعياء وأرق بسبب أنني أبذل مجهوداً كبيراً في الشغل بدون راحة وهذا ما قاله الجميع أحاول أن أتماشى وأصدق كلامهم ليس لدي خيار آخر كنت طوال اليومين في سريري أفكر كثيراً في أيلا وكريستيان هل حالتهما أثرت بي لهذه الدرجة؟ لدرجة أنني رأيت أخي تتحطم عظامه أمامي بشكل مخيف وقام بمطاردتي بشكل مرعب! أحتاج إلى ظل أحتاج أن أكون مع ظل لكن ظل هو يحتاج إلى ظل آخر، يا إلهي لا أعرف لماذا لم يتصل بي لقد اشتقت إليه تناولت الهاتف اتصلت به لكن كان هاتفه مغلقاً لم أستغرب فهو لا يشحن هواتفه أبداً وخصوصاً أنه في إجازة من المفترض أنه غداً سيعود إلى عمله سأنتظر بضع ساعات وسأعاود الاتصال به:

- ثيا أنتِ مستيقظة..

دخلت أمي وهي تحمل صينية الطعام وبعض الفيتامينات والماء.

- صباح الخير أمي..

طبعت قبلة على جبيني ووضعت الصينية أمامي وهي تقول:

- أوه يا طفلتي أرى وجهك وجسدك الذابلين كوردة لم يتم سقيها من أيام لقد أهلكك هذا العمل المجنون..

طالما كانت أمي دائماً تتذمر بسبب تخصصي ووظيفتي المروعة كما تقول وهي محقة:

- أمي هذا عملي لا تقلقي سأكون على ما يرام وسأتحسن قريباً إنه مجرد تعب طبيعي ناتج من جهد..

قالت متنهدة:

- أنا حقاً أعرف لا فائدة من التحدث معك في هذا الأمر هيا تناولي طعامك وأدويتك، ثم توقفت عن الحديث وهي تنظر إلى صورتي التي أضعها في إطار مع ظل التقطنا هذه الصورة معاً أثناء تخرجنا من الجامعة وقالت بحسرة:

- لا أعرف إلى متى ستحبين هذا الرجل الغريب إنه لا يستحقك حتى عندما تمرضين هو لا يتصل بك ولا يسأل عنك ولا يأتي وأنتِ تتحججين وتضعين له أعذاراً بأنه يعاني من مرض ما!!

وضعت الملعقة بعد أن تناولت بعض الحساء:

- أمي أرجوك لا تبدئي الآن ظل أيضاً كان مريضاً في الأيام الأخيرة وهو مشغول جداً إنه يعمل في مئة وظيفة..

- حسناً أنا أعلم بأن أعذارك له جاهزة لنرَ أين ستصل هذه العلاقة بك أخشى كثيراً يا ابنتي أن ذلك الرجل سيقودك نحو الهاوية..

- أمي أرجوك لا تقولي ذلك ظل يعرفنا منذ سنوات وأبي يحبه كثيراً حتى أخي كان يحبه إنه شاب متواضع وخلوق

ولطيف لم يؤذِ أحداً من قبل لماذا لا تستطيعين أن تتقبليه؟
ثم بالنسبة للنهاية لا تقلقي سيكون زوجي..

قلتها بابتسامة خجل..

- أوه عزيزتي يبدو أنك واقعة كثيراً لماذا هل طلب يدك؟؟
- امم نعم إنه بشكل غير مباشر لكنني واثقة بأنه سيطلبها قريباً..

قالت بتذمر:

- إذاً لم يطلب يدك بشكل مباشر وتقولين سيفعل!! حسناً سنرى حتى ذلك الوقت اهتمي بصحتك سأذهب الآن لأجهز الغداء لأن خالك قادم..

- حسناً..

غادرت أمي الغرفة وبعد أن انتهيت من تناول الطعام عاودت الاتصال بظل لكن كان أيضاً مغلقاً، مضى اليوم بشكل عادي وضعت مذكرات أيلا في الصندوق ووضعت الصندوق في خزانة وأغلقت عليه ليكون بعيداً عن نظري يبدو أنني قررت بشكل نهائي تحويل حالة أيلا إلى مختص آخر وبدأت بالإجراءات لأني فعلاً أنا على حافة الجنون من هذه المذكرات لكن كان لدي فضول أن أكملها وأعرف من هو الضيف وفي الوقت نفسه خائفة انتهى اليوم وانا ما زلت مستمرة في الاتصال بظل لكن بدون فائدة أتى اليوم الثاني وبعد عدة اتصالات قررت أن أذهب إلى منزله لم أشعر بالارتياح لأنه في آخر لقاء بيننا كان مريضاً لذلك ارتديت ملابسي

وتوجهت فوراً إلى منزله وصلت إلى قصره ونزلت من السيارة عندما أنظر إلى قصر ظل أعترف بأنه جميل جداً وأنه حلم كل شخص لكني بطريقة ما أشعر بشعور مريب نحوه أشعر بأن هناك أعيناً من النوافذ الكثيرة تراقب من الداخل لطالما سألت ظل لماذا صممت وبنيت هذا القصر الضخم الذي يتسع إلى مئتي شخص تقريباً وأنت تعيش فيه وحدك أنت ووالدك فقط حتى بدون خدم!؟ ودائماً ما يقول بأنه يشعر فيه بأمان وأنه ليس وحده ولا أفهم ما الذي يقصده وصراحة هناك أمور كثيرة لا أفهمها بشخصيته المعقدة دخلت إلى الفناء قمت بضغط زر الجرس الإلكتروني لكن لم يجبْ أحد حتى أليكسا عادة هي التي تجيب هناك زر آخر يجعلني أتواصل به مباشرة مع نظام أليكسا ضغطته وانتظرت ثم أجابت:

- من هناك؟

- مرحباً أليكسا أنا ثيا هل من الممكن أن تفتحي الباب لي؟؟

- لا أستطيع..

- ماذا؟

- السيد يقول لا تفتحوا لأحد غريب..

استغربت من كلامها أول مرة تقول هذه الكلمات لأن ظل يقوم ببرمجتها على أن تدخل بعض الأشخاص مثلي أنا والعاملة لكن الآن ترفض إدخالي إنها في النهاية جهاز أحمق حاولت أن أتمالك أعصابي ثم قلت:

- حسناً أين السيد؟ السيد ظل أخبريه بأنني هنا..

- هناك سيد آخر غير السيد ظل..

قالت أليكسا هـذا استغربت هل تقصـد والد ظـل؟؟ لـم أنتهِ من تساؤلاتي إلا وانفتحـت البوابـة ابتسـمت وارتحـت ظننـت أنـه ظل دخلـت إلـى المدخـل الخارجـي حتـى وصلـت إلـى بـاب الدخـول إلـى القصـر لكنـه كان مغلقـاً كان البـاب زجاجيّـاً لكنـه مبطـن أي مظلل نستطيع أن نرى مـن يقف خلفـه لكنه يكـون غير واضـح وهنا رأيـت شـخصاً طويـل القامـة ضخـم البنيـة وكان يدفـع الكرسـي المتحـرك الـذي كان يجلـس عليـه والد ظـل لكن لـم يكن ظـل كان حقّاً عملاقاً من هذا الشخص؟ ضغطت على زر التحدث:

- مرحباً أنا ثيا من أنت؟؟

قال بصـوت ضخـم وعميـق وكان حديثـه غريبـاً لا أعـرف وكأنه للتو تعلم اللغة:

- ظل غير موجود في المنزل لقد سافر لكي يكتب كتابه..

استغربت مـن كلماتـه ظـل سـافر بـدون أن يخبرنـي ثـم مـن المفترض أنه اليوم سيعود إلى العمل كيف سافر فجأة ومن هذا؟

- من أنت؟؟

سألته..

- أنا صديق والد السيد ظل ولقد أخبرني أن اعتني به حتى يعود..

كنت أنظر إليهما وكانـا يبـدوان كالظـل الأسـود بسـبب تبطيـن البـاب كان الوضـع مريبـاً وغريبـاً لـم يخبرنـي ظل يومـاً بأنه يسـمح

لأحد بالدخـول والاعتنـاء بوالـده غيـر العمـة نـوري! وحتـى العمة نوري عندمـا آتـي إلـى هنا وهـي موجـودة وظـل غيـر موجـود تقوم بإدخالي! لكن هذا الشـخص يتحـدث من بعيـد ولا أعـرف من هو؟

ثم سألته:

- هل العاملة نوري هنا؟؟

- لا..

اجاب وكانـت إجابتـه بحـدة ثـم وبـدون أي سـابق إنـذار دفـع الكرسي وذهب حتـى لـم يقـلْ لـي وداعـاً أو اذهبـي أو اخرجي!!؟ عدت إلى سيارتي لـم أكـن مرتاحـة شـعرت بالخـوف ماذا لـو كان هذا شـخصاً غريباً فعـل شـيئاً بوالد ظـل المقعـد؟ وأين ظـل أصلاً؟ يا إلهي رأسي سينفجر من التفكير والتوتر أين أنت يا ظل؟!

قـررت أن أعطيـه فرصـة حتـى اليـوم التالـي وإذا لـم يـرد علـي فسآخذ ستيفن شريكه في التشريح وأعود إلى منزله..

***

ظـــــل..

استيقظت بفزع وكأنني عـدت إلى وعيـي بالطبع أتذكر كل شيء لكن كنت أشـعر أخيراً بجسـدي يحتـرق من شـدة التعـب والخمول كان محطمـاً كليّـاً الآن أنا أشـعر بالعمل الشـاق الذي فعلتـه، نهضت ببطء أشعر بصداع يسـتقر فـي جمجمتـي ويـأكل خلايا دماغـي غثيان رهيب ودوران مريـع بالطبـع لأننـي لـم آكل لعـدة أيـام ووقفت على

قدميّ اللتين كانتا ترقصان من شدة الارتعاش تناولت هاتفي لكنه مغلق بالطبع لم أشحنه لعدة أيام خرجت إلى الجسر وكنت أترنح وكأنني ثمل وأنا لست بثمل حتى وصلت إلى الجهة الأخرى من القصر دخلت إلى المنزل وقبل أن أستحم حتى ورغم أنني أعاني من وسواس النظافة هذه المرة الأولى التي أقدم فيها شيئاً آخر على النظافة توجهت بسرعة إلى المطبخ شربت قارورة ماء لم أشبع ولم أرتوِ لكن أعلم بأنني إذا أكثرت سأتقيأ لأن معدتي فارغة لحسن حظي استطعت من هاتفي الآخر طلب بعض الطعام من تطبيق التوصيل لأنني لن أستطيع الطبخ بهذه الحالة وصل بسرعة في غصون دقائق طلبت معكرونة وبيتزا وبعض صدور الدجاج وبطاطس أنا لا آكل كثيراً لكنني كنت أشعر بأنني سأموت من الجوع حرفيّاً أكلته كله زاد فقط القليل وهنا شعرت بأن المرض زال لم أكن مريضاً أصلاً بل كان تعباً وإعياء من شدة الجوع والعطش والعمل بدون نوم أخيراً أخذت حماماً دافئاً وعندما عاد الهاتف للعمل هنا انهالت علي المكالمات الفائتة والرسائل كالمطر يا إلهي كان المفترض إجازة مرضية فقط ثلاثة أيام لكن أخذتها خمسة أيام! رسائل من المستشفى ومن الجامعة مكالمات تصل إلى خمسين مكالمة نصفها من ثيا والآخر باقي أعمالي، اتصلت أول شيء على ثيا استغربت أنها لم تأتِ واكتفت فقط بالاتصال أو هي معتادة على أنني أختفي فجاءة:

- ظل!!

ردت بنبرة غاضبة ومتسائلة ومتوترة:

- أهلاً ثيا.. كيف حالك حبيبتي؟

قلت ببرود وأنا أجهز جميع الأكاذيب في رأسي..

- كيف حالـي؟؟ كيف يمكنك أن تسـألني هـذا السـؤال أين كنت؟ كنت أحـاول الوصـول إليـك منذ أيـام وعـلاوة على ذلـك أتيت إلى منزلـك وأخبرني أحدهـم بأنك لسـت موجوداً وأنك مسـافر لتكمـل كتابـك ثم مـن ذلـك الرجـل فـي منزلـك؟ لقـد أخبرني بأنـه صديـق والـدك لـذا هـو هنـا لكـي يعتنـي بـه بينمـا أنـت سافرت ليومين وستعود لماذا لم تخبرني؟

أتت كلماتهـا علـي مثـل الصاعقـة شـعرت بأنني مـا زلت فـي قاع الكابوس! ما الذي تقوله هذه الفتاة؟ أي رجل؟ صديق والدي من؟

- ظل.. ظل هل تسمعني؟

أيقظنـي صوت ثيـا من خلف السـماعة بعد سـبات وصدمـة لثوانٍ قلت متلعثماً:

- أوه نعم أسمعك آسف لكن الشبكة متقطعة قليلاً..

- هل سمعتني ماذا أقول؟ أين أنت؟

- نعم أنـا في المنـزل لقد عـدت ذلك صحيـح إنه ممـرض وصديق أبي وهو ممـرض متقاعد لقـد انتقـل مؤخراً إلـى العاصمـة وكان أبـي سـعيداً أن صديقـه القديـم عـاد لذلـك لـم يكـن يملـك أي وظيفـة فأخبرتـه أن يبقـى مـع أبـي لأن أبـي أصبـح يتضايـق من

رحلاتـي كثيـراً ويشـعر بالملـل فكـرت أنـه صديقـه المفضـل وممـرض هـذا يعنـي أنـه يسـتطيع الاعتنـاء بأبي ولـن يشـعر أبي بالملل وفعلاً عندما عدت إلى هنا كان سعيداً جدّاً..

قلتها بضحكة متداركاً الوضع..

- حسـناً إذاً لماذا سـافرت ولـم تخبرنـي؟؟ ومـاذا عـن وظائفك؟ هل مددت الإجازة؟

- نعـم لقـد أخبرتهـم بأنـي أرغـب بيوميـن آخريـن أنا لـم أسـافر خـارج المدينـة لكننـي ذهبـت إلـى مـكان قريـب مـع صديـق يحب جمع التراث لذلك ساعدته وقمت بالكتابة قليلاً

- حسـناً هـل مـن الممكـن أن ألتقـي بـك؟ لـدي موضـوع مهم أرغـب بإخبـارك بـه صراحـة كنـت أحتاجـك جـدّاً فـي الأيام الماضية لكنني لم أجدك..

شـعرت بالحـزن فـي صوتهـا وكرهـت نفسـي كالعـادة أنـا حقّـاً لا أسـتحق ثيـا أبـداً لكنهـا تظـل متمسـكة بـي أنـا لا أهتـم بهـا أبـداً لكنها تهتم بي أكثر من اهتمامها بنفسها:

- أنا آسـف حقّـاً يا ثيـا أنا هـذه الأيام أشـعر بأننـي تائه ومشـتت لا أعرف ولكن حقّاً أنا لا أستحقك..

- أرجـوك يا ظـل لا تقل ذلـك أنـت تغضبنـي بأفعالـك لكن في نهاية الأمر أعلم بأنك تحبني وتهتم لأمري..

- حسناً ما رأيك أن نفطر معاً غداً في المقهى المعتاد؟

- حسناً موافقة..

أغلقت الهاتـف وبـدأت أفكـر مـراراً وتكـراراً يجب علـي إعادة ترتيب حياتـي أشـعر بالفوضـى حقّـاً تذكرت أبـي!! يـا إلهي لـم أرَه منذ أيام ركضـت بسـرعة خصوصاً بعـد أن سـمعت كلام ثيـا فتحت الباب وجدته مستلقياً على السرير:

- أبـي؟؟ كيـف حالـك؟ آسـف أعلـم بأننـي غبـت عنـك لأيـام لكن كان التخلص من جثة أمي أمراً متعباً،

ثم سكت قليلاً وبعدها أكملت حديثي بحماس:

- أبي لقـد أصبحـت أمـي شـيئاً لا يقـارن بشـيء آخـر حقّـاً أصبحت تحفة هل ترغب برؤيتها؟

- أبي.. صراحـة ثيـا قالت لـي شـيئاً غريباً قالـت إنها شـاهدتك مع رجـل غريـب فـي المنـزل وقـال إنـه صديقـك مـن هـذا الرجل وأين هو؟؟!

لم يخبرني بشيء واكتفى بالسكوت ثم سألته مرة أخرى:

- أبي هل تعـرف ما الـذي قالتـه أمـي عنك قبـل أن تمـوت؟ أنا حقّاً لـم أصدقها ولـن أصدقها أبـداً أعلـم بأنها تحاول تشـويه سمعتك لأنهـا تكرهـك تريد منـي أن أكرهـك أيضـاً، أبي هل أنت أبي؟؟

سألته بيأس لقـد دخـل عقلـي أمـور كثيـرة هذيـن اليوميـن وأحداث كثيرة لا أعرف ماذا أصدق وماذا أترك؟

- أبي حسـناً إذا كنـت لا ترغب فـي الحديث فلا بأس سـأتركك الآن وسأذهب لأحضر لك العشاء وأقرأ لك كتاباً حسناً؟..

سـرت باتجـاه البـاب ولكـن قبـل أن أخـرج سـمعت صـوت أبي في رأسي يقول:

- إنه لا يزال هنا..!

استدرت نحو أبي:

- من تقصد؟ صديقك؟

لم يـرد أبي وعـاد إلـى النـوم خرجـت مـن الغرفـة وأنا أفكـر هل هـذا حقيقـي من يكـون صديق أبـي؟ هل مـن المعقـول أحـد الجثث لكـن لا يتحركـون لغيـري وعـلاوة علـى ذلـك لا يأتـون إلـى هـذا القسـم من القصر أبـداً لحظة،، بحسـب المواصفـات التـي قالتها لي ثيا ضخم طويل عريض من بهذه المواصفات من؟؟

شعرت بقلبي يسقط من مكانه هذه المواصفات...!

ذهبـت ركضـاً بسـرعة خرجـت مـن القصـر توجهـت إلى القسـم الثانـي أركـض وأركـض حتى وصلـت إلـى الاسـتديو وهنـاك رأيت تلك الجثـة ما زالت مسـتلقية كنـت أغطي جسـده بشـكل كامل حتى وجهـه مغطّىً وكانـت بالفعـل كمـا هـي لكـن هـذه الجثـة تحمـل المواصفـات التـي قالتهـا لي ثيـا مواصفـات الرجـل الـذي كان يدفع أبي ويهتـم به نظـرت إليـه وكان يبـدو وكأنـه يتنفـس لمحـت الغطاء وكأنـه يدخل ويخـرج من ناحيـة وجهه اقتربـت وأنا أرتعـش وقدماي

تكادان لا تحملانني حتى وصلت إليه وضعت يدي على القماش الأبيض وبحركة سريعة سحبته وهنا كانت الصدمة التي أسقطتني أرضاً كان ذلك الرجل الذي بلا ملامح أو بلا وجه أصبح يملك عيناً واحدة فقط العين اليسرى!! وجهه ما زال بدون ملامح لكن عين واحدة ظهرت! وجه بعين فقط يا إلهي لا أعرف كيف أصف لكم هذا المنظر نهضت من مكاني بعد أن وقعت أرضاً أغمض عينيّ وأفتحهما أحاول أن أقنع نفسي بأنني أتخيل لكن لا لم يكن اقتربت من وجهه أكثر لكي أتحقق إنها فعلاً عين بشكل كامل عين ورموش وجفن وحاجبها أيضاً ظهر معها أخرجت هاتفي وقمت بتصويره حتى إذا اختفت أستطيع أن أعرف إذا كان يلعب معي ويحاول ان يسلب عقلي مني، لا أعرف في ماذا أفكر لكن مددت يدي وأنا أحاول أن أشجع نفسي أردت أن أفتح عينه لمسته كنت أشعر بالتقزز أحاول أن أفتحها بأصابعي لكنها ترفض أن تفتح ثم قمت بإلغاء الفكرة وسحبت يدي لا أرغب ولا أحتاج لشجعة أخرى تسقط قلبي مرة أخرى:

- من تكون أنت؟؟

سألته بهدوء وكأنه سيجيبني وكيف سيجيبني وهو لا يملك فماً بعد؟..

- ماذا تريد مني؟؟

أمسكت بالغطاء وأعدته على وجهه ثم قلت بغباء وبنبرة تهديدية سخيفة:

- ابتعد عن أبي وثيا هل تفهم؟ لا تظهر لثيا مرة أخرى وإذا كنت حقاً شجاعاً وتحاول أن تخيفني فانهض الآن أمامي..

لم يكن هناك أي ردة فعل ضحكت بشكل ساخر على نفسي وألقيت نظرة أخيرة على مجسم أمي أفكر أين أضعه؟ هل أضعه في صالة المعيشة؟ أو في أحد الممرات؟ إنه جميل في أي مكان سأقرر لاحقاً أطفأت الضوء وخرجت وعدت إلى القسم الثاني من القصر..



«الفصل السادس والعشرون»

«ميت من الداخل»

١٩٩٢ م..

لا أرى عيباً في أن تكون ميتاً العيب في أنك تكون على قيد الحياة لكنك ميت من الداخل!!...

اليوم ستبدأ الإجازة السنوية للمدرسة لقد انتهت الاختبارات النهائية وحصلت على المركز الأول في المدرسة وانتهت السنة الدراسية الأولى في حياتي، كان اليوم الأول لي في الإجازة لم أكن أعرف ما الذي سأفعله وكيف سأقضي وقتي؟ لكن كنت متحمساً كثيراً بعد أن أخبرني أبي بأننا سنتسلى كثيراً رغم أنني كنت أعلم بأن أبي لا يملك أي وقت ليكون معي لكنني سأكون معه في كل مكان كالعادة قضيت اليوم الأول من الإجازة في مغسلة الأموات مع أبي كنت أتجول هنا وهناك بملل وأبي يعمل أتساءل كم ميتاً في اليوم؟ كانت الساعة السابعة مساء كنت أجلس في غرفة الراحة لأبي في المغسلة وهو يقوم بغسيل الموتى في الخارج أجلس في النافذة أراقب عائلات الأموات وجوههم الشاحبة الذابلة الحزينة البائسة وهم يسلمون جثة قريبهم وينتظرونه حتى ينتهي من الاغتسال يأخذونه ويذهبون به إلى المقبرة:

- آسف جعلتك تنتظر كثيراً هل شعرت بالملل؟

قال أبي بعد أن دخل الغرفة وأعلن انتهاءه من عمله..

- لا عليك لقد مضى الوقت بسرعة لكن يا أبي لماذا الأموات كثيرون اليوم على غير العادة؟

سألته..

- هذا لأن الأرض لم تعد تحتملهم يا بني تحاول أن تخفف حمل ثقلها الأحياء كثيرون جدّاً عليها..

- وهل ستتخلص منّا أيضاً؟

- ستتخلص من جميع الأحياء حتى تصبح فارغة تماماً في يومٍ ما..

- إذاً سنكون أمواتاً في يومٍ ما يا أبي؟

- لا بأس لا عيب في أن تكون ميتاً العيب في أن تكون على قيد الحياة لكنك ميت من الداخل..

خرجنا من المغسلة وتوجهنا أولاً لشراء الطعام بعدها ذهبنا إلى المقبرة أتحمس أكثر عندما نكون ذاهبين إلى المقبرة أخبرني أبي أنه من اليوم سيأخذني في جولات الحراسة أيضاً أخبرني بأنه سيجعلني أشاهده وهو يدفن ميتاً واحداً على الأقل، وصلنا إلى المقبرة في السابعة مساء ألقى أبي التحية على الحارس المناوب في فترة الصباح لكنني سمعته يخبره:

- أتى ذلك الشخص يسأل عنك وأخبرته بأنك اليوم ستتأخر..

- حسناً لا بأس شكراً لك..

- كيف حالك أيها البطل؟ تهانينا على النجاح..

قال الرجل وهو يربت على رأسي بلطف كان الوحيد الذي يعامل أبي بشكل جيد لكن فجأة صرخ أبي بتوتر ولا أعرف لماذا لكن على الأغلب أن الرجل فهمه:

- ارفع يدك لا تلمسه!!

نظر الرجل إلى أبي بريبة وخوف بينما كانت نظرات أبي إليه حادة ثم قال الرجل:

- آسف لقد نسيت وداعاً وتصبحان على خير..

غادر الرجل مسرعاً من المقبرة ثم سألت أبي بتعجب:

- أبي.. ما الخطب لم يفعل لي أي شيء سيئ كان لطيفاً؟؟

أجاب وهو يدخل قبلي إلى المقبرة:

- ولأنه لطيف وطيب ليس من مصلحته أن يلمسك..

- لكن لماذا؟؟

- توقف عن الأسئلة الكثيرة وهيا اتبعني لكي تشاهدني وأنا أدفن ميتاً ألا تريد ذلك؟

- بلى أرغب..

دخلت أركض بحماس ونسيت الموضوع كأي طفل أخبرني أبي أن أقف على بعد مسافة قصيرة حتى أراقبه دخل الحافرون وعائلة الميت إلى المقبرة يحملونه وضعوا الميت وهم يبكون ويصرخون

كل الألـم والمآسـي يحملونهـا فـي أرواحهـم إنهـا مناظر غير مناسبة لطفـل فـي مثل عمـري لكن هـذه كانـت حياتـي شـعرت بالانقباض في قلبي والانزعـاج والخـوف أردت أن أركض وأعـود إلى الغرفة من شدة الصراخ الـذي كان يخـرج من حـزن عائلـة الميـت لكنني قاومـت حتى أثبت لأبـي أنني شـجاع وأنني أسـتحق أن أكـون مـن البيتشـيني الذين لا أعـرف من هـم أصـلاً؟ انتهى أبـي مـن دفن ثلاثـة أشـخاص أمامـي وأنا أراقـب بعدها طلـب أبي منـي أن أذهـب إلـى الغرفـة ذهبت مسـرعاً إلى الغرفـة أخيـراً دخلـت إلـى الحمـام أحـاول أن أتنفـس لكـن لم أسـتطع قمـت بغسـل وجهـي بالمـاء البـارد شـعرت بتحسـن قليـلاً خرجـت من الحمام ما أن جلسـت قليـلاً على السـرير حتى سـمعت طرقـاً غريباً على النافـذة! رفعـت رأسـي لكـن لـم يكـن هنـاك أحـد، أحضـرت الكرسـي الخشـبي الذي أصعـد عليه دائماً لأصـل إلى النافـذة نظـرت إلـى الخارج عبـر النافـذة لـم أرَ أي أحـد ظننـت أننـي أتوهـم لذلـك عدت وجلسـت علـى السـرير لكـن مـرة أخـرى أتـى الطـرق بشـكل أقـوى نهضـت وصعدت مـرة أخـرى إذ أرى طفـلاً تقريباً في عمـري ينظر إلـي ثم ذهب مسـرعاً إلـى داخـل المقبـرة، كان لـدي فضول مـن أين أتـى هـذا الطفل لأول مـرة أراه هنـا خرجـت مـن الغرفـة نظـرت إلـى أبـي كان مـا زال منشـغلاً بالدفـن نظرت إلـى الجهـة الأخـرى مـن المقبـرة كان الصبي ما زال يقـف فـي الظـلام وكأنـه ينتظرنـي سـرت بخطـوات سـريعة خلفـه عندما شـاهدني أقتـرب ركض بسـرعة إلـى داخـل المقبرة أكثـر ركضت خلفه حتـى تجاوزت سـور المقبـرة كنت أظن أننـي خرجت مـن المقبرة لكـن المفاجـأة لـم أكـن خرجـت منهـا بـل دخلـت وتعمقـت بهـا أكثر!

كانت المقبرة تمتلك عدة أسوار تفصل بينها مثل الطبقات كان الجزء الذي يعمل فيه أبي في البداية هو الجزء الذي يستخدمونه للدفن وعلى ما أظن البقية أصبحت مهجورة ولم يعد أحد يدخلها أو يدفن بها أي ميت من منظرها من الواضح أنها مهجورة منذ زمن الأشجار التي زرعت بكثافة فوق القبور حتى أصبحت مقبرة في غابة شكلها مخيف وجميل في الوقت نفسه المصابيح محطمة البوابات أيضاً الأرضية التي أصبحت مليئة بالتراب وأوراق الشجر، كنت أتساءل هل كان أبي يريد أن يحضرني إلى هنا؟ هل عندما أبحث عن أبي ويختفي يكون دخل إلى هذا الجزء من المقبرة؟ كان الضباب والظلام يغطيان المكان وكأنني دخلت إلى عالم الموتى وهو بالفعل عالمهم، سرت بخطوات بطيئة أشعر بالانبهار من هذا المكان الضخم المليء بالأموات اختفى الطفل ولم أعد أبحث عنه رأيت شيئاً يلفت انتباهي أكثر بقيت مستمرّاً بالسير حتى وصلت إلى مكان يبدو وكأنه غرفة قديمة لحارس كان الباب مفتوحاً الغرفة متهالكة يغلفها شبكة العنكبوت، وصلت إلى الباب ودفعته بهدوء أصدر صريراً مرعباً رائحة الغبار تفوح من المكان لكن كانت الغرفة مضيئة بسبب الشموع كانت الغرفة مليئة بالشموع غريب من قام بوضع هذه الشموع؟! المكان قديم ومهجور هل يوجد أحد ما يعيش هنا؟ دخلت إلى الغرفة كان يوجد بالمنتصف طاولة خشبية عليها جمجمة لحيوان ما حولها بعض الأوراق والحبر والشموع والأشياء الغريبة كان على الحائط بعض الكلمات والرموز الغريبة لمحت أيضاً شيئاً ما كان قناعاً جلديّاً معلقاً على الحائط لكن يبدو وكأنه ليس قناعاً

مزيفاً أقصد كان يبدو وكأنه وجه إنسان!! تقدمت نحوه ولكن كان مرتفعاً مددت يدي أحاول أن أصل إليه لكنني قصير فجأة سمعت صوت باب الغرفة أغلق وحده ركضت بسرعة للباب أحاول فتحه لكنه يرفض شعرت بالتوتر والخوف بدأت أطرق الباب وأدفعه بقوة وأنادي أبي لكن لا جدوى، توقفت عن الطرق عندما سمعت صوت خطوات من الخارج نبض قلبي بشدة عرفت أنه ليس أبي لو كان أبي لكان قام بمناداتي رأيت مقبض الباب يتحرك بهدوء ركضت بسرعة إلى أسفل الطاولة أحاول أن أختبئ انفتح الباب بهدوء أحاول أن أكتم صوت أنفاسي وصوت نبضات قلبي دخل بخطواته الضخمة المرعبة رأيت أقدامه الضخمة وحذاءه الأسود اللامع الجلدي وشممت رائحة عطره التي تفوح بالمكان وقف في مقدمة الغرفة بدون أي حراك وكأنه يتفحص أو يبحث بعينيه في المكان عني كنت أرتعش من الخوف بشدة ثم سمعت صوت أبي ينادي ويبحث عني عندما سمع الرجل صوت أبي خرج من الغرفة كنت خائفاً على أبي لكن تغيرت وجهة نظري عندما سمعت أبي يتحدث مع هذا الرجل:

- ما.. ما الذي تفعله هنا؟؟

سأل أبي الرجل وكان يبدو على أبي التوتر والخوف:

- إنه بالداخل..

رد الرجل ثم عمّ هدوء لثوانٍ ثم استرسل الرجل في حديثه:

- لم أعهدك أنك مهمل لهذه الدرجة كيف يمكنك أن تجعله يتجول هكذا هنا وحده؟

- أعتذر كنت أظن أنه نائم..

قال أبي بتوتر

- لا بأس يجب أن يتم تدريبه من الأسبوع المقبل لا تنسَ ذلك..

قال الرجل

- بالطبع لن أنسى كل شيء جاهز..

غادر الرجل وترك أبي وأنا ما زلت أسفل الطاولة أشعر بجميع أنواع الحيرة والتساؤلات تعصف في رأسي:

- اخرج يا ظلي أعلم أنك بالداخل لا تقلق لن أغضب منك..

خرجت بهدوء بعد أن قال أبي لي هذه الكلمات وهو يقف على عتبة الباب تقدم نحوي ونزل على ركبتيه مبتسماً:

- ألا تعرف أنه يجب أن لا تتصرف أي تصرف من دون إذني؟ ما الذي سأفعله لو حدث لك شيء سيئ؟ أتعرف أن هذا المكان خطير؟

- ما هذا المكان يا أبي؟؟

- إنه الجزء القديم من المقبرة وهنا تكثر الحيوانات الضالة ومن الممكن أيضاً الأشخاص السيئون لهذا يجب أن لا تأتي إلى هنا وحدك..

- لكن من ذلك الرجل يا أبي لقد خفت منه ثم تحدث معك!؟ سألته..

- أي رجل؟؟

أجاب ببرود..

- أبـي الرجل الـذي كان يقـف هنا ثم ذهــب وتحـدث معك قبل قليل؟؟

- لا يوجـد أي رجـل غيرنا يـا بنـي لا يوجـد أي أحد هنـا هيا بنا دعنا نعدْ حان وقت العشاء..

عدنـا إلـى الغرفـة وتناولنـا العشـاء انتهـى عمل أبـي وعدنـا قرابة الصبـاح كالعـادة إلـى المنزل وكأن شـيئاً لـم يحـدث كان أبـي دائماً يتصـرف معـي بهـذه التصرفـات لا أعـرف إذا كنـت أنـا مجنونـاً وأتخيـل أشـياء أو هو المجنـون ويحـاول أن يتجاهـل بطريقتـه أو أنه يحاول أن يجعلني أبدو كالمجانين..!؟

***

٢٠٢٣ م..

أشـعر بأنني ميت من الداخـل ولطالمـا كان هذا الشـعور يلازمني طـوال حياتـي لا أشـعر بأنني شـخص حـي علـى الإطلاق ومـا يؤكد أنني حي هـو رؤيـة الناس لي عـدا ذلـك أنا لسـت حيّـاً لا أعرف هل أنا شـبح؟ هل أنـا روح شـيطان؟ هل أنـا زومبـي؟! لا أعـرف لكن ما أعرفـه أنني عالـق بيـن الأحيـاء والأمـوات عالـق فـي المنتصـف، بـدأت الثلـوج بالهطـول مـن السـماء إلـى الأرض مـع بدايـة فصـل الشـتاء لهذا العام بدأ بشـكل قـوي دخلنا في شـهر نوفمبر وهو شـهر

ميلادي بعد ثلاثـة أيـام تقريباً سـأدخل فـي سـن الخامسـة والثلاثين خمسة وثلاثـون عامـاً وأنـا لا أعـرف هل أنـا ميـت أو حي؟ خمسة وثلاثون عاماً وأنـا أتخبـط بيـن الحيـاة والمـوت خمسـة وثلاثـون عاماً وأنا لا أعـرف من أنـا ومن أكـون ومـاذا أريد؟ خمسـة وثلاثون عاماً وأنـا تائه بيـن الجثـث، لـم أفكـر فـي أي كلمـة قالتها لـي أمي قبل أن تموت ولـم آخذهـا بجديـة أبـداً ببسـاطة لأننـي لا أعرفها وأكرهها وعـلاوة على ذلـك امـرأة مجنونة لكـن الوضـع يختلف مع أبي لماذا عندما سـألته لـم يعطِنـي أي جواب؟ هـل من المعقـول أنه غضب منـي؟ غضـب لأننـي شـككت بثقتـي بـه؟ لـم أفكـر أو أتجرأ على أن أشـك أن هـذا ليـس أبـي لأن الموضـوع سـخيف جـدّاً وخصوصـاً أنـه خرج مـن فـم تلـك المـرأة الحاسـدة الحقـود بالكاد هي تكره أبـي وعندمـا عرفـت أنه يعيـش بقيـة حياته فـي هـذا النعيم والترف قـررت أن ترمـي تلـك الكذبـة علي كانـت تحـاول أن تدخل إلى حياتـي كانـت تحـاول أن تدمـر أبي مـن جديـد وتدمرنـي كانت تحاول أن تدمـر منزلنـا وعائلتنـا كانـت تريـد أن تجعـل هـذا البيـت تعيساً كمـا فعلـت مـن قبل لكـن لـم أسـمح لهـا أبـداً وهـذا المنزل سيبقى متماسكاً وشامخاً وسـعيداً للأبد..

اليوم سيكون هنـاك حفلـة لرأس السـنة بشـكل مبكـر كالعـادة في المستشفى النفسـي لذلك قامـت ثيـا بدعوتي فـي كل مـرة أذهب إلى تجمع وخصوصـاً الحفـلات أكره الحفـلات والمناسـبات بشـدة لكنني أذهب من أجل ثيـا حتـى تتباهـي بـي أمـام الجميـع فـي كل مـرة أدخل إلى حفل أشـعر بأنني أختنـق ببـطء وحيـن ينتهـي أشـعر بـأن روحي

عـادت إليَّ، جهزت نفسي ارتديت ملابسي بدلـة رسمية سوداء ومعطف شتوي أسود كنت محتاراً بشأن إضافة الشال ماذا سيكون لونه؟ فتحت خزانة قديمة فيها الكثير من الأشياء التي أحتفظ بها مؤخراً ثم أخرجت صندوقاً كان به بعض الصور لي ولأبي شعرت بالحنين والاشتياق للأيام الماضية صحيح أنها كانت بائسة ومظلمة لكنها لطالما كانت مع أبي بالطبع جميلة تركت الصور جانباً وأخرجت شالاً أحمر كان هـذا الشال أهداني إياه والـدي عندما تخرجت من المرحلة الإعدادية وقال لي عندما أكبر أرتديه في تلك الليلة التي أعطاني كان مثل هذا الشهر في يوم ميلادي فبدأت الثلوج تهطل والأمطار كان الجو شديد البرودة وكالعادة لم يكن لدينا تدفئة في المنزل وكانت آخر أيام نعيشها في ذلك المنزل وتلك القرية أحضر لي أبي هـذا الشال وقال لي إنه كبير جداً وطويل جداً لذلك سيكون من الجيد أن أرتديه سيشعرني بالدفء وقال إنه أيضاً يجب أن أرتديه عندما أكبر أكثر عندما سألته كيف اشتريته ونحن آنذاك لم نأكل من يومين؟ أخبرني أنه لم يشترِه وأنه صنعه هو بنفسه من قماش صوف أحمر لكن لا أتذكر أن أبي كان ماهراً في هذه الحرفة لذا خمنت أن صديقه هو من أحضره لي لكن أبي لا يكذب علي في كل مرة أصدقاؤه يقومون بإعطائه شيئاً لي يخبرني بذلك إنه منهم لكن ليس مهماً المهم هنا أن أصدقاء أبي هؤلاء الذين يتحدث عنهم ويعطونني الهدايا وأمي تحدث عنهم المشكلة أنني لم أرَهم في حياتي أبداً! كان أبي وحيداً وأنا مرافقه ولا أعرف أين هؤلاء الأصدقاء الذين يتحدثان عنهم..

قمت بإعادة كل شيء مكانه لكنني تركت صندوق الصور خارجاً شعرت بأنني تأخرت عن الحفل أو أتعمد ذلك لأنني أرغب بانتهاء الوقت بسرعة لففت الشال بطريقة أنيقة على رقبتي ولبست ساعتي ووضعت العطر المفضل لي وخرجت من المنزل، وصلت إلى قاعة الحفل في تمام الساعة التاسعة والنصف مساء كانت القاعة مكتظة بالضيوف الجميع متأنقون لكنني كنت أبحث عن الأجمل بالطبع ثيا:

- بروفسور ظل؟ مرحباً بك..

سمعت الصوت أتى من خلفي التفت لأجد أحد الأطباء الذين يعملون في المستشفى صراحة لا أستلطفه ولا أحبه ولكي أكون صريحاً لا أحب أحداً في مجتمع العمل ومجتمع الكرة الأرضية كلها:

- مرحباً دكتور كيفين..

رددت مجاملاً

- لم أكن أتوقع حضورك لأنه نادراً ما نراك في مناسبات أليس كذلك؟

- بلى أنت محق لأكون صريحاً أتيت هنا من أجل ثيا فقط..

- أوه من الجيد أنك تحب شخصاً

قالها بسخرية..

- نعم من الجيد

أجبت ببـرود أخيـراً بعد أن أتـت ثيا وأنقذتنـي من هـذه الحوارات التافهـة مع مـن يقولـون عنهم زملاء عمـل كانت ثيـا تبـدو كالأميرات مـن عالـم آخر مـن عالـم الروايـات ارتـدت فسـتاناً أحمر طويـلاً مع فتحـة الظهـر التـي أظهـرت قوامهـا وجسـدها الـذي يبـدو كتحفـة مصنوعـة وجههـا الجميـل كجمـال حوريـة وأجمـل شـعرها رائحتها ابتسـامتها كانـت ثيـا ومـا زالـت تلفـت نظـر الجميـع عندمـا تكـون موجـودة فـي مـكان مـا كشـيء نـادر لا يـرى إلا مـرة بعد كل خمسـة قرون المحـزن في الأمـر أنني لا أسـتطيع أن أقـول لها هـذه الكلمات مباشـرة، مشـكلتي الأزليـة هي أننـي لا أعرف أبـداً كيـف أتحدث عن مشـاعري كيف أخبر ثيـا أنني أحبهـا بهذا القـدر وأكثر؟ أعبر وأشـرح وأمـدح وأقول جميـع كلمـات الحـب والغـزل أقولها في رأسـي فقط وأشـرح ذلك جيـداً بيني وبين نفسـي لكـن عندمـا أريـد أن أقولها في الواقع لا تخرج من فمي أبداً من الصعب جدّاً أن تخرج:

- أخيراً لقد وصل فتى الميلاد..

قالت ثيا وهي تحتضنني:

- ما زال مبكراً على ميلادي..

أجبت

- لا إنهـا فقـط ثلاثـة أيـام وبالمناسـبة تعلـم جيـداً بـأن شـهر نوفمبر هو شهرك وليس فقط يوم أربعة هيا تعال..

أمسـكت ثيا بيدي وسـحبتني في منتصـف القاعة ازدادت الحشـود وازداد ضيـق تنفسـي لكن ثيـا كانت كالأكسـجين بالنسـبة لـي في هذه

المواقـف انطلقـت الموسـيقى وبـدأ الجميـع بالرقـص بمـن فيهـم أنا وثيا وأثنـاء رقصنـا علـى الموسـيقى الهادئـة الرومانسـية والإضـاءة الخافتة كانـت ثيـا تتحـدث إلـي كالعـادة بشـغف وحـب تخبرني عن الأشياء التي فعلتها فـي الأيام السـابقة لكـن كان كل تركيـزي وعيناي على الشرفة التي فـي الأعلى كانـت القاعة دائريـة وبها دور ثـانٍ وكان فارغـاً لكن فجـاءة رأيت شـخصاً يقـف مقابلاً لنا في الشـرفة فـي بداية الأمر لـم أهتـم لكن بعـد أن شـعرت بأنـه بـدا وكأنـه ينظر إلي بشـكل مباشر لم أكن أسـتطيع أن أرى وجهه بسـبب أنه بعيد والإضـاءة خافتة لكن من طولـه وهيئتـه الجسـدية الضخمة يبـدو لي أنـه مألـوف أو أنه تلك الجثة بلا وجه التي ترقد في الاستديو الخاص بي..!

انتهينا مـن فقرة الرقـص وعندمـا رفعت رأسـي ثانية لـم يعد ذلك الشخص موجوداً لقد اختفى:

- حبيبي هل أنت بخير؟

سألتني ثيا لأنها لاحظت أنني لست معها أبداً..

- نعم أنا بخير لا تقلقي..

- ظل!!؟

التفت لأرى صاحب الصوت كان المحقق نيكولاس:

- أوه أهلاً بك لم أرَك منذ وصولي؟

- نعم صراحة لقـد وصلت للتـو، كيف حالـك أيتها الطبيبـة ثيا؟ تبدين جميلة كما يقول الناس عنك تماماً وأجمل أيضاً..

قال وهو يمد يده مصافحاً ثيا:

- ثيا هذا المحقق نيكولاس دولوريس..

قالت ثيا وهي تصافح المحقق:

- أهلاً لقد تشرفت بك سمعت عنك الكثير وشكراً لكلماتك اللطيفة..

انتهت الحفلة وكنت أشعر بصداع رهيب بعد أن أخبرني المحقق بأنه يرغب بزيارتي في المنزل لكي يخبرني عن كل شيء يخص العمل والقضايا التي سنتشارك فيها معاً أخبرته أن ينتظر اتصالي الأسبوع القادم، عدت إلى المنزل مع ثيا التي أصرت أن تعود معي وتطمئن على صحتي كنت في الأيام الأخيرة أجهز مفاجأة لثيا وهي أن أقوم بخطبتها رسمياً مع خاتم لكن الأيام تمضي وأنا لم أفعلها لكن يجب أن أفعلها مع احتفال رأس السنة اعتادت ثيا أن تحضر لي شجرة الكريسماس لكن قررت هذا العام أني أنا سأصنعها بالشكل الذي كنت أفكر فيه صراحة الفكرة أثارت إعجابي كثيراً عندما رأيتها في تلك الشبكة لكن هل ستثير إعجاب ثيا؟؟



«الفصل السّابع والعشرون»

«فــن الجــثث»

«إن الفنون كثيرة وكل فن يختلف عن الآخر كل فن في هذا العالم كيفما كان وكيفما يكنْ هو فن ويجب تقديره مهما كان حتى لو كان هذا الفن مصنوعاً من الجثث»

جثة بعد جثة تراكبت في أعقابي كلما انتظرت عودته كان لحمي ذهباً باهتاً ودمي تعفن، الأرض من حولي قاحلة مظلمة مروعة لا تحتمل كل هذا الثقل الأرض تهوي بي شيئاً فشيئاً من دونه واثق أن الأرض ستبتلعني وماذا عساي أن أفعل؟

كتب أبي هذه الكلمات على إحدى الصور التي وجدتها صباحاً واقعة على الأرض ماذا يقصد أبي بهذه الكلمات؟ ومن يقصد؟ هل كان ينتظر أمي كتب هنا بصيغة مذكر لا مؤنث هذا يعني أنه يخاطب رجلاً، كنا في الصورة أنا وأبي معاً التقطناها عندما كان عمري الثامنة كنا في المنزل وهذه أول صورة لنا بالكاميرا عندما اشتراها لي أبي بالمال الذي جناه من عمله لمدة ستة أشهر فقط ليحقق لي حلمي كان أول شيء أردته أن أكون مصوراً لأنني كنت مبهوراً بالشيء الذي اسمه صور أن نصور لقطة ما في حياتنا لم يكن هناك الكثير من هذه الأشياء في ذلك

الزمن لذلك كان بالنسبة لي شيئاً باهراً لطالما كنت أحب التصوير لكن قل شغفي به عندما اكتشفت الحياة أكثر واكتشفت الفن أيضاً التصوير يعتبر فنّاً، وضعت الصورة في الصندوق مع الصور كنت أحاول أن أنتهي بسرعة من عملي في الجامعة كانت لدي محاضرة واحدة فقط اليوم لذلك خرجت بسرعة من المنزل في تمام الساعة الثامنة صباحاً وعدت إلى المنزل بسرعة في تمام الساعة الحادية عشرة، تناولت وجبتي وقرأت لأبي كتاباً وكنت متعجلاً كثيراً حتى أبدأ بتخطيط المشروع الذي سيغير العالم توجهت إلى الاستديو وكالعادة أول شيء أضع عليه عينيّ هو الجثة بلا وجه تقدمت إليها رفعت الغطاء وكانت ما زالت كما هي العين الواحدة فقط الموجودة في الوجه بشكل غريب! اليوم تماماً أكملت هذه الجثة في منزلي شهرين كل هذه الأحداث الغريبة حدثت لي منذ وصول هذه الجثة إلى هنا والغريب أكثر أن الجثة ما زالت كما هي تماماً لم تتعفن لم يخرج بها بثور لم يخرج منها رائحة ولا أي شيء جلست إلى الحاسوب الخاص بي فتحت شبكة ماريانا أشعر بأنني لم أتعمق بها أكثر بسبب انشغالي وبسبب صعوبة اللغة لكن في الأيام الماضية وجدت في أحد موقع الدارك ويب كتباً تعلم هذه اللغات لذلك قمت بطلبها سريعاً، وأنا لا أعرف من أين أبدأ في بعض المرات تقوم هذه الشبكة بترجمة بعض الصفحات لي ولكن تترجم الشيء الذي تريده وكأنها لا ترغب في أن أعتاد الترجمة يريدونني أن أتعلم هذه اللغة عندما فتحت الصفحة اليوم فتحوا لي صفحة

جديدة وغريبة كتب فيها: «من الجثث نصنع كل شيء من الأموات نعيد الأحياء»!..

فتحت الصفحة لتظهر لي صور غريبة لأشياء كثيرة أثاث مجوهرات أقنعة ملابس عطور وحتى أوانٍ مثل الكاسات والصحون كل الصور كانت تبدو قديمة جدّاً في بداية الأمر لم أفهم ما هذا لكن بعد أن قرأت الكلام فهمت:

«من الجثث نصنع كل شيء ونعيد أحياء كل شيء من لا شيء هنا لدينا بعض الأعمال المصنوعة يدويّاً وكل هذه الأدوات تم صنعها من جثث عديدة من جلد الإنسان وعظام الإنسان ولحم الإنسان ودم الإنسان لتشكل لنا فنوناً وتحفاً لا مثيل لها هنا ستجد تاريخاً كاملاً وأكثر عن هذه الأمور وأمور كثيرة أيضاً أمور لا أحد قادر على أن يستوعبها لا عقل يستطيع تقبلها إلا عقلك أنت يا ظل..».

مرة أخرى هذه الشبكة تقوم بمخاطبتي مباشرة ما الذي يقصدونه؟ مستحيل هل يقصدون أن كل هذه الأشياء مصنعة من جثث؟ مستحيل أن أعامل جثثي بهذه الوحشية!

هل فكرت بشجرة الكريسمس كيف ستجعلها مميزة ويمكنك استخدامها لمعرضك الفني؟؟

ظهر هذا السؤال في صفحة أخرى وكان تحته كلمة انقر على الدخول نقرت على الكلمة لتفتح لي نافذة جديدة كانت صفحة تحتوي على خلفية بصورة لشجرة حقيقية عملاقة وليست شجرة

كريسمس كانت تلك الشجرة خالية من الأوراق لكن أغصانها كانت كثيرة وتتفرع منها بكثافة وكان كل فرع يتدلى منه جثة مشنوقة لتشكل لوحة فنية.. كتب على الشجرة:

«إن الأموات ينبتون من جديد»!

نزلت أسفل الصفحة شجرات مماثلة لتلك الشجرة لكن كانت شجرات زينة أو شجرات كريسماس للمنازل بعضها لم يعلق عليها الزينة الطبيعية وبدلاً من الزينة علق فيها أصابع بشرية والأخرى عيون وأخرى أسنان وأخرى أيادٍ وهكذا، كان الأمر بالنسبة لي في البداية غريباً لكن شعرت فيما بعد أنه مميز جدّاً ويستحق أن يكون فنّاً كانت هذه من الأشياء والفنون النادرة التي اكتشفتها كنت أشعر يوماً بعد يوم بالتميز أكثر لم أجد أي شجرة ليست مميزة لكن أرغب في أن تكون شجرتي مميزة أكثر ماذا أستخدم وماذا أضع؟ يجب أن أصنع شيئاً مميزاً أكثر حتى أستخدمها في معرضي مع منحوتة أمي أقصد ميدوسا ضربت الفكرة بسرعة في رأسي وكانت هذه أكثر فكرة إبداعية أراها في حياتي نعم ماذا لو صنعت شجرة عيد ميلاد عملاقة وما علق فيها ليست زينة بل رؤوس؟! نعم رؤوس حقيقية لكنها ستكون محنطة ولن يشك أحد بأنها حقيقية بقدر ما أنها ستذهلهم وتبهرهم كثيراً وسيكون فنّاً جديداً ومذهلاً في عالم الفن المظلم لا هذا ما يسمى «بفن الجثث» لكن من أين سأحضر الرؤوس؟ ستكون هذه المهمة صعبة علي أنا شخص لا يقتل وأيضاً لدي الكثير من الجثث لكن هم عائلتي من المستحيل أن أقطع رأس أي جثة هنا

والتي يبلغ عددهـا مئة وعشـرين جثـة! أنا أرغـب بتجميـع ألف جثة وتحقيق حلمـي كيـف يمكنني الآن بعـد هـذا التعـب أن أقطـع رؤوسهم؟ مستحيل، خطـرت فكـرة فـي بالـي مـاذا لـو كتبت فـي البحث لهـذه الشبكة عـن أماكـن أو أشـخاص يقومـون ببيـع جثث ورؤوس وأجزاء بشـرية؟ بالتأكيـد سـأجد إن هـذه الشـبكة أعمـق بكثير مـن الـدارك ويـب فـي الـدارك ويـب اشـتريت هـذه الجثـة الغريبـة التـي أوصلتنـي إلـى هنـا حتـى الآن فبالتأكيـد إذا قمـت بالتوغـل أكثـر فـي هـذه الشـبكة فسـأجد الكثيـر مـن العوالـم، حسـناً سأكتب باللغـة العاديـة مؤكّد أنهـم يفهمون علـي بـدأت بالحث عن أشخاص أو متاجـر يقومـون ببيـع جثـث سـليمة كاملة وكمـا توقعت ظهرلـي موقع واحـد دخلـت عليـه كانـت المنتجـات غيـر مرئية أي يوضع على الصـور بعـض الغباشـة كانت كثيـرة نوعـاً ما لكـن لماذا يقوم بتغطيتها؟ فجأة كتب لي في الرسائل الخاصة:

- مرحباً بك يا ظل كنا ننتظرك منذ فترة أخيراً وصلت!!

شعرت بالخوف والاسـتغراب الجميع فـي هذه الشـبكة يعرفونني ويتحدثـون معـي ويخاطبوننـي بمجـرد أننـي دخلـت موقـع هـذا الشخص تحدث معي بسرعة حتى لم أستوعب ما الذي يوفر؟:

- مرحباً هل تعرفني؟

سألته

- بالطبع نعرفك الجميع كانوا في انتظارك من سنوات طويلة..

أجاب

- من تكونون أنتم؟؟

استغرق عدة ثوانٍ ثم أجاب:

- ليس مهمّاً من نكون سنخبرك لاحقاً الأهم يجب أن تبدأ..

- أبدأ بماذا؟

- باختـراع الفن المـروع الـذي لم يكتشـفه أحـد من قبـل يجب أن تكمل الشـيء الـذي كان يريـد والـدك أن يفعلـه ويجب أن تفتح الأبواب التي لم يفتحها والدك..

- لكـن والدي لـم يكـن يرغب بفعـل أي شـيء سـوى أن يجمع الأموال لكي أعيش..

- نحن لا نتحدث عن التابع بل نتحدث عن المتبوع..

- ماذا تقصد؟ أنا لا أفهم أي شيء توقف عن الحديث بالألغاز!!

- أنـا اسـمي أو لقبـي «زيـد» ومعنـاه مرشـدك سـأكون مرشـدك مـن الآن وحتـى تصـل إلـى المـكان الـذي يرغـب بـه والدك سـنلتقي قريبـاً لكـن حتى ذلـك الوقـت سـأتحدث معـك هنا فـي هـذه الشـبكة وبالمناسـبة نحـن مـن يقـوم فـي بعـض الأحيـان بترجمـة الكلمـات والصفحـات لـك لكـن يجب أن تبدأ برحلة التعلم..

ما الـذي يقوله هـذا المجنـون؟ ومن يكـون هذا الشـخص وكيف سـأثق به وماذا سـيعلمني؟ مسـتحيل أن أثق بـه لذلك سأسـأله بعض الأسئلة التي لا يعرف إجابتها إلا أنا:

- ما اسم أبي؟؟ إذا كنت حقاً من أصدقائه؟
- حسناً هـذا طبيعـي إذا كنـت لـن تصدقنـي اسـم والـدك الذي قام بتربيتـك هـو «غريفـوس أليكسـاريس» والدتـك اسـمها «كاثريـن» مات والـدك عندمـا كان عمرك سـبعة عشـر عاماً في منزلـه قتل فـي ظـروف غامضـة، أخرجت والـدك من قبـره في يـوم ١٨ فبرايـر، بعدهـا بـدأت رحلـة فـي تجميـع الجثـث في منزلـك حتـى الآن وصلـت إلـى مئـة وعشـرين جثـة هـذا هـو أحد أعظم أسرارك التي لا يعرفها أحد سواك وسوانا طبعاً..

شعرت بضيق فـي التنفـس بـدأ جسـدي يتعـرق أطرافـي ترتعش مستحيل كيف عـرف كل هـذا عنـي وخصوصـاً سـري المرعب؟!! شعرت بالتوتـر والخـوف مـاذا إذا كان هـذا الرجـل مـن الحكومـة ويرغبـون بالإيقـاع بـي؟ نعـم مـاذا أفعـل؟ لـم أرد عليـه واكتفيـت بالسكوت والأفكار والتوتر تنهش رأسي:

- لا تخْـف نحن معـاك يا ظـل نحـن هنا مـن أجلك سنسـاعدك لتلبـي احتياجاتـك وأحلامك وعوالمـك التي سـتصنعها نحن أتباع والدك..
- تبّاً توقـف عن التحـدث عن والـدي أنا لـدي والـد واحد فقط وهو غريفوس

كتبت له بغضب:

- لكـن هـذه الحقيقـة ويجـب أن تعرفهـا لكـي نخطـو الخطـوة التـي بعدهـا كمـا أخبرتـك والدتـك تمامـاً هـذا الرجـل ليس

والدك هذا الرجل ما هو إلا خادم لدى والدك الحقيقي هذا الخائن قام بخيانتنا جميعاً وانشق عنّا وسرقك وهرب هذه هي الحقيقة يا ظل.

- توقف توقف أنت مجرد شخص كاذب هل تفهم؟ جميعكم كاذبون وأنا انتهيت منكم..

قمت بإغلاق الجهاز بالكامل وفصلته من الكابل خرجت بسرعة من الاستديو توجهت إلى الجزء الأول من القصر دخلت إلى غرفة أبي كان مثل ما تركته تماماً يجلس بجانب الشرفة نزلت على ركبتي أمسكت بيديه وسألت بصوت يرتعش ويأس:

- أبي لماذا الجميع يقولون بأنك لست أبي؟ هذا يكفي لقد سكت في المرة الأولى لقد تجاهلت الأمر لكن الآن لم أعد أستطيع تجاهله أرجوك يا أبي أخبرني أنهم كاذبون قل لي أريد إجابة الآن أجبني لماذا لا تتحدث؟ أبي تحدث أرجوك..

لم يتحدث أبي ولم أجد أي إجابة ولم أعد أحتمل سيطر الغضب على خلايا دماغي بدأت بضرب وتحطيم الأشياء من حولي التي في غرفة أبي وأنا أردد:

- إذا لم تكن أبي فمن يكون أبي؟ كنت أظن أنك في حياتك لم تكذب علي كنت أظن أن أمي هي فقط الكاذبة لكن حتى أنت كذبت!

- توقف..!!

أتى الصوت من خلفي لكنه لم يكن صوت أبي كان مختلفاً تماماً لكنه يخرج منه تقدمت نحو أبي بخطوات بطيئة:

- أبي؟

لم أجد بعدها أي رد ولم يتحدث أبي اكتفى بالسكوت فقط وكأنه أرادني أن أتوقف عن تصرفاتي الغاضبة لكن مهلاً هذا لم يكن صوته أبداً أنا أعرف صوت أبي جيداً يا إلهي ما الذي يحدث لي؟ لا أعرف أين الواقع وأين الخيال جلست على سرير والدي وأنا أشعر بضياع وتعب وخمول وصداع يطن في رأسي حتى سمعت صوت شيء ما سقط التفت إلى الخلف لأجده صندوقاً أحمر قديماً على شكل كتاب سقط من الرفوف بسبب تحطيمي للأشياء كان هذا الصندوق مغلقاً وهو أحد أشياء أبي المفضلة التي يحملها معه في كل مكان، رفعت الصندوق بين يديّ قلبته يميناً ويساراً شعرت بأني يجب أن أفتحه رغم أنني لم أفكر بفتحه من قبل ذهبت به إلى غرفتي ولم أقمْ بأخذ الإذن من أبي كالعادة لأنه لا يحب أن يلمس أحد أغراضه، وصلت إلى الغرفة كان مصاباً ببعض ضربات خفيفة لينكسر القفل انفتح الصندوق كان يوجد به الكثير من الأوراق ويوجد صندوق صغير أحمر التقطت أولاً الأوراق فتحت أول ورقة كان مكتوباً عليها بتلك اللغة الغبية أيضاً لذلك تجاهلتها أخذت ورقة أخرى فتحتها لأجد عليها أيضاً بعض الرسومات الغريبة والرموز كانت الرسومات لأوجه كثيرة الورقة مليئة بالأوجه التي تشبه بعضها بعضاً بشكل متكرر!

وضعتها أيضاً جانباً التقطت ورقة أخرى وأخيراً كان مكتوباً عليها باللغة العادية كانت الورقة تبدو وكأنها رسالة أو كتب أبي بعض مذكراته:

- «اليوم هو اليوم الأخير لي في هذه القرية أخشى أن يعرف شيئاً عن مخططاتي بسبب أنني لم أرَه ولم ألتقِ به في الأيام الماضية بسبب أنني لا أستطيع أن أواجهه أخشى أن يقرأ أفكاري كالعادة أخشى أن يكشف مخططاتي إنه هادئ في الأيام الأخيرة يجب أن أهرب قبل أن يعود من عزلته ويقوم بطلب رؤيتي لكن هل أستطيع فعل ذلك؟ هل سأستطيع أن أهرب بظلي بعيداً عن هذا الجحيم؟ لقد خططت لكل هذا من وقت طويل سأترك كل شيء خلفي سأترك هذا العفن خلفي سأترك كل شيء صنعته وأسسته من أعوام طويلة والأشخاص الذين وثقوا بي خلفي فقط من أجل ابني، إن مشاعر الأبوة غيرت كل شيء بداخلي غيرت نظرتي للحياة كنت مستعدّاً أن أستمر في تلك الأعمال كنت مستعدّاً أن أستمر في تحقيق أحلامي وبحوثي واكتشافاتي لكن يريدون أن يدخلوا ظلي في هذه الأمور صحيح منذ ولادته وأنا كنت أؤيدهم وأريد أن يكون واحداً منّا لكن شيئاً فشيئاً تغيرت أفكاري ماذا لو تأذى؟! ماذا لو أصابه شيء؟ ماذا لو فقدته؟ لن أسمح لهم بأن يقوموا بإدخاله إلى عوالمهم الشيطانية إنه مجرد طفل صغير أعلم بأن

ظل أصبح لديه أفكار غريبة بسبب تعاليمنا له في كل تلك السنوات لكنني أستطيع إنقاذه وتغيير أفكاره ما زال صغيراً ستتغير أفكاره حتماً، سأحل الموضوعات الأخرى فيما بعد الأهم الآن أن أهرب بعيداً عنهم أعلم بأنه سيظل يبحث عني بدون ملل أو كلل بالطبع وإذا وجدني فسيقوم بقتلي بدون أي رحمة لكن الأهم أن أبعد ظل عنه الأهم أن أؤمن حياة ومستقبلاً مشرقاً لظلي الأهم أن لا يجدنا أبداً لأني أعلم بأنه لن يقتل ظل لكنه سيقتلني ويعيد ظل إلى ذلك الجحيم إلى هذه القرية التي يملؤها الشياطين لن أسمح له بفعل ذلك أبداً لذلك سأستعين «بالعماقرة» سيتكفلون بحمايتي وتشتيته حتى يكبر ظل قليلاً على الأقل أعلم بأنه سيقتلهم أشد القتل ويعذبهم أشد العذاب وسيجعلنا من قائمة الخونة من الدرجة الأولى لكن لا يهمني كل هذا أنا لست خائفاً وأنا لن ألوم نفسي على ما أفعله ظلي يجب أن يبتعد عن هذه الحياة السوداء ليس لدي خيار آخر وأيضاً أنا لا ألومه في النهاية ظل يكون ابنه هو وأنا سآخذه منه قبل أن يأخذه مني أنا من قام بتربيته وكل تعبي وجهودي عليه أنا من قمت بها ظل لن يكون ابن أحد آخر غيري أنا وأنا من يستحقه وهو يستحقني..»

ها هي دوامة أخرى تعصف في رأسي ها هو العمق يبتلعني مرة أخرى وهذه المرة كان الابتلاع قويّاً كالصدمة تماماً التي

أصابتني للتو ظللت أقرأ الرسالة مرة أخرى تتلوها مرة تتلوها مرة ثالثة ومرة عاشرة أريد أن أوهم نفسي بأن هذا كذب وأن الكلمات من خيالي فقط أردت أن يكون هذا كابوساً جديداً من كوابيسي التي أصبحت تسيطر على نومي، ها هي عادت الذبابة مرة أخرى أو ذبابة أخرى بالطبع أسمع صوتها يزن في رأسي بدون أن أراها لأن الرؤية لدي أصبحت ضبابية لا أعرف هل من قوة الصدمة أو بسبب الدموع التي أغرقت عينيّ وعدمت الرؤية؟ نهضت بثقل والورقة ما زالت في يدي أسير ولا أعرف أين أسير وفي أي طريق أسير إذاً الشخص الذي أعطيته كل مشاعري الشخص الذي أحببته الشخص الذي كنت أراه العالم كله الشخص الذي ضحيت بكل شيء من أجله وأخرجته من قاع القبر الشخص الذي كنت أراه وما زلت أراه أفضل أب في العالم هو ليس أبي الحقيقي!!..

أبي الذي أتفاخر به في كل مكان هو ليس أبي كل شيء في حياتي مزيف كان يجب علي بالفعل أن لا أثق في الأحياء أبداً من يكون هذا الرجل؟ ومن يكون أبي الحقيقي؟ ومن تكون أمي؟ ومن يكون هؤلاء الأشخاص؟ ومن أكون أنا؟ ومن أنا؟ لا أعرف كيف لكن فجاءة شعرت بأنني في هدوء مرعب وصمت رهيب والرؤية أصبحت سوداء علمت بأنني فقدت الوعي لكن ما زال صوت الذبابة يطن في رأسي..

***

١٩٩٧م..

- ظل.. ظل.. استيقظ يا بني..

سمعت صوت أبي الخافت يقتحم منامي نهضت بتكاسل وثقل لأرى أبي يقف فوق رأسي ويمد يده لي ويمسك بيدي ويسحبني حتى إنني لم أستوعب ولم أستيقظ بشكل كامل:

- أبي.. ما الخطب؟ إلى أين نذهب الآن في هذا الوقت؟؟

وضع يده على فمي:

- اخفض صوتك يجب أن نرحل الآن..

- نرحل أين يا أبي؟

- سننتقل من المنزل والقرية أيضاً..

- لكن لماذا؟ هكذا فجاءة وماذا عن المدرسة؟

- لا تقلق أنت أصبحت الآن في مرحلة جديدة لقد تخرجت من الإعدادية وسأدخلك مدرسة جديدة هيا بنا ولا تسأل عن أي شيء حتى نخرج من هنا وإذا حدث شيء إذا رأيت أشخاصاً يلاحقوننا وأخبرتك أن تهرب فاهرب مع ذلك الرجل صديقي حارس المقبرة هل تتذكره؟

- نعم أتذكره لكن يا أبي لا أستطيع أن أهرب وأتركك..

- لا تقلق هذه الأمور احتياطية لكن يجب أن تستمع إلى كلامي ولا تخالفه أبداً هل تعدني؟

- أعدك يا أبي لكن لا تتركني..
- لن أتركك أبداً وسنظل للأبد معاً هذا وعد..

***

٢٠٢٣م..

- **ظل،، استيقظ يا ظل،، لقد حان الوقت لنغير العالم أنا وأنت يقول المثل إن الشمس والظل لا يلتقيان لكن رغم ذلك أصبح لقاؤنا قريباً..**

فتحت عينيّ لأجد نفسي ما زلت مستلقياً في الممر خارج غرفة أبي نهضت وأنا أشعر بأن كل عظمة في جسدي محطمة إلى قطع مثلما قلبي محطم بعد أن تذكرت وأدركت الحقيقة وأن هذا ليس أبي وأنني مجرد شخص مجهول نهضت ولم أدخل إلى غرفة أبي توجهت إلى غرفتي نظرت إلى الساعة كانت السادسة مساء ذهبت إلى الحمام وأخذت حماماً بارداً أحاول أن أطفئ النار التي تلتهم روحي، خرجت وشربت الكثير من الماء بدون توقف صوت الذبابة ما زال يزن في رأسي ابتلعت ما يقارب عشرين مسكناً على أمل أن تتوقف على أمل أن يختفي الصداع على أمل أن أنام على أمل أن أموت فحسب وأرتاح من كل هذا الضياع، استلقيت على السرير انطويت على نفسي كالحلزونة التي فقدت أمها للتو جسدي يرتعش هل سأمرض مرة أخرى؟ أشعر بوحدة قاتلة لم أشعر بها من قبل هل أتصل بثيا؟ لا،، سيكون ذلك صعباً ستسأل مئة سؤال ولا أملك أي إجابة ما

الذي أخبرها هل أخبرها بأن أبي ليس أبي الحقيقي؟ وأن أمي هربت وتركتني مع أب ليس أبي الحقيقي؟ مضحك وجنوني جداً لا أرغب بأن أكون مثيراً للشفقة أشعر بأن حرارة جسدي ترتفع أشعر بأن لساني أصبح ثقيلاً كل هذه الأعراض بالطبع من كثرة تناولي للأقراص مرة واحدة أشعر بأنني أنهار جسديّاً ونفسيّاً سأتوقف عن التفكير سأتوقف عن التساؤلات سأتوقف عن التنفس أريد أن أنام إلى الأبد لكن هذا بعيد المنال..

نهضت بسرعة بعد ما سمعت صوتاً غريباً قادماً من خارج الغرفة:

- أليكسا من هناك؟؟

سألت أليكسا بصوت متعب وثقيل بالكاد أستطيع التركيز:

- هناك جسم يتحرك في المنزل..

أجابت ببرود بالطبع شعرت بأن الأرض تهوي بي من شدة التعب والخوف:

- أليكسا ماذا تقصدين؟ جسم من أي نوع؟؟

- إنسان شخص بشر..

أعطتني جميع المصطلحات لكي توضح لي:

- أليكسا أين هو الآن؟؟

- إنه في ممر الغرف..

- أي ممر؟

- هنا أصبح يقف خلف باب غرفتك..

ساد الصمت قررت أن أصمت فحسب وأنتظر مصيري على كلٍّ أرغب في أن تنتهي حياتي وأرتاح أراقب مقبض الباب والعرق يكاد يغرقني وجهي شاحب حرارة جسدي مرتفعة جسمي يرتعش قلبي يرتعش كل ما فيَّ يرتعش وأنا أرى مقبض الباب يدور بهدوء سأرحب بكل تواضع بهذا الشخص أيّاً كان اكتفيت من كل هذه الأمور التي لا أعرف هل هي حقيقية أو مجرد هلاوس؟ انفتح الباب أخيراً وما أن دفع الشخص الذي يقف خلف الباب سقطت مغشيّاً علي لكن ما زلت لم أغمض عينيّ ما زالت الرؤية ضبابية أسمع خطواته الثقيلة تقترب مني أعرف صوت هذه الخطوات لم أستطع نسيانها أبداً إنها نفسها تلك التي في المقبرة المهجورة ذلك الرجل الذي تحدث مع أبي أرى قدميه ولم أستطع أن أرفع عينيّ أكثر أشعر بأنني أصبت بالشلل الكامل حتى فقدت الرؤية وغصت في سبات عميق..

استيقظت كانت الشمس تتسلل داخل غرفتي نهضت بشكل طبيعي وبنشاط غير مسبوق تذكرت أحداث أمس خمنت أن كل هذا من تأثير صدمة الحقيقة فحسب، نهضت من على السرير فتحت الستائر لأرى أن الشمس اختفت بعد أن غطت عليها بعض الغيوم الجو بارد جدّاً طبعاً هذا لأننا في بداية الشتاء توجهت إلى المطبخ بعد أن ذهبت إلى غرفة أبي وقمت بترتيب الفوضى كنت أتجاهله بالطبع لأنه لم يفكر يوماً أن يخبرني بالحقيقة كنت لا أعرف هل أعاتبه ألومه؟ لا أعرف ماذا أفعل اخترت الصمت فحسب كما يفعل هو دائماً، صنعت لي بعض الشطائر والقهوة

وجلست في الحديقة الخارجية أرغب بالتنفس فقد فقدت معظم أنفاسي الليلة الماضية وبينما كنت أجلس وصلت لي رسالة:

- المندوب في الطريق لتسليم الشحنة..

- أي مندوب وأي شحنة؟ صحيح أنني أطلب الكثير لكن لا أظن أنني طلبت شيئاً من قريب! أوه تذكرت تلك الكتب نعم إنها هي لقد وصلت بسرعة هذا جيد..

لم أنتظر إلا بضع دقائق حتى وصل المندوب كنت أظن أنه سينزل كرتوناً صغيراً بما أنها مجرد كتب لكن ما رأيته أنه قد أنزل شجرة ضخمة كبيرة جداً والشجرة كانت غريبة كانت تمتد أفرعها بشكل متناسق وأوراقها الخضراء التي كان شكلها غريباً قام المندوب بمساعدة صديقه بإنزالها خرجت إليهما وأنا ممسك كوب القهوة:

- عفواً لكن أنا لم أقم بطلب هذه الشجرة؟؟!

أجاب السائق وهو يتصفح الآيباد الخاص بالعمل:

- أنت ظل أليكساريس أليس كذلك؟

- بلى

- إذاً هذا الطلب لك لربما قرر أحد أن يهديك ولكن الطلب باسمك وعنوانك ورقمك أيضاً ليست فقط الشجرة هذا الكرتون معها

قاما بإنزال كرتون ضخم وطلبا مني التوقيع وغادرا استعنت بالمزارع الذي يعتني بأشجاري في القصر وطلبت منه أن يدخلها معي إلى المنزل وقمنا بإدخالها بعدها غادر تركت الشجرة جانباً

وتوجهت إلى هذا الكرتون الكبير قمت بأخذ المشرط وفتحته وهنا كانت الصدمة التي جعلتني أتراجع للخلف برعب!!

كان الكرتون مليئاً بالرؤوس البشرية ما يقارب ثلاثين رأساً متنوعة بين رجال ونساء نبض قلبي بقوة لدرجة كاد أن يخرج من صدري عادت يداي إلى الرعشة يا إلهي من أحضر لي هذه الرؤوس؟ تذكرت ذلك الرجل المرشد على ما يبدو نعم إنه هو لمحت بطاقة سوداء أخرجتها وفتحتها كتب عليها:

- «اعتبرها هدية ميلادك أيضاً الذي سيكون غداً اصنع شجرتك الخاصة بكل حب ولا تقلق لن يعرف أي أحد نحن خلفك..»

مرة أخرى نحن من تكونون أنتم؟ وما الذي تريدونه مني؟ نظرت إلى الشجرة ونظرت إلى الرؤوس لكن هذه كانت فكرتي أنا لماذا الآن أنا مستاء؟ يجب أن أكون سعيداً نعم سأخترع فناً جديداً وعالماً جديداً لا خوف بعد الآن من أي شيء سأكون أنا المتحكم بعالم الجثث هذا ما أريده أنا وهذا ما يريدونه هم بالتأكيد وسأعرف قريباً من هم ولماذا يساعدونني..؟

«ألا تتألم أبداً؟؟

في بعض الأحيان أحلم بأنك ميت، ألا تمل من الجلوس في دماغي؟

أنا الموت، ودماغك هو ما يظهر لي حقيقتك أما وجهك فلديك مئة وجه أيها القبيح أتظن إذا قمت بتبديل وجهك سيخف قبحك؟؟»



«الفصل الثامن والعشرون»

«الرقص مع الجثث»

ثيــا..

لم أستطع النوم من شدة الكوابيس التي أصبحت تلازمني منذ أن أمسكت بحالة «أيلا» و «كريستيان» لطالما جميع المرضى وجميع القاتلين الذين أختلط بهم في حياتي يمتازون بجميع الصفات السيئة الغرابة والرعب والجنون لكن لم تراودني من قبل كوابيس مثل هذه المرة! أشعر بأنني على حافة الجنون لم أرَ أي شيء يسير بشكل جيد منذ أن أشرفت على حالتهما الصحية لكن كل شيء تحملته وتجاهلته وقلت في نفسي إنهما مجرد مراهقين يعانيان من مشكلات عقلية لكن قبل يومين تغير كل شيء عندما أصرت أيلا على مقابلتي رغم أنني قمت بتحويل حالتها إلى أخصائي آخر وافقت لأنني كنت أشعر بتأنيب الضمير بعد أن تخليت عنها لكن ما قالته لي في آخر مقابلة أرعبني كثيراً وجعلني أدخل في متاهات نفسية أكبر وأكثر حتى أتى موعد جلسة كريستيان وكان بعدها بساعتين فقط وعندما أجرينا الجلسة كان له هو الآخر الرأي نفسه والكلام نفسه كانا هما الاثنان يتحدثان عن هذا الذي يدعى بالضيف لا أعرف كيف توصل

الاثنان إلى الاستنتاج نفسه وإلى المشكلة نفسها وإلى الشخص نفسه؟ لا أعرف كما يدعيان أن هذا الشخص أو الرجل أو الشيطان أو أيّاً يكن هو السبب في قتل عائلتيهما لكن الفرق أن أيلا تشعر بالخوف وتأنيب الضمير وكريستيان لا يشعر بأي من هذا أبداً الفرق أن أيلا جثث عائلتها مفقودة وما زال العالم لا يعرف هل حقّاً قامت بقتلهم أو لا؟ لكن ما غير كل شيء وسحبني أسفل قاع الجحيم في آخر مقابلة مع كريستيان كانت في مكتبي وكان التلفاز يعمل وكنا نضع أخبار الصحة وكل شيء يتعلق بالمستشفى الخاص بنا ثم عُرضت لحظة تكريم «ظل» قبل شهر من قبل إدارة المستشفى بحكم أنه طبيب شرعي ماهر ومتميز ودائماً ما يتم تكريمه لكن عندما كنت أتحدث مع كريستيان لم يكن يرد علي واكتفى بالنظر إلى الشاشة وكان يبتسم بسعادة! عندما سألته:

- هل أنت معجب به؟؟

بحكم أن ظل شخص مشهور كفنان وطبيب أيضاً ظننت أنه يعرفه ويحب أعماله لكن ما قاله لم يصدمني في البداية وتجاهلته رغم أنني شعرت بالرعب قلت لنفسي إنه مجرد مراهق مجنون لذلك لا نأخذ أي كلمة يقولها بعين الاعتبار أجاب بسعادة:

- نعم أعرفه إن الضيف يشبه هذا الشخص كثيراً..!

بقيت أفكر وقررت ألا أفكر في هذه الكلمات السخيفة كثيراً وبدأت أقتنع بالفعل بأفكاري لكن هذا كله كان مؤقتاً وكان الانفجار الحقيقي والعاصفة الحقيقية مع أيلا عندما دخلت إليها

كانت تبدو ذابلة وشاحبة أخبرني طبيبها الخاص بأنها تواجه مشكلات في النوم والأكل وكل ذلك شعرت بالشفقة أردت مساعدتها أردت أن أتراجع عن قراري لكنني قتلتها!! أنا السبب في موت تلك الطفلة لقد تخليت عنها وعلاوة على ذلك في آخر جلسة لنا قبل أن تسرق دبوس شعر من إحدى الممرضات أظن أنها كانت مترددة قبل رؤيتي أظن أنها لن تفعلها إذا لم أذهب إليها لكن عندما دخلت إليها كانت طوال الوقت سارحة ولا تتحدث معي حتى وضعت هاتفي على الطاولة بالمصادفة بسبب وصول إشعار أضيئت الشاشة وظهرت الخلفية كنت أضع صورة لي مع ظل وهنا عندما لمحت أيلا الخلفية بدأت بالصراخ والانهيار لم نستطع أن نسيطر عليها وفي حركة سريعة أخرجت الدبوس وغرزته في حنجرتها بدون تردد!! وأنا أحاول أن أسيطر على الدماء الغزيرة التي سالت كالسيل المندفع كنت أشجعها وأنا مصدومة كنت أخبرها بأن تتماسك قليلاً كنت أخبرها بأنني لن أتركها لكن ما قالته لي في الكلمة الأخيرة كان أكثر رعباً:

- هو ذلك الرجل في هاتفك هو الضيف لقد سرق جثث عائلتي بعد أن دمر حياتنا وقتلهم..

كانت آخر مرة تلقيت صدمة في حياتي عندما رأيت جثة أخي بعد أن قتله الكابوس والآن هذه الصدمة التي لم أعرف كيف أصنف مشاعري تجاهها؟ كيف يمكن أن أسمع الشيء نفسه من شخصين مختلفين لا يعرفان بعضهما بعضاً من بلاد وجنسيات مختلفة وحياة مختلفة هل هذه مصادفة؟ يجب أن تكون مجرد

مصادفـة يجـب أن أفتـرض أن الرجـل الـذي يخشـيانه هـو يشـبه ظل فقط لا يوجـد أي خيـار آخـر أو افتراضات أخـرى لكن لمـاذا من بين جميع العالم من بين ملايين البشر ذلك الشخص يشبه ظل؟..

***

«المحقق نيكولاس»

اليوم كان ممطـراً جـدّاً أخيراً أرسـل لي ظل أنـه مسـتعد لمقابلتي وأرسـل لي موقع منزلـه لا أخطـط أن أخبره بـأي شـيء صراحة ليس دفعـة واحـدة سيعتبرني مجنونـاً لذلـك سـأخبره فقـط عـن القضيـة التـي هـي مرتبطـة بمـوت أبـي، جهـزت بعـض الصـور والملفـات كاملـة التـي جمعتها عـن القضيـة وانطلقت وأنـا في طريقي اشـتريت كوبيـن مـن القهـوة المثلجـة السـوداء واحـداً لـي والآخر لظـل ليس مـن الجيـد أن أذهـب لمنزلـه أول مـرة خالـي اليديـن، وصلـت إلـى منزلـه أو بالأحـرى إلـى قصـره كان الجميع يتحدثـون عن منـزل هذا الشـاب وأملاكـه ومـدى ثرائه لكـن لم أكـن أتوقـع إلى هـذه الدرجة كانـت أملاكـه الأرضيـة تمتـد حـول مسـاحة كبيـرة حيث كانـت كل غابـات مخطـط «سيرين» تعـود إليـه وكان القصـر يمتلـك جـزءاً ومسـاحة ضخمة جـدّاً هـذا غيـر تصميمـه الجميـل والغريـب في آن واحـد كان يقسـم القصر لقسـمين يربـط بينهما جسـر خشـبي في كل القصـور توجد عـدة بوابـات لكـن كان قصـره بـه بوابة دخـول واحدة فقـط! كان القصـر أغلبـه عبـارة عن زجـاج لكـن زجـاج مظلـل حيث يعكـس كل ما فـي الخـارج من أشـجار وسـحاب ليكـون لوحـة فنية

بخلاف لا شيء واضح من الداخل، كان هناك نافورة عملاقة في منتصف المدخل في الفناء الخارجي تبدو وكأنها تصميم فكتوري حيث فم الأسد يخرج منه بعض الماء وفي الجهة الأخرى الكثير من الأشجار والزهور الجميلة كانت الحديقة تبدو وكأنها جنة لا أستطيع وصفها المنزل الذي كان مثل منازل الأمراء وأجمل لكن أتساءل لماذا يحتاج إلى هذا القصر كله حيث يعيش فيه وحيداً؟

انفتح الباب حيث استقبلني ظل بهيئته النظيفة الأنيقة كالعادة إنه ثري بكل بساطة حيث كان يرتدي سترة صوفية ثقيلة باللون الأحمر وبنطالاً صوفياً باللون الأسود وهذه أول مرة أشاهده يرتدي لوناً غير الأسود تفوح منه رائحة من الممكن أن تكون رائحة أجمل عطر بالعالم بالطبع لديه الكثير من الأموال بالتأكيد سيشتري أجود وأروع أنواع العطورات مع تسريحة شعره للخلف بشكل منظم مددت يدي مصافحاً له وأنا أشعر بالحرج حيث يبدو شكلي بجانبه وكأنني لم أستحم من عشرة أيام وملابسي لم أبدلها منذ أعوام لكنني أقسم إنني تحممت قبل مجيئي إلى هنا:

- مرحباً بك نيكولاس تفضل بالدخول..
- شكراً لك، لقد أحضرت لك كوب قهوة صراحة لا أعرف ما الذي كان علي إحضاره أردت أن أحضر لك بعض الزهور لكن لم يكن في طريقي محل للزهور..

قلت ضاحكاً بعد أن أدخلني إلى صالة المعيشة التي تبدو كالتحفة الفنية أو كالمعرض بسبب اللوحات الجميلة الإبداعية التي

تتربع في جميع الجدران العملاقة والتحف والمجسمات التي تأخذ مكانها بإبداع في جميع أنحاء القصر الشمس التي يتسلل ضوؤها بخفة ويعكس جماليات التحف لتكون ظلالاً جميلة:

- لا عليك أنا أصلاً لا أحب الزهور

رد ظل وهو يضع كوب الماء أمامي ثم التقط كوب القهوة واسترسل في حديثه:

- شكراً على القهوة فأنا أكون ممتناً للأشخاص الذين يجلبون لي قهوة أكثر من الذين يجلبون لي الزهور..

- العفو الآن شعرت بالطمأنينة، حسناً دعنا ندخل في الموضوع بسرعة لأنه طويل جداً أنت تعرف القضايا التي تغلق عادة ما تكون صعبة وتبدو كالأحجية التي يستحيل حلها طبعاً القضية متشعبة وغامضة ومرعبة وبدون أي أدلة أو خيوط توصلنا إلى الحقيقة القضية قديمة كنت أظن أنها بدأت في يوم وانتهت في يوم مع ضحية واحدة وهذا الضحية هو أبي..

- أعتذر متأسف لأنك فقدت والدك بهذا الشكل..

قال ظل..

- شكراً لك سأريك بعض الصور التي التقطتها لجثة أبي كان مقتله أغرب شيء أراه في حياتي حيث كان سبب الوفاة عن طريق الخنق لكن ما فعله القاتل لجثة أبي..

أخرجت الصور وأنا أحاول أن أخفي رعشة يديّ وأحاول أن أكون قوياً لأن الموضوع بالطبع بالنسبة لي إلى الآن حساس ومرعب ومفجع عرضت الصور على ظل بدأ بالتقاط أول صورة والثاني صورة وكان مصدوماً بالطبع لكن شعرت بشيء من ملامحه وتعابيره ليس مصدوماً من المنظر لكنه مصدوم من شيء آخر ولا أعرف ما هو:

- نعم للأسف هذا أبي بعد أن قتله القاتل انتزع وجهه بالكامل كالقناع وإلى الآن وجه أبي مفقود..

علق ظل وهو ما زال يتمعن الصور:

- يا إلهي هذا شيء فظيع كيف يمكن أن يكون هناك بشر يفعل هكذا؟ لكن لم أسمع سابقاً بجرائم كهذه أو حتى مشابهة لها؟؟!

- بالضبط هذا ما أتيت لأجله كما أخبرتك وكأن القاتل ظهر من العدم أو كأنه شبح قتل أبي فقط وعاد اختفى لذلك قررت الشرطة أن تضع القضية في مصنفات قضايا الانتقام فخمنوا أن شخصاً ما يريد الانتقام من أبي فقط وقتله بهذه الطريقة وهو ليس قاتلاً متسلسلاً أو ما شابه..

- حسناً وما جعلك تقول إنه قاتل متسلسل؟ هل وجدت ضحايا أخرى مشابهة لهذه؟

- ليس بشكل مؤكد لكن عندما كنت أحقق في قضية أخرى قبل خمسة أشهر تقريباً التقيت بمحقق من مدينة أخرى

لآخـذ منـه بعـض المعلومـات فتحدثنـا طويـلاً عـن أغـرب القضايـا وأصعبهـا والتـي تبـدو كقصـص أسـطورية بعضهـا ليسـت حقيقيـة فسـألته بالمصادفـة وأنـت هـل سـمعت عـن قصـة أو قضيـة مخيفـة أسـطورية؟ فأعطانـي إجابـة غيـرت مجـرى حياتـي كلهـا وجعلنـي أومـن بأننـي سـأعرف مـن هو قاتل أبي حتى لو كان ميتاً..

- وما هي الإجابة؟؟

سأل ظل باهتمام..

- أجـاب نعم هنـاك قصـة كان يكررها محقـق قديـم متقاعد كان يعمـل معـه ولكنه من بلـدة أخـرى كان هـذا المحقق مشـهوراً بحـل القضايـا الصعبـة لكـن القضيـة الوحيـدة التي سـببت له الجنون هـي أغـرب قضية وأغلـب الناس لـم يصدقـوه بحكم أن هذه القضيـة حدثت في قريته حيـث الآن يقولـون إن القرية أساسـاً أصبحـت مهجـورة وسـكانها فقـدوا واختفـوا لكـن ليسـت القضية هنا حيـث القضيـة التـي كان يعمـل عليها ذلك المحقـق اسـمها «انـزع الوجـه»! حيـث كان القاتـل يقتـل ضحايا وينـزع أوجههـم ويسـرقها كانـوا يجـدون الضحايـا بـدون أوجـه مثـل أبـي تمامـاً وهنـا تذكـرت أبـي شـعرت بالانقبـاض في صـدري بعدها ضحـك المحقق وقـال إن ذلك المحقـق العجـوز خـرف وقـادم مـن قريـة فبالتأكيد لديـه هذه القصص الغريبة..

نظرت إلى ظل وأنا مندمج في الحديث فرأيت عليه ملامح التوتر وتعابير غريبة ثم سألني:

- حسناً وماذا فعلت بعدها؟؟

- بالتأكيد أخذت اسم المحقق كان يعيش في منطقة ريفية مع زوجته لكنني للأسف لم أجدهما حيث قال السكان إنهما سافرا إلى ابنهما الأكبر ولا يعرفون أين..

- وما الذي يمكنني فعله لمساعدتك؟؟

- يجب أن أجد هذا المحقق أولاً وآسف لوقاحتي بحكم أن لديك أموالاً ونفوذاً من الممكن أن تجده لي بسرعة تفضل هذا اسمه «سول غودمان»..

- حسناً سأرى ما يمكنني فعله..

قال ظل وهو يلتقط الورقة ثم سأل مرة أخرى:

- هل لديك أيضاً معلومات أخرى عن القضية؟

- صراحة إلى الآن لدي هذا الشخص وهو المحقق وهو الأمل الأكبر لي أوه نسيت اسم القرية التي كان يعيش بها صراحة عندما أسأل عنها لا يعرفها أحد لكن أخبرني ذلك الشاب أن القرية اسمها ماذا؟؟ نسيت! أوه نعم تذكرت اسمها «أبادون» اسم غريب يناسب قرية غريبة الغريب أنني لا أجد أي شيء عنها لا في الإنترنت ولا عند الناس..

***

ظل..

عندما نطق المحقق نيكولاس اسم القرية شعرت بأن الهاوية تبتلعني للمرة المئة شعرت بالأرض تهوي من تحتي هذا الاسم الذي لم أتوقع أن أسمعه مرة أخرى في حياتي «أبادون» وهو اسم قريتي وقرية أبي التي عشت فيها طفولتي! هذه القرية التي كنت أكرهها بشدة وكان أبي يحبها بشدة القرية التي تعلمت فيها أن أحب الموتى لأنه كان الموتى فيها أكثر من الأحياء، حاولت إخفاء توتري وهلعي على المحقق وحاولت أن لا أظهر ملامح الصدمة والاستغراب علاوة على ذلك القاتل الذي كان يسرق الأوجه لم أسمع به من قبل لكنني تذكرت تلك الجثة التي ترقد عندي هو أيضاً لا يملك وجهاً تذكرت تلك الذكرى عندما اختبأت في غرفة المقبرة المهجورة ووجدت وجهاً معلقاً على الحائط!! غادر نيكولاس بعد ساعة ونصف الساعة تقريباً تحدثنا عن موضوعات كثيرة أخرى وشعرت بأن نيكولاس لا يرغب فقط بالتقرب مني لكي أساعده إنما أيضاً لأنه شخص قريب من عمري وعلى ما يبدو يرغب بأن نكون صديقين نحن نتشارك ماضياً مرعباً ومررنا بتجارب غريبة ومرعبة لهذا أظن أن نيكولاس اختارني من بين مئات الأشخاص لكي أساعده في حل هذه القضية شعرت بأن نيكولاس لديه أمور أخرى أخفاها علي فأنا ماهر في قراءة وتحليل التعابير ولغة الجسد أستطيع تحليل الإنسان كتحليلي للوحات تماماً لكن لا بأس لربما لم يثق فيَّ بعد وبالطبع هذا طبيعي فمن المستحيل أن يعطيني معلومات

مكثفة ودقيقة عن أي شيء، كل ما أريد معرفته الآن هو تاريخ تلك القرية المظلمة قريتي ومن يكون ذلك المحقق الذي كان يعيش بها؟

غادر نيكولاس وتركني في حيرتي أتأمل اسم هذا المحقق كيف يمكنني أن أجده؟ لكنني الآن أشعر بالشغف أكثر تجاه العمل مع نيكولاس لأن الأمر يخص تلك القرية التي كنت أعيش بها وولدت فيها، قاطع أفكاري صوت قوي قادم من الأعلى رفعت رأسي رأيت ظلّاً مر بسرعة من ممر الغرف تركت كل شيء على الطاولة وتوجهت إلى الأعلى بسرعة:

- أبي؟ هل هذا أنت؟

دخلت غرفة أبي لأجده مستلقياً على السرير نائماً أغلقت الغرفة وتوجهت نحو غرفتي لم يكن هناك أي شيء بعدها خرجت من غرفتي ووقفت على السور أنظر إلى الأسفل وهنا رأيته!! رأيت جثة الرجل بلا وجه معكوسة في إحدى المرايا المصطفة في الممر الذي يؤدي إلى المطبخ نزلت بسرعة على السلالم وأنا أركض حتى وصلت إلى ممر المرايا لم أجد هناك أي أحد ثم سمعت صوت باب يغلق خرجت من الممر لأرى الباب الخلفي المؤدي إلى الفناء الداخلي الذي يؤدي إلى الجسر لا متيقن من أنني أغلقته لماذا انفتح الآن؟ ذهبت إليه بسرعة وكان مفتوحاً وكأنه للتو أحدٌ ما خرج منه خرجت بسرعة وصعدت إلى الجسر متوجهاً إلى القسم الثاني من القصر عندما وصلت تفحصت كل شيء وكل مكان لم يكن هناك شيء غريب

توجهت إلى الاستديو وصلت إليه فتحت الباب ودخلت وهنا شعرت وكأن أحدهم صفعني من شدة الصدمة كانت الجثة غير موجودة جثة الرجل بلا وجه اختفت!! شعرت بالجنون توجهت بسرعة إلى التابوت الخاص بها فتحته فلم أجد فيه أي شيء بحثت في الثلاجات فتحتها كلها لم يكن هناك فيها أي شيء؟ توجهت إلى التوابيت فتحتها كانت الفارغة فارغة والتوابيت التي فيها أصحابها ما زالوا موجودين لكن لا أثر لتلك الجثة، خرجت بسرعة للقسم الآخر من الاستديو الذي فيه منحوتاتي ورسوماتي أيضاً كان هناك الكثير من الجثث لكن لم يكن موجوداً معهم يا إلهي مستحيل أن تكون جثة تتحرك مستحيل! صحيح الآن ستقولون عني متناقض أرى جثتي تتحرك ولكن الآن أقول بأنه من المستحيل أن تتحرك بالطبع لكن بالنسبة لعائلتي أنا موقن بأنهم يتحركون ويسيرون ويتكلمون ويضحكون ويبكون كل ذلك يفعلونه لي أنا فقط لكن لا أظن أن هذه الجثة التي لا تملك أي ملامح تحركت الآن ومن دون إذني أنا المسيطر الوحيد هنا وأنا المتحكم لكن هل تحركت لأنها حصلت على عين واحدة فقط وماذا ستفعل إذا حصلت على جميع ملامحها؟

انتقلت إلى جميع أرجاء القسم الثاني من القصر فتشت بكل جنون ورعب فتشت كل قبو في المنزل وكل ممر وكل غرفة وكل علية وكل مخزن وكل صالة وكل حمام حتى إنني خرجت إلى الفناءين الداخلي والخارجي وحول القصر بالكامل حرفياً لم أترك ولا بقعة إلا وفتشت فيها بحثت بين جثثي التي في

الاستديوهات والقبو والممرات والغرف حتى إنني دخلت إلى «الغرفة السوداء» التي لم أدخلها منذ أشهر الغرفة السوداء هي أكبر غرفة في القصر كله تضم مساحات ثلاثة ملاعب كرة قدم اضع فيها أغلب الجثث المحنطة في هذا المكان مئة جثة والخمسون الأخرى تتوزع في المنزل، في هذه الغرفة حفرت في الجدران على شكل غرف وممرات لكي أضع فيها جميع الجثث ويشعروا بالراحة أكثر عندما وقفت في منتصف الغرفة بدأت بالصراخ لأنها ضخمة ولا أعلم من أين أبدأ؟ ومن أي جثة:

- أين أنت أيها الحقير؟؟ أعرف أنك تريدني أن أبدو مجنوناً أليس كذلك؟؟

لم أكمل حديثي وحلطمتي حتى أتى صوت من الخارج عدت مرة أخرى وخرجت إلى الأعلى عدت إلى الاستديو وهناك وجدت ذلك اللعين عاد كما كان مستلقياً على طاولة الموتى ومغطّىً بالغطاء الأبيض وكأنه لم يحدث فوضى في عقلي قبل دقائق! سرت إليه ببطء وأنا أسترجع أنفاسي التي أهدرتها قبل قليل في الركض هنا وهناك باحثاً عنه ألهث بقوة أشعر بأن قلبي سينفجر في صدري أمد يدي المرتعشة وعرقي يتصبب بشدة أبعد الغطاء وكان كما كان تماماً بعين واحدة ما زال في سبات أو نوم أو غيبوبة لا أعرف لكنه عاد كما تركته! بدأت أضحك بهستيرية وأنا ألتقط أنفاسي تناولت قارورة ماء وشربتها حتى شعرت بأن روحي التي جفت في الركض عادت وانتعشت وارتوت، فيمَ يفكر هذا الجثة هل يريدني أن أسقط بين طيات الجنون؟ هذا بعيد عن مناله

لن يستطيع أبداً لطالما قضيت كل حياتي بين جثث الأموات فهل يظن أنه قادر على أن يسحب عقلي مني؟ شعرت بأنه يجب أن أبدأ بصناعة شجرة الميلاد عندما شاهدت صندوق الرؤوس بعد أن تلقيت في البارحة رسالة من ذلك المرشد قال لي بأنه هو من أرسلها وأي شيء أحتاجه سيرسله لي، لم أرد عليه ولم أتواصل معه وأغلقت الشبكة والجهاز بأكمله لكنني اكتشفت أنه يستطيع الوصول أيضاً إلى هاتفي كما يستطيع الوصول إلى أجهزتي كلها، أخرجت الصندوق إلى صالة المعيشة طبعاً في القسم الثاني من القصر الشجرة وضعتها هناك أيضاً حضرت لي كوب قهوة ضخماً فتحت الصندوق وأصبحت متقبلاً الأمر أكثر من المرة الأولى أمسكت بأول رأس كان رأس فتاة مع شعر قصير أسود وملامح هادئة جداً أخرجته من صندوقه ثم من كيسه كانت أيضاً جميع الرؤوس مثل تلك الجثة لم يكن بها أي مادة للتحنيط لا شمع ولا طين ولا سائل الحفظ لكنها كانت بصحة جيدة وغير متعفنة ونظيفة! أردت أن أشبع فضولي لذلك أمسكت المشرط وقمت بشق بسيط في جمجمتها كانت جمجمة طبيعية خرج الدم المتخثر من رأسها إذا ما زالت هذه الرؤوس طازجة وطبيعية؟ الغريب أنها لا تتعفن لكن سأقوم بتحنيطها بسائل الحفظ والشمع لكي تبدو وكأنها دمىً واقعية جهزت العدة وبدأت العمل بشغف وحماس أتخيل معرضي الذي يحتوي على الجثث كيف سيكون؟ حنطت تقريباً ما يقارب عشرين رأساً وباقٍ عشرة حتى أتت كيارا:

- ماذا تفعل؟

- أقوم بتجهيز شجرة عيد الميلاد وهذه المرة ستكون مميزة..

- واو.. أنا أرى ذلك بالفعل..

قالت بحماس..

فجأة خـرج الجميع مـن غرفهم وتجمعـوا حولي وحول الشـجرة

قال كيران:

- أليست هذه رؤوس أشخاص أموات؟

- لماذا ألست ميتاً يا سيد كيران؟

سأله فرانسيس بتهكم وسخرية:

- لا أنا لست ميتاً..!

صرخ كيران بعصبية:

- حسناً توقفـوا الآن هـل تعرفـون أننـا فـي الأيـام الأخيـرة من السـنة؟ لذلك سـندخل فـي عام جديـد يجـب أن نحتفـل بدءاً من اليوم ونرقص ونأكل ونشرب أليس كذلك؟؟

- بلى بالطبع..

أجاب الجميع بحماس وصوت واحد:

- إذاً سـاعدوني فـي تعليق الـرؤوس في هذه الشـجرة وأليكسا قومي بتشغيل الموسيقى..

- حسناً سيد ظل..

بـدأت الأغنيـة تعـزف بدأنـا بالعمـل معـاً والرقـص والشـراب وتجهيـز الهدايـا بعضنـا لبعـض والضحـك وسـرد القصـص أخرجـت الكاميـرا الفورية وبـدأت بالتقـاط الصور معـاً اللحظات الجميلـة مـع العائلة يجب أن تخلـد كذكـرى دائماً قمـت بتحنيط آخـر عشـرة رؤوس مـع سـائل الشـمع قامـت «إليانـا» بوضـع مسـاحيق التجميـل لهـم وقامـت كاثريـن بتسـريح شـعرهم قمـت بتخييـط وتدبيـس فتحـة رقبتهـم كخطـوة نهائيـة قبـل أن تعلـق بالشـجرة وأخيراً بعـد سـاعات قمنـا بتعليقهـم علـى أغصـان الشـجرة كل رأس فـي غصـن مـع القليـل مـن الزينـة الخضـراء والإضاءة البيضاء وهنا اكتملت الشـجرة شـجرة رأس السـنة اسـم علـى مسـمّىَ كانـت شـجرة مـن رؤوس وتلـك الـرؤوس تحمـل الكثير مـن الأمنيـات والأحـلام والذكريـات كان منظرهـا أكثر من مهيـب وجميـل ورائـع هـذه التحفـة الفنيـة الثانيـة لـي بعـد تحفـة ميدوسـا أتقنها في شـهر واحد فقـط بتحفتين شـعرت بأنني أملك العالـم وهـذا العالم بالـذات عالـم الموتـى إن المرشـد ومـن معه محقـون يجـب أن نصنع من جثـث الموتـى الجمال والفـن اللذين لا يقدران بثمن..

- والآن انتهينـا يجـب أن نحتفـل ونرقـص علـى أغنيـة «انضمي إلي للموت»..

سألت كيارا كالعادة:

- ما هذه الأغنية؟؟

أجبتها وأنا أمسك بيدها:

- إنهـا أغنيـة مناسـبة لوضعنـا وهـي إحـدى أغانـي المفضلـة حيث أدعو من أحب إلى عالمي..

- وهل ستقبل به؟ هل ستقبل بأن تكون معنا في منزلنا؟

سألت كيارا وكانت تعرف أنني أقصد ثيا:

- بالتأكيـد أنتـم عائلتـي وهي سـترحب بكـم دعينـا الآن نرقص لقد بدأت الأغنية..

Baby join me in death
Baby join me in death
Baby join me in death
We are so young
Our lives have just begun
But already we're considering
Escape from this world
And we've waited for so long
For this moment to come
Was so anxious to be together
Together in death
Won't you die tonight for love
Baby join me in death
Won't you die
Baby join me in death

Won't you die tonight for love
Baby join me in death
This world is a cruel place
And we're here only to lose
So before live tears us apart let
Death bless me with you
Won't you die tonight for love
Baby join me in death
Won't you die
Baby join me in death
Won't you die tonight for love
Baby join me in death
This live ain't worth living
This live ain't worth living
This live ain't worth living
This live ain't worth living
Won't you die tonight for love
Baby join me in death
Won't you die
Baby join me in death
Won't you die tonight for love
Baby join me in death
Baby join me in death

لكن هل ستقبل ثيا؟ هل ستقبل بأن تنضم إلي للموت؟؟!..



«انضمـي إلـي للمـوت»

هناك جزء مني غير مألوف بالنسبة لي وما زلت أجد نفسي هناك فأنا غريب عن نفسي وعندما أسمع لساني يتكلم تتجول أذني على صوتي، أرى نفسي الداخلية تبتسم وتبكي وتتنفس وتخشى، ووجودي يتجول على مادتي بينما روحي تستجوب قلبي...

لكنني مجهولٌ غارق في صمت هائل من بين كل الأشياء التي لست جيداً فيها ربما يكون العيش في العالم الحقيقي هو الأكثر صعوبة ولا يناسبني، أنا مليء دائماً بالدهشة من عدد الأشياء التي يفعلها الآخرون دون أي صعوبة واضحة تتجاوزني إلى حد كبير! يفعلون الأشياء أنفسها مراراً وتكراراً يعيشون في روتين متكرر خاص بالأحياء إن الأحياء هم أكثر مللاً على الأرض، أما أنا فأفكاري غريبة عن جسدي، لا أريد أن أكون بشراً أريد أن أكون شجرة صخرة أو نحلة أو زهرة أو حتى عمود إنارة، وأنا أقف أمام المرآة أرى في وجهي شيئاً لا تراه روحي، وأجد في عيني ما لا يجده داخلي، غريباً عن نفسي وغريباً عن العالم..

«من أعماق روحك وحتى أعماق جلدك»

استيقظت فزعاً على صوت صرخات قادمة بقوة! كان المطر والعاصفة يضجان بالخارج رغم ذلك استطعت تمييز صوت الصراخ نهضت من فراشي وأنا أشعر بالبرد أبي ليس بجانبي بالتأكيد أنه في غرفته، خرجت من الغرفة إلى الصالة والمطبخ لا يوجد أحد توجهت إلى غرفة أبي أيضاً لم يكن موجوداً أين ذهب أبي في هذه الساعة المتأخرة والعاصفة التي تعصف بقوة خارجاً؟ عاد صوت الصراخ مرة أخرى هذه المرة قادماً من الحمام وهذا ما شعرت به لأنه يطلق صدىً رهيباً لكن هذه المرة الأولى التي أسمع فيها شيئاً من جدران الحمام توجهت إلى الحمام دخلت وأنا أرتعش لا أعلم خوفاً أو برداً؟ لمحت فتحة صغيرة تكفي للعين كانت محفورة على الحائط لم تكن من قبل موجودة هذه الفتحة لكن هذا المنزل متهالك وكل قطرة مطر وعاصفة قوية تدفعه إلى الانهيار، اقتربت نحو الفتحة ووضعت عيني فيها كان المكان ظلاماً لكن به ضوء أحمر وكأنه أسفل قاع الجحيم وهنا وأنا أنتظر أن أرى أي شيء انطلقت صرخة مدوية أقوى أمسكت بقلبي وأنفاسي حتى لا تقع مني رأيت امرأة تتوسل وتبكي وتصرخ لكن لم أستطع أن أرى من يمسك بها؟ شعرت بأنني في كابوس هل هذا حقيقي؟ بالتأكيد أنا في كابوس لأنني لا أتذكر هذه الذكرى أبداً كانت المرأة تحترق ألماً وكان هناك من يحرق جسدها على مهل ويعذبها لم تستطع عيني أن تبتعد حتى عندما رأيت يدي الرجل تمتدان إلى وجه المرأة ومعه شفرة غريبة وشيء آخر وبدأ يحدد وهي تصرخ وهو ينزع جلدة وجهها

شيئاً فشيئاً وهي تصرخ حتى سقطت على رأسي من شدة رعب المنظر وفقدت الوعي في الحمام..!

شهقت شهقة الاستيقاظ كنت غارقاً في عرقي كالعادة أتساءل هل هذا كابوس جديد؟ لأول مرة أرى كابوساً وأنا طفل وفي منزلي في تلك القرية لكن لماذا أشعر بأنه ليس كابوساً وأنه كان أقرب للذكرى التي نسيتها؟! نظرت إلى الساعة فكانت السابعة صباحاً اليوم الأحد إجازة رسمية اليوم هو اليوم الأهم في حياتي اليوم الذي كنت أنتظره من عشر سنوات اليوم سأقوم بطلب يد ثيا بشكل رسمي لتكون زوجتي لقد أجلت هذا اليوم كثيراً وأخيراً أنا مستعد في اليوم الذي سأصبح فيه بعمر الخمسة والثلاثين سوف أخبر ثيا بأن تكون زوجتي، جهزت كل شيء ليظهر بشكل رائع وأكثر رومانسية أحضرت الكثير من الزهور فهي تحب جميع أنواع الزهور جهزت المشروبات والطعام وملابسي وأخيراً الخاتم لطالما أرادت ثيا خاتماً غريباً لم تكن تريد شيئاً مملّاً كباقي الفتيات وهذا ما جعلني أحبها لذلك صنعت خاتمها وخاتمي بنفسي وهذه كانت أول مجوهرات أصنعها كان لونها لون الرصاص مصنوعة من معدن لامع خاتمها به فص أحمر بداخله دمي الذي امتزج بسائل البيتون وهو سائل أو مادة معطرة تحافظ على الأشياء بطبيعتها والفص الأحمر تلتف عليه أغصان صغيرة هذه الأغصان ترمز إلى الأبدية أي سنظل أنا وثيا معاً للأبد وبعد الأبد، أما الخاتم خاصتي فهو أيضاً من المعدن نفسه بشكل رجالي كالدبلة والتاج به فص أحمر بشكل

طولي وليس كرويّـاً أيضاً وضعت دم ثيا بعد أن أخبرتها بأن نتبرع مثل كل عام وأخذت الدم أنا لكي أفاجئها، انتهيت من التجهيزات تماماً وكل شيء مثالي أخيراً تحممت وارتديت بدلة سوداء رسمية قد أهدتها لي ثيا سابقاً مع ربطة عنق مزخرفة بالأسود اللامع مع إكسسواراتها السلسلة الطويلة التي توضع في الجيب العلوي وتمتد إلى الياقة، انتهيت من كل شيء مبكراً حتى أكون مستعدّاً وجاهزاً نفسيّاً أخبرتني ثيا بأنها ستأتي في الساعة السادسة لذلك كانت ما زالت الساعة الرابعة عصراً، كانت ثيا هذه الأيام تبدو غير طبيعية تسرح كثيراً لا تتصل بي كثيراً لا تراسلني كثيراً لا تتحدث كثيراً يبدو بسبب انتحار تلك الفتاة مريضتها أمام عينها لكن سبق وانتحر أحد مرضاها أيضاً أمامها لكن الفرق أن ذلك كان مجرماً لا أسف عليه أظن أن ثيا متأثرة بتلك الفتاة كثيراً لكن لا بأس ستكون الآن سعيدة وسيتغير مزاجها عندما أطلب يدها، قاطع أفكاري وخيالاتي اتصال من رقم غريب لم أرغب بالرد خصوصاً في هذا اليوم المميز وإجازة لذلك تجاهلته لكن الرسالة التي وصلت لي من الرقم نفسه غيرت كل شيء شعرت بالبرودة تسري في أجزاء جسدي وكانت كالتالي:

- «مرحباً يا بني ظل بعد عناء طويل حصلت أخيراً على رقمك لطالما كل هذه السنوات كنت أبحث عنك ولم أنسَك يوماً في الأيام الأخيرة عرفت أنك أنت ظل نفسك الطبيب الشرعي وجامع التحف عندما ظهرت على التلفاز علمت بأنك هو لأنني لا أعتقد أن أحداً اسمه ظل في

العالـم سـواك هـل تتذكـر عندمـا أخبرتك بـأن اسـمك جميل ونـادر بينمـا أنت لـم تسـألني عن اسـمي ولو مـرة واحـدة، لم أستطع نسـيانك لا أنـا ولا زوجتـي بعـد وفـاة والـدك وعندما اعتنينا بك فقط لأسـابيع بعدهـا اختفيـت بعد مـا اختفت جثة والـدك أيضـاً كنـت ألعـن نفسـي سـبعين مرة كنـت خائفـاً من أن يكـون حدث لك شـيء لكـن تبين لاحقـاً أنـك انتقلت إلى العاصمـة لتكمـل دراسـتك كنـت أتسـاءل دائمـاً كيـف أنـك طفـل شـجاع اسـتطاع أن يعيـل نفسـه بنفسـه فـي عمـر صغير وحتـى الآن صدقنـي لـم أنـسَ يومـاً طريقـة مـوت والـدك الغريبـة وظللـت أحقق فـي الأمـر لكـن كان الأمر أقـوى مني بكثيـر، أرجـو أن تتصل بـي في أسـرع وقت يـا بني بالمناسـبة سـبعة عشـر عامـاً لقـد مـرت وأنت لـم تسـألني عن اسـمي أنا المحقق السابق «سول غودمان»..

لـم أكـن أتوقـع واحـداً بالمئـة حتـى أن حياتـي عبـارة عـن خيط طويـل متشـابك بعضه فـي بعـض بـدون نهاية! لـم أكـن أتوقـع أنني سأصاب بصدمـة خلـف صدمـة فـي اليـوم الواحـد فقـط شـعرت بغثيان رهيـب وأنا أعيـد وأكـرر الرسـالة وأقف عنـد اسـم المحقق! إنه الاسـم نفسـه الذي يبحث عنـه نيكولاس إنـه المحقق نفسـه الذي يعيش بقريتنـا إنـه المحقـق نفسـه الـذي كان المسـؤول عـن قضيـة مقتل أبـي إنـه المحقـق نفسـه الـذي اعتنـى بـي هـو وزوجتـه طوال فترة العـزاء وحزنـي وصدمتـي علـى أبـي هـو محـق أنـا لـم أعـرف اسمه يومـاً ولـم أهتـم باسـمه حتـى إذاً هـذا الرجل هـو نفسـه الذي

يبحث عنه نيكولاس وفي غمضة عين أتى هو بنفسه لي لكن لماذا يريد التحدث إلي؟ يجب أن أتصل به الآن قبل أن تصل ثيا:

- مرحباً،، سيد غودمان؟؟

أجاب من صوته من الواضح أنه أصبح عجوزاً مر عليه غبرات السنين:

- أهلاً يا بني نعم أنا غودمان، سعيد بأنك اتصلت سريعاً بعد أن قرأت الرسالة..

- لقد مر وقت طويل..

- بالفعل يا بني لقد مر وقت طويل ولقد كبرت بشكل رائع أنا سعيد..

- شكراً لك هل ترغب في رؤيتي قريباً؟؟

سألته..

- لا، لا أظن ذلك يا بني لا يوجد أي وقت لي للقائك،، سكت قليلاً وهو يسعل ثم أكمل حديثه ويبدا عليه التعب والإرهاق بصوت يرتعش:

- يجب أن تسمعني جيداً يا ظل منذ تلك اللحظة التي التقيت فيها بك وعرفتك أنت ووالدك لكنني لم أخبرك لأنني أنا أيضاً كنت أعيش في تلك القرية لكن انتقلت أنا وزوجتي لنؤمن حياة منفتحة لأطفالنا بعيداً عن هذه القرية قبل خروجي من القرية كنت أعمل على قضية كانت

القضية في القرية قرية «أدوبان» لم يكن هناك أي شيء يساعد لا شرطة ولا محققون ولا علم ولا عقول لذلك كان القتل أكثر من المياه والشرب وكان الأموات أكثر من الأحياء، لكنني كنت مصرّاً على أنه يجب أن أحقق في هذه القضية المرعبة لكن مضت السنوات وأنا لم أصل إلى أي حل ولا إلى أي طرف يربطني بالمجرم رغم أن سكان القرية عددهم على الأصابع لكن ليس من السهل أن تجد القاتل بينهم، أصبحت زوجتي تتذمر بأنها ترغب الخروج من هذه القرية لذلك لم يكن لدي أي خيار وتخليت عن القضية التي كنت أحقق فيها وعندما خرجت مع عائلتي من القرية أظن أن الجرائم استمرت لكن لم أكن قادراً على فعل شيء، بعد سنوات انتقلت أنت ووالدك إلى تلك المدينة الصغيرة التي كنا فيها وحتى إنني في مرات ألقي التحية على والدك اشتهر والدك بأنه إنسان طيب وخلوق جدّاً وهادئ وضعيف، في العام نفسه الذي انتقل فيه والدك وأنت معه وصلني خبر من صديق بأن الجرائم توقفت في تلك القرية وبعد عام أصلاً القرية انهارت يقول البعض إن الأموات نهضوا من قبورهم بحكم أنهم أكثر من الأحياء والتهموا الأحياء ويقول البعض إن عاصفة قوية كالعادة أدت إلى مسح كل شيء في القرية بسكانها لكنْ هناك شيء آخر،، أخبرني صديق لي بأنه كان هناك في القرية أشياء مروعة تحدث أشياء وتجارب لا

يستوعبها العقل البشري وأن القرية لا أحد الآن يستطيع إيجادها أو رؤيتها لكنها موجودة وأن السبب في ذلك شخص له لقب..

توقف عن الحديث وبدأ بالسعال بشكل أقوى وأنا قلبي ينبض وبدأ جسدي يتعرق ثم خرجت عن صمتي:

- إذا كنت لا تشعر بأنك بخير فلا تكمل لا بأس دعنا نؤجل الحديث..

- لا يا بني لا يوجد وقت يجب أن تسمع كل شيء الآن لا أحد يصدقني غيرك، نعم ذلك الشخص الذي هو سبب كل شيء وهو من كان يتحكم في القرية ويحول الإنس إلى شياطين إنه يملك الكثير من الأسماء ولربما الكثير من الأشكال لكن اللقب الذي حصلت عليه هو «ظلام» أو «الظلال»!! يقول الكثير بأن هذا ليس اسمه الحقيقي ولكن ما نعرفه أن هذا لا يوجد له وجود أو له وجود لا أحد يعرف! الشيء الذي سأخبرك عنه يا بني من الممكن أن يكون قاسياً لكنني ليس لدي خيار آخر كنت أحتفظ بذلك في صدري لم أكن أرغب بأن أقوله لك لكن حصلت أمور مفجعة معي بعد أن تعمقت في هذه القضية وفي حقيقة القرية لقد فقدت زوجتي وابني في حادث أما ابنتي فجعلتها تسافر بعيداً لكي تكمل دراستها كنت أعلم بأن كل شيء مدبر لا أعلم من هم لكن يريدونني أن أصمت كانوا طوال الوقت في رأسي إنهم يقتحمون كوابيسي

ويجعلونني أرى أشياء مفجعة لقد سحبوني للجحيم قضيت معظم وقتي في المصحات النفسية والآن أنا على حافة الموت لذلك يجب أن أخبرك بسرعة قبل أن يأتي..

- من؟؟

- هو الظلام أو أيّاً يكن، اسمعني يا بني من الرائع أن الجميع يظنون أن آباءهم وأمهاتهم هم أجمل شيء في الحياة وأروع شيء وأنهم ملائكة منزلون من السماء لكن أحياناً لا تسير الأمور كما نريد، تلك القضية التي بدأ بها كل شيء حيث كان جميع الضحايا الذين يقتلون كنت أنا أو سكان القرية يجدون جثثهم متروكة على قارعة الطريق لكنها تكون بدون أوجه! كانوا منزوعي الوجوه وهذه كانت أغرب قضية أراها في حياتي بعد أن استسلمت وغادرت القرية إلى البلدة وعندما انتقلت أنت ووالدك بالطبع لم أكتشف ذلك إلا بشكل متأخر جدّاً بعد موت والدك لكنني هربت بعيداً بعائلتي قبل أن يجدنا ذلك الشيطان لكنه في نهاية الأمر وجدني اكتشفت قبل سبعة أعوام أنه حدثت جريمة قتل حديثة لرجل في الخمسين من عمره وكانت في تلك المدينة الصغيرة التي كنا نسكن بها قتل الرجل وهو لديه طفلان ابن في الجامعة وفتاة في المتوسط انتزع وجهه بالطريقة نفسها هنا نبض قلبي وبدأت الإشاعات الخرافية بالخروج لأن القرية قريبة من المدينة قالوا بأن شبح القاتل الذي يسرق الأوجه قد انتقل إلى هنا بعد ما

اختفت القرية لكن هذا ليس صحيحاً إنما من انتقل هو القاتل الحقيقي نفسه بعد أن قتل هذا الرجل لم يقتل أي أحد آخر لماذا؟ لأنه مات بالطبع..

بدأت أنفاسي تتسارع وقلبي ينبض والطنين في رأسي قلت وأنا ألهث:

- توقف الآن!! ما الشيء الذي تلمح له؟

قال وهو يسعل:

- أنا آسف يا بني لكن هذه الحقيقة القضايا التي أرعبت الناس والسلطات والتي لم تحل إلى الآن أنا الشخص الوحيد الذي عرف هوية القاتل القاتل هو والدك «غريفوس أليكساريس».. والدك هو قاتل «نازع الأوجه»..

لم تكن عاصفة هذه المرة ضربت في رأسي لم يكن إعصاراً يدور ولم يكن بركاناً ثائراً تفجر في صدري ولم يكن زلزالاً يهز الأرض من تحت أقدامي لم يكن أياً من هذا الذي أشعر به كان أعمق بكثير كان أعمق من هاوية مظلمة أعمق من المحيطات والأراضي السبع أعمق من خندق ماريانا الذي يعتبر أعمق نقطة في الكرة الأرضية، لم أشعر بشيء هكذا فراغ خاوٍ كان الصمت في قلبي ورأسي والهدوء في أعماق جسدي، كانت الصدمة قد ماتت في روحي والانفعال وردة الفعل تلاشيا من قلبي أما أنا فحتى السمع فقدته للحظات حيث ما زلت أسمع صوت السيد العجوز من خلف السماعة ما زال يتحدث ويسعل لكن بدا صوته

بعيداً جداً كل البعد عن واقعي وكل ما أسمعه الآن طنين الذبابة لقد عادت وبقوة:

- اصمت!!!

قلت صارخاً في أذن الرجل العجوز:

- توقف الآن أنت تكذب وليس لديك أي أدلة وتلك القضية التي تتحدث عنها ما أنت إلا شخص مهووس وهي لا وجود لها..

- أعلم بأن من المستحيل أن تصدق في والدك لكن هذه الحقيقة لطالما كان والدك يملك وجهاً بشعاً ولطالما كان جميع من في القرية يرمون عليه الكلمات والألفاظ القاسية لربما هذا أحد أسبابه ودوافعه التي جعلته يقتل الناس وينتزع وجوههم..

- قلت لك اصصمت!!

- أنت كنت تعرف يا ظل أنا واثق لكنك كنت طفلاً كنت ترى كل شيء لكن عقلك الصغير بالكاد يستوعب كل الأحداث التي حدثت هناك..

- اصمت أيها الخرف اصمت..

- ما هذا إلا قطرة من بحر يا ظل الموضوع لا يتمحور حول قضية والدك فحسب الموضوع أكبر من ذلك هناك أخطر وأبشع وأرعب من والدك أصدقاء وجماعة والدك أولئك

الشياطين ما زالوا يبحثون عنك لذلك كنت أبحث عنك لكي أحذرك،، احذر من الظلال يا ظل..

- قلت لك اصمت اصمت اصمت..

رميت بالهاتف بقوة في الحائط حتى تحطم إلى جزيئات صغيرة نزلت على الأرض على ركبتيّ وأنا ألهث بقوة أرخيت ربطة العنق فسدت تسريحة شعري وأناقتي وفسدت روحي معها ويومي وحياتي! لمَ علي أن أواجه كل هذه الأشياء وحدي؟ لماذا علي أن أتصدى لحرب قادمة من الماضي؟ مستحيل مستحيل أن يكون أبي وحشاً مستحيل أن يقتل أبي أحداً مستحيل أن يؤذي أبي حتى نملة مستحيل أبي ليس بقاتل أبي كرس حياته فقط من أجلي..! أبي الذي هو نور حياتي مستحيل أن يكون ظلاماً، أبي ليس بقاتل لماذا الجميع مصرون أن يجعلوه قاتلاً؟

في هذه اللحظة أريد أن أختفي تماماً حتى إنني لن أتذكرني، لا مشاعر، لا ذكريات، فقط حرية النسيان. أتمنى الآن ان أختفي فحسب وكأنه لا وجود لي على هذه الأرض وأن أضيع لدرجة أنه لا يجد أثري أحد وأن أذهب بعيداً ولن أتمكن من العودة إلى هذه الأرض مرة أخرى لكن ليس لدي أي فكرة كيف أفعلها؟ هل أنتحر هل أقتل نفسي؟ لكن ثيا ستكون حزينة وحزنها يقتلني حتى وأنا ميت..

لم أدرك ولم أعِ على نفسي حتى شعرت أن ضوء الشمس اختفى وحل الغروب وأتى صوت أليكسا تخبرني أن ثيا عند

الباب بقيت ساعة ونصف الساعة كاملتين وأنا أجلس على الأرض وكأنني منوم مغناطيسياً غير مدرك بالوقت ولا الزمن أخبرت أليكسا أن تفتح الباب لثيا نهضت بسرعة كنت عازماً أن لا أدع أي شيء يفسد هذا اليوم لكن القدر كان يقول لا، توجهت إلى الحمام وقمت بغسل وجهي وأعدت ترتيب نفسي حاولت أن ألملم شتاتي وشتات روحي المبعثرة، نزلت إلى الأسفل بابتسامة مصطنعة والحرب بداخلي رغم ذلك ثيا حقّاً لديها موهبة خاصة في قراءة الملامح، عندما رأيتها تقف في صالة المعيشة كانت كالضوء الذي أتى ليسحبني من الظلام بفستانها الأحمر وشعرها المنسدل المموج الأسود مع أحمر الشفاه الذي يطابق لون الفستان رائحة عطرها التي أزهرت المكان وروحي ثيا الوحيدة القادرة على أن تكون دوائي وسلامي وفوزي:

- مساء الخير كيف حالك؟

قالت وهي تحتضنني فيما احتضنتها بقوة حتى شعرت بأن قلوبنا التصقت بعضها في بعض:

- ظلي هل أنت بخير؟ تبدو شاحباً جدّاً!

سألتني بعد أن شعرت بأن هناك كرباً ما في نفسي حاولت أن أخفي ذلك بالطبع:

- لا، أنا بخير يا حبي لا تقلقي أوه نعم تعالي سنجلس في الأعلى اليوم هيا..

صعدنـا إلـى الصالـة التـي بالطابـق الثانـي كانـت الصالـة العلوية تطـل علـى الغابـة بشـكل جميـل مـا أن دخلنـا تفاجـأت ثيـا بـكل التجهيـزات والأشـياء الجميلـة التـي حضرتهـا مـن أجلهـا الـورد والطاولـة والموسـيقى والمشـروب والطعـام قالـت وهـي منذهلـة وبدأت ملامح السعادة ترتسم في وجهها الجميل:

- ما هذا؟ هل هذا كله من أجلي؟؟
- بالطبع إذا لم يكن من أجلك فمن أجل من سيكون؟
- شـكراً لك يـا ظلي كنـت أحتاج حقّـاً في هـذه الأيام أي شـيء يسعدني أحبك كثيراً..
- أنا آسـف حقّـاً لأنني كنـت أهملـك في أغلـب الأيـام لكن..! لا بـأس انسـي الموضـوع تعالـي دعينـا نتنـاول الطعـام هنـاك أشياء كثيرة سنفعلها بعد الطعام..

أثنـاء تناولنـا لطعـام العشـاء لم أعـرف مـا الـذي آكله أصـلاً ولم أعـد أعلم هـل أنا موجود فـي هـذا العالـم أو لا لكن كل ما فـي الأمر أصبحت أشـعر بأنني لم أعد أشـعر، كانـت ثيـا تتحدث بأمـور كثيرة لا أعـرف ما هـي لأنني لا أسـتطيع سـماعها وكل ما أسـمعه هو طنين الذبابـة التـي تزن في رأسـي باسـتمرار بشـكل مسـتفز بينمـا أنظر إلى ثيا وأنا مبتسم فحسب حتى سألت:

- هل لديك جيران جدد هنا؟؟
- جيران!؟ ماذا تقصدين؟

- عندما وصلت إلى هنا لمحت طفلة تقريباً في عمر عشرة أعوام أو أكبر كانت تلعب هنا بالقرب من بوابة القصر لكن بعد أن رأتني غادرت واختفت لا أعلم إلى أين ذهبت في وقت مظلم ومتأخر كهذا؟

طفلة؟ معقول أن ثيا شاهدت كيارا؟ لكن لماذا ثيا أصبحت ترى كيارا؟ قلت متداركاً الوضع:

- ربما صراحة لا أعرف من الممكن أن عائلتها توقفوا قليلاً في مكان قريب وهي أتت إلى هنا..

- صحيح من الممكن..

انتهينا من طعام العشاء وشربنا قليلاً صحيح أنني لم أكن على ما يرام لكنني شعرت بأن ثيا اليوم أيضاً لم تكن كذلك صحيح أنها كانت سعيدة لكن كان عقلها مشوشاً وطوال الوقت تسألني أسئلة غريبة وتنظر في المنزل هنا وهناك ولم أفهم تصرفاتها لأن عقلي بنفسه مشوش شعرت بأنه حان الوقت خصوصاً بعد أن رقصنا معاً حان الوقت أن أتقدم لها لا أعرف بأي طريقة لكن يجب أن أتقدم لها، التقطت باقة الورد وناولتها ثيا بكل حب وسعادة كان قلبي ينبض بقوة هذه المرة الأولى من فترة طويلة التي لم ينبض قلبي فيها بقوة بسبب الخوف أو التوتر أو الرعب أو التعب بل كان ينبض بسبب الحب بعد أن أخذت الورد أخرجت صندوق الخاتم وفتحته أمامها رأيت عينيها توهجتا كما توهج قلبها:

- ثيا.. منذ اللحظة الأولى التي رأيتك فيها وعدت نفسي بأن قلبي لن يتحول أبداً ولن يبحث عن شيء آخر أبداً. أقسمت ألا أحب أي شخص جديد.. وألا أشعر أبداً بأي شخص بالطريقة التي أشعر بها تجاهك. رحلتنا المليئة بالتحديات هي طريق يسير معاً جنباً إلى جنب خطوة بخطوة، وسنواجه كل عاصفة كل ارتفاع وانخفاض.. أولويتي التزامي الأعمق هي جعلتنا نبقى ليس فقط مدى الحياة ولكن أبعد من ذلك بكثير حبنا هو عرش يستحق الحراسة يستحق كل جهد كل صعوبة نواجهها كل عقبة نتغلب عليها تقوي الرابطة بيننا. لا أستطيع حتى أن أبدأ بتصور المستقبل بدونك الحياة بدونك مثل السماء بدون نجوم أو قصة بدون كلمات أنتِ حلم مستقبل لا أريد الاستيقاظ منه أبداً كل لحظة معك ثمينة كل ثانية تساوي أكثر من العمر، حبنا يا ثيا إرث وحكاية خالدة ستتردد عبر العصور.. بالنسبة لك بالنسبة لنا أعدك بالحب إلى ما لا نهاية بما يتجاوز تعريف الوقت لن أنتمي إلى أي شخص آخر أنتِ فقط حتى تتحول عظامي إلى رماد ويتوقف قلبي عن النبض، ثيا هل تقبلين بي؟

بدأت الدموع تنهمر من عينيها الجميلتين وجنتاها احمرتا من السعادة ومن الحب أجابت وهي تمسح دموعها بابتسامة:

- أقبل بك؟ إذا لم أقبل بك فبمن سأقبل؟ لكنني خلقت يا ظل حتى تكون أنت لي وأنا لك ولطالما كنت قابلة بك منذ عشرة أعوام وحتى الآن وإلى الأبد..

تمت بوضع الخاتم في أصبعها وقامت بوضع خاتمي في أصبعي هنا شعرت بأن حياتي ستتحسن شعرت بأنه رغم ما حدث في الأيام الماضية ستصبح حياتي على ما يرام لكن لم أظن أنه مجرد لحظة واحدة ويختفي كل هذا الأمل..

وعندما كنت أحتضنها فتحت عينيّ لأرى للمرة الثانية تلك الجثة بعين واحدة تنظر إلينا مباشرة!! كانت تقف في الممر أما هذه المرة فكان واضحاً ثم التفت بطريقة سريعة وذهب من الجهة الأخرى دب الخوف في صدري ارتعشت بالكامل وأنا أرى هذا المنظر حتى ثيا شعرت بي:

- هل أنت بخير؟

سألتني وهي تضع يديها وتمسح على شعري:

- نعم أنا بخير لكن ما رأيك سأحضر لنا قهوة ابقي هنا لن أتأخر وسأعود سريعاً اتفقنا؟..

- حسناً لماذا لا آتي معك كالعادة ونستطيع تحضيرها معاً؟

- لا لا، أنتِ ابقي هنا أنتِ اليوم أميرة لذلك لن تفعلي أي شيء..

وافقت بابتسامة تركتها وخرجت أردت أن أرى هل أتخيل أم أن ذلك الرجل بالفعل يتجول؟ لن أسمح بأن تراه ثيا يكفي أنها شاهدت كيارا يجب أن أفعل شيئاً سأذهب للتحقق من الاستديو وأعود وبالفعل توجهت بسرعة إلى القسم الثاني وليتني لم أفعل بغبائي وأترك ثيا لدقائق فقط ليتدمر كل شيء..!



«أنـــا مريـــض»

نيــــا..

ذهـب ظـل ليصنـع لنـا القهـوة وفـي تلـك الأثنـاء مـا زلت أشـعر بأني فـي حلم جميـل حلـم لا أريد الاسـتيقاظ منـه كنت أعلـم وكنت واثقة بأنه سـيأتي هـذا اليـوم أخيـراً وأخيـراً أتى، أنـا أقـول بأنني الآن أسعد إنسـانة أسـعد امرأة فـي العالـم أخيراً أنـا ألبس خاتمـاً يربطني بالرجـل الـذي أحبـه لا أعلـم كيـف سـأخبر أمـي وأبـي سـيكونان سعيدين أعلـم بأن أمـي لا تحبه لكـن على الأقل كسـبت الرهـان قبل يومين وهـي تخبرنـي بأنـه لـن يتزوجني لكننـي كنـت أثق بظـل أعلم جيداً أنه يحبنـي أكثر من نفسـه حتـى، رفعت يـدي وأنا أتأمـل الخاتم بكل سـعادة لا أصدق أنـي أخيـراً سـأرتدي الفسـتان الأبيـض لظل وسنعيش أنـا وهـو تحـت سـقف واحد، هـذا اليـوم بالنسـبة لـي مثل الحلم لكن لم أكن أعلم بأنه سيتحول إلى كابوس بعد دقائق..

فـي الأيـام الأخيـرة بعـد مـا حـدث مـع الفتـاة أيـلا وكريسـتيان وخوف أيـلا مـن صـورة ظـل وسـعادة كريسـتيان برؤيتـه! صراحـة نسيت كل هـذا وقـررت أن أضـع هـذا فـي قائمـة المصادفـة المرعبة

لأن الاثنين يعانيان من خلل في العقل ليس من الطبيعي أن آخذ كلامهما على محمل الجد وأنا أعلم جيداً بأن ظل حتى من المستحيل أنه يعرفهما ولا يوجد ظروف ولا أرض تجمعهم معاً، لكن كان هناك أمور أخرى شكوك حول والد ظل لطالما عشر سنوات كنت متجاهلة الموضوع لكن كنت أفكر إذا أتيت إلى المنزل مرة أخرى فسأذهب إلى غرفة والده وأتحدث معه لم أنسَ تلك المرة التي كان يكرر فيها بطريقة مخيفة بعض الكلمات ولم أنسَ أنني أصلاً لم أرَ وجهه أيضاً، بعد ما أخذت هذه الإجازة وأنا أفكر في حياة ظل كيف كان وحيداً وغريباً طوال الوقت رغم نجاحه وذكائه ومكانته في المجتمع إلا أن هناك شيئاً غامضاً حوله لكن أقول لنفسي لا بأس أنا أعرفه أكثر من نفسه لكنني كنت مخطئة في حين تأملي للخاتم وللصور التي التقطناها قبل قليل معاً سمعت صوتاً غريباً داهم خيالاتي الجميلة رفعت رأسي نظرت إلى الممر ثم نهضت تقدمت نحو سور الممر نظرت إلى الأسفل لم يكن هناك أي شيء غريب لكن كان هناك هدوء مرعب:

- ظل؟؟

ناديت ظل على أمل أن أسمع صوته لكن لم يكن هناك أي رد فجاءة سمعت صوت باب غرفة ينفتح توترت قليلاً لكن تلاشى الخوف عندما رأيت أنها غرفة والد ظل لكن الباب انفتح فقط وهو لم يخرج قررت أن أشجع نفسي مثل المرة الأولى وأذهب إليه وبالفعل توجهت إليه بخطوات متوترة حتى وصلت إلى

الغرفة فتحتها كان هـذه المـرة يجلس أيضـاً علـى كرسـيه المتحرك يعطيني ظهره الوضعية نفسـها والجلسـة نفسـها وكأن اليوم يتكرر بخلاف عندما نظرت إلـى الغرفة كانـت تبـدو وكأنه مر بهـا إعصار! كانت الأغـراض ملقاة فـي كل مـكان ومحطمـة الإضاءة المكسـورة والكتب المتناثـرة والأوراق! غريبـة لـم تكـن هكـذا فـي المـرة الماضيـة ثـم إن ظـل يهتـم بوالـده كثيـراً لمـاذا هـذه المـرة الغرفـة فوضوية جدّاً؟:

- مرحباً عمي أنا ثيا..

قلت بتوتر وصوت منخفض:

- أعلم بأنـك لا تحب وجـودي هنا لكن قـررت أن ألقـي التحية عليك اليوم هل تسمح لي؟

لـم أجـد أي رد قـررت التقـدم تقدمـت خطـوة بخطـوة حتـى وصلت إلـى مقعده أمسـكت بالكرسـي لكي أقـوم بتدويـره باتجاهي وعندما قمـت بتدويـره اختفـت ابتسـامتي وأحلامـي وآمالـي وطمأنينتي وسـعادتي! عندمـا رأيته فقط شـهقت بقوة وسـقطت على الأرض هـذا ليس رجـلاً حيّـاً إنه جثـة ميتة!! وجهـه الرمادي جسـده الهزيل عينـاه الغائرتان شـفتاه السـوداوان صحيـح أنه لم يكـن متعفناً علمت فـوراً بأنـه محنـط لكنـه كان كالموميـاء المرعبـة شـعرت بالخـوف شـعرت بالقلـق بـدأت ألهـث وأزحـف للخلـف حتـى خرجت إلـى الممـر وأصبحت الرؤيـة لدي مظلمة وأنا أسـير بسـرعة وأتعثر لم أستطع تحمـل المنظر توجهـت إلـى الحمام وبـدأت أتقيأ

كل شـيء أكلتـه لدرجـة شـعرت بـأن روحـي سـتخرج مـن معدتي! ظـل الـذي كان يخبرنـي عـن والـده طـوال العشـرة الأعـوام والـده بالحقيقة هـو جثة جثـة متعفنـة! مسـتحيل كنت أعلـم بأن ظـل يعاني مـن مشـكلات نفسـية لأننـي طبيبتـه لكـن لم أكـن أعلـم بأنـه واصل لهـذه المرحلة مـن الجنـون؟ لكن فـي ذلك اليـوم من تحـدث معي؟ إذا كان والـده جثة فمـن كان يقول لـي تفضلي يـا ابنتـي؟؟! أنا يجب أن أخرج بسرعة من المنزل يجب أن أخرج..

وعندمـا فتحـت بـاب الحمـام صرخـت بقـوة لأنني وجـدت ظل يقـف كالشـبح.. وأنـا أفكـر ولـم أعـد أصـلاً أسـتطيع أن أفكـر مـاذا أفعل؟؟ هل أخبره أم أسكت فحسب؟

***

ظـــــل..

ذلـك اللعيـن عندمـا ذهبـت إلـى الاسـتديو وجدتـه علـى حالـه مسـتلقياً فـي مكانـه ولـم يكـن هنـاك أي شـيء غريـب آخر عـدت بسـرعة إلى القسـم الأول مـن القصر بعـد ما تذكـرت أنني تركت ثيا طويلاً وهي إنسـانة فضوليـة صعدت إلـى الصالة ولـم أجدها علمت بأننـي ارتكبـت خطـأً كبيـراً ذهبـت إلـى غرفـة أبـي بسـرعة وعندمـا رأيت البـاب مفتوحاً وأبي كان جالسـاً بشـكل معكوس باتجـاه الباب هنـا عرفـت أن ثيـا رأتـه علـى حقيقتـه!! سـمعت صوتـاً مـن الحمام وأنا أدعـو أن هنـاك أمـلاً ضئيـلاً بأن ثيـا لم تـرَ شـيئاً وعندمـا فتحت الحمـام صرخـت ثيـا مفزوعـة مرعوبـة ووجهها شـاحب مزرق هنا

تيقنت بأن ثيا قابلت أبي، أمسكتها وأنا أحاول أن أجعلها تهدأ:

- ثيا اهدئي هذا أنا ما خطبك؟؟

قالت بتلعثم واضح وخوف وهي تحاول أن تتجاهل النظر في عينيّ:

- لا بأس أنا بخير كنت أعاني من ألم في معدتي أنا،، أنا أريد أن أغادر لقد تأخرت..

قالت وهي تتجاهلني توجهت بسرعة إلى الصالة وأخذت حقيبتها وهاتفها حتى إنها لم تأخذ الورد لكن وقفت في طريقها:

- ثيا أرجوك دعينا نتحدث انتظري فقط اجلسي سأخبرك بكل شيء..

ردت بخوف:

- لا تلمسني دعني فحسب أغادر سنتحدث لاحقاً حسناً؟..

- لا لا لا ثيا اسمعيني أرجوك يجب أن تسمعيني اللعنة..!

صرخت في وجهها بغضب وأنا أحاول أن لا أخيفها لكنني فشلت ثم قلت بهدوء:

- أرجوك اسمعيني..

قالت وهي تبكي وتبعد يديّ عن يديها:

- حسناً أنت تخيفني أرجوك ما الذي تريد أن تقول؟ كيف تريد أن تفسر ذلك الشيء؟ اسمعني ظل دعني أخرج أنا سأساعدك حسناً؟ أنت تحتاج إلى المساعدة فقط أنت

لست بخير ذلك الشيء أقصد تلك الجثة والدك هو ميت يا ظل..

عندما قالت هذه الكلمات شعرت بأنني خسرت كل شيء هذا يعني أن ثيا لن تتقبل والدي ولن تتقبل عائلتي وإذا لم تتقبل أبي وعائلتي فهذا يعني أنها لن تتقبل الحياة هنا صرخت بانفعال وأنا أمسك بكتفيها بقوة:

- لا أبي ليس ميتاً أبي ليس ميتاً هل تفهمين؟ انظري يا ثيا إنه يتحدث معي طوال الوقت هو فقط لا يحبك إنه نائم فحسب عندما يستيقظ سأخبره بأنك هنا سأخبره بأننا سنتزوج قريباً سأخبره بأنك ستعيشين معنا وستنضمين إلى عائلتنا..

- عائلة!!؟

قالت بيأس وحزن وخوف:

- أي عائلة؟ أرجوك يا ظل أنت تحتاج إلى المساعدة فقط دعني أخرج الآن سأقوم بمساعدتك صدقني..

عادت الذبابة في عقلي وهذه المرة أنا أراها تدور وتدور حولي وصوت طنينها يزن في عقلي، لكن يجب أن أركز مع ثيا هذه المرة لأن ثيا تقول إنها تريد مساعدتي ما الذي تقصد؟ هل أنا مجنون بالنسبة لها؟ كنت أظن أنها الوحيدة التي ستتقبل أفكاري كنت أظن أنها الوحيدة التي ستتقبل اختلافي لكن لا لم يحدث لقد دمرتني ثيا إنها تنظر إلي كما كان الجميع ينظرون إلي وإلى أبي نظرة شفقة تقزز خوف غرابة تعجب رعب!! كنت أظن

أنها سترشدني إلى الطريق طريق أحلامي لكن لا لم تفعل ذلك، ثيا إذا خرجت ستدمر كل شيء ما الذي ستفعله؟ بالطبع ستخبر الشرطة وسيأتون إلى هنا وسيأخذون أبي مني سيفرقوننا بعضنا عن بعض طوال السنوات سيأخذون عائلتي أيضاً سيأخذون كل مجهودي وتعبي مستحيل أن يحدث هذا علاوة على ذلك لن تعودَ ثيا تنظر إلي بحب بل بشفقة فقط:

- أنا ذاهبة يا ظل..

أتت كلمتها علي مثل الصاعقة سارت من أمامي بسرعة وهي تمسح دموعها نزلت السلالم أسمع خطواتها ما الذي علي أن أفعل؟

- إنها تغادر يا ظلي لا تسمح لها سيقومون بتفريقنا أعلم بأنك غاضب مني لكن أعلم جيداً بأنك ستضحي من أجلي..

سمعت هذه الكلمات في رأسي بصوت أبي مع صوت زنين الذبابة سينتهي ظل سينتهي حلم بيتشيني الذي بدأ للتو سينتهي كل شيء لكن لن أسمح بذلك مجهود عشرين عاماً لن أسمح بأن يتدمر في ليلة واحدة..

ركضت بسرعة خلف ثيا ورغم أن خطواتها كانت سريعة لكنني كنت أسرع عندما رأتني أركض نحوها رأيت كل الخوف في عينيها وكأنها شاهدت وحشاً مفترساً يركض خلفها وكان ذلك يعذبني ويقتلني بدأت بالصراخ وهي تركض أسقطت حقيبتها من شدة التوتر وصلت لها أمسكتها وهي تصرخ: أرجوك اتركني يا ظل أرجوك لا تؤذِني، حاولت أن أجعلها تهدأ كنت فقط أريدها أن

تهدأ كنت أرغب بأن أحبسها هنا وأشرح لها كل شيء كنت فقط أريد أن أجعلها تتعرف على عائلتي لربما ستحبهم وتتغير وجهة نظرها لكن أبت ظلت تصرخ باستمرار وأنا أمسك بها من رقبتها من الخلف، وهي تقاوم بشدة جرحتني في رقبتي بأظافرها وضعت يدي بكل قوة على أنفاسها كنت أريدها أن تسكت كنت أريدها أن تشعر بالأمان:

- أرجوك يا حبيبتي اسمعيني فقط لن أوذيك أبداً يجب أن تفهميني فقط أرجوك، أنت تريدين تركي بعد كل هذه السنوات أنا ليس لدي أحد في هذه الحياة غيرك أنتِ كل حياتي يا ثيا يجب أن لا تتركيني هكذا ببساطة وتدمري كل شيء، أحبك يا ثيا صدقيني أحبك أحبك أكثر من أنفاسي أكثر من روحي أكثر من كل شيء في هذه الحياة، أنتِ يا ثيا الحية الوحيدة التي تثير انتباهي وتلفت نظري واهتمامي أحبك يا ثيا لدرجة أني بعد موتك سأحتفظ بجثتك معي للأبد..

عمّ صمت مريب أفلتت ثيا يديها بانسياب عيناها مفتوحتان والدموع سقطت منهما لربما آخر دمعتين في حياتها لم أعد أشعر بحرارة أنفاس ثيا في يدي! ولم أعد أسمع صوتها ولا صوت صرختها لم أعد أشعر بتحركاتها ولا بنبض قلبها حتى صوت الذبابة اختفى أدركت أن ثيا ماتت لقد قتلت ثيا لقد قتلت حب حياتي..

إذا سمحت لك بإلقاء نظرة خاطفة على روحي في أعماق جوهري الواسع فهل تتعهدين بعدم الهروب؟ إذا عرضتك للهستيريا

ني ذهني أليس كذلك؟ وعدتِ بعدم الاستسلام للجنون؟ إذا تبلتك في وطني ألا تقسمين أن تصبحي لاجئة؟ إذا كشفتُ لك قلبي المهووس بك فهل تتعهدين بألا ترتعبي؟ إن قلبي مروع جداً ومرعب بشكل مأسوي، أغلقت الصحف وجفت الأقلام ورفعت الرايات أنا الآن حطام إنسان أنا أغرق في الفوضى إن صدري يحاول أن ينشق عن قلبي حزناً وجزعاً هل يجب أن أحزن؟ هل يجب أن أبكي؟ لكنني أبكي الآن أم هذه مجرد قطرات عرق بسبب مجهودي في عراكي مع ثيا، ثيا الآن ترقد في حضني كالملاك لم تفعل شيئاً واحداً سيئاً في حياتها ربما أنا كنت الشيء السيئ الوحيد في حياتها، لا تستحق ثيا أن تكون بعيدة عني ولا أستحق أنا لا تستحق أن تكون وحدها في قبر مظلم ضيق ولماذا ستكون في قبر؟ ثيا نائمة فحسب لقد كان يوماً طويلاً بالنسبة لنا إنها تلبس الخاتم وسنتزوج قريباً ليس من الضروري أن تعود إلى منزل عائلتها منزلها وموطنها أصبحا هنا..

الأرض باردة يا محبوبتي يجب أن نذهب الآن حملت ثيا بين ذراعي كانت خفيفة كخفة طائر العصفور أو فراشة، توجهت بها فوراً إلى القسم الثاني لطالما كانت ثيا تريد أن تعرف ما الذي يوجد هنا والآن ستعرف أخيراً هنا عائلتي.. دخلت بها إلى الاستديو وضعتها على طاولة وأنا أبكي هل كنت أبكي؟ لماذا أبكي ثيا نائمة فحسب، أجهز الأدوات وأنزع ملابسها الجميلة أزيل إكسسواراتها أقوم بغسلها أقوم بكل هذا وأنا أبكي وما زلت لا أعرف لماذا أبكي؟ جففت جسدها أشعر بأن روحي ثقيلة

أشعر بأن جسدي ثقيل وحتى جلدي ثقيل علي لم أعد قادراً على حمله، أرى الجميع حولي عائلتي يقفون بشكل دائري حتى هم يبدو الحزن عليهم عندما أحزن هم يحزنون لحزني لكن لكن لمَ أنا حزين؟

بدأت بعملية التحنيط وكانت أول مرة أقوم فيها بهذه العملية وأنا لا أشعر إلا بشعور الثقل كنت أشعر وكأن مئة شخص فوقي مع كل مرحلة في العملية أرى ثيا تبتسم أشاهد ذكرياتها معي لكن لا بأس سنصنع ذكريات أخرى وستكون أجمل وأسعد وإلى الأبد، لم أشعر أبداً بأي تعب أو إرهاق أو جوع أو عطش وكل ما شعرت به هو الحزن فقط، بعد أن أخفيت سيارة ثيا قمت بتكليف شخص بالأموال بأن يقوم بتعطيل جميع الكاميرات التي في المنطقة وأساساً المنطقة لا يوجد بها إلا خمس كاميرات فحسب لأن كل المنطقة والأراضي تعود إلي وهي ملكي، استمرت العملية كالعادة ثلاثة أيام ولم أنم ولم أرتح ولم آكل ولم أشرب حتى انتهيت وقبل الخطوة الأخيرة تركتها تجف كنت أشرب فقط النبيذ طوال الوقت، توجهت إلى هاتف ثيا وأغلقته بعد أن رأيت المكالمات والرسائل تصل إلى المئات بين والديها وأصدقائها والعمل، رأيت هاتفي أيضاً يعج بالمكالمات لكن لا أحد أصلاً يعرف رقمي غير والدها ووالدتها كان العذر لدي جاهزاً: يظنان أنني ما زلت مسافراً خارج البلاد وهي أصلاً لم تقل لهما بأنها ذاهبة إلي لأنها ببساطة لا تقول لأهلها عن الأماكن التي تريد الذهاب إليها بحكم أنها امرأة مستقلة، لكنني كنت أشعر بالحزن

لست مهموماً ولا خائفاً من أحد كل ما أشعر به هو الحزن فقط، ثيا أين سأضعها؟ ستكون ثيا الشخص الثاني بعد أبي تستحق أن تبقى في غرفتي في القصر الأساسي صحيح هي زوجتي وحب حياتي لكن هناك لمسات أخيرة يجب فعلها قمت بإلباسها فستاناً بلون أرجواني فهي تحب هذا اللون سأشتري لها فيما بعد الكثير من الملابس والمجوهرات عندما يكون كل شيء أماناً بعدها سأخرجها وأضعها في القصر وسنكون معاً للأبد لن يفرقنا أحد، وضعت لها مساحيق التجميل وألبستها الإكسسوار وحتى طلاء أظافر لأنها تحبه وأخيراً الخاتم خاتم زواجنا كان الوقت الساعة الثانية عشرة ودخلنا اليوم الرابع أخرجتها إلى صالة المعيشة بينما كان الجميع يجلسون ويراقبون وضعتها فوق الكرسي كالأميرات كان الجميع متحمسين لانضمام ثيا إلى عائلتنا لكن كان هناك حزن لأنني حزين ولا أعرف لماذا؟ جلست على أحد كراسي البار الدوارة وبدأت أدور به أدور وأدور حول نفسي أرى الجميع ينظرون إلي بحزن أحاول أن أجعل الدموع تتطاير من عينيّ لكن بدون فائدة أخيراً توقفت وضعت قارورة النبيذ جانباً نزلت من على الكرسي احتضنت ثيا ودموعي ما زالت تفشل في التوقف عن النزول وقلت بصوت يسوده كله الكآبة والحزن:

- رحبوا بحب حياتي أخيراً ثيا ستكون معنا إلى الأبد..

قام الجميع بالتصفيق والابتسامة لكن كانت أعينهم تفيض دمعاً على حالي وما زلت لا أعرف لماذا؟ نزلت على ركبتيّ وألبست ثيا الخاتم قبلت يدها وعدت مرة أخرى واحتضنتها:

- لطالما كنت تخبرينني يا ثيا بأنني بخير وأنني لست مريضاً شكراً لكِ أنتِ محقة لكنني مريض أنا مريض بك يا ثيا وهذا هو مرضي الوحيد سنرقص الآن رقصة الزفاف..

وقف الجميع بشكل دائري وأنا وعروسي في المنتصف أحملها بين يديّ لربما تكون تشعر بالخجل الآن لأن عائلتي يقفون ويشاهدون هذه اللحظات الرومانسية والسعيدة وضعت يدي على خصرها وبدأنا بالرقص وبينما كنت أرقص كنت أبكي لا أعرف لماذا؟ أو لربما من شدة السعادة لأن ثيا أصبحت ملكي للأبد رغم أن الأغنية التي قامت بتشغيلها أليكسا كانت مؤثرة لطالما أليكسا كانت تشعر بي أكثر من البشر صدحت الأغنية في جميع أرجاء القصر وأنا أغني معها ودموعي لا تتوقف ولا تتوقف ولا أعرف لماذا؟ هل هو من شدة السعادة أو من شدة التعاسة..

بينما غنت بالفرنسية «لارا فابيان» من سماعات أليكسا «أنا مريض» بالفعل كنت مريضاً:

«لم أعد أحلم

Je ne rêve plus

أنا لا أدخن بعد الآن

Je ne fume plus

لم يبق لي أي قصة

Je n’ai même plus d’histoire

أنا قذر بدونك

Je suis sale sans toi

أنا قبيح بدونك

Je suis laide sans toi

مثل اليتيم في المهجع

Comme une orpheline dans un dortoir

لم أعد أرغب

Je n'ai plus envie

أن أعيش حياتي

De vivre ma vie

حياتي تنتهي عند رحيلك

Ma vie cesse quand tu pars

لم تعد لدي حياة

Je n'ai plus de vie

وحتى سريري

Et même mon lit

يتحول إلى منصة المحطة

Se transforme en quai de gare

عندما تغادر

Quand tu t'en vas

أنا مريض

Je suis malade

مريض تماماً

Complètement malade

مثل عندما خرجت والدتي في المساء

Comme quand ma mère sortait le soir

وتركتني وحدي مع يأسي

Et qu'elle me laissait seule avec mon désespoir

أنا مريض

Je suis malade

مريض تماماً

Parfaitement malade

ستصل، لا نعرف أبدًا متى

T'arrives on ne sait jamais quand

تذهب لا نعرف أبداً إلى أين

Tu pars on ne sait jamais où

وسيكون ما يقرب من عامين

Et ça va faire bientôt deux ans

إنك لا تهتم

Que tu t'en fous

مثل صخرة

Comme à un rocher

مثل خطيئة

Comme à un péché

أنا مدمن عليك

Je suis accroché à toi

أنا متعب، أنا مرهق

Je suis fatiguée، je suis épuisée

للتظاهر بالسعادة

De faire semblant d'être heureuse

عندما يكونون هناك

Quand ils sont là

أنا أشرب كل ليلة

Je bois toutes les nuits

بالنسبة لي فإنهم يتذوقون الشيء نفسه

Pour moi ont le même goût

وجميع القوارب

Et tous les bateaux

احمل علمك

Porte ton drapeau

لم أعد أعرف إلى أين أذهب بعد الآن، أنت في كل مكان

Je ne sais plus où aller tu es partout

أنا مريض

Je suis malade

مريض تماماً

Complètement malade

أسكب دمي في جسدك

Je verse mon sang dans ton corps

وأنا مثل الطير الميت

Et je suis comme un oiseau mort

متى تنام

Quand toi tu dors

أنا مريض

Je suis malade

مريض تماماً

Parfaitement malade

لقد حرمتني من كل أغانيَّ

Tu m'as privée de tous mes chants

لقد أفرغتني من كل كلماتي

Tu m'as vidée de tous mes mots

ومع ذلك كان لدي موهبة

Pourtant moi j'avais du talent

قبل بشرتك

Avant ta peau

هذا الحب يقتلني

Cet amour me tue

إذا استمر هذا

Si ça continue

سأموت وحدي معي

Je crèverai seule avec moi

بالقرب من الراديو الخاص بي

Près de ma radio

مثل طفل غبي

Comme un gosse idiot

الاستماع إلى صوتي الذي سوف يغني

En écoutant ma propre voix qui chantera

أنا مريض

Je suis malade

مريض تماماً

Complètement malade

مثل عندما خرجت والدتي في المساء

Comme quand ma mère sortait le soir

وتركتني وحدي مع يأسي

Et qu'elle me laissait seule avec mon désespoir

أنا مريض

Je suis malade

هذا هو

C'est ça

أنا مريض

Je suis malade

لقد حرمتني من كل أغانيَّ

Tu m'as privée de tous mes chants

لقد أفرغتني من كل كلماتي

Tu m'as vidée de tous mes mots

وقلبي مريض تماماً

Et j'ai le cœur complètement malade

حواجز محاطة

Cerné de barricades

تسمع

T'entends

أنا مريض

«Je suis malade..

وبعد انتهاء الأغنية اكتشفت أنني لست مريضاً أنا المرض بنفسه أنا لست مجنوناً أنا الجنون برأسه، أنا من أنا أصلاً ومن أكون؟ أنا شخص مخيف لا مرعب لا أنا شخص يريد أن يعيش مع الجثث..

انتهى..

«خاتمة بداية النهاية»

١٩٩٢ م..

«أرى أبي كل يوم بوجه جديد ولا أعرف لماذا؟»

- التهم قلبه أو لحمه أو جلده اشرب دمه كل هذا لا يغير حقيقة أنك بشع هل ترغب بتغيير جلدك؟ حتى لو بدلت جلدك لجلد آخر حتى لو ارتديت ألف وجه لا تنسَ أبداً وجهك الحقيقي..

- لن أنسى ذلك لا تخفْ الأهم أنك أنت أيضاً لا تنسى أنني رغم بشاعتي لدي أغلى ثمن..

قال ضاحكاً:

- أيها الغبي أغلى ثمن يعود إلي أنا إنها حقيقة مؤقتة فقط وستستيقظ من أحلامك الواهنة أنت هنا خادم لي فحسب وبدوني لن تصل إلى أي شيء أنا صنعتك ولن يكون لديك هذا الثمن أصلاً تذكر دائماً أن هذا الثمن يعود لي أنا وما أن أنتهي من مهمتي ظل سيعود إلى والده أنا وحتى

ذلـك الوقـت سـأجعله معـك لكـن لا تفكـر بـأن تسـرق ابني وتهرب لأنني سأحرقك..

- الشمس لا تحرقني بوجود ظل..
- حسناً إذاً جرب فقط وانتظر ما ستراه مني أيها الخائن..
- أنا لم أخنْك بعد..
- كل أفـكارك واضحة لكن سـأمثل أنـني مجنون علـى أمل أنك لن تنسى أني أنا الذي صنعتك من لا شيء إلى كل شيء..

«الفهـــرس»

«انتظروا رحلة «البيتشيني» كيف بدأت ومتى بدأت؟
وملحمة من الرعب النفسي في الجزء الثاني قريباً بعنوان
«الوحش ذو الألف وجه».. جلد.....»

ماريا العيسي..

٧ مارس ٢٠٢٤ م..

الثلاثـــاء..



سلسلة
من المهد إلى اللحد

شياطيني تعمل في نوبة المقبرة
أعيش يومي بلا وزن وحرّاً ولكن
عندما يأتي الليل تنتظرني شياطيني
بالسلاسل جاهزة وسعيدة لسحبي
وأحلامي بعيداً

"شخص مفتون بالجثث"

مريم الحيسي

maria_hise5

9 786038 499030

adabarabic7
services_book
servicesbook1
www.adab-book.com